الوجيز في القرآن

في تصحيح ما حُرِّف تفسيرُه من ءايات القُرءان

الجزء الثاني

تأليف السيد الشريف
الشيخ الدكتور جميل حليم
الأشعري الشافعي الهاشمي
القرشي الحسيني

شركة دار المشاريع

الفُرقَانُ

فِي تَصْحِيحِ مَا حُرِّف تفسِيرُه مِن ءَايَاتِ القُرءَان

الجزء الثاني

شَرْح وَتَحْقِيق وَتَعْلِيق
الشيخ جميل محمّد عَلي حليم الأَشْعَريّ الشّافعيّ الحسيني
دكتور محاضر في العقائد والفِرَق

شركة دار المشاريع

الطبعة الثانية
١٤٤٥ هـ ـ ٢٠٢٤ ر

شركة دار المشاريع

بيروت ـ لبنان

العنوان: المزرعة، بربور، شارع ابن
خلدون، بناية الإخلاص
تلفون وفاكس: ٣١١ ٣٠٤(١ ٩٦١)٠٠
صندوق بريد: ٥٢٨٣ ـ ١٤ بيروت ـ
لبنان

شركة دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

ISBN 978-9953-20-786-5

9789953207865

email: dar.nashr@gmail.com
www.dmcpublisher.com

يقولُ الإمامُ المُزَنِيُّ:

«قرأتُ كتابَ الرسالةِ على الشَّافعيّ ثمانين مرة، فَمَا مِن مرةٍ إلَّا وكان يقفُ عَلَى خطأ، فقالَ الشَّافعيُّ: هِيه، أَبَى اللهُ أن يكونَ كِتابًا صحيحًا غير كِتَابِهِ».

أَخِي القارئُ الكريم،
مَا كَان من خطأٍ في كتابنا أَرْشِدنا إليهِ
فَإِنَّنا لَا نَدَّعي العِصمة،
ونحن لكَ من الشَّاكرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، ولا يقال أين كان ولا كيف كان. وأشهد أنَّ سيّدنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عبده صلى الله عليه وعلى ءاله وأصحابه الَّذين حفظوا القرءان، ونقلوه إلينا متواترًا؛ فصانوه عن التغير والتبديل والتحريف والزيادة والنقصان.

أما بعد فإن من نعم الله عز وجل ما منَّ به على فضيلة السيد الشريف الشيخ الدكتور جميل حليم الحسيني من تأليف كتاب بيّن فيه ما اشتبه تفسيره من الآيات على كثير من العوام، وحذر فيه من تحريف المحرفين لهذه الآيات الكريمات، وطبع الكتاب المعروف بـ (الفرقان في تَصحيح ما حُرّفَ تفسيرُهُ من آياتِ القُرءان) الجزء الأول، وهذا الجزء الثاني، وطلاب العلم متلهفون إليه، لشدة حاجة الناس إليه، سيما في هذا العصر المليء بالفتن والفساد، فإن أمثال هذه الكتب النفيسة تكون منارة للتائهين، ونبراسًا وهاجًا وبدرًا وضاءً يضيء الطريق إلى معرفة الحق المبين ونبذ الغلو في الدين.

فجزى الله مؤلفه خير الجزاء، وأعانه وقواه.

أخوكم في الله
الشريف الشيخ الدكتور سليم علوان الحسيني
أمين عام دار الفتوى في أستراليا
١٣-١٢-٢٠١٤

التَّوطئَة
الميزان في بيان عَقِيدَة أهلِ الإيمان

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلَّم وشرَّف وكرَّم على سيِّدنا محمَّد، الحبيبِ المحبوبِ، العظيمِ الجاهِ، العالي القَدرِ طه الأمينِ، وإمامِ المرسلينَ وقائدِ الغُرِّ المحَجَّلِينَ، وعلى ذُرِّيَّته وأهلِ بَيتِه المَيامِين المكرَّمين، وعلى زوجاتِه أمَّهات المؤمنِين البارّاتِ التَّقِيَّات النَّقِيَّات الطاهراتِ الصَّفِيَّات، وصحابَتِه الطيِّبِين الطَّاهرِين، ومَن تَبِعَهُم بإحسانٍ إلى يَومِ الدِّين.

أما بعدُ، فهذه عقيدةُ كلّ الأمّة الإسلاميةِ سلَفًا وخلفًا، وهي المرجع الذي تُعْرض عليه عقائدُ الناس، فمن خالفها أو كذبها لا يكونُ من المسلمينَ، وهي ميزان الحقِّ الذي يَكْشِفُ زيْفَ الباطلِ وزيغَهُ، فكان لا بُدَّ من هذا البيان المهمِّ لخصوصِ الغَرضِ وعمومِ النَّفْعِ؛ وعليه:

اعلم أرشدَنا اللهُ وإياكَ أنهُ يجبُ على كلِّ مكلفٍ أن يعلمَ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ واحدٌ في ملكِهِ، خلقَ العالمَ بأسرِهِ العلويَّ والسفليَّ والعرشَ والكرسيَّ، والسمٰواتِ والأرضَ وما فيهمَا وما بينهُمَا. جميعُ الخلائِقِ مقهورونَ بقدرتِهِ، لا تتحرَكُ ذرةٌ إلا بإذنِهِ، ليس معهُ مُدَبّرٌ في الخلقِ ولا شريكٌ في الملكِ، حي قيومٌ لا تأخذُهُ سِنَةٌ ولا نومٌ، عالمُ الغيبِ والشهادةِ لا يخفى عليه شيء في الأرضِ ولا في السماءِ، يعلمُ ما في البرّ والبحرِ، وما تسقطُ من ورقةٍ إلا يعلمُهَا، ولا حبةٍ في ظلماتِ الأرضِ ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مبينٍ.

أحاطَ بكلِ شيء علمًا وأحصَى كلّ شيءٍ عددًا، فعالٌ لما يريدُ، قادرٌ على ما يشاءُ، له الملكُ وله الغِنى، وله العِزُّ والبقاءُ، وله الحكمُ والقضاءُ، وله الأسماءُ الحسنى، لا دافعَ لما قضَى، ولا مانعَ لما أعطَى، يَفْعَلُ في ملكِهِ ما يريدُ، ويَحْكُمُ في خَلْقِهِ بما يشاءُ، لا يَرجُو ثوابًا ولا يخافُ عقابًا، ليس عليهِ حقٌّ يلزَمُهُ ولا عليهِ حُكْمٌ، وكلُّ نِعْمةٍ

منْهُ فَضْلٌ وكل نِقْمةٍ منه عَدْلٌ، لا يُسألُ عمّا يَفْعَلُ وهم يُسْألونَ. مَوجودٌ قبلَ الخَلْقِ، ليسَ لهُ قبلٌ ولا بعدٌ، ولا فوقٌ ولا تحتٌ، ولا يمينٌ ولا شمالٌ، ولا أمامٌ ولا خلفٌ، ولا كلٌّ ولا بعضٌ، ولا يقالُ متَى كانَ ولا أينَ كانَ ولا كيفَ، كانَ ولا مكانَ، كوَّنَ الأكوانَ، ودبَّرَ الزمانَ، لا يتقَيَّدُ بالزمانِ، ولا يتخصَّصُ بالمكانِ، ولا يشغَلُهُ شأْنٌ عن شأْنٍ، ولا يلحقُهُ وهمٌ ولا يكتنِفُهُ عقلٌ، ولا يتخصَّصُ بالذّهنِ، ولا يتمثَّلُ في النفسِ، ولا يُتَصَورُ في الوهمِ، ولا يتكيفُ في العقلِ، لا تَلْحَقُهُ الأوهامُ والأفكارُ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

تنزَّه ربّي عن الجلوسِ والقعودِ والاستقرارِ والمحاذاةِ، الرّحمٰنُ على العرشِ استوى استواءً منزهًا عن المماسةِ والاعوجاجِ، خلقَ العرشَ إظهارًا لقدرتِهِ ولم يتَّخِذه مكانًا لذاتِهِ، ومن اعتقدَ أنَّ اللهَ جالسٌ على العرشِ فهو كافرٌ، الرّحمٰنُ على العرشِ استوى كما أخبرَ لا كما يخطرُ للبشرِ، فهو قاهرٌ للعرشِ مُتَصرِّفٌ فيه كيف يشاءُ، تنزَّهَ وتقدَّسَ ربّي عن الحركةِ والسكونِ، وعن الاتصالِ والانفصالِ والقُربِ والبُعدِ بالحِسِّ والمسافةِ، وعن التَّحوُّلِ والزّوالِ والانتقالِ، جلَّ ربّي لا تُحيطُ به الأَوهامُ ولا الظُّنونُ ولا الأفهامُ، لا فِكرةَ في الرَّبِّ، خلق الخلق بقُدرته، وأحكمَهم بعِلْمه، وخَصَّهم بمشيئته، ودَبَّرَهم بحِكمَته، لم يكن له في خَلْقِهم مُعِين، ولا في تَدبيرهم مُشِير ولا ظَهِير.

لا يلزمه (لِمَ)، ولا يُجاورُه (أين)، ولا يُلاصِقُه (حَيث)، ولا يَحُلُّه (ما)، ولا يَعُدُّه (كَم)، ولا يَحصُره (متَى)، ولا يُحِيطُ به (كَيف)، ولا يَنالُه (أيٌّ)، ولا يُظِلُّه (فَوق) ولا يُقِلُّه (تَحت)، ولا يُقابِلُه (حَدّ)، ولا يُزاحِمُه (عِند)، ولا يأخُذه (خَلْف)، ولا يَحُدُّه (أمام)، ولم يَتقدَّمُه (قَبْل)، ولم يَفُتْه (بَعد)، ولم يَجْمَعْه (كُلّ)، ولم يُوجِدْه (كان)، ولم يَفْقِدْه (لَيس).

لا إلٰه إلا هو، تقدَّسَ عن كلِّ صفاتِ المخلوقينَ وسِمَاتِ المحدَثينَ، لا يَمَسُّ ولا يُمَسُّ ولا يُحَسُّ ولا يُجَسُّ، لا يُعرَفُ بالحواسِّ ولا يُقاسُ بالناس، نُوَحِّدُه ولا نُبَعِّضُه، ليس جسمًا ولا يتَّصِفُ بصفاتِ الأجسام، فالمجسِّم كافر بالإجماع وإن

قال: «الله جسمٌ لا كالأجسام» وإن صام وصلى صورةً، فالله ليس شبحًا، وليس شخصًا، وليس جوهرًا، وليس عَرَضًا، لا تَحُلُّ فيه الأعراضُ، ليس مؤلَّفًا ولا مُرَكَّبًا، ليس بذي أبعاضٍ ولا أجزاءٍ، ليس ضوءًا وليس ظلامًا، ليس ماءً وليس غَيمًا وليس هواءً وليس نارًا، وليس روحًا ولا له روحٌ، لا اجتماعَ له ولا افتراقَ.

لا تجري عليه الآفاتُ ولا تأخذُه السِّنَاتُ، منزّهٌ عن الطُّولِ والعَرْضِ والعُمْقِ والسَّمْكِ والتركيبِ والتأليفِ والألوانِ، لا يَحُلُّ فيه شيء، ولا يَنْحَلُّ منه شيء، ولا يَحُلُّ هو في شيء، لأنه ليس كمثله شيء، فمَن زعَم أنّ الله في شيء أو مِن شيء أو على شيء فقد أشْرَك، إذ لو كان في شيء لكان محصورًا، ولو كان مِن شيء لكان مُحدَثًا أي مخلوقًا، ولو كان على شيء لكان محمولًا، وهو معكم بعِلمِه أينما كنتم لا تخفى عليه خافية، وهو أعلم بكم منكم، وليس كالهواء مخالطًا لكم.

وكلَّم الله موسى تكليمًا، وكلامُه كلامٌ واحدٌ لا يتبعض ولا يتعدد ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، ليس مُبتَدَأً ولا مُختَتَمًا، ولا يتخلله انقطاع، أزليٌّ أبديٌّ ليس ككلام المخلوقين، فهو ليس بفم ولا لسان ولا شفاه ولا مخارج حروف ولا انسلال هواء ولا اصطكاك أجرام. كلامُه صفةٌ من صفاتِه، وصفاتُه أزليةٌ أبديةٌ كذاتِه، وصفاته لا تتغيَّر لأنَّ التغيُّرَ أكبرُ علاماتِ الحدوثِ، وحدوثُ الصفةِ يستلزمُ حدوثَ الذاتِ، والله منزَّهٌ عن كل ذلك، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك، فصونوا عقائدَكم من التَّمَسُّكِ بظاهِرِ ما تشابَه من الكتابِ والسنَّةِ فإنَّ ذلك من أصولِ الكفر، ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾، ومن زعم أن إلٰهنا محدودٌ فقد جَهِلَ الخالقَ المعبودَ، فالله تعالى ليس بقدر العرش ولا أوسع منه ولا أصغر، ولا تصِحُّ العبادة إلا بعد معرفة المعبود، وتعالى ربّنا عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد خرج من الإسلام وكفَر.

﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾، ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾، ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ

كُلِّ شَيْءٍ ﴾، ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ ما شاء الله كان وما لم يشأْ لم يكن، وكلّ ما دخل في الوجود من أجسامٍ وأجرامٍ وأعمالٍ وحركاتٍ وسكناتٍ ونوايا وخواطر وحياة وموت وصحة ومَرَض ولذّة وألم وفَرَح وحزن وانزعاج وانبساط وحرارة وبُرودة ولُيونة وخشونة وحلاوة ومرارة وإيمانٍ وكفر وطاعة ومعصية وفوز وخسران وتوفيق وخذلان وتحركات وسكنات الإنس والجن والملائكة والبهائم وقطرات المياه والبحار والأنهار والآبار وأوراق الشجر وحبات الرمال والحصى في السهول والجبال والقفار فهو بخلق الله، بتقديره وعلمه الأزلي، فالإنس والجن والملائكة والبهائم لا يخلقون شيئًا من أعمالهم، وهم وأعمالهم خَلْق لله،﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾، ومن كذَّبَ بالقدر فقد كفر.

ونشهد أن سَيِّدَنا ونبيَّنا وعظيمنا وقائدَنا وقُرَّة أعينِنا وغوثنا ووسيلتنا ومعلمنا وهادينا ومرشدنا وشفيعنا محمَّدًا عبدُه ورسولُه، وصفيُّه وحبيبُه وخليلُه، مَن أرسَلَه اللهُ رحمةً للعالمين، جاءنا بدين الإسلام ككُلِّ الأنبياء والمرسلين، هاديًا ومُبَشِّرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه قمرًا وهَّاجًا وسِراجًا مُنيرًا، فبلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حقّ جهاده حتى أتاه اليقين، فعَلَّمَ وأرشدَ ونصحَ وهدى إلى طريق الحقِّ والجنَّة، ﷺ وعلى كلِّ رسولٍ أرسَلَه، ورضي الله عن ساداتنا وأئمتنا وقدوتنا وملاذنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر العشرة المبشرين بالجنة الأتقياء البررة وعن أمهات المؤمنين زوجات النبي الطاهرات النقيات المبرَّآت، وعن أهل البيت الأصفياء الأجلاء وعن سائر الأولياء وعباد الله الصالحين.

ولله الحمدُ والفَضلُ والمِنَّةُ أنْ هدانا لهذا الحقّ الّذي عليه الأشاعرة والماتريدية وكلُّ الأمّة الإسلامية، والحمدُ لله ربّ العالمين.

نُبْذَة تعريفيَّة
بالشّيخ الدُّكتور جَمِيل حَلِيم

بقلم النّاشِر

هو السيّد الشريف رئيس جمعية المشايخ الصوفية الشيخ الدكتور عماد الدين أبو الفضل جميل بن محمد علي حليم، الحسينيُّ الأشعري الشافعي الرفاعي القادريّ.

تلقَّى العلوم والطرق عند علَّامة العصر وقدوة المحققين الحافظ الشيخ عبد الله ابن محمد الهرري الشيبي العبدري ولزمه وصحبه واستفاد منه زمانًا طويلًا وكان يعيد دروسه وإملاءاته في كثير من مجالسه العامة والخاصة بطلبٍ منه رضي الله عنه، وقرأ وسمع وحضر في علومٍ شتّى على كثيرٍ من العلماء والفقهاء والمحدّثين من مشاهير البلاد كمكة والمدينة وجدة ولبنان وسوريا والعراق ومصر وأندنوسيا وتركيا والمغرب واليمن والحبشة وغيرها، وأجازه كثيرٌ من العلماءِ والمحدِّثين والمشايخ في مختلف البلاد إجازةً عامةً مطلقةً وخاصَّة بكل ما تجوز لهم روايته وفي الطرق والإرشاد والتسليك وإقامة الختم والحضرة وتلقِين الأوراد.

وقد حاز الشيخ جميل على شهادتي دكتوراه، الأولى من الجامعة العالمية في لبنان تحت عنوان «السُّقوط الكبير المُدَوِّي للمُجَسِّم ابن تَيمِيةَ الحرَّاني» بتقديرٍ ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، والأخرى من جامعة مولاي إسماعيل بالمغرب تحت عنوان «التأويل في علم الكلام وضوابطه عند أهل السنة والجماعة» وذلك بتقدير مشَرّف جدًّا.

وقد أولَى الشيخ جميل اهتمامه العلم والمطالعة، فهو يعكف اليوم على تأليفِ الكتب وتحقيق مصنَّفات العلماء في مكتبته «المكتبة الأشعرية العبدرية» في بيروت وقد حَوَت ءالاف الكتب المطبوعة والمخطوطة النادرة في علوم وفنون شتى. وقد بلغت مؤلفاته ومصنَّفاته وتحقيقاته لبعض الكتب فوق المائتي كتابٍ إلى الآن.

وقد قرأ وسمع على العلماء والمشايخ وحصَّل تلقّيًا أكثر من ثلاثمائة كتاب في كل الفنون والعلوم ولله الفضل والحمد والمِنّة ولا زال إلى اليوم بعونٍ من الله وتوفيقٍ وتسديدٍ قائمًا على الخطابة في المساجد والتدريس وإلقاء محاضرات في المساجد والجامعات والمعاهد وفي مناسبات الناس العامة كالجنائز والتعازي والأعراس جوَّالًا على المحافظات والبلاد بذلك، كما وأنه شارك وحضر في كثيرٍ من المؤتمرات والمهرجانات والاحتفالات في كثيرٍ من الدول والبلاد بطلب ودعوة من أهلها، وله العديد من المقابلات واللقاءات في عدد من وسائل الإعلام كالتلفزيون والإذاعة والمجلَّات والصحف، وهو دكتور أستاذ محاضر في الجامعة العالمية في لبنان، كما وأنه يعقد مجالس الإقراء والإسماع في الأحاديث المسلسلة وكتب الحديث الشريف كالكتب السبعة وغيرها من أمَّهات الكتب من العقائد والأحكام والفقه والتَّصوف وهو أوَّل من أقْرَأَ صحيحي البخاري ومسلم في لبنان من تلاميذ الحافظ الهرري، وقد أقْرَأَ إلى الآن العشرات من الكتب والمؤلَّفات الّتي حضر فيها الجمّ الغفير من المشايخ والدُّعاة والأساتذة والدَّكاترة ومعلِّمي ومعلماتِ المعاهد والمدارس وخطباء المساجد وطلَّاب الكليَّات والمعاهد الشرعيَّة، وبعض هذه المجالس تبث مباشرة على مواقع التواصل وصفحات الفايسبوك وبعض هذه المجالس والمحاضرات شاهدَها قريبٌ مِن ثلاثةِ ملايين مشاهِد.

كما وقد راسَله وهاتفه وكاتبه وشافهه عدد كبير من المشايخ والدكاترة والدّعاة والأساتذة والفقهاء والمحدثين لطلب وأخذ الإجازة منه، وإجازاته من كل بقاع الدنيا قاربت الألف إجازة بعضها مذكور ومفصَّلٌ في ثبته الموسوم بـ«جمع اليواقيت الغوالي من أسانيد الشيخ جميل حليم العوالي»، وقد طبع مرات ومعظم إجازاته وأكثرها التي جاءت بالمئات في ثبته الكبير المسمَّى بـ«المجد والمعالي من أسانيد الشيخ جميل حليم الغوالي».

هذا وقد خصَّهُ بعض العلماء وأحفاد رسول الله ﷺ من الأُسَر الشريفة المشهورة وأصحاب الطرق من بلادٍ عدة بآثارٍ من آثار رسول الله محمَّد ﷺ، فحفظها في

«الخزينة الحليمية». وفي كل عام يتبرك عشرات الآلاف من المسلمين في مختلف البلاد ببعض هذه الآثار الزكيّة المباركة العطرة، وقد حصل بذلك خيرٌ عظيم جسيمٌ كبير من دخول بعض النَّاس في الإسلام وظهرت حالات شفائيَّة سريعة وظاهرة جدًا حتى جُمِع بعضُها في كتابٍ طبع مرات وهو «أسرار الآثار النبويَّة أدِلّة شرعِيّة وحالات شِفائيّة» ولله الحمد والفضل والثناء والمنة والشكر الجزيل على ما أسدَى من الفضل العميم وصلى الله وسلَّم على سيدنا محمَّد وعلى كل النبيّين والمرسَلين وءالِ كلٍّ وصَحب كلٍّ وسائر عباد الله الصالحين[1].

بيروت، الخميس ٢٩ المحرَّم ١٤٤٢هـ

الموافِق ١٧ أيلول ٢٠٢٠ر

(١) للتواصل مع المؤلف راجع ما يلي: ٩٦١٣٠٠٦٠٧٨+ / ٩٦١٣٦٧٣٩٤٦+

info@sheikhjamilhalim.com :

sheikhjamilhalim@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١-قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [سورة البقرة]

الشرح: قال الرازي[1]: قوله: ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ ﴾ يفيد الحصر أي نكون مسلميْن لك لا لغيرك وهذا يدل على أن كمال سعادة العبد في أن يكون مسلّمًا لأحكام الله تعالى وقضائه وقدره وأن لا يكون ملتفت الخاطر إلى شيء سواه، وهذا هو المراد من قول إبراهيم عليه السلام في موضع ءاخر: ﴿ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ سورة الشعراء، ثم هاهنا قولان: أحدهما: ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ سورة البقرة، أي موحديْن مخلصيْن لا نعبد إلا إياك والثاني: إن اعتبرناهما مع الذرية قائِمين وأما قائميْن فمعناه قائميْن بجميع شرائع الإسلام وهُوَ الأوجه ونقل القرطبي في الجامع لأحكام القرءان قال: قوله تعالى:﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ سورة البقرة، أي ومن ذريتنا فاجعل فيقال: إنه لم يدع نبي إلا لنفسه ولأمته إلا إبراهيم فإنه دعا مع دعائه لنفسه ولأمته لهذه الأمة. ﴿ وَمِن ﴿١٢٨﴾ ﴾ في قوله: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ ﴿١٢٨﴾ ﴾ للتبعيض، لأن الله تعالى قد كان أعلمه أن منهم ظالمين أي كافرين، وحكى الطبري[2]: أنه أراد بقوله: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ ﴿١٢٨﴾ ﴾ العرب خاصة. قال

---

(١) **مختار الصحاح**، الرازي، مادة ج س م. ص١٢٧. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي زين الدين، صاحب «مختار الصحاح» في اللغة، فرغ من تأليفه أول رمضان سنة ٦٦٠هـ وهو من فقهاء الحنفية، وله علم بالتفسير والأدب. أصله من الري. زار مصر والشام، وكان في قونية سنة ٦٦٦هـ وهو آخر العهد به. ومن كتبه «شرح المقامات الحريرية» و«حدائق الحقائق». الأعلام، الزركلي، ٦/ ٥٥.

(٢) ابن جرير الطبريّ، محمد بن جرير بن يزيد الطبري ت ٣١٠هـ، أبو جعفر، المؤرخ المفسر الإمام، وهو من ثقات المؤرخين، قال ابن الأثير: «أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ» اهـ. وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق، وكان مجتهدًا في أحكام الدين لا يقلد أحدًا بل قلّده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه. له: «أخبار الرسل والملوك» يعرف بتاريخ الطبري،=

السهيلي: وذريتهما العرب.

= و«جامع البيان في تفسير القرءان» يعرف بتفسير الطبري، و«اختلاف الفقهاء». **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ٩٦.

٢-قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة البقرة]

الآية: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾:

يجب الاعتقاد أن سليمان عليه الصلاة والسلام نبيٌّ بنص القرءان والحديث والإجماع وهو معصوم من الكفر والكبائر وصغائر الخسة قبل النبوة وبعدها فلا يجوز عليه أن يُشرِكَ بربه ولا أن يَكفُرَ به لأنه معصوم من ذلك، وكذلك هو معصوم من العَمَلِ بالسحر أو أن يُعلِّمَ الناسَ السحرَ ليعملوا به ليكفروا أو ليفسقوا ومستحيل عليه أن يكون علَّم الشياطين ذلك، وكذلك مما يجب اعتقاده أن السحر لا يؤثر في عقول الأنبياء، وما في بعض الكتب والتفاسير من أن سليمان هو علم الشياطين السحر ليكفروا أو ليعملوا به هو كفر وباطل وضلال بعيد ومناف لعصمة الأنبياء، ولكن الذي حصل أن سليمان كان دفن كتب السحر تحت كرسيه كي لا تعمل بها الشياطين والسحرة من الناس وقيل إن الشياطين دفنوا كتب السحر تحت كرسي سليمان وأظهروها للناس بعد وفاته ليضلوا الناس ويوهموهم بأن سليمان كان ساحرًا ومن اعتقد ذلك أو صدقه فقد خرج من الإسلام وعليه أن يرجع عن هذا الاعتقاد إلى الإسلام بالنطق بالشهادتين.

فائدة عظيمة النفع تتعلق بعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

قال الحافظ الحجة القدوة الفقيه الشيخ عبد الله الهرري الحبشي رحمه الله رحمة واسعة ورضي الله عنه، في كتابه «الدليل القويم على الصراط المستقيم» ما نصه[1]:

تجب للأنبياء العصمة من الكفر والكبائر وصغائر الخسة والدناءة كسرقة لقمة. ويجوز عليه ما سوى ذلك من الصغائر.

وهذا قول أكثر العلماء كما نقله غير واحد وعليه الإمام أبو الحسن الأشعري، وخالفه بعض الأشاعرة في وقوع الصغائر التي لا خسة فيها منهم فقال تاج الدين السبكي في قصيدته النونية[2]:

والأشعري إمامنا لكننا ... في ذا نخالفه بكل لسان

أقول: يا ليته وافقه إذ هو الموافق للنصوص.

فإن قيل إننا مأمورون بالاقتداء بهم فلو كانوا يعصون للزم الاقتداء بهم في المعصية ولا يعقل ذلك.

فالجواب أنهم ينبهون فورًا فلا يُقَرُّون عليها بل يتوبون قبل أن يقتدي بهم أحد فزال المحذور.

فمن الغلو القبيح قول بعض المنحرفين من المتصوفة أن ءادم كان منهيًا عن الأكل من الشجرة ظاهرًا مأمورًا باطنًا. وقال بعض هؤلاء في إخوة يوسف مثل ذلك وذلك تكذيب للنص.

أما في حق ءادم فقد قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ [سورة طه]

---

(١) الدليل القويم (طبعة دار المشاريع- الطبعة الرابعة- ١٤٣٣هـ - ص٣٣٦-٣٣٨).

(٢) طبقات الشافعية (٢/ ٢٦٨).

أخبرنا الله بأنه نُهِيَ ولم يخبرنا بأنه أُمِرَ بالأكل من الشجرة وكيف يجتمع الأمر بشيء والنهي عنه في حق شخص واحد في وقت واحد ثم أخبرنا بأنه تاب عليه بقوله ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِ﴾ [سورة البقرة] وأما إخوة يوسف الذين كادوه فلم يخبرنا الله تعالى إلا بجرائمهم وأخبرنا أن يوسف قال لهم: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ﴾ [سورة يوسف] فكيف يعقل أن يكونوا مأمورين باطنًا.

وكانت معصية الأكل صغيرة وليست كبيرة كما تدعي النصارى. فقد قالوا إن المسيح جاء ليخلص البشر من تبعتها وأعظِمْ بذلك افتراء. وكانت الكلمات التي تلقاها ءادم ما ذكر الله بقوله ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [سورة الأعراف].

قاعدة في عصمة الأنبياء: قال الشيخ التلمساني في «شرح لمع الأدلة» ما نصه[1]: «لا يجوز عليهم الكبيرة ألبتة ويجوز تعمد الصغيرة بشرط عدم الإصرار، ولا يجوز منهم صغيرة تدل على خساسة النفس ودناءة الهمة كتطفيف حبة وسرقة باقة بقل» اهـ، ثم قال[2]: «وأما عصمتهم عن الكبائر والإصرار على الصغائر وعن كل صغيرة تؤذن بقلة الاكتراث بالدين فمستند إلى الإجماع القاطع، فإن السلف رضي الله عنهم لم يزالوا يحتجون بالنبي بأفعاله وأقواله ومتبادرون إلى التأسي به، وجميع الظواهر التي اعتمد عليها الحشوية قابلة التأويل». «وأما يونس فقيل: إنما كرّمه الله بالنبوة والرسالة بعد أن نبذ بالعراء[3] قال الله عزّ وجل ﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة القلم]، وأما نبينا ﷺ وعليهم أجمعين في قصة الفداء في

(١) شرح لمع الأدلة (ص/ ١٩٧)، مخطوط.

(٢) المصدر نفسه، (ص/ ١٩٨)، مخطوط.

(٣) ولو قيل خروج يونس عليه السلام من قريته وفراقه لقومه كان بعد أن صار نبيًّا لكنه فعل ذلك قبل أن يؤذن له بذلك وحيًا ولأجل هذا قال في بطن الحوت ما قال على أن ذلك لم يكن كبيرة ولا دالًّا على خساسة نفس أو دناءة همة لكان حسنًا.

أسارى بدر والإذن للمنافقين في التخلف عن غزوة تبوك وعبوس الوجه لابن أم مكتوم فكلّ ذلك ترك للأولى)[1] اهـ.

وقال التلمساني ما نصه[2]: «اعلم أنه لما ثبت صدق الرسول ﷺ وعصمته في ما يبلغه عن الله تعالى وجب التصديق بكل ما أخبر من أمور الغيب جملة وتفصيلًا، فإن كان مما يُعلم تفصيله وجب اعتقاده، فإن لم يُعلم تفصيله وجب أن يؤمن به جملة ويرد تأويله إلى الله تعالى ورسوله ولمن اختصه الله عزّ وجل بالاطلاع على ذلك» اهـ.

---

(١) روى الترمذي في سننه: كتاب السير: باب ما جاء في قتل الأُسارى والفداء، والنسائي في السنن الكبرى (٥/ ٢٠٠)، وابن حبان في صحيحه انظر الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٧/ ١٤٣)، والبيهقي في سننه، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٤٠)، والبزار في مسنده (٢/ ١٧٦) أن جبريل جاء إلى الرسول ﷺ يوم بدر فقال «خيّر أصحابك في أُسارة بدر إن شاؤوا القتل وإن شاؤوا الفداء على أن يُقتل في العام المقبل منهم مثلهم فقالوا: الفداءَ ويقتل منا». أما قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴿٦٧﴾ ﴾ [سورة الأنفال] فهذا من خصائص الرسول ﷺ أما بالنسبة لكم الله رخص لكم في أخذ الفداء، الله تعالى امتن على الرسول ﷺ بهذا. قال القاضي عياض في الشفا (٢/ ١٥٩): «وأما قوله في أسارى بدر ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ ﴾ الآيتين فليس فيه إلزام ذنب للنبي ﷺ بل فيه بيان ما خُص به وفُضّل من بين سائر الأنبياء فكأنه قال ما كان هذا لنبي غيرك».

(٢) شرح لمع الأدلة (ص/ ٢٠١)، مخطوط.

تحذير واجب

ومما يجب الحذر منه، ما دُسَّ على الحافظ النَّسائي[1] (٣٠٣هـ) في تفسيره مؤسسة الكتب الثقافية[2]، وهي قصة مكذوبة فيها كفر صريح على سيدنا سليمان عليه السلام، ولا نعتقد في النسائي أنه يقول ما لا يليق بأنبياء الله تعالى، بل نقول إنه مما افتُرِيَ ودُسَّ عليه، فيقولون والعياذ بالله تعالى من الافتراء على الأنبياء: «قوله تعالى ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة البقرة]. عن ابن عباس قال -وهو كذب على ابن عباس-: كان الذي أصاب سليمان بن داود عليه السلام -على زعمهم- في سبب امرأة من أهله يقال لها جرادة وكانت أحب نسائه إليه وكان إذا أراد أن يأتي نساءه أو يدخل الخلاء أعطاها الخاتم، فجاء أناس من أهل الجرادة يخاصمون قومًا إلى سليمان بن داود عليه السلام فكان هوى سليمان أن يكون الحق لأهل الجرادة فيقضي لهم فعوقب حين لم يكن هواه فيهم واحدًا، فجاء حين أراد الله أن يبتليه فأعطاها الخاتم ودخل الخلاء وتمَثَّل الشيطانُ في صورة سليمان قال: هاتي خاتمي فأعطته خاتمه فلبسه فلما لبسه دانت له الشياطين والإنس والجن وكل شيء. جاءها سليمان قال: هاتي خاتمي قالت: اخرج لست بسليمان، قال سليمان عليه السلام: إن ذاك من أمر الله إنه بلاء ابتُلِيَ به، فخرج فجعل إذا قال: أنا سليمان، رجموه حتى يُدمون عقبه، فخرج يحمل على شاطئ البحر ومكث هذا الشيطان فيهم مقيمًا ينكح نساءه ويقضي بينهم، فلما أراد الله عز وجل أن يرد على سليمان ملكه انطلقت

---

(١) هو الإمام الحافظ الثبت أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب بن على بن سنان بن بحر الخراساني النسائي. ولد بنسا في سنة خمس عشرة ومئتين. وطلب العلم في صغره، فارتحل إلى قتيبة في سنة ثلاثين ومئتين، فأقام عنده ببغلان سنة، فأكثر عنه. قال أبو سعيد بن يونس في تاريخه كان النسائي إمامًا حافظًا ثبتًا خرج من مصر في شهر ذي القعدة سنة اثنتين وثلاث مائة وتوفي بفلسطين يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من صفر سنة ثلاث وثلاث مائة، ولعل هذا الأرجح أنه توفي بفلسطين. انظر ترجمة الحافظ النسائي طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٤، ١٦).

(٢) مؤسسة الكتب الثقافية (الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، الجزء الأول ص/ ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨).

الشياطين وكتبوا كتبًا فيها سحر وفيها كفر فدفنوها تحت كرسي سليمان عليه السلام ثم أثاروها وقالوا هذا كان يفتن الجن والإنس قال: فأكفر الناس سليمان حتى بعث الله محمدًا ﷺ فأنزل الله عز وجل على محمد عليه السلام (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) يقول: الذي صنعوا، فخرج سليمان يحمل على شاطئ البحر، قال: ولما أنكر الناس لما أراد الله أن يرد على سليمان ملكه أنكروا انطلقت الشياطين جاؤوا إلى نسائه فسألوهن فقلن: إنه ليأتينا ونحن حُيَّض وما كان يأتينا قبل ذلك، فلما رأى الشيطانُ أنه حَضَر هلاكُه هرب وأرسل به فألقاه في البحر، وفي الحديث فتلقاه سمكُهُ فأخذَه، وخرج الشيطانُ حتى لحق بجزيرة في البحر، وخرج سليمان عليه السلام يحمل لرجل سمكًا قال: بكم تحمل قال: بسمكةٍ من هذا السمك، فحمل معه حتى بلغ به أعطاه السمكة التي في بطنها الخاتم، فلما أعطاه السمكة شق بطنها يريد يشويها، فإذا الخاتم فلبسه فأقبل إليه الإنس والشياطين، فأرسل في طلب الشيطان فجعلوا لا يطيقونَه، فقال: احتالوا له، فذهبوا فوجدوه نائمًا قد سَكِرَ فبَنوا عليه بيتًا من رصاص، ثم جاؤوا ليأخذوه فوثب فجعل لا يثب في ناحية إلا أماط الرصاص معه، فأخذوه فجاؤوا به إلى سليمان فأمر بحنت من رخام فنُقِر ثم أدخله في جوفه ثم سدَّه بالنحاس ثم أمر به فطُرح في البحر» اهـ. فهذا الكلام لا يليق بأنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، وهو مما افتُرِيَ على نبي الله سليمان عليه السلام، فالأنبياء معصومون عن مثل ذلك.

فقد قال ملا على القاري الحنفي في كتابه «شرح الشفا للقاضي عياض»: [1] «(واعلم أن الأمة مجمعة) وفي نسخة مجتمعة (على عصمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي حفظه وحمايته (من الشيطان) لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة الحجر]. (وكفايته) أي وعلى كفاية الله له، وفي نسخة وحراسته (منه) أي من ضرره الظاهري والباطني كما بينه بقوله (لا في جسمه) أي

(١) شرح الشفا للقاضي عياض (دار الكتب العلمية، الجزء الثاني ص٢١٣).

ظاهر جسده (بأنواع الأذى) كالجنون والإغماء (ولا خاطره بالوسواس أي بجنسه الذي يوسوس في صدور سائر الناس» اهـ. وقال[1]: (وقد حكى السمرقندى) أي الإمام أبو الليث الحنفي (إنكار قول من قال بتسلط الشيطان) ويروى بتسليط الشيطان (على ملك سليمان وغلبته عليه وأن مثل هذا لا يصح) يعني فإذا كان لا يصح تسلط الشيطان على ملك سليمان من الأمور الدنيوية فبالأحرى أن لا يصح له التسلط على الأنبياء فيما يتعلق بالأمر الديني والأخروي» اهـ.

وقال أبو الحسن على بن أحمد السبتي الأموي المعروف بابن خُمَير في كتابه «تنزيه الأنبياء عما نَسَب إليهم حُثالة الأغبياء»[2]، فيما افتُرِيَ على نبي الله سليمان عليه السلام: «وزاد فيها الفجرة -أي في قصته- أن الشيطان كان يقعُ على نساء سليمان عليه السلام وهنَّ حُيَّض، ولذا تفطَّنوا أنه لم يكن سليمان، وحاشى وكلا من هذه الوصمة الخسيسة أن يفعلها الله تعالى مع أنبيائه عليهم السلام وكيف، والأمة مجمعة على أنه ما زنت امرأة نبي قط: كانت مؤمنة أو كافرة» اهـ. ثم قال[3]: ومع ذلك فالخبرُ باطلٌ من وجه آخر، وهو أنه لو جاز أن يخلفَ النبي شيطانٌ على صورته ويستنبط في شريعته أحكامًا فاسدة، لكان ذلك إخلالًا بالنبوة إذ كان يتخيّل الناس ذلك في سائر أحكام الأنبياء حتى لا يتميّز حكمُ النبي من حكم الشيطان، فيشكلُ الأمر على المكلفين ولا يتقون أمرًا بعد، وهذا بمثابة تقدير خرق العادة على أيدي الكذابين في ادَّعاء النبوة، وهذه الأُلقِيَّة في هذه القصة من دسائس البراهمة في إبطال النبوات والله أعلم» اهـ.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ﴾

يجب الاعتقاد بأن هاروت وماروت عليهما السلام نزلا إلى الأرض ليبينا الفرق

---

(١) شرح الشفا للقاضي عياض (ص/ ٢١٩).

(٢) تنزيه الأنبياء عما نَسَب إليهم حُثالة الأغبياء (دار الفكر - المعاصر، دار الفكر - دمشق، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ص٥٠).

(٣) (ص/ ٥٢).

للناس بين معجزات الأنبياء وأنها تأييد من الله وليست من قبيل السحر لأن السحر قد يعارض بمثله أو أقوى وبين السحر الذي هو إما كفر وإما فسق وكبيرة وهو عمل خبيث وحذرا الناس من السحر ومن العمل به وليس صحيحًا أنهما أي هاروت وماروت كانا يشتغلان بالسحر بدليل الآية نفسها ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾

فهاروت وماروت كانا يحذران من السحر وأما ما في بعض كتب التفاسير من أنهما نزلا إلى الأرض وزنيا بامرأة يقال لها الزهرة أو أنهما شربًا الخمر أو أنهما قتلا الصبي فكله كذب مركب على كذب وباطل فاسد لا يليق بعصمة الملائكة فهم لا يأكلون ولا يشربون فكيف يشربان الخمر والملائكة ليسوا ذكورًا ولا إناثًا فكيف يحصل منهما الزنى، والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم كما أخبر الله تعالى عنهم في القرءان بقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ التحريم: ٦.

وهذا عام في كل فردٍ منهم وما ورد في أن هاروت وماروت عصيا في تلك القصة المشهورة فلا يعتمد عليه لأنه لم يصح ويجب الإيمان بأنهم خلقوا لا كخلقة بني آدم في الكون ذكورًا وإناثًا لكنهم قد يتشكلون بشكل البشر الذكور منهم فقط وبلا آلة الذكورية وذكر ابن كثير في تاريخه[1]: ما نصه: «وأما ما يذكره كثير من المفسرين في قصة هاروت وماروت من أن الزهرة كانت امرأة فراوداها على نفسها فأبت إلا أن يعلماها الإسم الأعظم فعلماها فقالته فرفعت كوكبًا إلى السماء فهذا أظنه من وضع الإسرائيليين وإن كان قد أخرجه كعب الأحبار وتلقاه عنه طائفة من السلف فذكروه على سبيل الحكاية والتحدث عن بني إسرائيل»[2] اهـ.

---

(١) تاريخ ابن كثير (١-٣٣).

(٢) أي ليس على سبيل الصحة والإثبات.

وقال الشيخ محمد الحوت في أسنى المطالب[1] ما نصه: «وقال المفسرون كالفخر الرازي[2] والبيضاوي[3] وأبي السعود والخازن[4] إنها لم تثبت بنقل معتبر فلا تعويل على ما نقل فيها لأن مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لأدلة العقل والنقل» اهـ. وقال الشيخ عبد الله الغماري في قصة هاروت وماروت ما نصه: «وتتبع الحافظ السيوطي طرقها في التفسير المسند وفي الدر المنثور فأوصلها إلى نيف وعشرين طريقًا أغلبها ضعيف أو واهٍ. وقد تتبعت طرقها المشار إليها وأعملت فيها فكري فوجدتها قصة شاذة منكرة المعنى تخالف القرءان والسنة وقواعد العلم هذا إلى تضارب ألفاظها ورواياتها وليس فيها حديث عن النبي ﷺ صحيح سالم من علة» اهـ.

وقال ابن كثير في تفسيره: «وقد روي في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة وأبي العالية والزهري والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وغيرهم وقصها خلق من المفسرين المتقدمين والمتأخرين وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل إذ ليس فيها حديث مرفوع

---

(١) أسنى المطالب (ص٣٣٧).

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) عبد الله بن عمر بن محمد بن عليّ الشيرازيّ أبو سعيد أو أبو الخير ناصر الدين البيضاويّ ت ٦٨٥هـ، قاض مفسر، ولد في المدينة البيضاء بفارس ـ قرب شيراز ـ وولي قضاء شيراز مدة، وصرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيها. من تصانيفه: «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» يعرف بتفسير البيضاويّ، و«منهاج الوصول إلى علم الأصول»، و«لب اللباب في علم الإعراب». الأعلام، الزركلي، ٤/ ١١٠. بغية الوعاة، السيوطيّ، ١/ ٢٨٦.

(٤) الخازن، عليّ بن محمّد بن إبراهيم الشيحيّ علاء الدين المعروف بالخازن، عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعيّة، بغداديّ الأصل، نسبته إلى «شيحة» من أعمال حلب، سكن دمشق مدة، وكان خازن الكتب بالمدرسة السميساطية فيها، وتوفّي بحلب، له تصانيف منها: «لباب التأويل في معاني التنزيل» في التفسير ويُعْرَفُ بتفسير الخازن، و«عدّة الأفهام في شرح عمدة الأحكام»، و«مقبول المنقول»، و«عمدة الطالبين في شرح الأحاديث النووية الأربعين». ولد ٦٧٨هـ، وتوفّي ٧٤١هـ. الأعلام، الزركليّ، ٥/ ٥.

صحيح متصل الإسناد للصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرءان إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها فنحن نؤمن بما ورد في القرءان على ما أراده الله تعالى والله أعلم بحقيقة الحال» اهـ.

وقال الرازي في تفسيره[1] القصة الخبيثة التي يذكرونها في حق هاروت وماروت كلام باطل فإن الله تعالى وهو أصدق القائلين لما شهد في هذه الآية على عصمة الملائكة وبرائتهم عن كل ذنب وجب القطع بأن تلك القصة كاذبة باطلة) اهـ.

وقال الفقيه المحدث الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي الحنفي في كتابه برهان الثبوت في تبرئة هاروت وماروت وما نقله أهل الأخبار والسير ونقله ابن جرير الطبري في تفسيره عن جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم في نقل قصة هاروت وماروت بألفاظ متقاربة عن على بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم وكعب الأحبار والسدي والربيع ومجاهد وأجاب من ذهب إلى عصمة جميع الملائكة عليهم السلام عن قصة هاروت وماروت بأن ما نقله المفسرون وأهل الأخبار في ذلك لم يصح عن رسول الله ﷺ في ذلك شيء، وهذه الأخبار إنما أخذت من اليهود وقد علم افتراءهم على الأنبياء والملائكة عليهم السلام وقد ذكر الله عز وجل في هذه الآيات افتراء اليهود على سليمان عليه السلام أولا ثم عطف ذلك على قصة هاروت وماروت

ثانيًا قالوا: ومعنى الآية: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ ﴾

يعني بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود فأخبر الله تعالى عن افترائهم وكذبهم ثم قال بعد كلام: «والأولى تنزيه الملائكة عليهم السلام عن كل ما لا يليق بمنصبهم» اهـ كلام الطبري.

وقال النابلسي: «وقال القاضي عياض في كتابه الشفا اتفق المسلمون على أن

(١) تفسير الرازي (٢٠-٤٦).

الملائكة مؤمنون فضلاء» اهـ. ثم قال: «والصواب عصمة جميعهم وتنزيه مقامهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم، وقال النابلسي فاعلم أكرمك الله تعالى أن هذه الأخبار المذكورة (أي في قصة هاروت وماروت) لم يرووا منها شيء لا سقيم ولا صحيح ولا شيء يأخذ بقياس والذي منه في القرءان اختلف المفسرون في معناه فأنكر ما قال بعضهم كثير من السلف وهذه أي الأخبار من كتب اليهود وافترائهم كما قصه الله تعالى في أول الآيات من افترائهم لذلك على سليمان عليه السلام وتكفيرهم إياه وقد انطوت على شنع عظيمة والحمد لله رب العالمين، وقال النابلسي: «اعلم أن ما ذكره المصنف يعني القاضي عياض في قصة هاروت وماروت من أنها لا أصل لها بحسب الرواية ولا من جهة الدراية على ما هو الأصح من ملكيتهم لأنهم معصومون والملك المعصوم لا يليق أن ينسب إليه ما ذكر من المعاصي ونحوها مما مر مردوده بأن ذلك ورد في الحديث من طرق كثيرة بأسانيد صحيحة كما قال الحافظ ابن حجر والسيوطي قال وجمعت طرقه في جزء مستقل. فالتردد فيه لا ينبغي». انتهى كلام الشهاب الخفاجي. وقال الجلال السيوطي في كتاب الحبائك في أخبار الملائك: «قال القرافي ومن اعتقد في هاروت وماروت أنهما بأرض الهند يعذبان على خطيئتهما مع الزهرة فهو كافر، بل هم رسل الله وخاصته يجب تعظيمهم وتوقيرهم وتنزيههم عن كُلِّ ما يخل بتعظيم قدرهم، ومن لم يفعل ذلك وجب إراقة دمه» اهـ.

٣- قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾[سورة البقرة]

إبراهيم عليه الصلاة والسلام نبي رسول جاء بالإسلام كسائر النبيين والمرسلين الذين قبله وبعده كان مسلمًا من طفولته إلى مماته لم تمر عليه لحظة واحدة كان كافرًا فيها لأن الله عز وجل عصم الأنبياء من الكفر وكبائر الذنوب وصغائر الخسة قبل النبوة وبعدها فإبراهيم مسلم مؤمن بلا شك ولا ريب ومن شك في إسلامه يكون كفره ومن كفر نبيًا فهو الكافر. وليس في قوله تعالى:﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾أنه كان كافرا ثم أسلم حاشاه بل معنى هذه الآية أن الله أمره بالثبات على طاعته والانقياد لأوامره والثبات على ذلك إلى الممات وهذا كقوله تعالى لنبينا ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴿١﴾ ﴾ فليس معناه أن نبينا لم يكن متقيًا الله تعالى بل هو أتقى خلق الله على الإطلاق ومعناها يا أيها النبي اثبت على تقوى الله وهذا كقوله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴿١٣٦﴾ ﴾ أي اثبتوا على ذلك إلى الممات، والإسلام في لغة العرب يأتي بمعنى الطاعة والانقياد كما في قوله عز وجل: ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ أي الكل انقاد لمشيئته وقد كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام كغيره من الأنبياء منذ صغره ونشأته مسلما مؤمنا عارفا بربه معتقدا عقيدة التوحيد منزهًا ربه عن مشابهة المخلوقات ومدركا أن هذه الأصنام التي يعبدها قومه لا تغني عنهم من الله شيئا، وأنه لا تضر ولا تنفع لأن الضار النافع على الحقيقة هو الله تعالى وحده. يقول الله تبارك وتعالى في حق إبراهيم: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ سورة آل عمران، وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ ولقد كان نبي الله إبراهيم عليه السلام مفعم النفس بالإيمان بربه وعارفا به ممتلأ الثقة بقدرة الله وأن الله تعالى قادر على كل شيء لا يعجزه شيء وكان غير شاك ولا مرتاب بوجود الله سبحانه وتعالى.

فائدة عظيمة النفع تشتد الحاجة إليها

ننقل هذه الفائدة من كتابنا القمر الساري لإيضاح غريب صحيح البخاري:

الآية: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [سورة البقرة].

الشرح: يجب الاعتقاد بأن الأنبياء كلهم على الإسلام لأن الإسلام هو الدين السماوي الحق الذي لا يصح غيره، قال الله تعالى في القرءان الكريم: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴿٣﴾ ﴾ فيستحيل أن يكون إبراهيم وإسماعيل على غير الإسلام لأن الله عزّ وجلّ قال في القرءان الكريم: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [سورة البقرة] فهذه الآية الكريمة تدل على أن الأنبياء جميعًا دينهم الإسلام ومن نسبهم أو نسب نبيًا منهم لغير الإسلام فقط كفر وأما ما جاء في قوله تعالى إخبارًا عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ أي ثابتين على الإسلام الذي نحن عليه من الأول مُطِيعَينِ مُخْلِصَيْنِ لك على الوجه الذي تحبه منا وترضاه وهذا يدل على تواضعهما عليهما السلام لربهما وطلب زيادة الترقي في العبادات والطاعات مع الإخلاص والتسليم، وليس معنى هذا أنهما كانا في مرتبة دنيئة أو غير مرضية فهذا لا يليق بعصمة ومنصب الأنبياء فليتنبه لذلك.

قال شارح البخاري القسطلاني: «(﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾) مخلصين لك منقادين (﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ ﴾) أي واجعل بعض ذريتنا (﴿ أُمَّةً ﴾) جماعة (﴿ مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾) خاضعة مخلصة» اهـ.

لا دينَ صحيحٌ إلا الإسلامُ

الدينُ الحقُّ عندَ الله الإسلامُ قالَ تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [سورة آل عمران].

الذي يطلبُ دينًا غير الإسلام يدينُ به فلن يقبلَهُ الله منه، فالدينُ الصحيحُ عندَ الله هو الإسلام، وليس معناه أنه لا يُسَمَّى ما سوى الإسلامِ دينًا بل يُقالُ دينُ اليهود ودينُ المجوس لكنه دينٌ باطلٌ، وقد أمرَ الله تعالى الرسولَ أن يقول ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ [سورة الكافرون] أي أنا ما أزالُ على ديني الذي هو حقٌّ وأنتم لكم دينكُم الباطلُ فعليكم أن تتركوهُ.

وقالَ تَعالى أيضًا ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة آل عمران].

إنّ الدِّينَ الصحيحَ الذي ارتضاهُ الله لعباده من البشر والجن والملائكة الإسلامُ لا غيرُ وما سواهُ من الأديانِ فهو باطلٌ. وهو الدين الذي كان عليه البشر، ءادم وأولاده ما كانوا يدينون إلا بالإسلام إنما نشأ الكفر بعد ذلك قال الله تعالى ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴿٢١٣﴾ ﴾ [سورة البقرة] أي كلهم على الإسلام ثم اختلف البشر بقي بعضهم على الإسلام وكفر بعض فدان بغير الإسلام، ثم لما اختلفوا[1] بعث الله النبيين ليبشروا من أسلم بالجنة وينذروا من كفر بالعذاب في الآخرة. قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴿٢١٣﴾ ﴾ أي كلهم على الإسلام فاختلفوا ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾.

فكُلُّ الأنبياءِ مسلمونَ فمن كانَ متَّبعًا لموسى ﷺ فهو مسلمٌ موسويٌّ، ومن كانَ متَّبعًا لعيسى ﷺ فهوَ مسلمٌ عيسويٌّ، ويَصحُّ أن يُقالَ لمن اتَّبعَ محمدًا ﷺ مسلمٌ محمديٌّ.

---

(١) بعد موت سيدنا إدريس حدث الكفر بين البشر فكان سيدنا نوح أولَ رسول أرسل إلى الكفار كما يأتي.

إنَّ الأنبياءَ جميعَهم دينُهم الإسلامُ فكان ءادمُ على الإسلام وكذلك الأنبياءُ بعده إلى نبيّنا محمد عليه الصلاة والسلام كانوا كلُّهم يعبدونَ الله ولا يشركون به شيئًا، فمن كان في زمن موسى ﷺ فآمنَ بالله ربًّا وصدّقَ برسالةِ موسى فهو مسلمٌ موسويٌّ أي من أَتباعِ موسى، وكذلكَ الأمر في من كانَ في أيام عيسى فآمنَ بالله وصدَّق بعيسى فهو مسلمٌ عيسويٌّ. ومعنى مسلمٌ محمديٌّ أي مسلمٌ متَّبع محمدًا فيما جاء به من توحيدِ الله وتصديقِ الأنبياءِ والإيمان بوجودِ الملائكة المكْرَمين والإيمان بالكتبِ السماويةِ والإيمان باليومِ الآخرِ الذي يُجازى فيه العبادُ المؤمنون بأعمالهم بإدخالهم الجنةَ والكافرون بإدخالهم جهنم، وأن الجنةَ فيها نعيمٌ محسوسٌ وجهنمَ فيها ءالامٌ محسوسةٌ، وأنه لا خالقَ للأجسامِ ولا لشىء من الحركاتِ والسَّكنات إلا الله. فكلُّ الأنبياء جاءوا بهذا لا يختلفون في هذا إنما تختلفُ الأحكامُ التي أنزلَها الله عليهم وذلك لأن الله تعالى فرض على أنبياءِ بني إسرائيل وأممِهم صلاتين وأنزلَ على بعض الأنبياء خمسين صلاةً، وأوجبَ فيما أوجبَ على بعض أن يدفعوا ربعَ أموالهم زكاةً، وأنزلَ على بعضٍ تَحتُّم قتل القاتل، وأنزلَ على ءادمَ تحليلَ زواج الأخِ بأخته التي هي توأمةُ أخيهِ الآخر، وكلٌّ يجبُ العملُ به في شريعةِ ذلك النبي، والله تعالى يُغيرُ الأحكامَ التي كانت في شرع نبيّ سبقَهُ وهو العليمُ بمصالح عبادِهِ، والمصالحُ تختلفُ باختلافِ الأزمانِ والأحوالِ.

وكل نبي في زمانهِ يجبُ التقيدُ به في الإيمان والأحكام التي أنزلت عليه فلما جاءَ سيدنا محمد ءاخرُهم أنزَل الله عليه أحكامًا لم تكن في شرائع من قبله من الأنبياءِ كالصلاةِ في الأماكنِ التي هُيئت للصلاة وغيرها ولم يكن ذلك في شرعِ من قبله من الأنبياءِ بل كان مفروضًا عليهم أن يُصلوا في أماكن مخصوصة هُيئت للصلاة وهي المساجد باللغة العربية ويقال لها بلغتهم صوامع وبيع، وكان لتلك الأماكن عند أولئك اسم غير المسجد وكان أولئك لا تقبل صلاتهم إلا في مساجدهم ولا تصح صلاتهم في بيوتهم ولا في متاجرهم ولا في مزارعهم ولا في البرية والغابة، إلا أن بني إسرائيل المسلمين هدم فرعون مساجدهم فأذن الله لهم أن يصلُّوا في

بيوتهم، وأنزلَ على سيدنا محمد التيمّمَ بالترابِ عند فَقدِ الماءِ أو العجزِ عن استعماله ولم يكن ذلك في شرائع الأنبياء قبله بل كانوا يتوضئون ويصلّون فإن لم يجدوا ما يتوضؤونَ به توقّفوا عن الصلاةِ حتى يجدوا الماءَ.

قصةٌ غريبةٌ فيها دلالة على أن سيدنا عيسى عليه السلام أوصى باتّباعِ محمدٍ إذا ظَهَرَ

خَرَجَ من اليمن أربعة أشخاصٍ قاصدين مكَّة فأدرَكَهم الليلُ في البرية فنزلوا في بعض الليل في أرض فناموا إلا جَعْدَ بن قيس المرادي فسمعَ هاتفًا لا يرى شخصه يقول: [الطويل]

ألا أيها الركبُ المعرّسُ بلّغُوا ... إذا ما وصلتم للحطيم وزمزَما

محمدًا المبعوثَ منا تحيَّةً ... تشَيّعُه من حيثُ سار ويَمَّما

وقولوا له إنّا لدينكَ شِيعةٌ[1] ... بذلك أوصانا المسيحُ ابنُ مريما

فهذا الهاتفُ جنيٌّ مؤمنٌ أدركَ عيسى قبل رفعه إلى السماءِ وءامنَ به وسمِعَ منه وصيته بالإيمان بمحمدٍ إذا ظَهَرَ واتباعه، فلما وصلوا إلى مكةَ سألَ أهلَ مكة عن محمدٍ فاجتمعَ به فآمنَ به وأسلمَ وذلكَ كانَ في أول بعثةِ محمدٍ قبل أن ينتشرَ خبرُهُ في الجزيرةِ العربيةِ، ومعنى المعرّس أي المسافرُ الذي ينزِلُ في ءاخرِ الليل ليستريحَ.

(١) رواها الحافظ أبو سعيد النيسابوري في كتابه شرف المصطفى (١/ ٢٥٢).
وقول الشاعر «إنا لدينك شيعة» أي أنصار وأتباع دينك.

٤- **قال تعالى:** ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [سورة البقرة]

الشرح: قال الخازن في تفسيره المسمى لباب التأويل في معنى التنزيل ما نصه[1]: «(ولئن اتبعت أهواءهم) يعني مرادهم ورضاهم لو رجعت إلى قبلتهم (من بعد ما جاءك من العلم) أي في أمر القبلة، وقيل معناه من بعد ما وصل إليك من العلم بأن اليهود والنصارى مقيمون على باطل وعناد للحق (إنك إذا لمن الظالمين) يعني إنك إن فعلت ذلك كنت بمنزلة من ظلم نفسه وضرها، قيل: هذا خطاب للنبي ﷺ والمراد به الأمة لأنه ﷺ لا يتّبع أهواءهم أبدًا.

وقال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرءان[2] ما نصه: «الخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته ممن يجوز أن يتبع هواه فيصير باتباعه ظالما وليس يجوز أن يفعل النبي ﷺ ما يكون به ظالما فهو محمول على إرادة أمته لعصمة النبي ﷺ وقطعنا أن ذلك لا يكون منه وخوطب النبي ﷺ تعظيما للأمر ولأنه المنزل عليه.

---

(١) لباب التأويل في معنى التنزيل (الجزء الأول ص٩٤).

(٢) الجامع لأحكام القرءان (الجزء الثاني ص١٦٢).

٥- قال تعالى: ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾

[سورة البقرة]

الشرح: قال الإمام فخر الدين الرازي في التفسير الكبير نصه[١]: «أما قوله ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ فيه مسألتان: المسألة الأولى: في ما اختلفوا فيه على أقوال أحدها: فلا تكونن من الممترين في أن الذين تقدم ذكرهم علموا صحة نبوتك وإن بعضهم عاند وكتم قاله الحسن، وثانيها: بل يرجع إلى أمر القبلة، وثالثها: إلى صحة نبوته وشرعه وهذا هو الأقرب لأن أقرب المذكورات إليه قوله: ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ فإذا كان ظاهره يقتضي النبوة وما تشتمل عليه من قرءان ووحي وشريعة فقوله ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ وجب أن يكون راجعا إليه.

المسألة الثانية: أنه تعالى وإن نهاه عن الامتراء فلا يدل ذلك على أنه كان شاكًّا فيه» اهـ.

قال الخازن في تفسيره ما نصه[٢]: «﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ أي الذين يكتمونه هو الحق (من ربك فلا تكونن من الممترين) أي من الشاكين في أن الذين تقدم ذكرهم علموا صحة نبوتك وقيل يرجع إلى أمر القبلة والمعنى أن بعضهم عاند وكتم الحق فلا تشك في ذلك فإن قلت: النبي ﷺ لم يمتر ولم يشك فما معنى هذا النهي؟ قلت: هذا الخطاب وإن كان للنبي ﷺ ولكن المراد غيره والمعنى فلا تشكوا أنتم أيها المؤمنون» اهـ.

وذكر القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرءان ما نصه[٣]: «قوله تعالى ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ يعني استقبال الكعبة لا ما أخبرك به اليهود من قبلتهم، وروي عن على

---

(١) التفسير الكبير للرازي (الجزء الرابع ص١٢٨-١٢٩).

(٢) تفسير الخازن (الجزء الأول ص٩٤-٩٥).

(٣) الجامع لأحكام القرءان (الجزء الثاني ص١٦٣-١٦٤).

رضي الله عنه أنه قرأ الحق منصوبًا بـ (سيعلمون) أي يعلمون الحق ويصح نصبه على تقدير الزم الحق والرفع على الابتداء أو على إضمار مبتدأ والتقدير هو الحق أو على إضمار فعل أي جاءك الحق، قال النحاس: فأما الذي في سورة الأنبياء ﴿ٱلۡحَقَّ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٤﴾ فلا نعلم أحدًا قرأها إلا منصوبا، والفرق بينهما أن الذي في سورة البقرة مبتدأ آية والذي في سورة الأنبياء ليس كذلك.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ أي من الشاكين، والخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته يقال امترى فلان في كذا إذا اعترضه اليقين مرة والشك أخرى فدافع إحداهما بالأخرى، ومنه المراء لأن كل واحد منهما يشك في قول صاحبه والامتراء في الشيء الشك فيه وكذا التماري. وأنشد الطبري شاهدا على أن الممترين الشاكون قول الأعشى:

تـــدُّر عـــلى اســـؤق الـمـمـتريـــ ـــن ركضًـا إذا مـا الـسراب ارجحن

قال ابن عطية: ووهم في هذا، لأن أبا عبيدة وغيره قال: الممترون في البيت هم الذين يمرون الخيل بأرجلهم همزا لتجري كأنهم يحتلبون الجري منها وليس في البيت معنى الشك كما قال الطبري.

قلت: معنى الشك فيه موجود لأنه يحتمل أن يختبر الفرس صاحبه هل هو على ما عهد منه من الجري أم لا؟ لئلا يكون أصابه شيء أو يكون هذا عند أول شرائه فيجريه ليعلم مقدار جريه. قال الجوهري: ومريت الفرس إذا استخرجت ما عنده من الجري بسوط أو غير. والاسم المرية بالكسر وقد تضم» اهـ.

٦- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [سورة البقرة]

الشرح: ذكر الخازن في تفسيره ما نصه[1]: «معناه قريب بالعلم والحفظ لا يخفى عليه شيء، وفيه إشارة إلى سهولة إجابته لمن دعاه وإنجاح حاجة من سأله إذا توفرت شروط الدعاء، وقوله تعالى﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ أي أسمع دعاء عبدي الداعي إذا دعاني، وقيل: الدعاء عبارة عن التوحيد والثناء على الله تعالى كقول العبد «يا الله لا إلـه إلا أنت» فقولك «يا الله» فيه دعاء وقولك «لا إلـه إلا أنت» فيه توحيد وثناء على الله تعالى، فسمى هذا دعاء بهذا الاعتبار وسمى قبوله إجابة لتجانس اللفظ وفيه إشارة إلى أن العبد يعلم أن له ربًا ومدبرًا يسمع دعاءه إذا دعاه ولا يخيب رجاء من رجاه وذلك ظاهر فإن العبد إذا دعا وهو يعلم أن له ربًا بإخلاص وتضرع أجاب الله دعوته، فإن قلت إنا نرى الداعي يبالغ في الدعاء والتضرع فلا يجاب له فما وجه قوله أجيب دعوة الداعي، وقوله تعالى: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴿٦٠﴾ ﴾ قلت ذكر العلماء فيه أجوبة: أحدها أن هذه الآية مطلقة وقد وردت آية أخرى مقيدة وهي قوله تعالى ﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ ﴾، والمطلق يحمل على المقيد وثانيهما أن معنى الدعاء هنا هو الطاعة ومعنى الإجابة هو الثواب وذلك في الآخرة، وثالثها أن معنى الآيتين خاص وإن كان لفظهما عامًا فيكون معناه أجيب دعوة الداعي إذا وافق القضاء أو أجيبه إن كانت الإجابة خيرًا له أو أجيبه إذا لم يسأل إثمًا أو محالًا ورابعها إن معناها عام أي أسمع وهو معنى الإجابة المذكورة في الآية، وأما إعطاء الأمنية فليس بمذكور، فالإجابة حاصلة عند وجود الدعوة وقد يجيب السيد عبده ولا يعطيه سؤله، وخامسها: أن للدعاء آداب وشرائط وهي أسباب الإجابة فمن استكملها وأتى بها كان من أهل الإجابة ومن

(١) تفسير الخازن (الجزء الأول ص١١٦).

أخطأها كان من أهل الاعتداء في الدعاء فلا يستحق الجواب والله أعلم» اهـ.

وذكر النسفي في تفسيره مدارك التنزيل وحقائق التأويل مطبوع في حاشيته على تفسير الخازن ما نصه[1]: «علما وإجابة لتعاليه عن القرب مكانا» اهـ.

وأفرد ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير[2] فصلًا في الدعاء فقال ما نصه: «إن قال قائل هذه الآية تدل على أن الله تعالى يجيب أدعية الداعين وترى كثيرًا من الداعين لا يستجاب لهم. فالجواب: أن أبا سعيد روى عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من مسلم دعا الله تعالى بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال، إما أن يعجل دعوته وإما أن يدخرها له في الآخرة وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها**»[3] اهـ.

وجواب آخر: وهو أن الدعاء تفتقر إجابته إلى شروط أصلها الطاعة لله ومنها أكل الحلال فإن أكل الحرام يمنع إجابة الدعاء ومنها حضور القلب ففي بعض الحديث «**لا يقبل الله دعاءً من قلب غافل لاهٍ**»[4].

وجواب آخر: وهو أن الداعي قد يعتقد المصلحة في إجابته إلى ما سأل وقد لا تكون المصلحة في ذلك فيجاب إلى مقصوده الأصلي وهو طلب المصلحة وقد تكون المصلحة في التأخير أو في المنع.

وللفخر الرازي في تفسيره الكبير كلام جميل في تفسير الآية فقال: المسألة الأولى: اعلم أنه ليس المراد من هذا القرب بالجهة والمكان بل المراد منه القرب بالعلم والحفظ فيحتاج ههنا إلى بيان المطلبين:

المطلب الأول في بيان أن هذا القرب ليس قربًا بحسب المكان ويدل عليه

---

(١) تفسير الخازن (الجزء الأول ص١١٦).

(٢) تفسير زاد المسير لابن الجوزي (الجزء الأول ١٨٩-١٩٠).

(٣) انظر ص٧٤ من الأصل.

(٤) انظر ص٧٤ من الأصل.

وجوه. الأول: أنه لو كان في المكان مشارًا إليه بالحس لكان منقسمًا إذ يمتنع أن يكون في الصغر والحقارة مثل الجوهر الفرد ولو كان منقسمًا لكانت ماهيته مفتقرة في تحققها إلى تحقق كل واحد من أجزاءها المفروضة وجزء الشيء غيره فلو كان في مكان لكان مفتقرا إلى غيره والمفتقر إلى غيره ممكن لذاته ومحدث ومفتقر إلى الخالق وذلك في حق الخالق القديم محال فثبت أنه تعالى يمتنع أن يكون في المكان فلا يكون قربه بالمكان.

والثاني: أنه لو كان في المكان لكان إما أن يكون غير متناه عن جميع الجهات أو غير متناه عن جهة دون جهة أو كان متناهيًا من كل الجوانب والأول محال لأن البراهين القاطعة دلت على أن فرض بُعْدٍ غير متناه محال. والثاني: محال أيضًا لهذا الوجه، ولأنه لو كان أحد الجانبين متناهيًا والآخر غير متناه لكانت حقيقة هذا الجانب المتناهي مخالفة في الماهية لحقيقة ذلك الجانب الذي هو غير متناه فليزم منه كونه تعالى مركبًا من أجزاء مختلفة الطبائع والخصم لا يقول بذلك. وأما القسم الثالث: وهو أن يكون متناهيًا من كل الجوانب فذلك باطل بالاتفاق بيننا وبين خصومنا فبطَل القول بأنه تعالى في الجهة.

الثالث: وهو أن هذه الآية من أقوى الدلائل على أن القرب المذكور في هذه الآية ليس قريبًا بالجهة وذلك لأنه تعالى لو كان في المكان لما كان قريبًا من الكل بل كان يكون قريبًا من حملة العرش وبعيدًا من غيرهم ولكان إذا كان قريبًا من زيد الذي هو بالمشرق كان بعيدا عن عمرو الذي هو في المغرب فلما دلت الآية على كونه تعالى قريبًا من الكل علمنا أن القرب المذكور في هذه الآية ليس قربًا بحسب الجهة ولما بطل أن يكون المراد منه القرب بالجهة ثبت أن المراد منه القرب بمعنى أنه تعالى يسمع دعاءهم ويرى تضرعهم أو المراد من هذا القرب العلم والحفظ» اهـ.

٧- **قال تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ ﴾ [سورة البقرة]

الشرح: قال الخازن في تفسيره: قوله عزَّ وجلَّ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ٢٠٨ ﴾ نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه.

وذلك لما أسلموا أقاموا على تعظيم شرائع موسى فعظموا السبت وكرهوا لحم الإبل وألبانها، وقالوا إن ترك هذه الأشياء مباح في الإسلام وواجب في التوراة وقالوا أيضًا يا رسول الله إن التوراة كتاب الله دعنا فلنقم به في صلاتنا بالليل، فأنزل الله هذه الآية وأمرهم أن يدخلوا في السلم أي في شرائع الإسلام ولا يتمسكوا بالتوراة فإنها منسوخة، والمعنى استسلموا لله وأطيعوا فيما أمر به.

٨- **قال تعالى:** ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ [سورة البقرة]

الشرح: أجمع المعتبرون من العقلاء على أنه سبحانه وتعالى منزه عن المجيء والذهاب بطريق الحركة والانتقال وقد ثبت في علم الأصول أن كل ما يصح عليه المجيء والذهاب بطريق الحركة والانتقال لا ينفك عن الحركة والسكون وهما محدثان وما لا ينفك عن المحدث فهو محدث فيلزم أن كل ما يصح عليه المجيء والذهاب بطريق الحركة والانتقال يجب أن يكون محدثًا مخلوقًا والإلٰـه القديم يستحيل أن يكون كذلك. وإذا عرفت هذا فنقول ذكر أهل الكلام في قوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ مذهب السلف الصالح أنه لما ثبت بالدلائل القاطعة أن المجيء والذهاب بطريق الحركة والانتقال على الله تعالى محال، علمنا قطعًا أنه ليس مراد الله تعالى من هذه الآية هو المجيء والذهاب بطريق الحركة والانتقال وأن مراده بعد ذلك شيء ءاخر فعند جمهور المتكلمين المراد بالآية ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ ءايات الله، فجعل مجيء الآيات مجيئًا له على التفخيم لشأن الآيات. وقيل المراد أمر الله.

٩- **قال تعالى:** ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [سورة البقرة]

الشرح: قال الخازن ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴿٢٢٣﴾﴾ أي احذروا أن تأتوا شيئًا مما نهاكم الله عنه ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ﴿٢٢٣﴾﴾ أي صائرون إليه في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم.

واعلم أنه سبحانه وتعالى لا يوصف بالاتصال والانفصال ولا بالمماسة والملامسة ولا بالاجتماع والافتراق. ولقاء الله حق على معنى أن الخلق صائرون إليه يوم القيامة ليحاسبهم ويجازيهم.

١٠- قال تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ﴾ [سورة البقرة]

قوله تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ ﴾.

يخبرنا الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنه يجوز للرجل المسلم أن يُعرِّض في خطبة المرأة المتوفى عنها زوجها وهذا جائز بنص القرءان فلا خلاف فيه بين علماء الإسلام والتعريض يكون بأن لا يصرح لها كأن يقول لها رُبَّ راغب فيك أما التصريح ما دامت في عدة الوفاة فهو حرام لأنه قد يحملها ذلك على أن تكذب في أمر انتهاء عدتها فقد تقول انتهت عدتي قبل أن تنتهي لتتزوج بسرعة والتصريح مثلًا أن يقول لها أنا أريد أن أتزوجك وهذا هو المنهي عنه وفي الآية دليل على أن المرأة المعتدة للوفاة يجوز لها أن ترى الرجال الأجانب وأن يكلموها وأن تكلمهم بالكلام المباح وإنما الحرام هو أن تحصل بينها وبين رجل أجنبي خلوة بحيث لا يراهما ثالث يستحى منه أو أن تصافح الرجال الأجانب وهذا حرام في العدة وفي غير العدة فيتبين لنا من الآية الكريمة أن وجه المرأة ليس عورة وأن صوتها ليس عورة وأما ما شاع وانتشر بين بعض الجهال في لبنان من أن المرأة المعتدة للوفاة حرام عليها أن تسمع صوت الرجال أو أن يسمعوا صوتها أو أن تراهم أو أن يروها حرام لا يجوز وقولهم هذا هو كفر لأنه تكذيب لما علم من الدين بالضرورة حله وتكذيب للإجماع والحديث ونص القرءان الكريم، وكذلك من الكفر قول بعض الجهال إن المرأة المعتدة للوفاة حرام عليها أن تغتسل أو أن تنظر في المرآة أو أن تغير ملابسها أو أن تنظر من الشرفة فيجب التحذير من هذا الكلام السخيف الذي لا أصل له في دين الإسلام بل الإسلام منه بريء.

قال المفسر القرطبي: «المخاطبة لجميع الناس، والمراد بحكمها هو الرجل الذي في نفسه تزوج معتدة، أي لا وزر عليكم في التعريض بالخطبة في عدة الوفاة. والتعريض: ضد التصريح، وهو إفهام المعنى بالشيء المحتمل له ولغيره وهو من عرض الشيء وهو جانبه كأنه يحوم به على الشيء ولا يظهره. وقيل، هو من قولك عرضت الرجل، أي أهديت إليه تحفة، وفي الحديث: أن ركبًا من المسلمين عرضوا رسول الله ﷺ وأبا بكر ثيابًا بيضا، أي أهدوا لهما. فالمعرض بالكلام يوصل إلى صاحبه كلاما يفهم معناه» اهـ.

قال ابن عطية: أجمعت الأمة على أن الكلام مع المعتدة بما هو نص في تزوجها وتنبيه عليه لا يجوز، وكذلك أجمعت الأمة على أن الكلام معها بما هو رفث وذكر جماع أو تحريض عليه لا يجوز، وكذلك ما أشبهه، وجوز ما عدا ذلك. ومن أعظمه قربًا إلى التصريح قول النبي ﷺ لفاطمة بنت قيس: «كوني عند أم شريك ولا تسبقيني بنفسك».

ونذكر هنا فائدة مهمة في بيان الأحكام المتعلقة بالمرأة المعتدة للوفاة قال الإمام الحجة الحافظ المجتهد المجدد الشيخ عبد الله الهرري المعروف بالحبشي في كتابه بغية الطالب ما نصه[1]: مَعاصِي البَدن تَرك الزّوجةِ المُتَوفّى عنها زَوجُها الإِحدادَ على زَوجها، والإِحدادُ هو التزامُ تَرك الزِينة والطيب إلى انتهاءِ أربعَةِ أشهُر وعَشْرة أيّام بالأشهر القمرية للحائل وللحامل حتى تضع حملها، ولا يَختَصُّ الإِحدادُ بلَونٍ واحِد مِنَ الثيابِ بل يَجوزُ الأبيضُ والأسودُ والأصفَرُ والأحمَرُ وغيرُ ذلكَ إذا لم تكن ثيابَ زِينةٍ، ويَحرمُ منَ الأسودِ ما كان ثيابَ زينَة. ويكونُ الإِحدادُ بتَرك الزِينةِ والطِيْب، ويَدخُلُ في الزينة دَهْنُ الرأس بالأدْهان والزيت لأنّها تجمّل الشكل. أما الدُّهنُ الذي لا يزيّنُها إنّما ينفع جسدَها فيجوز لها أن تدّهِنَ به. ويَحرُم عليها أن تخضب شعرَها بما فيه زينةٌ لها، وأما قصُّ شعَرها فيجوز إذا لم يكن على وجْه الزِيْنة.

(١) بغية الطالب المجلد الثاني (ص٤٠٨-٤٠٩-٤١٠).

فالإحدادُ هو الانكِفافُ عن الزينة تحَزُّنًا على الموت الذي فرَّق بين المرأةِ وزوجِها لأن في ذلك مسَاعدةً لها على الاستعداد لمصالح الآخرة. ومن جملة ما في العِدّةِ منَ الحِكَم حفظُ ماءِ الزوجِ لأنّه قد يكون في رحِمها نُطْفة انعقدت، ومن ذلك التّفرّغُ في هذه المدّة لعمل الآخِرة كما أن أصْحابَ الخلَوات يتفرّغون لعبادة الله في خلَواتِهم، لأنها لو لم تلتزم العِدّةَ في البيت وكانت تتجوّلُ قد تقع في فِتْنة فيزني بها شخص فيختلطُ الماءان ماءُ زوجِها وماءُ الذي زنى بها ولا يُعرَفُ من أيّهما انعقَد الولَدُ. وليسَ منَ الإحدادِ الواجبِ عليها تركُ مكالَمة الرجالِ غيرِ المَحارِم أو ترك كشف وَجْهها في البيتِ أمامَ الرجالِ غيرِ المَحارِم فهذا ليسَ مِما يدخُل في الإحدادِ الشّرعي إنما هذه عَادةٌ أضافَها بعضُ الناسِ ونَسبَها إلى شَرع الله وهي ليست مِنْ شَرع الله، فليُنشَر ذلكَ لأنّ كثيرًا منَ الناس يَجْهَلُون ذلك ويعتقدونَ أنّه منَ الإحداد الشّرعي وذلكَ تَحريفٌ للدّين. ويَحرُم الزيادةُ على هذهِ المُدّةِ المَشروعةِ في الإحدادِ، ويَحرُم على غيرِ الزّوجةِ منَ النساءِ الزيادةُ على ثلاثةِ أيّام في الإحداد ولا يجوز للمتزوجة أن تحدّ على غير زوجها بدون إذن الزوج.

وكذلكَ لا يَجوزُ للرّجالِ أن يلبَسُوا خِرقَةً سَوداءَ إحْدادًا. ونصَّ بعضُ الشّافعيّةِ على تَحريم الإحدادِ على الرِّجال مُطلقًا لكن يَجوزُ لَهُم التّحَزُّنُ. وليسَ الإحدادُ منَ المسَائلِ المجمَعِ علَيها لخِلاف الحَسنِ البِصْريّ. أما العدة فمجمعٌ عليها لورود النص عليها.

ولا يَجوزُ للمُحِدَّة أن تبيتَ خَارجَ بيتِها لكنْ يَجُوز لَها أن تَخرُجَ لتَستأنِس ببعضِ جَاراتِها ولو كُنَّ في البناء المجاور ثم تَعودَ إلى البيتِ للمَبيتِ، وكذا يَجُوز لَها الخُروجُ لحَاجةٍ كشِراءِ طَعام ونَحوِ ذلك إنْ كانت لا تَجدُ مَن يكفِيْها ومَن يقضِي لها حَاجتَها. وإن كان عندَها بُستان يحتاج لقطع النخيل وليس عندها من يُعينُها فيجوز لها أن تذهب إليه للعمل فيه. وكذا إن كان لها غَزْلٌ واحتاجت لبيعه يجوز لها أن تخرج لبيعه إن كانت محتاجةً للخروج لذلك.

١١- **قال تعالى:** ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾ [سورة البقرة]

قال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾.

قال الإمام الحافظ البخاري رضي الله عنه حدّثنا موسى بْن إسماعيل حدّثنا وهيْبٌ حدّثنا عمْرو بْن يحْيى عنْ أبِيهِ عنْ أبِي سعِيد الْخدْرِيِّ رضى الله عنه قال بيْنما رسول الله ﷺ جالِسٌ جاء يهودِيٌّ فقال يا أبا الْقاسِمِ ضرب وجْهِى رجلٌ مِنْ أصْحابِك فقال منْ قال رجلٌ مِن الأنْصارِ قال ادْعوه فقال أضربْته قال سمِعْته بِالسّوقِ يحْلِف والّذِى اصْطفى موسى على الْبشرِ قلْت أىْ خبِيث على محمّد ﷺ فأخذتْنِي غضْبةٌ ضربْت وجْهه فقال النّبِىّ ﷺ «**لا تخيّروا بيْن الأنْبِياءِ فإنّ النّاس يصْعقون يوْم الْقِيامةِ فأكون أوّل منْ تنْشقّ عنْه الأرْض فإذا أنا بِموسى آخِذٌ بِقائِمة مِنْ قوائِمِ الْعرْشِ فلا أدْرِي أكان فِيمنْ صعِق أمْ حوسِب بِصعْقةِ الأولى**[1]». ورواه مسلم أيضًا في صحيحه[2].

وقال البخاري حدّثنِى محمّد بْن بشّار حدّثنا غنْدرٌ حدّثنا شعْبة عنْ قتادة قال سمِعْت أبا الْعالِيةِ حدّثنا ابْن عمّ نبِيّكمْ يعْنِى ابْن عبّاس عنِ النّبِيِّ ﷺ قال «**لا ينْبغِى**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الإشخاص والملازمة والخصومة بين المسلم واليهود، ص٤٣٥.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، بابٌ من فضائل موسى ﷺ، رقم الحديث ٢٣٧٣-١٦٠، ص٩٢٧.

لِعبْد أنْ يقول أنا خيْرٌ مِنْ يونس بْنِ متّى ونسبه إلى أبِيهِ[1]». ورواه مسلم أيضًا في صحيحه[2].

وحديث «**وَلاَ أَقُولُ إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى**[3]». ورواه مسلم أيضًا في صحيحه[4].

الشرح: هذه الأحاديث كانت قبل أن ينزل الوحي بتفضيل بعض الأنبياء على بعضهم، ما كان مأذونًا للصحابة أن يفاضلوا بين الأنبياء بآرائهم، لكن بعد أن نزل القرءان بذلك أو بيّن الرسول ﷺ ذلك صار تفضيل بعض الأنبياء على بعض بالدليل حقًا، لأن الله تعالى قال: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴿٢٥٣﴾﴾، وما ثبت عنه ﷺ: «**أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر**» رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه والإمام أحمد، وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «خيار الأنبياء خمسة محمد، إبراهيم، موسى، عيسى ونوح، وخيار الخمسة محمد» ﷺ، فبعد هذا صار جائزًا بالإجماع أن نقول: «محمد أفضل من إبراهيم» أو «إبراهيم أفضل من موسى» أو «موسى أفضل من عيسى» أو «عيسى أفضل من نوح» أو «نوح أفضل من آدم»، (قال الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني المقرئ المتوفى ٤٤٤هـ في كتابه بهجة المنتفع (ص٢٢٧) عن قول أبي هريرة هذا لا يجوز أن يقال بالرأي وبالاستنباط إنما يقال مثل هذا على التوقيف فلذلك دخل في جملة المسند لأن الصحابي لا يقوله من رأيه، وذكرهم على غير الترتيب المجمع عليه والذي هو محمد- إبراهيم-

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب «وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه» إلى قوله «مسرف كذاب»، باب «وهل أتاك حديث موسى» «وكلم الله موسى تكليما»، ص٦٢٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في ذكر يونس ﷺ وقول النبي ﷺ: «**لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى**»، ص٩٢٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، ص٦٢٨.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، بابٌ من فضائل موسى ﷺ، رقم الحديث ٢٣٧٣، ص٩٢٦.

موسى- عيسى- نوح عليهم وعلى سائر أنبياء الله الصلاة والسلام).

قال العيني في «عمدة القاري»[1]: «وقال ابن التين: معنى (لا تخيروا بين الأنبياء) يعني من غير علم وإلا فقد قال تعالى ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴿٢٥٣﴾﴾». وقال[2]: «وقال: (لا تفضلوني على يونس عليه الصلاة والسلام)، قلت: أجيب كان هذا قبل إعلامه بسيادة ولد آدم» اهـ.

قال المفسر أبو حيان الأندلسي في كتابه تفسير البحر المحيط[3]: «وقد قال أبو هريرة: خير ولد آدم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وهم أولو العزم والمكلم موسى ﷺ» اهـ.

قال المفسر القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرءان[4]: قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾ قال: «تلك» ولم يقل: ذلك مراعاة لتأنيث لفظ الجماعة، وهي رفع بالابتداء. و«الرسل» نعته، وخبر الابتداء الجملة. وقيل: الرسل عطف بيان، و﴿فَضَّلْنَا﴾ الخبر. وهذه آية مشكلة والأحاديث ثابتة بأن النبي ﷺ قال: «**لا تخيروا بين الأنبياء**» و«**لا تفضلوا بين أنبياء الله**» رواها الأئمة الثقات، أي لا تقولوا: فلان خير من فلان، ولا فلان أفضل من فلان. يقال: خير فلان بين فلان وفلان، وفضل، «مشددا» إذا قال ذلك. وقد اختلف العلماء في تأويل هذا المعنى؛ فقال قوم: إن هذا كان قبل أن يوحى إليه بالتفضيل، وقبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم، وإن القرءان ناسخ للمنع من التفضيل. وقال ابن قتيبة: إنما أراد بقوله: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة؛ لأنه الشافع يومئذ وله لواء الحمد والحوض»،

---

(١) عمدة القاري، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهودي، (١٢/ ٣٥١-٣٥٢).

(٢) عمدة القاري، باب قول الله عز وجل (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه)، (١٥/ ٣٠٤).

(٣) تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، (٢/ ٢٧٢).

(٤) الجامع لأحكام القرءان، أبو عبد الله القرطبي، دار الفكر، الطبعة الأولى، (٣/ ٢٦١-١٦٢).

وأراد بقوله: «**لا تخيروني على موسى**» على طريق التواضع؛ كما قال أبو بكر: وليتكم ولست بخيركم. وكذلك معنى قوله: «**لا يقل أحد أنا خير من يونس بن متى**» على معنى التواضع. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ ﴿٤٨﴾﴾[1] ما يدل على أن رسول الله ﷺ أفضل منه، لأن الله تعالى يقول: ولا تكن مثله؛ فدل على أن قوله: «**لا تفضلوني عليه**» من طريق التواضع.

وقال أيضا[2]: «وقد أشار ابن عباس إلى هذا فقال: إن الله فضل محمدًا على الأنبياء وعلى أهل السماء... ذكره أبو محمد الدارمي في مسنده. وقال أبو هريرة: خير بني آدم نوح وإبراهيم وموسى ومحمد ﷺ، وهم أولو العزم من الرسل، وهذا نص من ابن عباس وأبي هريرة في التعيين، ومعلوم أن من أرسل أفضل ممن لم يرسل، فإن من أرسل فضل على غيره بالرسالة واستووا في النبوة» اهـ.

وقال المفسر المشهور الرازي في كتابه مفاتيح الغيب[3]: «المسألة الرابعة أجمعت الأمة على أن بعض الأنبياء أفضل من بعض وعلى أن محمدًا ﷺ أفضل من الكل ويدل عليه وجوه أحدها قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[4] فلما كان رحمة لكل العالمين لزم أن يكون أفضل من كل العالمين.

الحجة الثانية قوله تعالى ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ فقيل فيه لأنه قرن ذكر محمد بذكره في كلمة الشهادة وفي الأذان وفي التشهد ولم يكن ذكر سائر الأنبياء كذلك.

الحجة الثالثة أنه تعالى قرن طاعته بطاعته فقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴿٨٠﴾﴾[5]، وبيعته ببيعته فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ

---

(١) سورة القلم: الآية ٤٨.

(٢) الجامع لأحكام القرءان، (٣/ ٢٦١-١٦٢).

(٣) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، المفسر الرازي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، المجلدالثالث، (٦/ ١٦٤ إلى ١٧٢).

(٤) سورة الأنبياء الآية ١٠٧.

(٥) سورة النساء الآية ٨٠.

أَيْدِيهِمْ ﴿١٠﴾﴾[1]، وعزته بعزته فقال: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ ﴿٨﴾﴾[2]، ورضاه برضاه فقال: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾[3]، وإجابته بإجابته فقال: ﴿مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴿٢٤﴾﴾[4]،

الحجة الرابعة أن الله تعالى أمر محمدًا بأن يتحدى بكل سورة من القرءان فقال: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴿٢٣﴾﴾[5]، وأقصر السور سورة الكوثر وهي ثلاث آيات وكان الله تحداهم بكل ثلاث آيات من القرءان ولما كان كل القرءان ستة آلاف آية وكذا آية لزم أن لا يكون معجز القرءان معجزًا واحدًا بل يكون ألفي معجزة وأزيد وإذا ثبت هذا فنقول إن الله سبحانه ذكر تشريف موسى بتسع آيات بينات فلأن يحصل التشريف لمحمد بهذه الآيات الكثيرة كان أولى.

الحجة الخامسة أن معجزة رسولنا ﷺ أفضل من معجزات سائر الأنبياء فوجب أن يكون رسولنا أفضل من سائر الأنبياء.

الحجة السادسة أن معجزته عليه السلام هي القرءان وهي باقية إلى آخر الدهر ومعجزات سائر الأنبياء منقضية.

الحجة السابعة أنه تعالى بعد ما حكى أحوال الأنبياء عليهم السلام قال: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴿٩٠﴾﴾[6]، فأمر محمدًا ﷺ بالاقتداء بمن قبله فإما أن يقال إنه كان مأمورًا بالاقتداء بهم في أصول الدين وهو غير جائز لأنه تقليد

---

(١) سورة الفتح الآية ١٠.

(٢) سورة المنافقون الآية ٨.

(٣) سورة التوبة الآية ٦٢.

(٤) سورة الأنفال الآية ٢٤.

(٥) سورة البقرة الآية ٢٣.

(٦) سورة الأنعام الآية ٩٠.

أو في فروع الدين وهو غير جائز لأن شرعه نسخ سائر الشرائع فلم يبق إلا أن يكون المراد محاسن الأخلاق فكأنه سبحانه قال إنا أطلعناك على أحوالهم وسيرهم فاختر أنت منها أجودها وأحسنها وكن مقتديًا بهم في كلها وهذا يقتضي أنه اجتمع فيه من الخصال المرضية ما كان متفرقًا فيهم فوجب أن يكون أفضل منهم.

الحجة الثامنة أنه عليه السلام بعث إلى كل الخلق وذلك يقتضي أن تكون مشقته أكثر فوجب أن يكون أفضل أما إنه بعث إلى كل الخلق فلقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴿٢٨﴾ ﴾[1]، وأما أن ذلك يقتضي أن تكون مشقته أكثر فلأنه كان إنسانًا فردًا من غير مال ولا أعوان وأنصار فإذا قال لجميع العالمين يا أيها الكافرون صار الكل أعداء له وحينئذٍ يصير خائفًا من الكل فكانت المشقة عظيمة وكذلك فإن موسى عليه السلام لما بعث إلى بني إسرائيل فهو ما كان يخاف أحدًا إلا من فرعون وقومه[2] وأما محمد عليه السلام فالكل كانوا أعداء له يبين ذلك أن

---

(١) سورة سبأ الآية ٢٨.

(٢) قال الحافظ الهرري في كتابه «عمدة الراغب»: يستحيل على الأنبياء الجبن، أما الخوف الطبيعي فلا يستحيل عليهم بل الخوف الطبيعي موجود فيهم وذلك مثل النفور من الحية فإن طبيعة الإنسان تقتضي النفور من الحية وما أشبه ذلك مثل التخوف من تكالب الكفار والأعداء عليهم حتى يقتلوهم فإن ذلك جائز عليهم وهو جائز في حق الأنبياء، ولا يقال عن النبي ﷺ هرب لأن هرب يشعر بالجبن أما فر من الأذى مثلًا فلا يشعر بالجبن، يقال: هاجر فرارا من الكفار أي من أذى الكفار هذا جائز ما فيه نقص وعلى هذا المعنى قول الله تعالى إخبارا عن موسى عليه السلام أنه قال ﴿ فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ ﴾، وبهذا المعنى تفسر الآية: ﴿ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡ ﴿٢١﴾ ﴾ في قصة معجزة العصا لموسى عليه السلام وبنفس المعنى ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ ﴾.

ولا يجوز أن يوصف الأنبياء بالجبن. فيتحصل مِمَّا سبق أنَّ معنى (فَرُعِبْتُ مِنْهُ) ليس خوف الجبن، هذا الخوف هو الخوف الطبيعي، إذ يستحيل على الأنبياء الجبن أما الخوف الطبيعي فلا يستحيل عليهم بل هو موجود فيهم قال القشيري في تفسيره لقوله تعالى ﴿ فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ ﴾: «يجوز حمله على الظاهر وأنه خاف منهم على نفسه»، وقد قال الله تعالى مخاطبًا نبيه موسى عليه السلام ﴿ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡ ﴿٢١﴾ ﴾ وقال تعالى: ﴿ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ ﴾ وقال تعالى حكاية عن موسى: ﴿ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴾، وقال تعالى حكاية عن هارون وموسى: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾، هذا عن الخوف الطبيعي وليس خوف الجبن اهـ.

إنسانًا لو قيل له هذا البلد الخالي عن الصديق والرفيق فيه رجل واحد ذو قوة وسلاح فاذهب إليه اليوم وحيدًا وبلغ إليه خبرًا يوحشه ويؤذيه فإنه قلّما سمحت نفسه بذلك مع أنه إنسان واحد ولو قيل له اذهب إلى بادية بعيدة ليس فيها أنس ولا صديق وبلغ إلى صاحب البادية كذا وكذا من الأخبار الموحشة لشق ذلك على الإنسان أما النبي ﷺ فإنه كان مأمورًا بأن يذهب طول ليله ونهاره في كل عمره إلى الجن والإنس الذين لا عهد له بهم بل المعتاد منهم أنهم يعادونه ويؤذونه ويستخفونه ثم إنه عليه السلام لم يمل من هذه الحالة ولم يتلكأ بل سارع إليها سامعًا مطيعًا فهذا يقتضي أنه تحمل في إظهار دين الله أعظم المشاق ولهذا قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ﴿١٠﴾﴾[1]، ومعلوم أن ذلك البلاء كان على الرسول ﷺ فإذا عظم فضل الصحابة بسبب تلك الشدة فما ظنك بالرسول وإذا ثبت أن مشقته أعظم من مشقة غيره وجب أن يكون فضله أكثر من فضل غيره لقوله عليه السلام (أفضل العبادات أحمزها).

الحجة التاسعة أن دين محمد عليه السلام أفضل الأديان فيلزم أن يكون محمد ﷺ أفضل الأنبياء بيان الأول أنه تعالى جعل الإسلام ناسخًا لسائر الأديان (أي الشرائع وهي الأحكام العملية وأما دين الأنبياء جميعًا أي العقيدة فواحدة ليس فيها اختلاف ولا تناقض) والناسخ يجب أن يكون أفضل (وهذا تأكيد لما سبق من أن الناسخ والمنسوخ يكون في الأحكام العملية وليس في العقيدة فالعقيدة لا يدخلها النسخ) لقوله عليه السلام (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة) فلما كان هذا الدين أفضل وأكثر ثوابًا كان واضعه أكثر ثوابًا من واضعي سائر الأديان فيلزم أن يكون محمد عليه السلام أفضل من سائر الأنبياء.

الحجة العاشرة أمة محمد ﷺ أفضل الأمم فوجب أن يكون محمد أفضل

---

(١) سورة الحديد الآية ١٠.

الأنبياء بيان الأول قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[1] بيان الثاني أن هذه الأمة إنما نالت هذه الفضيلة لمتابعة محمد ﷺ قال تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران ٣١] وفضيلة التابع توجب فضيلة المتبوع وأيضا أن محمدًا ﷺ أكثر ثوابًا لأنه مبعوث إلى الجن والإنس فوجب أن يكون ثوابه أكثر لأن لكثرة المستجيبين أثرًا في علو شأن المتبوع.

الحجة الحادية عشر أنه عليه السلام خاتم الرسل فوجب أن يكون أفضل لأن نسخ الفاضل بالمفضول قبيح في المعقول.

الحجة الثانية عشرة أن تفضيل بعض الأنبياء على بعض يكون لأمور منها كثرة المعجزات التي هي دالة على صدقهم وموجبة لتشريفهم وقد حصل في حق نبينا عليه السلام ما يفضل على ثلاثة آلاف وهي بالجملة على أقسام منها ما يتعلق بالقدرة كإشباع الخلق الكثير من الطعام القليل وإروائهم من الماء القليل ومنها ما يتعلق بالعلوم كالإخبار عن الغيوب وفصاحة القرءان ومنها اختصاصه في ذاته بالفضائل نحو كونه أشرف نسبًا من أشراف العرب وأيضًا كان في غاية الشجاعة كما روي أنه قال بعد محاربة على رضي الله عنه لعمرو بن ود كيف وجدت نفسك يا على قال وجدتها لو كان كل أهل المدينة في جانب وأنا في جانب لقدرت عليهم فقال تأهب فإنه يخرج من هذا الوادي فتى يقاتلك الحديث إلى آخره وهو مشهور ومنها في خلقه وحلمه ووفائه وفصاحته وسخائه وكتب الحديث ناطقة بتفصيل هذه الأبواب.

الحجة الثالثة عشرة قوله عليه السلام «**آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة**» وذلك يدل على أنه أفضل من آدم ومن كل أولاده وقال عليه السلام «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**» وقال عليه السلام «**لا يدخل الجنة أحد من النبيين حتى أدخلها أنا ولا يدخلها أحد من الأمم حتى تدخلها أمتي**» وروى أنس قال ﷺ: «**أنا أول**

---

(١) سورة آل عمران الآية ١١٠.

الناس خروجًا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر» وعن ابن عباس قال جلس ناس من الصحابة يتذاكرون فسمع رسول الله ﷺ حديثهم فقال بعضهم عجبًا إن الله اتخذ إبراهيم خليلًا وقال آخر ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليمًا وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج رسول الله ﷺ وقال: «**قد سمعت كلامكم وحجتكم أن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجيُّ الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله تعالى وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأنا أول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك حلقة الجنة فيفتح لي فأدخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر**» اهـ.

الحجة الرابعة عشرة روى البيهقي في (فضائل الصحابة) أنه ظهر على بن أبي طالب من بعيد فقال عليه السلام «**هذا سيد العرب**» فقالت عائشة: ألست أنت سيّد العرب فقال «**أنا سيد العالمين وهو سيّد العرب**» وهذا يدل على أنه أفضل الأنبياء عليهم السلام.

الحجة الخامسة عشرة روى مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي ولا فخر بعثت إلى الأحمر والأسود وكان النبي قبلي يبعث إلى قومه وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا ونصرت بالرعب أمامي مسيرة شهر وأحلت لي الغنائم ولم تكن لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة فادخرتها لأمتي فهي نائلة إن شاء الله تعالى لمن لا يشرك بالله شيئًا**» وجه الاستدلال أنه صريح في أن الله فضله بهذه الفضائل على غيره.

الحجة السادسة عشرة قال محمد بن عيسى الحكيم الترمذي في تقرير هذا المعنى إن كل أمير فإنه تكون مؤنته على قدر رعيته فالأمير الذي تكون أمارته على قرية تكون مؤنته بقدر تلك القرية ومن ملك الشرق والغرب احتاج إلى أموال وذخائر

أكثر من أموال أمير تلك القرية فكذلك كل رسول بعث إلى قومه فأعطي من كنوز التوحيد وجواهر المعرفة على قدر ما حمل من الرسالة فالمرسل إلى قومه في طرف مخصوص من الأرض إنما يعطي من هذه الكنوز الروحانية بقدر ذلك الموضع والمرسل إلى كل أهل الشرق والغرب إنسهم وجنهم لا بد وأن يعطي من المعرفة بقدر ما يمكنه أن يقوم بسعيه بأمور أهل الشرق والغرب وإذا كان كذلك كانت نسبة نبوة محمد ﷺ إلى نبوة سائر الأنبياء كنسبة كل المشارق والمغارب إلى ملك بعض البلاد المخصوصة ولما كان كذلك لا جرم أعطي من كنوز الحكمة والعلم ما لم يعط أحد قبله فلا جرم بلغ في العلم إلى الحد الذي لم يبلغه أحد من البشر قال تعالى في حقه: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾[1] وفي الفصاحة إلى أن قال: «**أوتيت جوامع الكلم**» وصار كتابه مهيمنًا على الكتب وصارت أمته خير الأمم.

الحجة السابعة عشرة روى محمد بن الحكيم الترمذي رحمه الله في كتاب النوادر عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله اتخذ إبراهيم خليلًا وموسى نجيًا واتخذني حبيبًا ثم قال وعزتي وجلالي لأوثرن حبيبي على خليلي ونجيِّي**» اهـ.

الحجة الثامنة عشرة في الصحيحين عن همام بن منبه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «**مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابتنى بيوتًا فأحسنها وأجملها وأكملها إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها فجعل الناس يطوفون به ويعجبهم البنيان فيقولون ألا وضعت هـٰهنا لبنة فيتم بناؤك فقال محمد كنت أنا تلك اللبنة**» اهـ.

الحجة التاسعة عشرة أن الله تعالى كلما نادى نبيًا في القرءان ناداه باسمه:

---

(١) سورة النجم الآية ١٠.

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ ﴿٣٥﴾ ﴾[1] ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾[2] حَدِيثُ مُوسَى: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾[3] وأما النبي عليه السلام فإنه ناداه بقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ [الأنفال: ٦٤] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾ [المائدة: ٤١] وذلك يفيد الفضل.

واحتج المخالف بوجوه الأول أن معجزات الأنبياء كانت أعظم من معجزاته فإن آدم عليه السلام كان مسجودًا للملائكة وما كان محمد عليه السلام كذلك وإن إبراهيم عليه السلام ألقي في النيران العظيمة فانقلبت روحًا وريحانًا عليه وأن موسى عليه السلام أوتي تلك المعجزات العظيمة ومحمد ما كان له مثلها وداود لان الحديد في يده وسليمان كان الجن والإنس والطير والوحش والرياح مسخرين له وما كان ذلك حاصلًا لمحمد ﷺ وعيسى أنطقه الله في الطفولية وأقدره على إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وما كان ذلك حاصلًا لمحمد ﷺ.

الحجة الثانية أنه تعالى سمى إبراهيم في كتابه خليلًا فقال: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾[4] وقال في موسى عليه السلام: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾[5] وقال في عيسى عليه السلام: ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴿١٢﴾ ﴾[6] وشيء من ذلك لم يقله في حق محمد عليه السلام.

الحجة الثالثة قوله عليه السلام: «**لا تفضلوني على يونس بن متى**» وقال ﷺ: «**لا تخيروا بين الأنبياء**».

الحجة الرابعة روي عن ابن عباس قال كنا في المسجد نتذاكر فضل الأنبياء

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٥.

(٢) سورة الصافات الآية ١٠٤.

(٣) سورة طه الآية ١٢.

(٤) سورة النساء الآية ١٢٥.

(٥) سورة النساء الآية ١٦٤.

(٦) سورة التحريم الآية ١٢.

فذكرنا نوحًا بطول عبادته وإبراهيم بخلته وموسى بتكليم الله تعالى إياه وعيسى برفعه إلى السماء وقلنا رسول الله أفضل منهم بعث إلى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو خاتم الأنبياء فدخل رسول الله فقال فيم أنتم فذكرنا له فقال: «**لا ينبغي لأحد أن يكون خيرًا من يحيى بن زكريا**» وذلك أنه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها.

والجواب: أن كون آدم عليه السلام مسجودًا للملائكة لا يوجب أن يكون أفضل من محمد عليه السلام بدليل قوله ﷺ: «**آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة**» وقال: «**كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين**» ونقل أن جبريل عليه السلام أخذ بركاب محمد ﷺ ليلة المعراج وهذا أعظم من السجود وأيضا أنه تعالى صلى بنفسه على محمد وأمر الملائكة والمؤمنين بالصلاة عليه وذلك أفضل من سجود الملائكة ويدل عليه وجوه الأول أنه تعالى أمر الملائكة بسجود آدم تأديبًا وأمرهم بالصلاة على محمد ﷺ تقريبًا والثاني أن الصلاة على محمد عليه السلام دائمة إلى يوم القيامة وأما سجود الملائكة لآدم عليه السلام ما كان إلا مرة واحدة الثالث أن السجود لآدم إنما تولاه الملائكة وأما الصلاة على محمد ﷺ فإنما تولاها رب العالمين ثم أمر بها الملائكة والمؤمنين والرابع أن الملائكة أمروا بالسجود لآدم لأجل أن نور محمد عليه السلام في جبهة آدم.

فإن قيل إنه تعالى خص آدم بالعلم فقال: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴿٣١﴾ ﴾[1] وأما محمد عليه السلام فقال في حقه: ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴿٥٢﴾ ﴾[2] وقال: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ ﴾[3] وأيضا فمعلم آدم هو الله تعالى قال:

---

(١) سورة البقرة الآية ٣١.

(٢) سورة الشورى الآية ٥٢.

(٣) سورة الضحى الآية ٧.

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ ﴾[1] ومعلم محمد عليه السلام جبريل عليه السلام لقوله: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ﴾[2].

والجواب أنه تعالى قال في علم محمد ﷺ: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝١١٣ ﴾[3] وقال عليه السلام: «**أدبني ربي فأحسن تأديبي**» وقال تعالى ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾[4] وكان عليه السلام يقول: «**أرنا الأشياء كما هي**» وقال تعالى لمحمد عليه السلام: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ۝١١٤ ﴾[5] وأما الجمع بينه وبين قوله تعالى: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ﴾[6] فذاك بحسب التلقين وأما التعليم فمن الله تعالى كما أنه تعالى قال: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾[7] ثم قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾[8] فإن قيل قال نوح عليه السلام: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١١٤ ﴾[9] وقال الله تعالى لمحمد عليه السلام: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾[10] وهذا يدل على أن خلق نوح أحسن قلنا إنه تعالى قال: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ ﴾[11] فكان أول أمره العذاب وأما محمد عليه السلام فقيل فيه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ

---

(١) سورة البقرة الآية ٣١.
(٢) سورة النجم الآية ٥.
(٣) سورة النساء الآية ١١٣.
(٤) سورة الرحمٰن الآية ١-٢.
(٥) سورة طه الآية ١١٤.
(٦) سورة النجم الآية ٥.
(٧) سورة السجدة الآية ١١.
(٨) سورة الزمر الآية ٤٢.
(٩) سورة الشعراء الآية ١١٤.
(١٠) سورة الأنعام الآية ٥٢.
(١١) سورة نوح الآية ١.

﴿١٠٧﴾[1]، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[2]، إلى قوله: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[3] فكان عاقبة نوح أن قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾[4] وعاقبة محمد عليه السلام الشفاعة: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾[5] وأما سائر المعجزات فقد ذكر في كتب دلائل النبوة في مقابلة كل واحد منها معجزة أفضل منها لمحمد ﷺ وهذا الكتاب لا يحتمل أكثر مما ذكرناه والله أعلم» اهـ.

---

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٧.

(٢) سورة التوبة الآية ١٢٨.

(٣) سورة التوبة الآية ١٢٨.

(٤) سورة نوح الآية ٢٦.

(٥) سورةالإسراء الآية ٧٩.

١٢- **قال تعالى:** ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ [سورة البقرة]

الشرح: ذكر الخازن في تفسيره لباب التأويل فقال في تفسير هذه الآية: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ أي ليست عليك «أي يا محمد» هداية من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لأجل أن يدخلوا في الإسلام، فحينئذ تتصدق عليهم فأعلمه الله تعالى أنه إنما بُعث بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه، فأما كونهم مهتدين فليس ذلك إليك ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ يعني أن الله يوفق من يشاء فيهديه إلى الإسلام، وأراد بالهداية هنا هداية التوفيق، وأما هداية البيان والدعوة فكانت على رسول الله ﷺ. والصحيح أن يقال ليس عليك أي لست مكلفًا بأن تهتدي قلوبهم لأن القلوب لا يملكها أحد إلا الله بل الله هو يهدي القلوب بأن يجعلها مؤمنة مصدقة ولكن الله يهدي من يشاء أي أن الله هو الذي يهدي القلوب فيجعلها مؤمنة أما الرسول فلو أكره إنسانًا بالقتال على الدخول في الإسلام فأظهر الإسلام والإيمان لكن قلبه قد يكون على خلاف ظاهره فيكون قلبه مكذبًا للدين فليس على الرسول إلا البيان أي الدعوة إلى الإيمان بالله ورسوله وقال تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ معناه يا محمد أنت لا تستطيع أن تجعلهم مؤمنين قلبًا.

١٣- قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [سورة البقرة]

الشرح: اعلم رحمك الله بتوفيقه أن كثيرًا من الجهال أخذ هذه الآية حجة وذريعة له في كثير من أمور التكاليف، فترى الواحد منهم مثلًا إن كان مريضًا يشق عليه أمر الصلاة على هيئة كذا قال ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴿٢٨٦﴾ ﴾ فيترك الصلاة، وشاع استعمال هذه الآية في غير موضعها فإذا بكثير من الجهلة يتركون الواجبات ويتقاعسون عن الفرائض والطاعات متذرعين بهذه الآية، فجهل هؤلاء الناس لكثير من أمور الأحكام كان سببًا في هلاكهم، وما ذلك إلا لتكبرهم عن طلب العلم والتعلم، فنسأل الله السلامة والنجاة والمعافاة والتوفيق والسداد.

ومما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴿٢٨٦﴾ ﴾ قال ابن الجوزي في زاد المسير: الوسع الطاقة قاله ابن عباس وقتادة ومعناه لا يكلفها ما لا قدرة لها عليه لاستحالته، كتكليف الزَّمِنِ السعي والأعمى النظر. فأما تكليف ما يستحيل من المكلف لا كفقد الآلات فيجوز كتكليف الكافر الذي سبق في علم الله القديم أنه لا يؤمن فالآية محمولة على القول الأول. ومن الدليل على ما قلناه قوله تعالى في سياق الآية ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ فلو كان تكليف ما لا يطاق ممتنعًا أي مستحيلًا كان السؤال عبثًا وقد أمر الله تعالى نبيه بدعاء قوم قال فيهم: ﴿ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [سورة الكهف]. وقال ابن الأنباري المعنى: لا تحملنا ما يثقل علينا أداؤه، وإن كنا مطيقين له.

١٤- **قال تعالى:** ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة آل عمران]

الشرح: ذكر الخازن في لُبَاب التأويل: وقوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ ﴿٧٣﴾﴾ يعني قل لهم يا محمد إن التوفيق للإيمان والهداية للإسلام ﴿بِيَدِ ٱللَّهِ ﴿٧٣﴾﴾ أي أنه مالك له وقادر عليه دونكم ودون سائر خلقه ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴿٧٣﴾﴾ يعني الفضل الذي هو دين الإسلام يعطيه من يشاء من عباده ويوفق له من أراد من خلقه وفيه تكذيب لليهود حيث قالوا لن يؤتي الله أحدًا مثل ما أوتي بنو إسرائيل من النبوة فقال الله ردًّا عليهم «قل» لهم: ليس ذلك إليهم وإنما الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

١٥- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾

[سورة آل عمران]

الشرح: قال الإمام الفخر الرازي في تفسير الآية: أما الأول وهو قوله: ﴿ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴿٧٧﴾ ﴾ فالمعنى لا نصيب لهم في خير الآخرة ونعيمها، واعلم أن هذا العموم مشروط بإجماع الأمة بعدم التوبة، فإنه إن تاب عنها سقط الوعيد بالإجماع وعلى مذهبنا مشروط أيضًا بعدم العفو فإنه تعالى قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴿٤٨﴾ ﴾ [سورة النساء].

وأما الثاني وهو قوله: ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ ﴿٧٧﴾ ﴾ المقصود بيان شدة سخط الله عليهم.

وأما الثالث وهو قوله: ﴿ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ ﴿٧٧﴾ ﴾ فالمراد أنه لا ينظر إليهم بالإحسان، يقال فلان لا ينظر إلى فلان، والمراد به نفي الاعتداد به وترك الإحسان إليه، ولا يجوز أن يكون المراد من هذا النظر الرؤية لأنه تعالى يراهم كما يرى غيرهم، ولا يجوز أن يكون المراد من النظر تقليب الحدقة إلى جانب المرئيّ التماسًا لرؤيته، لأن هذا من صفات الأجسام وتعالى إلهنا عن أن يكون جسمًا.

وأما الرابع وهو قوله تعالى ﴿ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴿٧٧﴾ ﴾ قيل لا يزكيهم أي لا يثني عليهم كما يثني على أوليائه الأزكياء، واعلم أن تزكية الله عباده قد تكون على ألسنة الملائكة كما قال ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ وقال ﴿ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴿٣١﴾ ﴾ [سورة فصلت] وقد تكون بغير واسطة أما في الدنيا فكقوله

﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [سورة التوبة]، وأما في الآخرة فكقوله ﴿سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة يس].

وأما الخامس وهو قوله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ فاعلم أنه تعالى لما بيّن حرمانهم من الثواب بيّن كونهم في العقاب الشديد المؤلم.

١٦- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ ﴾ [سورة آل عمران]

الشرح: يجب الاعتقاد أن الربا محرم كثيره وقليله بنص القرءان والحديث والإجماع بدليل قول الله عز وجل في القرءان الكريم: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ ﴾ قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩ ﴾

أوضحت الآية الكريمة كما في نصها الصريح ﴿ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ ٢٧٩ ﴾ وهذا معناه تجنب القليل والكثير، وفي الآية تهديد ووعيد لمن أكل شيئًا من الربا وأن الله محارب له والرسول محاربٌ له أيضًا.

وبدليل قوله تعالى في نفس الآية ﴿ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ أي كاملين، وأن من أكل شيئًا من الربا فهو فاسق مسلم من أهل الكبائر، ليس تقيًا وليس صالحا.

وأما قوله تعالى: ﴿ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗ ١٣٠ ﴾ فنزلت أولًا لأن أكل الربا كان منتشرًا بين الناس ثم بعد ذلك نزل التحريم فكان الأمر كمسألة تحريم الخمر أنه نزل تدريجيًا وليس دفعة واحدة وبعد ذلك نزل قول الله ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾.

أما ما زعمه المتهور المتعالم المتهتك يوسف القرضاوي المصري فنان الفتاوى العجيبة الغريبة الكاسدة الفاسدة التي ما أنزل الله بها من سلطان ومنها قوله (يجوز الربا اليسير ١٪ أو ٢٪) بحجة أنه خدمات إدارية كما في حلقة شروط الفتوى من برنامج المنتدى بتاريخ ١٠/ ١/ ٩٨م، وحلقة مفتوحة لأسئلة المشاهدين من برنامج الشريعة والحياة بتاريخ ١٢/ ٤/ ٩٨م، وفتوى القرضاوي هذه تكذيب صريح لنص القرءان فلا التفات ولا اعتبار لقوله ولكلامه، بل هو شيخ الشذوذ وإمام

الانحراف.

قوله تعالى: ﴿أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾، إنما هو وصف لواقع جاهلي، ينفر السامع من التعامل به، فقد كانوا في الجاهلية يقولون إذا حل الدين: إما أن تقضي وإما أن تربي، فإن قضاه وإلا زاده الآخر في المال، وهكذا كل عام، حتى يصبح أصل المال مضاعفا. فأمرهم الله بالتقوى، وبيّن لهم أن ترك التعامل بالربا من أسباب الفلاح، وحذرهم من نار جهنم التي أعدت للكافرين، ومن هم على شاكلتهم. وقد جاء تحريم الربا على إطلاقه في سورة البقرة، وبينت ذلك السنة الصحيحة.

وما ذهب إليه بعض المتأخرين من المنحرفين إلى أن الربا يكون حراما إذا كان أضعافا مضاعفة، أما إذا كان بنسبة معقولة، فإن هذا ليس ربا، ولا يكون حراما، وجعلوا قوله تعالى: ﴿أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ قيدا وعلة في التحريم وهذا فهم يدل على انحراف في التفكير وجهل في العلم.

قال القاضي الفقيه المفسر أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المتوفى سنة ٥٤٦هـ في المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز[١]: وقوله ﴿مُّضَٰعَفَةً﴾إشارة إلى تكرار التضعيف عاما بعد عام كما كانوا يصنعون، فدلت هذه العبارة المؤكدة على شناعة فعلهم وقبحه، ولذلك ذكرت حال التضعيف خاصة، وقد حرم الله جميع أنواع الربا فهذا هو مفهوم الخطاب، إذ المسكوت عنه من الربا في حكم المذكور، وأيضا فإن الربا يدخل جميع أنواعه التضعيف والزيادة على وجوه مختلفة من العين أو من التأخير ونحوه اهـ.

وقال المفسر الألوسي في كتابه روح المعاني في تفسير القرءان العظيم والسبع المثاني ما نصه[٢]: وليس هذه الحال لتقييد المنهي عنه ليكون أصل الربا غير منهي،

---

(١) تفسير كتاب الله العزيز (الجزء الأول من طبعة دار الكتب العلمية الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ ص٥٠٧).

(٢) تفسير القرءان العظيم والسبع المثاني (المجلد الثاني طبعة دار الكتب العلمية الطبعة الأولى سنة

بل لمراعاة الواقع، فقد روى غير واحد أنه كان الرجل يربي إلى أجل، فإذا حل قال للمدين زدني في المال حتى أزيدك بالأجل فيفعل، وهكذا عند كل أجل فيستغرق بالشيء ماله بالكلية فنهوا عن ذلك اهـ.

وقال اللغوي المفسر محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي رحمه الله في كتابه تفسير البحر المحيط ما نصه[1]: «والربا محرم جميع أنواعه، فهذه الحال لا مفهوم لها، وليست قيدا في النهي، إذ ما لا يقع أضعافا مضاعفة مساو في التحريم لما كان أضعافا مضاعفة» اهـ.

ولزيادة الفائدة نذكر ما قاله في بيان تعريف الربا وتحريمه وأنواعه الإمام شيخ الإسلام الحجة الهمام الحافظ المجدد قدوة الأعلام سيدي ومولاي وشيخي عبد الله ابن محمد الهرري المعروف بالحبشي في كتابه بغية الطالب لمعرفة العلم الديني الواجب ما نصه[2]: «قال الله تعالى ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴿٢٧٥﴾﴾ [سورة البقرة] في هذه الآية إنكار على الذين قالوا إنما البيع مثلُ الربا إذ الحِلُّ مع الحُرمة ضِدَّان فأنَّى يتَماثلان. وروى مسلم[3] من حديث جابر رضي الله عنه قال «**لعَنَ رسولُ الله ﷺ ءاكِلَ الربا ومُوكِلَه وكاتِبَه وشاهدَيْه** وقال **هُم سَواءٌ**».

وروى مسلمٌ[4] من حديث عُبادة بن الصّامتِ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ «**الذَّهَبُ بالذَّهَب والفِضَّةُ بالفِضَّةِ والبُرُّ بالبُرِ والشَّعيرُ بالشَّعير والتَّمْرُ بالتمر والمِلحُ بالملحِ مِثْلًا بمثل سواءً بسَواء يدًا بيد فإذا اختلفت هذه الأصنافُ فبِيعوا كيف شئتُم إذا كان يدًا بيد**».

١٤١٥هـ ص٢٦٩).

(١) تفسير البحر المحيط (طبعة دار الكتب العلمية طبعة سنة ١٤٢٨هـ الطبعة الثانية ص٥٧).

(٢) بغية الطالب لمعرفة العلم الديني الواجب (الجزء الثاني طبعة دار المشاريع الطبعة الثامنة سنة ١٤٣٣هـ ص٤٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساقاة: باب لعن ءاكل الربا ومؤكله.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساقاة: باب الصرف وبيع الذهب بالورق نقدًا.

وروى البيهقي[1] أن رسول الله ﷺ قال: «**كلّ قرضٍ جرّ منفعةً فهو ربا**». اتفق العلماء على العمل بهذا الحديث وإن كان إسناده ضعيفًا. القرض شرعه الله للمواساة بين العباد فلا يجوز شرط جر المنفعة. القرض شرع للإحسان إلى الناس ليس لطلب الرّبح. والرّبا من أكبر الكبائر وهو عقدٌ يشتمل على عوض مخصوص غير معلوم التّماثل في المعيار الشّرعيّ حالة العقد أو مع تأخير في العوضين أو أحدهما. وهذا الربا لم يكن معروفًا مشهورًا بين العرب عند الجاهلية قبل نزول ءاية التّحريم، وإنّما الربا الذي كان مشهورًا عندهم هو ربا القرض وهو أن يكون للرّجل على الرّجل دينٌ إلى أجلٍ ثم إذا حلّ الأجل يقول صاحب الدّين للمدين «إمّا أن تدفع وإمّا أن أزيد عليك» قال بعض الحنفيّة: «هذا أوّل ما نزل تحريمه من الربا» اهـ. ولم يحرّم الرّبا إلا بعد الهجرة.

وينقسم الربا أي ما عدا ربا القرض إلى ثلاثة أنواعٍ:

أحدها: ربا الفضل: وهو بيع أحد العوضين وهما متّفقا الجنس بالآخر زائدًا عليه كبيع دينارٍ بدينارين أو درهم بدرهمين أو صاع قمحٍ بصاعي قمح.

والثّاني ربا اليد وهو البيع مع تأخير قبضهما أو قبض أحدهما بأن يفترق المتبايعان قبل القبض أو يتخايرا فيه قبل القبض أي يمضيا إثبات العقد بشرط اتّحاد العوضين أي اتّفاقهما في علّة الرّبا بأن يكون كلٌّ منهما مطعومًا أي مقصودًا للأكل غالبًا تقوّتًا كالقمح أو الشعير أو تأدّمًا[2] أو تفكّها[3] أو تداويًا[4] أو غير ذلك مائعًا كان أو جامدًا كالزيت واللبن والجبن ونحو ذلك كبيع البر بالشّعير أو الملح

---

(١) أخرجه الحارث في مسنده من حديث على رضي الله عنه، قال البوصيري في إتحاف الخيرة (٣/ ٣٨٠): «هذا إسناد ضعيف لضعف سوار بن مصعب الهمداني وله شاهد موقوف على فضالة بن عبيد رواه الحاكم في المستدرك والبيهقي في سننه الكبرى (٥/ ٣٥٠)».

(٢) كالتمر. وفي اللسان (١٢/ ٩) «والإدام معروف ما يؤتدم به مع الخبز» اهـ.

(٣) كالتين.

(٤) كالملح والزعفران.

والتّمر بالزّبيب والتّفاح بالتّين، أو أن يكون كلٌّ منهما نقدًا وإن اختلف الجنس كالذهب بالفضّة والعكس ثم يفترقا بلا تقابضٍ للعوضين أو أحدهما. فإن قال له بعتك وسق شعير بوسق قمح ثم ذهب هذا وهذا من غير تقابض أو أحدهما قبض والآخر لم يقبض صار ربا. أما لو قال له أقرضتك هذا القمح على أن تردّ لي مثله بتاريخ كذا لم يكن ربا لكنّ التأجيل في القرض ممنوع عند الشافعي[1]، هذا ليس بيعًا وشراءً. ولو باعه الذهب بالذهب متساويًا في الوزن ثم تماشيا مسافة وقبل أن يفترقا تقابضا جاز ذلك ويعتبران كأنهما في مجلس واحد.

والثّالث ربا النّساء بفتح النّون أي التّأجيل وهو البيع للمطعومين أو للنّقدين المتّفقي الجنس أو المختلفيه لأجلٍ ولو كان الأجل قصيرًا جدًّا كلحظةٍ أو دقيقة، أي أن يشرط ذلك لفظًا بأن يقول أحدهما «بعتك هذا الدينار بهذا الدينار» أو «هذا الدينار بهذه الدّراهم» أو «هذا القمح بهذا القمح» أو «هذا القمح بهذا الشّعير» «على أن تسلّمنيه غدًا» أو «في ساعة كذا» أو «لساعة كذا» أو «في الدّقيقة السّادسة من الآن» أو نحو ذلك فهذا هو معنى الأجل. ولا يحصل الأجل بدون الذّكر.

فعلم من ذلك أنّه يحرم بيع أحد النّقدين أي الذّهب والفضّة ولو غير مضروبين كحليّ أو تبرٍ نسيئةً أي مؤجّلًا ولو بلحظةٍ، أو بغير تقابضٍ، أو بجنسه كذلك أي نسيئةً أو بغير تقابض في المجلس أي قبل التّفرّق، أو متفاضلًا أي بزيادة أحدهما على الآخر مع اتّحاد الجنس كدرهم فضّة بدرهمي فضّةٍ ويحرم بيع أحد المطعومين بالآخر نسيئةً أو بلا تقابضٍ، أو بجنسه كذلك أي بأجلٍ أو بلا تقابضٍ أو مع التّفاضل.

والحاصل أنّه متى استوى العوضان جنسًا وعلّةً كبرّ ببرّ أو ذهب بذهبٍ لا يحلّ إلا بثلاثة شروط التّساوي بمعيار الشّرع أي الوزن في النّقد والكيل في البرّ ونحوه وعلمهما بالتّساوي يقينًا عند العقد والتّقابض والحلول أي ترك ذكر الأجل. ومتى اختلفا جنسًا واتّحدا علّةً كبرّ بشعير أو ذهب بفضّة اشترط شرطان الحلول أي ترك

(١) فتح الوهاب (ص/ ١٩٢).

ذكر الأجل والتّقابض، وجاز التّفاضل أي بالوزن فيما هو موزونٌ كالذهب والفضة وفي الكيل فيما هو مكيلٌ كالقمح والشعير. ومتى اختلفا جنسًا وعلّة كبرٍّ بذهبٍ أو ثوبٍ لم يشترط شيءٌ من هذه الثّلاثة.

وعلة الربا أمران الطّعم والنقدية فعلّة الرّبا بين البرّ والبرّ أو الشّعير كونهما مطعومين أي أنّ أظهر مقاصدهما الأكل، وأمّا النّقديّة فمعناها الكون ذهبًا أو فضّةً فالذّهب بالذّهب متّفقان في علّة الرّبا وهي النّقديّة وكذلك الفضّة بالفضّة متّفقان في علّة الربا وهي النّقدية وكذلك الذهب بالفضّة متّفقان في علّة الرّبا مختلفان في الجنس فظهر من ذلك أنّه لا ربا في الفلوس أي إذا بيع الفلس بالفلس فهو حلالٌ بل يجوز بيع فلسٍ بألف فلس، لكن يشترط عند الحنفية[1] لجواز بيع الفلس بفلسين فأكثر أن يكون العقد بأعيانهما، أما في المذهب الشّافعيّ فيجوز إن تقابضا في المجلس أو لم يتقابضا أو تبايعا مع التّفاضل.

وفي حَواشِي البُلقِينيّ على الروضَةِ ما نَصُّه[2]:

«فَائِدَةٌ الفُلوسُ مِعْيارُها في البَيع الوَزنُ لكن إذا باعَ فلُوسًا بفلُوسٍ جازَ إذا كانتا مُعيَّنَتَيْن كالصُّبْرَة جُزافًا وكالدَّراهم التي تُجْعَلُ عِوَضَ غيرها جُزَافًا، أَمَّا إذا جُعلتْ عِوَضًا في الذمّةِ فإنَّه لا بد مِن تَقدِيرها بوَزنٍ ولا يجوز تقديرُها بالعَدِّ لعدمِ انضباطها» اهـ.

وفيها[3]: «قولُه -أي النووي- والصَّحِيحُ أنّه لا ربا فيها لانتفاءِ الثّمَنِيّةِ الغالِبِ.

فَائِدَةٌ هذا هو المنصوصُ قال الشافعيُّ رحِمَه الله في الأُم[4] في الصَّرفِ «ولا بأسَ في السّلَفِ في الفُلُوسِ إلى أجَلٍ لأنّ ذاكَ ليسَ مِما فيه رِبا» انتهت.

---

(١) حواشي الروضة (١/ ٢٨١ - ٢٨٢).

(٢) المصدر نفسه، (١/ ٢٨٢).

(٣) المصدر نفسه، (١/ ٢٨٢).

(٤) الأم (٣/ ٢٨).

فَائِدَةٌ قال الشّافِعِيُّ في الأُمّ[1]: وإذا اشترى الرجُلُ السَّمْنَ أو الزَّيتَ وَزْنًا بظُروفه فإنْ شَرَطَ الوَزْنَ فلا خَيْرَ فيه[2] وإن اشتَراه بها وَزنًا على أنْ يُفرِغَها ثم يزِنَ الظّرفَ فلا بأسَ[3] وسَواءٌ الحَدِيدُ والفَخَّارُ» انتهى.

وإنما كان الربا مِن بَينِ الأَثْمانِ خَاصًّا بالنَّقدِ دونَ الفُلُوسِ لأنَّ النَّقْدَ هو المذكورُ في حديثِ الرِّبا الذي فيه قولُه ﷺ «**الذّهَبُ بالذّهَبِ وزنًا يوزن مِثْلًا بمِثْل والفِضَّةُ بالفِضَّة وزنًا يوزن مِثْلًا بمِثْلٍ فمن زاد أو استزاد فهو ربا**» رواه مسلم[4] ولأن النقدَيْنِ مَرجِعُ الأثمانِ. فإن قال قائل إنما لم تُذْكر هذه الأثمان من الأوراق المصطلح عليها في العصور الأخيرة في النص القرءاني أو الحديثي لأنها لم تكن مستعملة في العصر الأول فلو كانت مستعملة في العصر الأول لَنُص عليها كما نُص على الذهب والفضة فالجواب أن العملة من النحاس كانت موجودة في العصر الأوَّل بدليل ما ذكَره بعض الحفاظ أن ابن عمر[5] رضي الله عنهما كان يتمثّل بهذا البيت: [الوافر]

يُحِبُّ الخمرَ من مالِ النَّدامَى ... ويَكرَه أن تفارِقَهُ الفلوسُ

ومع ذلك لم يُنص عليها في الحديث.

فإن قيل الحجة في إيجاب الزكاة في الأثمان غير الذهب والفضة القياسُ فالجواب أن هذه الأثمان ليست فيها جوهرية الأثمان التي في النقدين الذهب والفضة وهذا القياس قياس مع الفارق ولذلك لم يلتفت إليه أكثر المجتهدين ولم يوجب علماء المالكيةِ والحنابلةِ الذين ظهرت في زمانهم هذه الأثمان فيها الزكاة إلا أناسٌ لا اعتمادَ عليهم، والشافعيةُ الذين أدركوا هذه الأثمان نصُّوا على أنه لا زكاةَ

---

(١) الأم (٣/ ٧٢).

(٢) معناه لا يجوز.

(٣) معناه أخرَجَ منه ثم وزَنَ.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساقاة: باب بيع الصرف وبيع الذهب بالورق نقدًا.

(٥) الطبقات الكبرى (٤/ ١٢٥).

فيها منهم الشيخ محمد الأنْبَابي المِصري[1] الذي كان يُلَقَّبُ بالشافعي الصغير.

وأمّا رِبا القَرضِ فهو كُلُّ قَرضٍ شُرِطَ فيه جَرُّ مَنْفَعةٍ للمُقْرِضِ أو لهُ وللمُقتَرِضِ سَواءٌ كانتِ المنفَعةُ زيادةً في جنس المُقْرَضِ أو غيرِه أو غيرَ زيادةٍ والرِبا الذي بالبنُوكِ وغَيرِها مِما يُشتَرطُ فيه الزّيادةُ هو أشَدُّ أنواع الرّبا. ولا يُشتَرَط في حُرمَة ربا القرضِ أن يكون القَدرُ الذي يَشترِطه المُقرِضُ مِن الزيادة عند ردّ القَرضِ كثيرًا بل القليل والكثيرُ في الحُرمة سواء لقول الله تعالى ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [سورة البقرة] أي إن أردتم التوبة من معصية الربا فاقتصِروا على رأسِ المالِ ولا تطلبُوا شيئًا سِوَى رأسِ المال. أما الربا الذي بغير الزيادة في قَدْرِ الدَّينِ فهوَ مِثلُ ما يفعَلُه بعضُ الناسِ مِن أنَّ أحدَهُم يُقْرِضُ شَخصًا مالا إلى أجَلٍ ويَشتَرِطُ عليه أن يُسكِنَه بَيتَه مَجانًا أو بأُجرَةٍ مُخَفّفةٍ إلى أنْ يؤدِّيَ الدَّينَ ويُسَمُّونَه في بعضِ البلاد استِرْهانًا وهو حرامٌ بالإجماع اتفقَ عليه المجتهدونَ الأئمةُ الأربعةُ وغيرُهم. فإن أراد المقترض مكافأة المعروف بالمعروف فرد الدَّينَ مع زيادة من تِلقاء نفسه كان جائزًا لأنّ القرضَ حسنةٌ من الحسنات إذا كان على الوجه الشرعي أي فيه ثواب. وقد فعل الرسول ﷺ ذلك اقتَرَضَ مِن رجُل بَكْرًا مِن الإبل أي سِنًّا صغيرًا ورَدَّ رَباعِيًا وهو سِنٌّ أكبرُ منه، وهذا شيء جائز. وقد مدَحَ رسولُ الله ﷺ مَنْ يَفعلُ ذلك بقوله «**خَيْرُكُم أحْسَنُكم قضاءً**» رواه مسلم ومن الجائز أيضًا أن يُقرِضَ مالَه لشخص لينتفع به وغرضُه مِن هذا القرضِ أن يبقى له هذا المال كما هو لأنه إن تركَه عنده يخشى أن يصرِفه فأقرضَه لشخص وقصدُه أنه إن أقرضه صار محفوظًا له وأما إن تركَه عنده فإنه يصرفُه في أمور شتى فإن هذا جائز بالإجماع. وقد قال الله تعالى في ذم من يأكل الربا ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴿٢٧٥﴾﴾ [سورة البقرة] أي أنهم إذا بعثوا من قبورهم يبعثون على هذه الهيئة أي هيئة المصروع لأنه تخبَّط في

(١) نقل ذلك عنه صاحب كتاب موهبة ذي الفضل (٤/ ٢٩).

المعاملة في الدنيا فجوزي على المقابلة. والمعنى أنهم يقومون يومَ القيامة مخبَّلين كالمصروعين كحال من أصابَه مسٌّ أي جنون[1]، تلك سيماهم يُعرَفُون بها عند أهل الموقف. وقيل الذين يخرجون من الأجداث أي القبور يوفِضُون أي يُسرعون إلا أكلَةَ الربا فإنّهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لأنهم أكلُوا الربا فأرباه الله في بطونهم حتى أثقلَهُم فلا يقدرون على الإيفاض أي الإسراع بسبب أنهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴿٢٧٥﴾﴾ [سورة البقرة].

وقال الله تعالى ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [سورة البقرة] أي فمن بلغَه وعظٌ من الله وزجر بالنهي عن الربا فتبع النهيَ وامتنع فلا يؤاخذ بما مضى منه لأنه أخذ قبل نزول التحريم، ومن عاد إلى استحلال الربا فهو كافر. وقال الله تعالى ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ [سورة البقرة] أي يذهَب ببركته ويُهلِكُ المالَ الذي يَدخُل فيه، وينمّي الصدَقات ويزيدها ويبارك فيها فقد روى أحمد[2] أن رسول الله قال «**ما نقَصَت صدقة من مالٍ قطُّ**» والله لا يحبُّ كلَّ عظيمِ الكفر باستحلالِ الربا مُتَمادٍ في الإثْمِ بأكْلِه.

ومِنَ الرّبا ما يَفعَلُه بعضُ الناسِ مِنْ أنَّهُم يَبيعُونَ الشَّيءَ بأقساطٍ مُؤجّلَةٍ إلى ءاجَالٍ معلُومَةٍ معَ شَرطِ أنّه إنْ أخَّر شيئًا مِنْ هذهِ الأقسَاطِ يُضافُ عليه كذا مِنَ الزّيادةِ. وهذا كانَ بَيْعًا جائِزًا لَولا هذا الشّرطُ مَهما حَصلَ مِنَ الرّبْحِ بسبَبِ التّقسِيط مِما هوَ زائِدٌ على ثَمنِ النّقدِ فأصْلُ بَيع التّقسيطِ جائزٌ إذا افتَرقا على البَيانِ أي بَيانِ أنّه يُريدُ بَيعَ النَسِيئَةِ لا النّقدِ أو اختارَ النّقدَ، وإنّما يَحرُم إذا تَفرّقا قبلَ البَيانِ ثم أخَذ الشّيءَ قبل البيان كأن يقول له بِعتُكَ هذا بألفٍ نقدًا وبألفَين تقسيطًا إلى ستة أشهُر ثم يأخذُ هذا الغرضَ من غير أن يختار إحدى الطريقتين وهو المرادُ بما وردَ النَّهيُ عنه

(١) تفسير ابن جرير الطبري جامع البيان (٣/ ١٠٢ - ١٠٣).

(٢) مسند أحمد (٢/ ٢٣٥).

مِنْ بَيعتَينِ في بَيْعةٍ، روى أبو داود[1] أن رسول الله ﷺ قال «**من باع بيعَتَين في بَيعة فلَه أوكَسُهما أو الرّبا**» ومعنى أوكَسُهما أقلُّهما، فإن قال له أسْلَمْتُ إليك هذا الدّينارَ في قفيزين[2] من البُرّ إلى شَهر ثم حَلَّ الأجَلُ فقال له ذاكَ بِعنِي ذَيْنِكَ القَفيزَين بأربعة أقفِزةٍ مثلًا إلى شهر فإن بقيا على هذا الشكل وقعا في الربا أما إن أنهَيا البيع الأول وقبض المسْلِمُ قمحَه الأوَّل ثم باعه بدينار يكونان خَلُصا من الربا. فلْيَحذر المؤمن من جميع أنواع الرِبا ولا يستَهِن بشيءٍ من الرِبا فإنّ عاقبةَ الرِبا وخيمَةٌ وقد ظهرَ مِن أناسٍ بعد وفاتِهم وهم في قبورهم ءاثارٌ من العذاب أي عذاب القَبر وكانوا معروفين بالرِبا، في ناحيةٍ مِن نواحِي الحبشة كان رَجُلٌ معروفًا بالمراباةِ ومع ذلك كان فيه تجَبُّرٌ على الناس حتى إنه كان مرَّةً في موكبٍ وهو راكبٌ بَغلَةً فرأى امرأةً أعجبَته وزوجُها رجلٌ مسكين ضعيفٌ فأخذها منه قهرًا ثم مات هذا الرجُل فصار يطلع مِن قبرِهِ الدخانُ فصار أهلُه يجمعون له المشايخ فقال لهم بعض المشايخ استسمحوا له الناسَ الذينَ كان يأخذُ منهم الربا فصاروا يدورون على الناس ويقولون لهذا سامح فلانًا ولهذا ولهذا وكثيرٌ من الناس يقرؤون له القرءان على القبر ثم بعد سَبْعَة أيام انقطع هذا الدُّخَان مِن قَبره. وما يَستُره الله أكثرُ إنما يُظهر القليلَ منَ الكثير.

وفي حكم القَرضِ الذي فيه ربا ما يفعَلُه بعضُ الناس باسم التأمين يدفعون مبلغًا معيَّنًا إلى شركة في أوقاتٍ معيّنة على شرط أنه إن أصابه في نفسه أو في سيارته حوادثُ تكَلّفُه صرفَ مالٍ تكفيه الشركة هذا الصرفَ وهو ليس معلومًا عنده ماذا يحصل له من إصابات في المستقبل هذا يُعتَبر قرضًا لأنَّه ليس هِبَةً ولا بيعًا ولا شراءً ولا صدقةً ولا إباحةً ولا هدِيةً فإذًا هو قَرضٌ محرَّم فاسدٌ يُعتَبر من ربا القَرض لأنه شرَطَ ما فيه منفعةٌ لنفسه لأنّه يَخشى إن لم يفعَل هذا أن يتكلف غراماتٍ في المستقبل. ومثلُ هذا ما يسميه بعض الناس بالجمعية فيجتمع عددٌ من الأشخاص

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب البيوع: باب فيمن باع بيعتين في بيعة (٣٤٦١).

(٢) لو باع شخص ءاخرَ شيئًا بثمن في الذّمة وعندما حان الأجل باعه الدَّين الذي له عليه لأجَل قبل أن يقبِضه منه لا يصحُّ. والقفيز مكيال من البُرّ.

ويتفقون على أن يدفع كل منهم مبلغًا في كل شهر مثلًا ثم يعطى المجموع لواحدٍ منهم وهكذا يديرون فإن هذا أيضًا قَرضٌ جَرَّ منفَعةً فإن كلًا منهم لم يدفع إلا وهو يطمع بأخذ مال الجميع مجموعًا وأن يصله الدور.

وأما حديث ابن ماجه والحاكم[1] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «**الربا ثلاثةٌ وسبعون بابًا أيْسَرُها مِثلُ أن ينكحَ الرجلُ أمَّه، وإن أربى الرِبا عِرْضُ الرّجلِ المسلم**» فلا يصحُّ معنًى اهـ.

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه مختصرًا إلى قوله: «بابًا»: كتاب التجارات: باب التغليظ في الربا، قال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢/ ٢٣): «هذا إسناد صحيح»، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧) واللفظ له وصححه وأقره الذهبي.

١٧- قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة آل عمران]

الشرح: يجب الاعتقاد أن الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء فلا مغالب له ولا يعجزه أمر وكل شيء عليه يسير وأنه سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى أحد ولا إلى استعانة بغيره فهو غني عن العالمين مستغن عن كل ما سواه مفتقر إليه كل من عداه فلا يحتاج ربنا إلى معين ولا إلى وزير ولا إلى مشير لأنه سبحانه قال: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [سورة آل عمران]، وقال جلّ جلاله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾، وأما قوله عزّ وجل إخبارًا عن الحواريين المؤمنين المسلمين من أتباع عيسى المسيح النبي الرسول المؤمن المسلم عليه الصلاة والسلام أنهم قالوا ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ أي أعوان دينه أنصار دينه وليس معنى الآية الكريمة أنهم ينفعون الله بشيء أو يعينونه على شيء فهذا إلحاد وكفر صراح بَواح.

فيكفر من ينسب لله تعالى الأعوان لأنه جعل الله عاجزًا محتاجًا كخلقه، ولم يرد في القرءان ولا في السنة النبوية الثابتة الصحيحة ولا في إجماع الأمة الإسلامية نسبة الأعوان إلى الله، وفي نسبة الأعوان إلى الله تكذيب لقول الله عزّ وجل: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٧٤﴾﴾.

قال المفسر محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرءان ما نصه[1]: «قال الحواريون نحن أنصار الله أي أنصار نبيه ودينه. والحواريون أصحاب عيسى عليه السلام وكانوا اثني عشر رجلًا» اهـ.

قال المفسر أبو حيان الأندلسي في كتابه البحر المحيط في تفسير هذه الآية ما

(١) الجامع لأحكام القرءان (طبعة دار الفكر المجلد الأول ص٩١).

نصه: «﴿ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ أي: أنصار دينه وشرعه والداعي إليه.

﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ لما ذكروا أنهم أنصار الله، ذكروا مستند هذه النسبة، وهو الإيمان بالله» اهـ.

١٨- **قال تعالى:** ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [سورة النساء]

الشرح: قال ابن الجوزي في تفسيره: قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ سبب نزولها أن مقيس بن صبابة وجد أخاه هشام بن صُبابة قتيلًا في بني النجار وكان مسلمًا، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فأرسل رسول الله رسولا من بني فهر، فقال له: «**ائتِ بني النجار فأقرئهم مني السلام، وقل لهم: إن رسول الله ﷺ يأمركم إن علمتم قاتل هشام فادفعوه إلى مقيس بن صبابة وإن لم تعلموا له قاتلًا فادفعوا إليه ديته**» فأبلغهم الفهر ذلك، فقالوا «والله ما نعلم له قاتلًا، ولكنا نعطي ديته فأعطوه مائةً من الإبل ثم انصرفا راجعين إلى المدينة، فأتى الشيطان مقيس بن صُبابة فقال: تقبل دية أخيك فيكون عليك سُبَّة ما بقيتَ اقتل الذي معك مكان أخيك فرمى الفهريّ بصخرة فشدخ رأسه ثم ركب بعيرًا منها، وساق بقيتها راجعًا إلى مكة. فنزلت هذه الآية، ثم أهدر النبي ﷺ دمه يوم الفتح فقتل، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والصواب في تفسير هذه الآية أنها تحمل على من قتل مسلمًا مستحلًّا لقتله، وما سواه فهو تكلف لا معنى له.

١٩- قال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ [سورة النساء]

الشرح: وروَى الحَافِظُ أبُو نُعَيْم[١] عن ابنِ أخي الزُّهْرِيّ عن عمّه الزُّهريّ أنّ عُمرَ بنَ الخطابِ كان يُحبُّ قصيدةَ لَبِيدِ بنِ رَبِيعَةَ التي مِنها هذِه الأبْياتُ وهيَ: [الرمل]

إِنَّ تَـقْـوى ربّـنَـا خَـيرُ نَـفَـل[٢] وبِـــإذنِ اللَّه رَيْـــثِي وعَـجَـلْ

أحمَـــدُ اللَّه فَـــلا نِـــدَّ لَـهُ بـيَـدَيْـهِ الخَـيرُ مـا شَـاءَ فَـعلْ

مَـنْ هَـدَاهُ سُـبُـلَ الخَـيْرِ اهـتَـدى نـاعِـمَ الـبَـالِ ومَـنْ شَـاءَ أضَـل

ومَعنى قولِه «إِنَّ تَقْوى ربّنا خَيرُ نفَل» أي خَيرُ ما يُعطاه الإنسانُ.

وشرح هذه الأبياتُ من بَحرِ الرَّمَلِ وقد كان عمرُ يُعجبُ بها لما فيها من الفوائدِ الجليلة.

فقولُه: «إن تقوى رَبّنا خيرُ نَفَل» أي أنَّ تقوى الله خيرُ ما يُؤتاهُ الإنسانُ وخيرُ ما يُعطَاهُ، والتَّقوى كلمةٌ خفيفةٌ على اللسانِ لكنها ثقيلةٌ في العملِ لأنها أداءُ ما افترضَ الله على العبادِ واجتنابُ ما حَرَّمَ عليهم وهذا أمرٌ ثقيلٌ.

ومَعْنى قَولِه «وبإذن الله رَيْثي وعَجَل»، أي أَنّه لا يُبطِئ مُبْطِئ ولا يُسْرِعُ مُسْرِعٌ إلا بمشِيئَةِ الله وبإذنِه.

ومعنى ذلك أنه لا يُبطئ مبطئ ولا يُسرعُ نشيطٌ في العملِ إلا بمشيئَةِ الله وإذنِهِ، أي أن الله تبارك وتعالى هو الذي يَخلُقُ في العبدِ القوَّةَ والنَّشاطَ للخيرِ، وهو الذي

---

(١) حلية الأولياء (٣/ ٣٦٩ - ٣٧٠).

(٢) النَفَل هنا معناه العطية فتقوى الله خير ما يُعطاه الإنسان، قال الفيومي في المصباح (ص/ ٢٣٦): «النَّفَلُ الغنيمة قال إن تقوى ربنا خير نفل أي خير غنيمة والجمع أنفال».

يخلُقُ فيه الكسلَ والتَّوانيَ عن الخير، أي أن الخيرَ والشرَّ اللذَين يحصلانِ مِن الخلقِ كلٌّ بخلقِ الله تعالى ومشيئتِهِ.

وقَوْلِه «أحْمَدُ الله فَلا نِدَّ لَهُ»، أيْ لا مِثْلَ له. وقولِه «بيديه الخَيْرُ»، أيْ والشَّرُّ.

ثم إن الله تعالى هو مالكُ الخيرِ ومالكُ الشَّرّ لا خالقَ للخيرِ والشَّرّ من أعمالِ العبادِ إلا الله، ليسَ العبادُ يخلقونَهُ ولا النُّورُ ولا الظُّلمةُ يخلقانِ ذلك كما قالت المَانويَّةُ وهم قومٌ يقولونَ النّورُ والظُّلمةُ قديمانِ أزليَّانِ ثم تمازَجَا فحدَثَ عن النورِ الخيرُ وعن الظُّلمةِ الشرُّ وقد كذَّبهم المتنبّي الشَّاعرُ في قوله: [الطويل]

وكَم لظَلامِ الليلِ عِنْدِيَ مِنْ يَدٍ تُخَبِّرُ أنَّ المَانَوِيَّةَ[1] تَكْذِبُ

المعنى أن إسناد خلق الشرور كلّها إلى الظلام وتجريد الظلام من نفع وفائدة هذا كذب، الليلُ فيه منافع كما أن نور النهار فيه منافع. وإنما اقتصر لبيدُ بن ربيعة رضي الله عنه على ذِكرِ الخيرِ دون الشَّرّ اكتفاءً بذكرِ الخيرِ عن ذكر الشَّرّ لأنه معلومٌ عند أهلِ الحقّ أن الله خالقُ الخيرِ والشَّرّ وعلى هذا اتَّفَقَ أهلُ الحقّ، فإيمانُ المؤمنين وطاعاتُهم وكفرُ الكافرين كلٌّ بخلقِ الله تعالى ومشيئتِهِ، إلا أن الخيرَ الإيمانَ والطَّاعةَ بخلقِ الله ومشيئتِهِ ورضاهُ والشرَّ أي الكفرَ والمعاصيَ بخلقِ الله يحصُلُ من العبادِ لا برضاهُ بل نهاهم عن ذلك، وهو الله سبحانه وتعالى فعَّالٌ لما يريدُ لا يُسأَلُ عما يفعلُ. ولا يجوزُ قياسُ الخالِقِ على الخَلقِ كالذي يقولُ كيف يكونُ خالق الشَّرّ فينا ثم يحاسبُنا في الآخرةِ على الشَّرّ فقد قاسَ الخالقَ على الخَلقِ وذلك ضلالٌ بعيدٌ، لا يتمُّ أمرُ الدّين إلا بالتَّسليمِ لله فمن سَلَّم لله سَلِمَ ومن تَرَكَ التَّسليمَ له فاعتَرَضَ لم يَسلَم.

فإن قيلَ أليسَ الله تبارك وتعالى قال ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ اقتصرَ على ذكرِ الخيرِ ولم يَقُل والشَّرُ فكيف يجوزُ أن يقالَ إنه خالقُ الخيرِ والشرّ فالجواب في مواضعَ أخرى

(١) المانوية يقال لهم أيضًا الثَّانَوية وهم طائفة مِن المجوس.

من القرءانِ ما يفيدُ أن الله تعالى خالقُ كلّ شيءٍ، والشّيءُ يشمَلُ الخيرَ والشرَّ قال الله تبارك وتعالى لنبيّه محمّدٍ ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة ءال عمران] فَعَلِمنا من قوله تعالى ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴿٢٦﴾ ﴾ أنه هو خالقُ الخيرِ والشرّ لأنه هو الذي ءاتى أي أعطَى المُلكَ للملوكِ الكفرةِ كفرعونَ والملوكِ المؤمنينَ كذي القرنين، فليس في تَركِ ذكرِ الشرّ مع الخيرِ في قوله تعالى ﴿ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُ ﴾ دليلٌ على أن الله تعالى لَيسَ خالقًا للشّرّ، وهذا عندَ علماءِ البيانِ يُسمَّى الاكتفاءَ أي تركَ ذِكرِ الشيءِ للعلمِ به بذكر ما يقابله.

وأما قولُه تعالى ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ ﴿٧٩﴾ ﴾ [سورة النساء] فالحسنةُ معناها هنا النّعمةُ، والسَّيّئةُ هنا معناها المصيبةُ والبليَّةُ، فمعنَى الآية ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴿٧٩﴾ ﴾ أي ما أصابَك أيها الإنسان من نعمةٍ فمن فضلِ الله عليكَ ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ ﴿٧٩﴾ ﴾ أي وما أصابَكَ أيها الإنسان من مُصيبةٍ وبليَّةٍ فمن جزاءِ عملِكَ، أعمالُ الشرّ التي عملتَهَا نجازيكَ بها بهذه المصائبِ والبلايا، وليس المعنى أنكَ أنتَ أيها الإنسانُ تَخلُقُ الشَّرَّ فالعبدُ لا يخلُقُ شيئًا لكن يكتسبُ الخيرَ ويكتسبُ الشَّرَّ والله خالقهما في العبدِ. وهذا التقريرُ معروفٌ عند كثيرين، وهناكَ تقريرٌ ءاخرُ للآية ينبغي أن يؤخَذَ بهِ ويُترَكَ التقريرُ السابِقُ وهو أن معنَى قولهِ تعالى ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴿٧٩﴾ ﴾ محكيٌّ عن المشركينَ بتقدير محذوفٍ وهو «يقولون أو قالوا» فيكونُ التقديرُ يقولونَ أو قالوا لمحمدٍ ما أصابَكَ من حسنةٍ أي نعمةٍ فمنَ الله وما أصابَكَ مِن سيئةٍ أي مصيبةٍ فمنك يا محمدُ أي من شؤمِكَ، وهذا التقريرُ خالٍ عن الإشكالِ بخلافِ الأولِ فإن فيه إشكالا، وقد قال هذا التقريرَ علماءُ منهم السيوطيُّ الشافعيُّ والقونويُّ الحنفيُّ[1].

وإنَّما اقتَصَرَ على ذِكر الخَير من بابِ الاكتِفاءِ كقَولِه تعالى ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ

(١) القلائد شرح العقائد (ص/ ٢٩٩ - ٣٠٠).

﴿ٱلْحَرَّ ﴿٨١﴾﴾ [سورة النحل] أي والبردَ لأن السَّرابيلَ تقي منَ الأمرينِ ليسَ منَ الحَرّ فقط.

هذا في لغةِ العربِ يقالُ له أسلوبٌ من أساليبِ البلاغَةِ باللغةِ العربيةِ عند الفصحاءِ البُلغَاءِ وهو أن يُذكَرَ أحدُ الشيئين الداخلَين تحتَ حكمٍ واحدٍ اكتفاءً بأحدِهما عن ذكرِ الآخرِ كما في قوله تعالى ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة ءال عمران] فليس المعنَى أنه قادرٌ على الخيرِ فقط وليس قادرًا على الشَّرّ، وكما في قوله تعالى ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴿٨١﴾﴾ [سورة النحل] السَّرابيلُ هي القمصانُ، فقمصانُ الحديدِ الدُّروعُ التي تُلبَسُ في الحربِ هذه تقي من السّلاحِ، الله تعالى يمتنُّ علينا بأنه خَلَقَ لنا هذا وهذا، خلق لنا سرابيلَ تقينا الحَرَّ أي والبردَ وسرابيلَ أي قمصانًا أي أدراعًا من حديدٍ تقيكم بَأسَكُم أي السّلاح.

ومعنى قولِه «ما شَاءَ فَعَل» أي ما أرادَ الله حُصولَهُ لا بُدَّ أن يَحصُلَ وما أرادَ أن لا يَحصُلَ فَلا يَحْصُلُ.

وقولِه «من هَداهُ سُبُلَ الخَيْرِ اهتَدَى» أي من شَاءَ الله له أن يكونَ على الصّراطِ الصَّحيحِ المستَقيمِ اهتَدَى.

وقولِه «ناعِمَ البالِ» أي مُطمئنَّ البَالِ. وقولِه «ومَنْ شاءَ أضَلّ» أي مَن شَاءَ له أن يكونَ ضَالا أضَلَّهُ.

ومعنى هذا البيت أن الله تبارك وتعالى من هَدَاهُ سُبُلَ الخيرِ أي من شَاءَ له في الأزلِ أن يكونَ مهتديًا على الصراطِ الصَّحيحِ المستقيمِ فلا بُدَّ أن يكونَ مهتديًا أي على دينِ الله تبارك وتعالى وعلى تقواهُ.

وقولُه: «ناعمَ البالِ» أي مطمئنَّ البالِ للإيمانِ بالله تعالى وبما جاءَ عن رسولِهِ.

وقولُه: «ومن شاءَ أضل» أي أن الله تبارك وتعالى من شَاءَ في الأزلِ أن يكونَ ضالا

أضلَّهُ أي خَلَقَ فيه الضَّلالَ، وهذا الكلامُ من أصولِ العقائدِ التي كان عليها الصحابةُ ومن تَبِعَهُم بإحسانٍ. فمن شاءَ الله له الهدايةَ لا بدَّ أن يهتديَ الله يلهمُهُ الإيمان والتُّقى فيهتدي باختيارهِ لا مجبورًا، وأما من شَاءَ الله تعالى في الأزلِ أن يكونَ على خلافِ ذلكَ أي أن يكونَ ضالا كافرًا أضلَّهُ الله تبارك وتعالى أي جعلَهُ كافرًا فيختارُ هذا العبدُ الكفرَ. فَلِمَا في هذهِ الأبياتِ من التَّوحيدِ الخالصِ كان يُعجَبُ بهنَّ عمر بن الخطَّابِ رضي الله عنه فلتُحفظ فإنهن من جواهرِ العلمِ في أصولِ العقيدةِ.

ولا التفاتَ إلى ما يقولُهُ بعضُ الناس: «الله ما خلقَ الشرَّ» فلتُحذَر وليُحَذَّر منها، فيجبُ تعليمُ الأطفالِ أن الله خالقُ الخيرِ والشَرّ ولكن يحبُّ الخيرَ ولا يحبُّ الشرَّ والله لا يُسأَل عما يَفعل.

وروى البيهقيُّ عن الشافعيّ أنّه قَالَ حينَ سُئِل عن القَدَرِ: [متقارب تام]

ما شِئتَ كانَ وإن لم أشأ ... وما شئتُ إن لم تَشَأ لم يَكُن

خَلقتَ العبادَ على ما عَلِمتَ ... ففي العلمِ يجري الفَتَى والمُسِن

على ذا منَنْتَ وهذا خَذَلْتَ ... وهذا أَعَنتَ وذا لم تُعِنْ

فمنهم شَقيٌّ ومنهم سَعيدٌ ... وهذا قبيحٌ وهذا حَسَن

فهذه الأبياتُ رواهَا عن الشَّافعي الرَّبيعُ بنُ سليمانَ رضي الله عنه وهو من رواةِ الإمامِ الشافعي رضي الله عنه، وقد فَسَّرَ الشافعيُّ القَدَرَ في هذه الأبيات بالمشيئةِ وهو تفسيرٌ من الإمامِ الشافعي للقَدَرِ على وجهِ البَسطِ والتَّوسُّع، وحاصلُهُ أن الله تبارك وتعالى مُتَّصِفٌ بمشيئةٍ أزليةٍ أبديّةٍ لا تتغيّر كسائرِ صفاتِهِ لا يطرأُ عليها الزّيادةُ والنُّقصانُ، وَجَعَلَ للعبادِ مشيئةً حادثةً تَقبلُ التغيّرَ.

يقولُ الشافعيُّ رضي الله عنه مخاطبًا لله تبارك وتعالى «ما شئتَ» أي يا ربَّنا «كان» أي ما سَبَقَت به مشيئتُكَ في الأزلِ لا بدَّ أن يُوجدَ «وإن لم أشأ» أي وإن لم أشأ أنا أي أنا العبدُ حصولَهُ لأنَّ مشيئةَ الله نافذةٌ لا تتغيّرُ، والمعنَى أن مشيئةَ العبدِ

تابعةٌ لمشيئةِ الله فهي مخلوقةٌ حادثةٌ فكلُّ مشيئةٍ في العبادِ حَصَلت فإنما حَصَلت فينا لأن الله تعالى شاءَ في الأزلِ أن نشاءَ فتنفَّذَت مشيئةُ الله تعالى فينا أن نشاءَ، ثم مرادُنا الذي تَعَلَّقت به مشيئتُنَا لا يَحصُلُ إلا أن يشاءَ الله حصولَ هذا المراد وتحقُّقَهُ.

فمشيئةُ الله نافذةٌ لا محالةَ لأنه لو كانَ لا يتحقَّقُ شيءٌ من مُرَادَاتِ الله تعالى أي مما شاءَ الله تعالى أن يَتحقَّقَ ويَحصُلَ لكان ذلك عجزًا والعجزُ مستحيلٌ على الله، لأن من شأنِ الإلـهِ أن تكونَ مشيئتُهُ نافذةً في كلّ المراداتِ من خصائصِ الإلـه أن تكونَ مشيئتُهُ نافذةً لا تَتَخَلَّفُ أي لا بدَّ أن يَحصُلَ ما شاءَ الله دخولَهُ في الوجود، فيجبُ عقلًا وشرعًا نفاذُ مشيئةِ الله تبارك وتعالى أي تحقُّقُ مقتضاها.

قالَ رضي الله عنه: «وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن» معناه إن أنا شئتُ حصولَ شيءٍ بمشيئتي الحادِثَةِ إن أنت يا ربّي لم تشأ حصولَهُ بمشيئتِكَ الأزلية لا يحصل لأن مشيئةَ الله أزليّةٌ نافذةٌ لا تَتَخَلَّفُ وأما مشيئةُ العبدِ فحادثةٌ منها ما هو نافذٌ ومنها ما هو غيُر نافذٍ أي منها ما يتحقَّقُ ومنها ما لا يتحقَّقُ.

ومعنى قوله رضي الله عنه: «خلقتَ العبادَ على ما علمتَ» أن الله تبارك وتعالى يُبرزُ عبادَهُ من العدمِ إلى الوجودِ على حسبِ ما سَبَقَ في علمِهِ الأزليّ لا على خلافِ علمه الأزليّ لأن تَخَلُّفَ العلمِ في حقّ الله تعالى مستحيلٌ يجبُ تنزيهُ الله عنه.

وقوله رضي الله عنه: «ففي العلمِ يجري الفتى والمسنّ» في هذا الكلام حكمةٌ كبيرةٌ أي أن سَعيَ الفتى أي الشَّابّ والمُسنّ أي العجوزِ كلٌّ سعيُهُ في علمِ الله تبارك وتعالى أي لا يخرُجُ عن علمِ الله، هذا الفتى الذي هو ذو قوّةٍ ونشاطٍ وهذا المُسنُّ الذي هو ذو عجزٍ وضعفٍ كلٌّ منهما لا يَحصُلُ شيءٌ منه من الحركاتِ والسَّكناتِ والنَّوايا والقصودِ والإدراكاتِ إلا على حَسَبِ علمِ الله الأزليّ، كلٌّ منهما في العلمِ يجريانِ أي يتقلَّبَانِ على حسبِ مشيئةِ الله الأزليّةِ، ويعملانِ على حسبِ علمِ الله الأزليّ ويتصرَّفانِ ويسعيانِ على حسبِ علمِ الله الأزليّ.

قال رضي الله عنه: «على ذا مَنَنتَ وهذا خَذَلت» أي هذا مَنَنتَ عليهِ أي وَفَّقتَهُ

للإيمانِ والهُدَى والصَّلاحِ وعُلوّ القدرِ في الإيمانِ، ومعنى توفيقِ الله لعبدِهِ أي يجعلهُ يصرفُ قدرتهُ واختيارهُ إلى الخيرِ، ومعنى «وهذا خذلتَ» أي وهذا ما وَفَّقتَهُ فلم يهتد للحقّ ولم يقبَل الحَقَّ، ومعنى خِذلان الله لعبدِهِ أي يجعلُهُ يصرفُ قدرتهُ واختيارهُ للشَّرّ.

قال رضي الله عنه: «وهذا أعنتَ وذا لم تُعِن» أي هذا أعنتَهُ على الأعمالِ التي تُرضيكَ والآخرُ ما أعنتَهُ على ما يُرضيكَ.

وليس معنى قول الشافعي: «وهذا أعنتَ وذا لم تُعِن» أن الله لا يُعينُ على الشَّر وإنما يُعينُ على الخيرِ فقط، فأهلُ السنة متفقونَ على أن الله هو المعينُ على الخيرِ وهو المعينُ على الشر، والإعانةُ التمكينُ أي أن الله هو الذي يُمَكّنُ العبدَ لفعلِ الخيرِ وهو الذي يمكّنهُ لفعلِ الشَّر، صرحَ بذلك إمامُ الحرمين[1] وأبو سعيد المتولي[2] قبلَهُ والشيخُ محمدُ الباقر النقشبنديّ والأميرُ الكبيرُ المالكيُّ صاحب المجموع[3] وقد جَهِلَ هذا الاعتقادَ الحقَّ الضروريَّ بعضُ جهلةِ النقشبنديةِ في هذا العصرِ.

قال رضي الله عنه: «فمنهم شقيٌّ ومنهم سعيدٌ، وهذا قبيحٌ وهذا حَسَن» المعنى أن مَن شاءَ الله له أن يكونَ شقيًّا أي من أهلِ العذابِ الأليمِ كان كذلك، ومن شاءَ الله له أن يكونَ سعيدًا من أهلِ النّعيمِ المقيمِ كان كذلك.

وليُعلَم أن كتابَ الشَّقَاءِ والسَّعادةِ ثابتٌ لا يُغَيَّرُ ولا يدخلُهُ التَّعليقُ وإنما الذي يَتَغَير بمشيئة الله ما كانَ من نحو الرّزقِ والمصيبةِ.

فالدُّعاءُ ينفعُ في الأشياءِ التي هي مما سوى السَّعادةِ والشقاوةِ لأن السعادةَ والشقاوةَ هذا شيءٌ لا يدخلهُ التعليقُ لأن السعادةَ هي الموتُ على الإيمانِ والشقاوةَ هي الموتُ على الكفر، فمن عَلِمَ الله أنه يموتُ على الإيمانِ لا يتبدَّلُ ذلكَ، ومن

---

(١) الإرشاد (ص/ ١٧٩).

(٢) الغنية (ص/ ١٢١).

(٣) حاشية الأمير (١/ ٧).

عَلِمَهُ يموتُ على الكفر لا يتبدلُ ذلك. فكلا الفريقين يُختَم له على ما كُتِبَ له ولو سبق له التنقل من إيمانٍ إلى كفرٍ أو من كفرٍ إلى إيمانٍ مراتٍ عديدة.

أما السعادةُ الدّنيويّةُ فَتَبَدَّلُ وقد يدخلُهَا التَّعليقُ بأن يكونَ كُتِبَ في صحفِ الملائكةِ إن دَعَا بكذا أو تصدَّقَ بكذا أو وَصَلَ رَحِمَهُ أو برَّ والديهِ يَنَالُ كذا وإن لم يفعل ذلك لا يَنالُ ذلكَ الشيء. السعادةُ الدنيويةُ هي كالبيتِ الواسِعِ والمركَبِ الهنئ والزوجةِ الصالحةِ والجارِ الصَّالحِ هذه الأمورُ الأربعةُ هي من السّعادةِ الدنيويةِ كما جاءَ ذلكَ في الحديثِ الذي رواه الحافظ ضياءُ الدين المقدسيُّ[1].

فتبيّنَ بهذا أنَّ الضّميرَ في قولِه تعالى ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ﴿٩٣﴾﴾ [سورة النحل] يعودُ إلى الله لا إلى العبد كما زعمت القَدريّةُ بدليلِ قولِه تعالى إخبارًا عن سيّدنا موسى ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُ ﴿١٥٥﴾﴾ [سورة الأعراف].

فسيدنا موسى عليه السلام لما ذَهَبَ لميقاتِ ربّه أي لمناجاة الله أي لسماعِ كلامِ الله الأزلي خَلَّفَ على قومِهِ أخاهُ هارونَ وكان نبيًّا، ثم قَضَى أربعينَ ليلةً ثم عادَ إليهم فوجدَهم قد عبدوا العِجل إلا بعضًا منهم وذلك بعد أن اجتازَ بهم البحرَ ورأوا هذه المعجزةَ الكبيرةَ وهي انفلاقُ البحرِ اثني عشر فِرْقًا كل فِرقٍ كالجبلِ العظيم وأنقذَهُم من فرعونَ، فتنهم شخصٌ يُقالُ له موسى السَّامري فقد صاغَ لهم عِجلًا مِن ذهبٍ ووضعَ فيه شيئًا من أَثَرِ حافرِ فرسِ جبريلَ لأنه عندما أرادَ فرعون أن يَخوضَ البحرَ كانَ جبريلُ على فرسٍ، هذا الخبيث رأى موقفَ فرس جبريل فأخذَ منه شيئًا ووضعَهُ في هذا العجلِ المصوَّرِ من ذهبٍ فأحيا الله تعالى هذا العِجلَ فصارَ يَخورُ كالعجلِ الحقيقي خلقَ الله فيه الحياةَ فقال لهم السّامريُّ: هذا إلهكم وإلهُ موسى، حَمَلَهم على عبادةِ هذا العجل فَفُتنوا فعَبَدوا هذا العجلَ، فلما أُخبِرَ سيدنا موسى بذلك اغتاظَ على هؤلاءِ اغتياظًا شديدًا ثم أخذَ هذا السّامري فقالَ له سيدنا موسى ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ

(١) الأحاديث المختارة (٣/ ٢٤٠ - ٢٤١).

﴿ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾[1] [سورة طه].

ثم اختارَ موسى وجرَّدَ من قومِهِ سبعينَ شخصًا ليأخذَهم للتَّضرّعِ إلى الله تعالى فأخذتهم الرَّجفةُ أي اهتزَّت بهم الأرضُ فقال موسى متضرّعًا إلى الله ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَّ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّا ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [سورة الأعراف].

معناهُ هذا الأمر الذي حَدَثَ بقومي من عبادتهم العجلَ فِتْنتُكَ أي امتحانٌ وابتلاءٌ منكَ، تُضلُّ بها من تشاءُ وتهدي من تشاءُ أي يا ربّي أضللتَ بها قِسمًا وهديتَ قسمًا. وقد ضلَّ عن معنى هذه الآية أناس يدّعون العلم فقالوا في قوله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ ﴿٣١﴾﴾ [سورة المدثر] أي إن شاء العبدُ الضلالة يضله الله لأنهم يعتقدون أن الله ما شاء ضلالة مَن ضل إنما هم شاءوا والله شاء لهم الهداية، فجعلوا مشيئةَ الله مغلوبةً حيث إنها لم تتنفذ على قولهم ومشيئة العبد جعلوها نافذة فجعلوا الله مغلوبًا والله غالب غير مغلوب. وعقيدتهم هذه تنقيصٌ لله تعالى فليعلموا ذلك. ومن هؤلاء في هذا العصر فرقة نبغت في دمشق وهم جماعة أمين شيخو كان لا يُحسن العربية ولا علم الدين انتسب للطريقة النقشبندية على يد شيخ صالح ولم يسبق له تعلم علم العقيدة ولا الأحكام إنما كان شرطيًّا أيام الاحتلال الفرنسي فتبعه أناس جهال لم يتلقوا علم الدين وإن كان بعضهم تلقى العلوم العصرية فضلوا وأضلوا، منهم رجل يقال له عبد الهادي الباني ومنهم رجل من ءال الخطيب عمل تفسيرًا فصار

(١) سيدنا موسى عليه السلام قال لهذا السامري ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾ في مقام التوبيخ ليس في مقام الإثبات في مقام التحقير في معرض الإهانة معناه أنت اتخذته إلهًا وهو ليس إلهًا.

يفسر بعض ءايات المشيئة بهذا الاعتقاد الفاسد[1].

فائدةٌ: قال بعضُ العلماءِ: اليهودُ مشتقٌّ ومأخوذٌ من قولِ قوم موسى ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي رجعنا إليكَ يا الله[2] وهذا لا ينطبق إلا على الذين كانوا مؤمنين به وبشريعته على ما هي عليه أما هؤلاء أخذوا الاسم وهم ليسوا على شريعة موسى وذلك منذ كفروا بعيسى وأما ابتداء تحريفهم للتوراة فيحتمل أن يكون قبل مجيء عيسى لكن زادوا في التحريف بعد مجيء عيسى عليه السلام.

(١) ومنهم محمد راتب النابلسي الدمشقي فإنه ذكر هذه العقيدة الفاسدة في كتابيه «نظرات في الإسلام» و«تأملات في الإسلام».

(٢) وقال بعضهم: إنما سموا اليهود لتهوّدهم أي تمايلهم عند قراءة التوراة.

٢٠- قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ ﴾ [سورة النساء]

التفسير: يجب الاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى موجود أزلا وأبدا بلا مكان فهو لا في جهة واحدة ولا في كل الجهات وليس حالًا في الأماكن وليس محيطًا بالعالم كما يحيط قشر البيضة بما فيها ولا كما تحيط قشرة البرتقالة بما فيها، فهذا لا يقوله مسلم مؤمن، بل هو من كلام المشبهة المجسمة كالألباني الذي قال في تعليقه على مختصر الترغيب والترهيب للمنذري «إن الله يحيط بالعالم كما تحيط الحقة بما فيها»، وهذا تشبيه لله بخلقه صريح، فالله سبحانه وتعالى ليس حجما كثيفا وليس حجما لطيفا، وأما تفسير الآية الكريمة فهو أن الله تعالى محيط بكل شيء علمًا، فهو عالم بكل شيء لا تخفى عليه خافية، فعلمه علم واحد شامل لكل الأشياء لا يتجدد ولا يتبعض ولا يتغير ولا يزيد ولا ينقص بدليل قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾سورة الطلاق آية ١١، فالإحاطة هنا بالعلم وليس ذاته هنا وهناك وفي كل مكان يحاصر العالم والكون فهذا إلحاد وزندقة وكفر صريح.

وإن قالت المشبهة المجسمة «إنا نأخذ بالظاهر ولا نؤول» يرد عليهم بقول الإمام الحافظ الشيخ عبد الله الهرري الحبشي في كتابه الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم ص٢٧٠ من طبعة دار المشاريع الطبعة الثامنة سنة ١٤٣٤هـ ٢٠١٣مـ: «إن قالت المشبهة المجسمة لنا ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ نأخذ بظاهره فنقول إنه هناك ونثبت أنه ساكن على العرش قاعد عليه أو مستقر» قلنا لهم «الله تعالى قال أيضًا ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴿٤﴾ ﴾ وقال ﴿ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾ ﴾ فنحن على زعمكم إذا أخذنا بظاهر هاتين الآيتين كما أنتم أخذتم بظاهر استوى فقلتم «ساكن فوق» فيكون الله تعالى على كلامكم معنا وعلى العرش ومحيطا بنا وبالعالم هكذا كالدائرة فهل هذا يصح عندكم؟ فإن حملتم أنتم تلك على ظاهرها ونحن حملنا هاتين الآيتين على ظاهرهما الله

على زعمكم يكون بذاته فوق العرش ويكون بذاته مع كل شخص في الأرض ويكون كالدائرة المحيطة بما فيها فماذا تقولون؟ فليس لهم جواب فهل يصح في العقل أن يكون الله بذاته فوق وهو بذاته مع كل شخص لأن ظاهر قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴿٤﴾﴾ أنه مع هذا بذاته ومع هذا ومع هذا، وظاهر قول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾ أن يكون هو كالدائرة تحيط بما فيها بما في ضمنها، فهذا لا يعقل أي أن يكون الشيء الواحد في أماكن متعددة بذات واحد.

قال الإمام القشيري رحمه الله: «والواحد يستحيل أن يكون بذاته في حالة واحدة بكل مكان». فالشيء الواحد بعينه لا يصح في العقل أن يكون في كل مكان، أما ما يقوله الصوفية «إن الولي يكون له شبح مثالي» أي غير الجسم الأصلي فلا يحيله العقل لأنهم لا يقولون الذات الذي هنا بعينه هناك، إنما يكون مثاله» اهـ.

قال المفسر الحسين بن مسعود البغوي في تفسيره «معالم التنزيل» ما نصه[1]: «قوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾ أي: أحاط علمه بجميع الأشياء» اهـ.

وقال المفسر محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي في تفسيره «الجامع لأحاكم القرءان» مانصه[2]: «قوله تعالى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾ أي أحاط علمه بكل الأشياء» اهـ.

وقال اللغوي المفسر أبو حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط ما نصه[3]: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾ أي: عالما بكل شيء من الجزئيات والكليات» اهـ.

---

(١) معالم التنزيل (طبعة دار طيبة المجلد الأول ص٢٩٣).

(٢) الجامع لأحاكم القرءان (المجلد الخامس ص٤٠٢).

(٣) تفسير البحر المحيط (المجلد الثالث ص٣٧٣).

٢١- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [سورة النساء]

التفسير: هو خطاب للمؤمنين وأمر لهم بالثبات على الإيمان وليس معناه أن يسلموا ويدخلوا في الدين الآن لأنهم مؤمنين مسلمين وهذا تأكيد على إيمانهم ووصية لهم بالمحافظة والبقاء عليه إلى الممات لأن الله عز وجل قال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ فهذه الآية الثانية هي معنى الآية الأولى لأنه لو كان المراد بها آمنوا الآن بمعنى ادخلوا في الإسلام ما كان يصح أن يقال لهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ لأن الكافر حال كفره لا يكون مؤمنا فلا يخاطب بالمؤمن وهو على الكفر.

قال المفسر النحوي أبو حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط ما نصه: «والظاهر أنه خطاب للمؤمنين. ومعنى: آمنوا داوموا على الإيمان؛ قاله الحسن وهو أرجح لأن لفظ المؤمن متى أطلق لا يتناول إلا المسلم» اهـ.

وقال الإمام المجدد المجتهد الحافظ عبد الله بن محمد الهرري الحبشي في كتابه الصراط المستقيم ما نصه[1]: «فمعنَى شهادةِ أَنْ لا إلهَ إلا الله إجمالا أعترفُ بلساني وأعتقدُ وأذعن بقلبي أَنَّ المعبودَ بحقٍّ هوَ الله تعالى فقط.

ومعنَى شهادةِ أنّ محمّدًا رسولُ الله أعترفُ بلساني وأُذعِنُ بقلبي أنَّ سيّدنَا محمَّدًا ﷺ مرسَلٌ من عندِ الله إلى كافَّةِ العالمينَ من إنسٍ وجِنّ.

صادقٌ في كلِّ ما يبَلِّغُه عن الله تعالى لِيُؤمِنُوا بشَريعَتِه ويتَّبِعُوه.

(١) الصراط المستقيم (طبعة دار المشاريع الثانية عشرة سنة ١٤٣١هـ ٢٠١٠مـ ص٢١ -٢٢).

والمرادُ بالشّهادتينِ نفيُ الألوهيةِ عمَّا سوَى الله وإثباتُها لله تعالى معَ الإقرارِ برسالةِ سيدِنا محمدٍ ﷺ.

قال الله تعالى ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الفتح].

فهذه الآيةُ صريحةٌ في تكفيرِ من لم يؤمن بمحمدٍ ﷺ فمن نازعَ في هذا الموضوعِ يكونُ قد عاندَ القرءانَ ومن عاندَ القرءانَ كَفرَ.

وأجمعَ الفقهاءُ الإسلاميّونَ على تكفيرِ من دانَ بغيرِ الإسلامِ، وعلَى تكفيرِ من لم يكفِّرْهُ أو شَكَّ أو توقَّفَ كأن يقولَ أنا لا أقولُ إنَّه كافرٌ أو غيرُ كافر.

واعلَم باستيقانٍ أنَّهُ لا يصحُّ الإيمانُ والإسلامُ ولا تُقبلُ الأعمالُ الصالحةُ بدونِ الشهادتينِ بلفظِ أشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وأشهدُ أنّ محمَّدًا رسولُ الله أو ما في معناهما ولو بغَيرِ اللغةِ العربيةِ. ويكفي لصحةِ الإسلامِ النطقُ مرَّةً في العُمُرِ ويبقى وجوبُها في كلِّ صلاةٍ لصِحَّةِ الصَّلاةِ، هذا فيمن كانَ على غيرِ الإسلامِ ثمَّ أرادَ الدخولَ في الإسلامِ.

وأمَّا من نشَأَ على الإسلامِ وكانَ يعتقدُ الشَّهَادتينِ فلا يُشترط في حَقّه النُّطقُ بهما بل هو مسلمٌ لو لَم يَنطِق.

وقالَ ﷺ: «**قالَ الله تَعالى وما تقرَّبَ إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افتَرضتُ عليه**» حديث قدسيٌّ رواه البخاريُّ[1]. وأفضلُ وأوّلُ فرضٍ هوَ الإيمانُ بالله ورسولِه.

واعتقادُ أن لا إلهَ إلا الله فقط لا يكفي ما لَم يُقرن باعتقادِ أنَّ محمدًا رسولُ الله قالَ تعالى ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [سورة آل عمران] أي لا يُحِبُّ الله من تولَّى عن الإيمانِ بالله والرسولِ لكفرهم والمراد بطاعة الله والرسول في هذه الآية الإيمان بهما.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق: باب التواضع.

فهذَا دليلٌ على أنَّ من لم يؤمن بالله ورسولِه محمدٍ ﷺ فهُوَ كافرٌ وأنَّ الله تَعالى لا يُحِبُّه لكُفرِه فمن قالَ إنَّ الله يحبُّ المؤمنينَ والكافرينَ لأنه خلقَ الجميعَ فقد كذَّبَ القرءانَ فيقالُ لَهُ الله خلَقَ الجميعَ لكن لا يُحِبُّ الكُلَّ» اهـ.

٢٢- **قال تعالى:** ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [سورة النساء]

الشرح: ليعلم أن الأجور في هذه الآية هي المهور الحقيقية أي ما يدفع للزوجة مهرًا لها في عقد النكاح فلا يجوز ولا يصح أن تفسر الأجور هنا بمعنى ما يدفع للمرأة التي يتمتع بها بغير عقد نكاح صحيح فلا دليل في الآية الكريمة على إباحة نكاح المتعة بعد أن حرمه الرسول ﷺ إلى يوم القيامة، ومن ادعى ذلك فلا دليل له.

قال الإمام المفسر السلفي محمد بن جرير الطبري رحمه الله في كتابه تفسير الطبري ما نصه: «قال أبو جعفر: يعني بقوله - جل ثناؤه-: ﴿ فَٱنكِحُوهُنَّ ﴾ فتزوجوهن وبقوله: ﴿ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ ﴾ بإذن أربابهن وأمرهم إياكم بنكاحهن، ورضاهم. ويعني بقوله: ﴿ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ وأعطوهن مهورهن، كما: حدثنا يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: ﴿ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ قال: الصداق. ويعني بقوله: ﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ على ما تراضيتم به، مما أحل الله لكم، وأباحه لكم أن تجعلوه مهورا لهن» اهـ.

وقال الحسين بن مسعود البغوي في تفسيره معالم التنزيل ما نصه: «﴿ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ مهورهن» اهـ.

ولزيادة البيان والإيضاح لهذه المسألة مع ذكر أدلة تحريم نكاح المتعة نذكر

هنا ما قاله شيخ الإسلام العلامة عبد الله الهرري الحبشي في كتابه صريح البيان في الرد على من خالف القرءان ما نصه[1]:

بيان أن نكاح المتعة محرم إلى يوم القيامة

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾ [سورة المؤمنون].

فهذه الآية تفيد أن التمتع بها ليست واحدة من المذكورة، أما إنها ليست بمملوكة فظاهر، وأما إنها ليست بزوجة فلأن الزواج له أحكام كالإرث وغيره وهي منعدمة فيها باتفاق من أهل السنة وغيرهم، فلا ميراث فيها ولا نسب ولا طلاق، والفراق فيها يحصل بانقضاء الأجل من غير طلاق، وبهذه الوتيرة أثبت القاضي يحيى بن أكثم كون المتعة بعد تحريم رسول الله ﷺ لها زنا.

وأما قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [سورة النساء] فمعناه مهورهن أي مهور النساء في الزواج الشرعي الذي قال النبي ﷺ فيه[2]: «**لا نكاح إلا بولي**»، فالأجور هنا هي المهور كما ذكر ذلك أهل التفسير[3].

وقال العلامة اللغوي ابن منظور في لسان العرب ما نصه[4]: «وأجر المرأة:

---

(١) صريح البيان في الرد على من خالف القرءان (الطبعة الثالثة طبعة دار المشاريع سنة ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨مـ ص٦٠٠ – ٦٠٨).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب النكاح: باب في الولي، والترمذي في سننه: كتاب النكاح: باب ما جاء لا نكاح إلا بولي، وابن ماجه في سننه: كتاب النكاح: باب لا نكاح إلا بولي، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٩٤).

(٣) تفسير القرطبي (٥/ ١٤٢)، تفسير الرازي (١٠/ ٦٣ – ٦٤)، تفسير الطبري (٤/ ١١)، غريب القرءان للسجستاني (ص/ ٦٨).

(٤) لسان العرب (٤/ ١٠).

مهرها» اهـ. فلا يجوز نكاح المتعة وهو أن يقول: زوَّجتك ابنتي يومًا أو شهرًا لما روى مسلم والبيهقي[1] أن على بن أبي طالب رضي الله عنه لقي ابن عباس رضي الله عنهما وبلغه أنه يرخص في متعة النساء فقال له علي: «إنك رجل تائه» أما علمت أن رسول الله ﷺ نهى عن المتعة وعن لحوم الحُمُر الأهلية» اهـ.

أيضًا لأنه عقد يجوز مطلقًا فلم يصح مؤقتًا كالبيع، ولأنه نكاح لا يتعلق به الطلاق والظهار والإرث وعدة الوفاة فكان باطلًا كسائر الأنكحة الباطلة[2].

قال القرطبي في تفسيره ما نصه[3]: «قال ابن العربي: الذي أجمعت عليه الأمة تحريم نكاح المتعة» اهـ.

وقال النسفي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾ [سورة المؤمنون] ما نصه[4]: «فيه دليل تحريم المتعة» اهـ، وكذا ذكر الرازي في تفسيره[5].

قال النووي الشافعي في روضة الطالبين ما نصه[6]: «النكاح المؤقت باطل سواء قيَّده بمدة مجهولة أو معلومة، وهو نكاح باطل» اهـ.

وفي المدونة[7] للإمام مالك أنه سئل: «أرأيت إن قال: أتزوجك شهرًا يبطل النكاح أم يجعل النكاح صحيحًا ويبطل الشرط؟ قال مالك: النكاح باطل يُفسخ، وهذه المتعة، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ تحريمها» اهـ.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب النكاح: باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نُسخ ثم أبيح ثم نسخ واستقر تحريمه إلى يوم القيامة، سنن البيهقي (٧/ ٢٠١).

(٢) المهذب (٢/ ٢٤٧).

(٣) تفسير القرطبي (١٢/ ١٠٦).

(٤) تفسير النسفي (٣/ ١١٤).

(٥) تفسير الرازي (٢٣/ ٨١).

(٦) روضة الطالبين (٧/ ٤٨).

(٧) المدونة (٢/ ١٦٠).

وقال السرخسي الحنفي في المبسوط ما نصه[1]: «المتعة أن يقول الرجل لامرأته: أتمتع بك كذا من المدة بكذا من البدل، وهذا باطل عندنا» اهـ.

وقال ابن قدامة الحنبلي في المغني ما نصه[2]: «معنى نكاح المتعة أن يتزوج المرأة مدة مثل أن يقول: زوجتك ابنتي شهرًا أو سنة أو إلى انقضاء الموسم أو قدوم الحج وشبهه، سواء كانت المدة معلومة أو مجهولة، فهذا نكاح باطل نص عليه أحمد فقال: نكاح المتعة حرام» اهـ.

فبعد هذه النقول من المذاهب الأربعة ونقل الإجماع على تحريم نكاح المتعة يتبين أن هذا النكاح باطل فاسد.

وأما ما يسميه البعض «زواج المتعة» فالجواب: أنه أخرج الإمام مسلم في كتابه الجامع الصحيح «صحيح مسلم» حديثًا صحيح الإسناد عن النبي ﷺ أنه قال[3]: «**يا أيها الناس إني كنتُ قد أذنتُ لكم في الاستمتاع من النساء وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء فليُخَلّ سبيلهن، ولا تأخذوا مما ءاتيتموهن شيئًا**»، وكتاب صحيح مسلم مشهور بين العلماء وهو أصح الكتب المصنفة في الحديث النبوي بعد كتاب صحيح البخاري فهذان كتابان معتمدان عند المسلمين.

فإن ادعى البعض أنه حديث موضوع مختلق ومكذوب فليثبتوا ذلك عبر دراسة سند الحديث إن هم استطاعوا، أم أنه خفي عليهم أن في علم الحديث النبوي إسنادٌ من جرَّاء دراسته ينكشف الحديث المكذوب من غيره، فالإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء.

---

(١) المبسوط (٥/ ١٥٢).

(٢) المغني (٦/ ٦٤٤).

(٣) صحيح مسلم: كتاب النكاح: باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نُسخ ثم أبيح ثم نسخ واستقر تحريمه إلى يوم القيامة، سنن البيهقي (٧/ ٢٠٣).

والدراسة هذه تؤخذ من كتب الجرح والتعديل التي تتكلم عن رجال السند في الحديث، وبمعرفة أحوال الرواة أي رواة الحديث يُعلم صحة الحديث أو عدم صحته، فهل بعد كل هذا يستطيع أحد أن يثبت لنا عن طريق دراسة السند وأحوال الرواة أن حديث تحريم المتعة مكذوب؟ من استطاع فليفعل ولن يستطيع.

وما رواه مسلم أيضًا في صحيحه[١] من حديث عمرو الناقد وابن نمير قالا: حدثنا سفيان بن عيينه، عن الزهري، عن الربيع ابن سبرة عن أبيه أن النبي ﷺ نهى عن نكاح المتعة. وعن الربيع بن سبرة عن أبيه أن الرسول ﷺ نهى يوم الفتح عن متعة النساء[٢].

قال ابن شهاب: أخبرني عروة بن الزبير أن عبد الله بن الزبير قام بمكة فقال: إن أناسًا أعمى الله قلوبَهم كما أعمى أبصارهم يُفتون بالمتعة يُعَرّضُ برجل فناداه فقال: إنك لَجِلْفٌ جافٍ فلَعمري لقد كانت المتعة تُفعل على عهد إمام المتقين يريد الرسول ﷺ، فقال له ابن الزبير: فجرب بنفسك فوالله لئن فعلتها لأرجمنك بأحجارك.

قال ابن شهاب: فأخبرني خالد بن المهاجر بن سيف الله أنه بينما هو جالس عند رجل جاءه رجل فاستفتاه في المتعة فأمره بها فقال له ابن أبي عَمرة الأنصاري: مهلًا، قال: ما هي؟ لقد فُعِلت في عهد إمام المتقين، فقال ابن أبي عمرة: إنها كانت رخصة في أول الإسلام لمن اضطُر إليها كالميتة والدم ولحم الخنزير ثم أحكم الله الدين ونهى عنها[٣].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب النكاح: باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نُسخ ثم أبيح ثم نسخ واستقر تحريمه إلى يوم القيامة.

(٢) صحيح مسلم: كتاب النكاح: باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نُسخ ثم أبيح ثم نسخ واستقر تحريمه إلى يوم القيامة.

(٣) صحيح مسلم: كتاب النكاح: باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نُسخ ثم أبيح ثم نسخ واستقر تحريمه إلى يوم القيامة.

وروى البخاري ومسلم وابن ماجه وغيرهم[1] عن على بن أبي طالب رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر، وعن لحوم الحُمُرِ الأهلية. وروى مسلم أيضًا[2] أن عمر بن عبد العزيز قال: حدثنا الربيع بن سبرة الجهني عن أبيه أن رسول الله ﷺ نهى عن المتعة وقال: «**ألا إنها حرام من يومكم هذا إلى يوم القيامة ومن كان أعطى شيئًا فلا يأخُذْه**».

وروى ابن ماجه في سننه وغيرُه[3] عن ابن عمر أنه قال: «لما ولي عمر بن الخطاب خطب الناس فقال: إن رسول الله ﷺ أذن لنا في المتعة ثلاثًا ثم حرمها، والله لا أعلم أحدًا يتمتع وهو مُحصَنٌ إلا رجمته بالحجارة إلا أن يأتيني بأربعة يشهدون أن رسول الله أحلها بعد إذ حرمها»، فلا حجة بعد هذا لمن يقول إن أبا بكر وعمر هما حرما المتعة من تلقاء أنفسهما بل رسول الله ﷺ حرمها إلى يوم القيامة.

ومما يؤيد ما ذكرناه ما رواه البيهقي في السنن الكبرى[4] عن الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه أنه قال عن نكاح المتعة: «ذلك الزنا».

وأما كون نكاح المتعة قد أُحل فترة قبل فتح مكة فلأن النساء المؤمنات المسلمات كان عددهن قليلًا وكان الجندي المسلم إذا خرج للغزو مسافة بعيدة تشق عليه العزوبة لكن بعد فتح مكة وقد دخل الناس في دين الله أفواجًا فدخل كثير من نساء العرب في دين الله، ثم نزلت بعد ذلك أحكام الإرث والطلاق في

---

(١) صحيح البخاري: كتاب النكاح: باب نهي رسول الله ﷺ عن نكاح المتعة أخيرًا، صحيح مسلم: كتاب النكاح: باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نُسخ ثم أبيح ثم نسخ واستقر تحريمه إلى يوم القيامة، سنن ابن ماجه: كتاب النكاح: باب النهي عن نكاح المتعة، سنن البيهقي (٧/ ٢٠١).

(٢) صحيح مسلم: كتاب النكاح: باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نُسخ ثم أبيح ثم نسخ واستقر تحريمه إلى يوم القيامة.

(٣) صحيح مسلم: كتاب النكاح: باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نُسخ ثم أبيح ثم نسخ واستقر تحريمه إلى يوم القيامة، سنن ابن ماجه: كتاب النكاح: باب النهي عن نكاح المتعة، سنن البيهقي= = (٧/ ٢٠١)، صحيح ابن حبان، انظر الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٦/ ١٧٥- ١٧٦).

(٤) سنن البيهقي (٧/ ٢٠٧).

القرءان الكريم فلم تدع الحاجة للمتعة فلذا حرم رسول الله ﷺ المتعة إلى يوم القيامة.

وزيادة تفصيل ذلك أن متعة النساء اقتضت الحكمة إباحتها في زمن كان أصل إباحة متعة النساء للحرب والضرورة، فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ حينما يكونون في السفر في بعض أسفارهم للغزوات أي للجهاد في سبيل الله تطول عليهم العزوبة، فأحل الله لهم أن يستمتعوا من النساء تسهيلًا عليهم ورحمة بهم، ثم نزل الوحي السماوي بتحريمها ثم نزل الوحي بإباحتها وذلك في غزوة الفتح ثم نسخ الله تعالى هذا الحكم بعد ثلاثة أيام من دخولهم مكة إلى يوم القيامة فكان الوحي الذي حرمها عام الفتح هو ءاخر ما نزل في متعة النساء. ويدل عليه ما رواه مسلم[1] أن رسول الله ﷺ قال يوم حَرَّمَها: «إني كنت قد أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة».

ثم إن هناك سببًا ءاخر وهو أن الميراث والعدة وأحكام الطلاق لم تكن ترتبت قبل ذلك فلما ترتبت هذه الأحكام بالوحي الذي نزلت به لم يبق داعٍ لضرورة إباحة المتعة.

ثم إن سيدنا عليًّا رضي الله عنه ما عمل المتعة قط ولا مرة لا قبل زواجه بفاطمة رضي الله عنها ولا بعد زواجه بها إلى أن توفاه الله تعالى، وكذا الحسن والحسين وعلي زين العابدين رضي الله عنهم ولا يستطيع أحد أن يثبت ذلك على على أو على أبنائه أنهم عملوا المتعة بعد أن حرمها الرسول ﷺ، ومما يدل على ذلك اعتبار الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه المتعة هي الزنا بعينه كما قدمنا.

تنبيه: ثم إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليس هو من حرمها من قِبَلِ نفسه فلو كان هو فعل ذلك لكان قام عليه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه الذي لا يخاف

---

(١) صحيح مسلم: كتاب النكاح: باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نُسخ ثم أبيح ثم نسخ واستقر تحريمه إلى يوم القيامة.

في الله لومة لائم لأن عليًّا لم يكن من الذين يتركون النطق بالحق خوفًا من الناس بل كان جريئًا لقول الحق، كان ردَّ عليه عليٌّ وغيره من الصحابة لكن بما أن عليًّا نفسه يعتقد أن المتعة حرام بعد تحريم الله تعالى ما أنكر على عمر، فعمر رضي الله عنه ما حرم المتعة من تلقاء نفسه إنما أشاع الحرمة التي حرمها رسول الله في حياته عام الفتح، أشاع هذا لأنه الخليفة فقد صادف أن بعض الناس ظلوا يفعلون المتعة في أيام عمر رضي الله عنه فأراد أن يُعلن هذا الأمر الذي خفي على بعض الناس الذين ما سمعوا أن المتعة حرمها الرسول ﷺ بعدما أحلها.

وقد ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال[1]: «نعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن» معناه أنا أتمنى أن يكون أبو الحسن وهو على حاضرًا عندي عند كل مسألة معضلة، فعمر كان يشتهي إذا وقع في الغلط أن ينبهه علي، فلو كان إظهار عمر لحرمة المتعة باطلًا فما الذي ألجم على بن أبي طالب عن الكلام! وما كان على زوَّج ابنته لرجل يخالف دين الله تعالى ويحرم ما أحل الله، سبحانك هذا بهتان عظيم» اهـ.

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص/ ١٦٠).

٢٣- قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [سورة المائدة]

الشرح: الله تبارك وتعالى حرّم في هذه الآية أشياء وهي:

١- ﴿ٱلْمَيْتَةُ﴾ وهي الّتي زالت حياتها بغير ذكاة شرعيّة ولو بذبحٍ لم يستوفِ شرط الذّبح بأن تموت بمرضٍ أو بذبحِ من لا تحلُّ ذبيحته كالمجوسيّ الذي يعبد النّار والملحِد الذي ينكر وجود الله، فذبيحة هؤلاء ميتة ولو ذبحوا كما يذبح المسلمون بقطع الحلقوم أي مجرى النّفس والمريء أي مجرى الطّعام والشّراب ولو سمّوا الله أو كبّروه فلا تحلّ ذبيحة هؤلاء، ومثل هؤلاء المرتدّ كالذي يسبّ الله أو يستهزئ بالإسلام أو ينكر البعث بعد الموت أو يسبّ الملائكة أو يصفُ اللهَ بالحركة أو السّكون أو الجسم أو الهيئة أو ينسُب لله المكان أو الجهة أو الجهل أو العجز. وكالذي يدوس على المصحف أو يرميه في القاذورات أو يكتب الفاتحة بالبول. فهذا مرتدّ ولا يرجع إلى الإسلام إلا بالنطق بالشهادتين وذبيحته ميتة كالّتي ماتت بمرض ولو نفّذ شروط ذبح المسلمين أي بقطع الحلقوم والمريء، أما المسلم شارب الخمر أو الزاني فذبحه حلال، أما اليهوديّ والنّصرانيّ فتحلّ ذبيحتهما لأنّ هذين أحلّ الله لنا أن نأكل ذبائحهما إن ذبحا بالطريقة الإسلاميّة وقطعا الحلقوم والمريء بشيء له حد كحديد له شفر كالسّكّين أو حجر محدد الطّرف أو قصب جامد أو قزاز -ليس المعنى أنّه إنْ خرقها من جهة إلى جهة أو ما أشبه ذلك- فقد حلّت الذبيحة.

والمرأة المسلمة واليهوديّة والنصرانيّة إذا ذبحت فذبيحتها حلال ولو كانت في الحيض أو النفاس، بعض النّاس يظنّون أنّ المرأة لا يحلّ لها أن تذبح وهذا جهل منهم، فذبيحتها تحلّ ولو كانت حائضًا وكذلك الولد المميّز الذي هو دون البلوغ ذبيحته تحلّ وكذلك المجنون والسكران إذا ذبحا ذبحًا صحيحًا فذبيحتهما حلال واليهوديّ والنصرانيّ ذبيحتهما حلال بلا خلاف ولو لم يقل بسم الله، قال الله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ۖ ۝٥﴾ [سورة المائدة]، إنّما المسلم إنْ سمّى الله على ذبيحته هي حلال باتّفاق العلماء وإن كان جنبًا، أمّا إنْ ترك تسمية الله عمدًا قال أبو حنيفة ومالك والإمام أحمد: «لا تحلّ ذبيحته وإنْ تركها سهوًا تحلّ ذبيحته» أمّا الإمام الشّافعيّ رضي الله عنه يقول بأنّ ذبيحة المسلم سمّى الله أو لم يسمّ فهي حلال وإنْ ترك التّسمية عمدًا. واللحم الّذي في الأسواق خليطٌ فيه الحلال وفيه الميتة فالذبيحة الّتي لم نعلم إنْ كان ذابحها مسلمًا أو ممّن لا يؤكل ذبيحته حرام أنْ نأكل من لحمها ولو سمّى الله على اللحم عند أكله، وكذلك التّسمية على اللحم الذي لم تُستوفَ الشروط عند ذبحه لا تجعله حلالًا كما يظنّ بعض من لا علم له.

والمسلم واليهوديّ والنصرانيّ إذا ضغط على الآلة الّتي تقطع رقبة الذّبيحة ونزلت فقطعتها تحلّ هذه الأولى لأنّها بيده وإذا استمرّ السّكين يقطع بفعل الكهرباء إلى عشر ساعات مثلًا لا يحلّ أكل ما بعد هذه الأولى لأنّه بفعل الكهرباء.

واللحم الطّازج أو المبرّد المستورد من بلد غير إسلاميّ أو غيره إنْ علمنا علم يقين ليس بالظّنّ أنّ الشّركة الّتي تصدّره أوكلت ناسًا مِنَ المسلمين أو مِنَ اليهود أو النّصارى بالذّبح وقد استوفوا شروط الذّبح الّتي سبق بيانها جاز لنا أن نأكل من هذا اللحم، كأنْ قام مسلم ثقة بإنشاء مزرعة للبقر أو الغنم أو الدّجاج في بلد غير إسلاميّ أو غيره واستخدم ناسًا من المسلمين أو أهل الكتاب ليذبحوا ثم أرسل اللحم إلينا مبرّدًا فيجوز لنا أنْ نأكل هذا اللحم لأنّنا علِمنا علم يقين استيفاء شروط الذّبح الحلال، أما مجرد إلصاق ورقة على الصّناديق المستوردة الّتي فيها اللحم

عبارة «ذبح على الطّريقة الإسلاميّة» فليس علم يقين لا سيّما وقد شهد كثير من أهل الاختصاص أنّهم رأوا صناديق في كثير من البلاد العربيّة فيها لحم خنزير كتب عليها «ذبح على الطّريقة الإسلاميّة» حتى وصلت بهم السّخافة أنّهم كتبوا على علب السّردين «ذبح على الطّريقة الإسلاميّة» وهذا دليل على أنّ هذه المعلبات يطبعون عليها هذه العبارة مع جهلهم بما في داخلها فمتى كان السّمك يحتاج لأكله إلى ذبح؟ ومتى كان لحم الخنزير يؤكل؟ أو يحلّ أكله بذبحه؟.

وأمّا إذا جاءنا لحم من بلدٍ أهلها مسلمون ويذبحون ذبحًا شرعيًّا كتركيّا والباكستان جاز لنا أكله باعتبار أنّ مسلمًا ذبح مستوفيًا شروط الذّبح، وإذا جاءنا من بلد كلّ أهلها نصارى أو يهود ويذبحون ذبحًا صحيحًا حلّ لنا أنْ نأكله. أما إذا طرأ شكّ هل هو من ذبيحة كتابيّ أو مسلم قتل بالصّعق الكهربائيّ ونحوه لا يجوز ولا يحلّ الأكل منه. أمّا إذا جاءنا لحم من بلد أهلها مختلفو العقائد كبلد أهله نصارى وملاحدة أو يهود وملاحدة ولم نعرف مَن الذّابح لا يؤكل. فرنسا فيها ملاحدة وإيطاليا وأوروبّا كذلك كلّها فيها ملاحدة كذلك أمريكا وغيرها فلا يؤكل اللحم الآتي من أوروبّا حتّى نعرف أنّه من ذبيحة نصرانيّ أو يهوديّ. وفي هذه الأيّام توجد هذه اللحوم المعلّبة غير السّمك لا يعرف من ذبحها يحتمل أنْ تكون من ذبيحة ملحد أو بوذيّ أو مجوسيّ لذلك لا يجوز أنْ نأكل اللحم حيثما وُجد ولا ضرورة لأكله مع وجود السمك والخضار وغير ذلك من الحلال فهي أي هذه اللحوم ليست كالقمح والأرزّ مثلًا.

واللحم الذي أحلّه الله لنا من بقر وغيره كالدّجاج الذي كتب عليه «ذبح على الطّريقة الإسلاميّة» فهذا يجوز أكله إنْ عرفت الشّركة المصدّرة وعرف أنّها تذبح على الطّريقة الشرعيّة، فالدّجاج المجلّد وغيره من اللحوم الّتي تحتاج لذبح ليَحلَّ لا تؤكل حتى نتأكد أنّها ذبحت ذبحًا حلالًا. والسّمك حلال كيفما وصل إلينا سواء عن طريق مجوسيّ أو كتابيّ لأن ميتة السّمك حلال. الله تعالى أحلّ لنا ميتة السّمك قال

رسول الله ﷺ: «**أحلّت لكم ميتتان ودمان السّمك والجراد والكبد والطّحال**[1]».

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الصّيد: باب صيد الحيتان والجراد [٣٢١٨]، قال الحافظ البوصيري في «مصباح الزّجاجة» [٢/ ١٦٨]: «هذا إسناد فيه عبد الرّحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف، وله شاهد من حديث عبد الله بن أبي أوفى رواه النّسائي في «الصّغرى» مقتصرًا على ذكر الجراد، وأورده ابن الجوزيّ في «العلل المتناهية» من طريق عبد الرّحمن به، ورواه الشّافعيّ وأحمد في مسنديهما والدارقطني في سننه والحاكم والبيهقيّ» اهـ، وأخرجه ابن ماجه أيضًا في: كتاب الأطعمة: باب الكبد والطّحال [٣٣١٤]، وقال الحافظ البوصيري في «مصباح الزّجاجة» [٢/ ١٨٢]: «هذا إسناد ضعيف، عبد الرّحمن هذا قال فيه ابو عبد الله الحاكم: روى عن أبيه أحاديث موضوعة، وقال ابن الجوزيّ أجمعوا على ضعفه. قلت: لكن لم ينفرد به عبد الرّحمن بن زيد عن أبيه فقد تابعه عليه سليمان بن بلال عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قوله، قال البيهقيّ: إسناد الموقوف صحيح، وهو في معنى المسند، قال [أي البيهقيّ]: وقد رفعه أولاد زيد بن أسلم عن أبيهم وهم كلّهم ضعفاء خرّجهم ابن معين» اهـ، وأخرجه أحمد في مسنده [٢/ ٩٧] عن عبد الرّحمن، والبيهقيّ في سننه [١/ ٢٥٤] عنه أيضًا وقال بعد أن أسنده عن سليمان بن بلال عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر موقوفًا: «هذا إسناد صحيح، وهو في معنى المسند، وقد رفعه أولاد زيد عن أبيهم» اهـ، ثم رواه عن ابن أبي أويس عن أولاد زيد وهم عبد الرّحمن وأسامة وعبد الله ثم قال: «أولاد زيد هؤلاء كلّهم ضعفاء جرحهم يحيى بن معين، وكان أحمد بن حنبل وعليّ بن المدينيّ يوثقان عبد الله بن زيد إلا أن الصحيح من هذا الحديث هو الأوّل» اهـ، وأخرجه البيهقيّ أيضًا في موضع ءاخر [٩/ ٢٥٧] وقال: «وهذا هو الصحيح» اهـ أي رواية الوقف، والدارقطنيّ في سننه [٤/ ٢٧٢] عن مطرف عن عبد الله بن زيد، وعبد بن حميد في مسنده [انظر «المنتخب»، ص/ ٢٦٠] عن عبد الرّحمن، والخطيب البغداديّ في تاريخه [١٣/ ٢٤٥] عن مسور بن الصّلت عن زيد عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد، والمسور ضعّفه أحمد والبخاريّ وأبو زرعة وأبو حاتم وقال النّسائي: متروك الحديث، ورواه ابن الجوزيّ في «العلل المتناهية» [١/ ٦٦٤]. واحتجّ به الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» [٩/ ٦٢١] على أنّه لا يشترط لحلّ أكل الجراد تذكيته، وقال في كتابه «التلخيص الحبير» [١/ ٢٦]: «الرواية الموقوفة الّتي صححها أبو حاتم وغيره هي في حكم المرفوع لأنّ قول الصحابيّ: أحلّ لنا وحرم علينا كذا مثل قوله: أمرنا بكذا ونهينا عن كذا، فيحصل الاستدلال بهذه الرّواية لأنّها في معنى المرفوع» اهـ، وهذا لا يتعارض مع قوله في «بلوغ المرام» [ص/ ١٠] بعد عزوه الحديث لأحمد وابن ماجه: «وفيه ضعيف» لأنّ كلامه عن الرّواية المرفوعة وهنا تكلّم عن الرّواية الموقوفة وأنّ لها حكم المرفوع. وقال الحافظ النوويّ في «المجموع» [٩/ ٢٣] ما نصّه: «روى الشّافعيّ عن عبد الرّحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحلّت لنا ميتتان ودمان أمّا الميتتان فالحوت والجراد والدمان الكبد والطّحال**» قال البيهقيّ: ورواه سليمان بن بلال عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر =

وقد ورد في القرءان حلّ أكل السّمك وصيد البحر في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ ﴿٩٦﴾﴾ [سورة المائدة]. فالمطلوب من الإنسان أنْ لا يتعلّق قلبه بهذه المعلّبات وما أشبه ذلك، كيف يهتمّ الإنسان لبطنه إلى هذا الحدّ وأوّل ما ينتن من الإنسان في القبر بطنه، فليكتفِ الإنسان بالخضار والسّمك وذبح يده وغير ذلك من الحلال في حالة كهذه وليتّقِ الله ولا يتأثّرْ بكلام بعض الجهلاء وتزيين الحرام وتحسين الباطل وليذكر قول النبي ﷺ: «**من أرضى الله في سخط الناس رضي الله عنه، ومن أرضى الناس في سخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس**»[1] أي خيارهم.

والأمر الثاني الذي ورد ذكره في الآية مما هو محرَّم بنصها:

٢- ﴿وَٱلدَّمُ﴾ وهو محرّم سواء كان دم ذبيحة من الحيوانات المأكولة أو دم غيرها وسواء كان مائعا أو جمد بعد انفصاله من مخرجه بالوسائل المتبعة عندهم كما تعودوا في أوروبّا فهو حرام وأكله من الكبائر المجمع عليها.

والدم المسفوح السائل هو الذي حرّمه الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا

= قال: «أحلّت لنا ميتتان» الحديث، قال البيهقيّ: هذا هو الصحيح. قلت [القائل هو النوويّ]: معناه أن الصّحيح أنّ القائل: «أحلّت لنا ميتتان» هو ابن عمر لأنّ الرّواية الأولى ضعيفة جدًا لاتّفاق الحفّاظ على تضعيف عبد الرّحمن بن زيد بن أسلم، قال أحمد بن حنبل: روى حديثًا منكرًا: «أحلّت لنا ميتتان» الحديث، يعني أحمد الرّواية الأولى وأما الثّانية فصحيحة كما ذكره البيهقيّ، وهذه الثّانية هي أيضًا مرفوعة لأنّ قول الصّحابيّ أمرنا بكذا أو نهينا عن كذا أو أحلّ لنا كذا أو حرم علينا كذا كلّه مرفوع إلى النبيّ ﷺ وهو بمنزلة قوله: قال رسول الله ﷺ، هذه قاعدة معروفة وسبق بيانها مرّات، والله تعالى أعلم» اهـ.

(١) أخرجه بنحوه: الطبراني في «المعجم الكبير» [١١/ ٢١٤] عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» [١٠/ ٢٢٤-٢٢٥]: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير يحيى بن سليمان الجفري وقد وثّقه الذهبي في ءاخر يحيى بن سليمان الجعفي» اهـ، وابن حبان في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها [انظر «الإحسان بترتيب صحاح ابن حبان»، ١/ ٢٤٧].

﴿مَّسۡفُوحًا ﴿١٤٥﴾﴾ [سورة الأنعام].

أما الدم غير السائل كالكبد والطحال حلال لأنهما ليسا دما مسفوحا، الله خلقهما في بطون البهائم جامدين فهما ليسا من الدم المحرّم. فمن أكل الكبد نَيْئًا أو مطبوخا أو مشويًا فهو حلال وكذلك الطحال وقد رغّب رسول الله ﷺ في أكل الكبد فقال: «**كلوا الكبد نيئا**»[1] رواه الضّياء المقدسيّ، وقوله: «**أحلّت لكم ميتتان ودمان السّمك والجراد والكبد والطّحال**»[2]. والدّم الذي ينزل من اللحم الطّازج ويسيل منه هذا غير حرام كذلك لو احمرَّ المرق من اللحم المقطّع الطّازج لا يحرم إنّما الحرام هو الدّم المسفوح والمسفوح هو الدّم الذي يتفجّر من مخرجه عند الذّبح، هذا وإنْ جمد بعد ذلك فأكله حرام أيضا. الكبد والطّحال واللحم الطّازج إذا وُضع في وعاء فسال منه هذا اللون الأحمر فهذا ليس بنجس.

٣- ﴿وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ﴾ أي كذلك حرم عليكم أكل لحم الخنزير سواء كان هذا الخنزير بريّا أو أهليّا يربى في المداجن والمنازل كما في بعض البلاد فهذا حرام سواء كان نيئا أو مطبوخا على النّار فلا تزول النّجاسة عنه ولو قال الأطباء يزول ما به من أذى فمن استحلّ أكله كفر وذلك لأنّه محرّم في جميع الشّرائع، ولا يجوز إهداؤه للنّصرانيّ ولا لليهوديّ ولا للمجوسيّ. ومن باع الخنزير الحيّ إلى نصرانيّ وأكل ذلك الثّمن فقد أكل حراما فإنّ الله حرّم أكله وحرّم أكل ثمنه وهو حرام على الذي يستطيع أن يستعمل ما يكافح به الأمراض الّتي في لحم الخنزير وعلى الذي لا يعرف كيف يكافح هذه الأمراض الّتي تتولّد من أكل لحم الخنزير حرام على الجميع. فقد قال رسول الله ﷺ: «**إنّ الله ورسوله حرّم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام**»، قالوا: يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة تطلى بها السّفن ويدهن بها الجلود ويستصبح

---

(١) حديث ضعيف لم يثبت.

(٢) تقدم تخريجه.

بها النّاس، قال: «**لا هو حرام**» رواه البخاريّ[1] ومسلم[2].

٤- ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ أي ما ذبح لعبادة غير الله كتعظيم الأصنام، الشّيء الذي يذكر عليه اسم غير الله كما يفعل بعض الوثنيين لمّا يذبحون لأوثانهم يذبحون الذّبيحة ويذكرون عليها اسم ذلك الوثن فلا يجوز ذكر اسم غير الله على الذّبيحة ففي الجاهليّة كانوا يذبحون تقرّبا إلى هذه الشّياطين كذلك كانوا يذبحون لعبادة الأصنام كان عندهم وثن كبير يسمونه «هُبَل» وعندهم «مَناة» وعندهم «اللاّت» وعندهم «العزّى» وهذه الأخيرة كانت شيطانة أنثى، سيّدنا خالد بن الوليد ذهب إلى الشّجرة الّتي كانت تظهر صوتها فيها ذهب إلى هناك فقطعها وقتل الشّيطانة صادفها هناك كانت متشكّلة بشكل أنثى من البشر وقال لها:

يا عزّى كفرانك لا سبحانكِ إنّي رأيتُ الله قد أهانكِ

وكان لقبائل العرب المشركين طواغيت والطّاغوت هو الشّيطان ينزل على إنسان ويتكلّم على فم هذا الإنسان فكانوا في الجاهليّة يعظّمون هذا الإنسان من أجل الشّيطان الذي ينزل فيه ويتكلّم على لسانه.

وهذه المذكورات الأربعة أي الميتة والدّم ولحم الخنزير وما أُهلّ لغير الله به محرّمة في جميع شرائع الأنبياء. قال الشّيخ ابن قدامة المقدسيّ في «المغني» ما نصّه[3]: «أجمع العلماء على تحريم الميتة حال الاختيار وإباحة الأكل منها في الاضطرار».

٥- ﴿وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ﴾ البهيمة الّتي تؤكل إذا زالت حياتها بالخنق حرم أكلها فمن هنا يتبيّن فساد ما يفعله بعض الجهّال ومنهم من هو في عداد المسلمين

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب البيوع: باب بيع الميتة والأصنام [٢٢٣٦].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساقاة: باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام [١٥٨١].

(٣) «المغني» [١١/ ٧٣].

من أنّهم وعلى طريقة الأوروبيّين يغرقون الدّجاج الحيّ بالماء المغليّ فتختنق ثم يقطّعونها فهذه لا يحلّ أكلها.

٦- ﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾ أي حرم عليكم الموقوذة أي أكلها حرام وهي البهيمة الّتي ضربت بالعصا أو بشيء ثقيل حتّى ماتت من قوّة الألم فأكلها حرام ولو ذبحها لا يجعلها حلالا وكذلك البهيمة الّتي ضربت بالمطرقة على جبهتها أو رأسها لتدوخ وتقع على الأرض ليسهل عليهم ذبحها فإن وصلت إلى حدّ أنها فقدت الحركة الاختياريّة لأنّها صارت في ءاخر رمق وصارت حركتها كحركة المذبوح فهذه لا تحلّ لأنّها لو تُركت بدون ذبح لماتت أما إذا داخت من الضّرب وبقيت فيها حركة عاديّة اختياريّة فهذه إذا ذُبحت فالذبح يحلّها لأنّها لم تفقد حركتها الاختياريّة. والّذي يضرب البهيمة هذا الضّرب حرام عليه لأنّ فيه تعذيب خلقٍ من خلقِ الله بدون سبب شرعيّ. أمّا إذا شردت البهيمة وخاف عليها صاحبها أنْ تقع من أعلى الجبل فإذا ضربها ليمسكها يكون ضربه بسبب فليس حرامًا. أمّا ما يفعله بعض الجزّارين مِن أنّه يقطع بالسكين العصب في رجل البهيمة من الخلف عند العقب كي لا تستطيع الهرب أو أنْ تناطح بقوة فإنّ ذلك لا يؤثّر على شرعيّة ذبحها. كذلك لو أنّ بقرة مثلًا كُسِرَتْ رجلها أو صدمتها سيّارة وبقي فيها حياة مستقرة أي لم تكن في حال النّزاع وكانت بحيث لو ذُبِحَتْ تزيد حركتها ويتفجّر الدم فيحلّ أكلها.

٧- ﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾ وهي البهيمة الّتي وقعت وتردّت من علوٍ كأنْ وقعت من أعلى الجبل فماتت فهذه حرام لا يحلّ أكلها وكذلك لو رماها شخص فتردّت من علو وماتت فلا تؤكل.

٨- ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ أي حرام عليكم أكل النطيحة وهي الّتي ماتت بالانتطاح مع بهيمة أخرى، مثلًا كبش صار ينطح كبشًا ءاخرَ فقتل أحد الكبشين الآخر فهذا الكبش الآخر المقتول ميتة لا يحلّ أكله. وهذا الفعل أي التحريش بين البهائم بين كلبين أو ديكين أو كلب وهرّة كما يفعل بعض النّاس مِن أنّهم يسلّطون ديكًا على

ديك فيتناقران ويتناهشان بالمنقار وغيره فيغلب أحدهما الآخر فهو حرام. أليس ورد في حديث أنّ امرأة دخلت النار في هرّة حبستها فلا هي أطعمتها إذ حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض أي من حشرات الأرض، رواه البخاريّ ومسلم[1] وغيرهما.

٩- ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ أي حرم عليكم ما أكل السّبع ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ﴾ فالبهيمة الّتي أكلها السّبع كالأسد أو النّمر فماتت فهي حرام أما إذا أخذ منها السّبع شيئًا من جسدها ولم يقتلها كأنْ أخذ من ألية الغنم ولم يقتلها ثمّ ذبحت فهي حلال لكنّ القطعة الّتي قطعها السّبع صارت ميتة حرام أكلها لأنّ الجزء الذي ينفصل عن حيوان وهو حيّ يكون كميتة ذلك الحيوان فألية الغنم إذا قطعت وهو حيّ فحكم هذه القطعة كحكم ميتته فلا يحلّ أكلها. ومعنى الميتة ما مات من البهيمة المقدور عليها بدون ذبح شرعيّ.

١٠- ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ أي حرم عليكم ما ذبح على النّصُب أي الأوثان وهي حجارة كانوا ينصبونها ويعبدونها من دون الله فيذبحون الذّبيحة تعظيما لها ويهريقون أي يصبّون دمها على هذا النّصب وهذا عندهم تعظيم لهذا الوثن وعبادة له فأكلها حرام، كأنّهم يخاطبون النّصب تذللنا لكم فنرجو رضاكم على زعمهم.

١١- ﴿وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِ﴾ وهذا حرام وهي تسعة ثلاثة للبخت والنّصيب واحدة عليها افعل والثانية عليها لا تفعل والثّالثة ما عليها كتابة إذا حصل قتلٌ أو سفك دم بين القبائل، في الجاهليّة كانوا يستعملون ثلاثة من السّتّة الباقية لمعرفة من يتحمّل الدِّية والثّلاثة الباقية من الأزلام لإلصاق الولد أو نفيه أو إثباته كأنِ اتّهم زوجته بالزّنا، فمعنى وأنْ تستقسموا بالأزلام طلب الحظِّ والنّصيب بالسّهام

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه: كتاب بدء الخلق: باب إذا وقع الذّباب في شراب أحدكم فليغمسه [٣٣١٨]، ومسلم في صحيحه: كتاب البرّ والصّلة والآداب: باب تحريم تعذيب الهرّة ونحوها من الحيوان الذي لا يؤذي [٢٦١٩].

الّتي كانت الجاهليّة يستعملونها، كانوا إذا أرادوا سفرا أو غير ذلك يضربون بهذه السّهام يخلطونها ببعضها ثم يخرج لهم الشّخص الموكّل بهذا الشّيء واحدا من غير أن ينظر فإن طلع السّهم المكتوب عليه افعل يمضي في تلك الحاجة يقول تنجح وإذا طلع السّهم المكتوب عليه لا تفعل يقول هذا الأمر لا ينجح وليس لي في هذه الحاجة حظٌّ فيترك هذا الأمر إنْ كان سفرا أو كان زواجا أو غير ذلك وإنْ طلعت الّتي ليست عليها كتابة يعيد الخلط. كانوا يعتمدون على هذه الأزلام أي السّهام وكانوا في الجاهليّة في مكة يستعملون هذا الشّيء ضمن الكعبة الشّريفة يأتي صاحب الحاجة يقول لهم أريد أن أستقسم أي أنْ أعرف حظّي ونصيبي فيخلط له هذا الشّخص الموكّل بالسّهامِ السّهامَ بعضها ببعض ثم يخرج له واحدا ليعمل بمقتضاه فهذا حرام من الكبائر لأنّه لا يعلم الغيب إلاّ الله. كانوا عملوا صورة لها ظلّ أي مجسّمة لإبراهيم وإسماعيل عليهما السّلام ووضعوا على أيديهم هذه السّهام ليوهموا النّاس أنّ إبراهيم وإسماعيل كانا يعملان هذا الشّيء وما كان إبراهيم وإسماعيل يعملان بهذا الشّيء لأنّه ممّا حرّم الله تعالى، وإنّما المشركون في الجاهليّة بعدما كفروا بالله ولم يؤمنوا به ولا بمشيئته وتركوا التوكّل على الله وتركوا دين إبراهيم أي الإسلام وصاروا مشركين عملوا بهذا الشّيء أي صاروا يطلبون معرفة الحظِّ والنّصيب بهذه الأشياء الّتي عملوها. وما يسمّى التّبصير بالفنجان أو بالودع أو بالرّمل أو بالنّجوم أو بالكفِّ أو بالورق المسمّى «بالشدّة» فهو حرام.

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٞ﴾ فهذه الأشياء الّتي ذكرت في هذه الآية كلّها من المحرّمات الكبيرة.

وما ذكرناه في شرح هذه الآية مع ما يتضمن ذلك هو من المسائل المعروفة عند العلماء المعتبرين ولا تخفى إلاّ على من لا فَهم له بالدّين والتّفسير، فقد نصّ الإمام الحافظ السّيوطيّ في تفسير موجز له لهذه الآية فقال رحمه الله: «﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ أي أكلها ﴿وَٱلدَّمُ﴾ أي المسفوح كما في [الأنعام ﴿وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ بأنْ ذبح على اسم غيره ﴿وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ﴾

الميتة خنقا ﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾ المقتولة ضربا ﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾ السّاقطة من علو إلى أسفل ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ المقتولة بنطح أخرى لها ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ منه ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾أي أدركتم فيه الرّوح من هذه الأشياء فذبحتموها ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى﴾ اسم ﴿ٱلنُّصُبِ﴾ جمع ناصب وهي الأصنام ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ﴾ تطلبوا القسم والحكم ﴿بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ جمع زلم بفتح الزّاي وضمّها مع فتح اللاّم قِدح بكسر القاف صغير لا ريش له ولا نصل وكانت سبعة عند سادن الكعبة عليها أعلام وكانوا يحكّمونها فإنْ أمرتْهم ائتمروا وإنْ نهتهم انتهوا ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ خروج عن الطّاعة» اهـ.

فبعد كلام الإمام الكبير جلال الدين السّيوطيّ رحمه الله نورد بعون الله أقوالا للعلماء الأكابر والفقهاء النّجباء الّذين يُعتدّ بقولهم فنقول: ذكر الإمام أبو عبد الله محمّد بن على الحكيم الترمذيّ في كتابه «المنهيّات» ما نصّه[1]: «وأما قوله «ونهى أنْ يذبح بالسّنّ والظّفر» لأنّه لا يقطع قطع الشّيء الحادّ وإنّما يبرد الأوداج ويمزّقها فيصير كهيئة الموقوذة وإذا لم يقطع الوَدْجَ ولم يَسلِ الدّمُ فجمدَ فيه فصار ءاكلا للدّم» اهـ.

وذكر الشّيخ موفّق الدّين أبو محمّد بن قدامة الحنبليّ المقدسيّ في كتابه «المغني»[2] عند شرح قول الخِرَقيّ: «وإذا أرسل كلبه فأضاف معه غيره لم يؤكل إلاّ أن يدرك فيه الحياة فيذكّى» ما نصّه: «معنى المسئلة أنْ يرسل كلبه على صيد فيجد الصّيد ميتا ويجد مع كلبه كلبًا لا يعرف حاله ولا يدري هل وجدت فيه شرائط صيده أو لا ولا يعلم أيّهما قتله أو يعلم أنّهما جميعا قتلاه أو أنّ قاتله الكلب المجهول فإنّه لا يُباح إلاّ أنْ يدركه حيّا فيذكّيه، وبهذا قال عطاء والقاسم بن مخيمرة ومالك والشّافعيّ وأبو ثور وأصحاب الرّأي ولا نعلم لهم مخالفا، والأصل فيه ما روى

(١) «المنهيّات» [ص/ ١٢٠].

(٢) «المغني» [١١/ ١٤-١٥].

عديّ بن حاتم قال سألت رسول الله ﷺ فقلتُ أرسل كلبي فأجد معه كلبًا ءاخر، قال: «**لا تأكل فإنّك إنّما سمّيت على كلبك ولم تسمِّ على الآخر**»[1]، وفي لفظ: «**فإنْ وجدت مع كلبك كلبًا ءاخر فخشيت أنْ يكون أخذه معه وقد قتله فلا تأكل فإنّك إنّما ذكرت اسم الله على كلبك**». وفي لفظ: «فإنّك لا تدري أيّهما قتل» اهـ.

وفي «الشّرح الكبير» للشّيخ شمس الدّين أبي الفرج بن قدامة ما نصّه: «[فصل] وحكم ءالات الصّيد حكم المعراض في أنّها إذا قتلت بعرضها ولم تجرح لم يبح الصّيد كالسّهم يصيب الطّائر بعرضه فيقتله أو الرّمح والحربة والسّيف يضرب به صَفْحا فيقتل فكلّ ذلك حرام وكذا إن أصاب بحدّه فلم يجرح وقتل بثقله لم يبحْ لقول النبيّ ﷺ: «ما خرَق[2] فكُلْ»[3] ولأنّه إذا لم يجرحه فإنّما يقتل بثقله فأشبه ما أصاب بعرضه. [مسئلة: وإنْ نصب مناجل أو سكاكين وسمّى عند نصبها فقتلت صيدا أبيح فإنْ بان منه عضو فحكمه حكم البائن بضربة الصّائد على ما نذكره][4]. وروي نحو هذا عن ابن عمر وهو قول الحسن وقتادة، وقال الشّافعيّ لا يباح بحال لأنّه لم يذكِّه أحد وإنّما قتلت المناجل بنفسها ولم يوجد من الصّائد إلاّ السّبب فجرى ذلك مجرى من نصب سكّينا فذبحت شاة ولأنّه لو رمى سهما وهو لا يرى صيدا فقتل صيدا لم يحل فذا أولى. ولنا قول النبيّ ﷺ: «**كلْ ما ردّت عليك**

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه: كتاب البيوع: باب الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما مشتبهات= = [٢٠٥٤]، ومسلم في صحيحه: كتاب الصّيد والذّبائح: باب الصّيد بالكلاب المعلّمة [١٢٩/ ٣]. أخرجه البخاريّ في صحيحه: كتاب البيوع: باب الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما مشتبهات [٢٠٥٤]، ومسلم في صحيحه: كتاب الصّيد والذّبائح: باب الصّيد بالكلاب المعلّمة [١٢٩/ ٣].

(٢) أي نفذ.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الذبائح والصيد: باب ما أصاب المعراض بعرضه (٥٤٧٧) ومسلم في صحيحه كما في المصدر السابق (١٩٢٩/ ١).

(٤) ما بين القوسين من كلام صاحب المتن وهو الخِرَقي.

يدك»[1] ولأنّه قصد قتل الصّيد بما له حدّ جرت العادة بالصّيد به أشبه ما ذكرنا والتسبّب يجري مجرى المباشرة في الضّمان فكذلك في إباحة الصّيد، وفارق ما إذا نصب سكّينا إنّ العادة لم تجر بالصّيد بها وإذا رمى سهما ولم يرمِ صيدا فليس ذلك بمعتاد والظّاهر أنّه لا يصيب صيدا فلم يصحّ قصده بخلاف هذا» اهـ.

وذكر القاضي أبو شجاع أحمد بن الحسين بن أحمد الأصفهانيّ الشّافعيّ رحمه الله تعالى في كتابه المسمّى «متن الغاية والتقريب» المعروف لدى طلاّب العلم الشرعيّ، في كتاب الصّيد والذّبائح، قال[2]: «وما قدر على ذكاته فذكاته في حلقه ولبّته[3] وما لم يقدر على ذكاته فذكاته عقره حيث قدر، وكمال الذّكاة أربعة أشياء قطع الحلقوم والمريء والودجين والمجزئ منهما شيئان قطع الحلقوم والمريء ويجوز الاصطياد بكلّ جارحة معلَّمة من السّباع ومن جوارح الطّير. وشرائط تعليمها أربعة: أنْ تكون إذا أرسلت استرسلت وإذا زجرت انزجرت وإذا قتلت صيدا لم تأكل منه شيئًا وأن يتكرّر ذلك منها فإنْ عدمت إحدى الشرائط لم يحل ما أخذته إلا أنْ يدرك حيا فيذكّى، وتجوز الذّكاة بكل ما يجرح إلا بالسّنّ والظّفر. وتحلّ ذكاة كل مسلم وكتابيّ ولا تحلّ ذبيحة مجوسيّ ولا وثنيّ، وذكاة الجنين بذكاة أمّه إلاّ أنْ يوجد حيّا فيذكّى وما قطع من حيّ فهو ميت إلا الشّعور المنتفع بها في المفارش والملابس» اهـ.

وقال الشّيخ أبو إسحاق الشّيرازيّ في «المهذّب»[4]: «والمستحبّ أن يذبح بسكّين حادّ لما روى شداد بن أوس رضي الله عنه أنَّ النبيّ ﷺ قال: «إنّ الله كتب الإحسان على كلّ شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة وليُحِدْ

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصيد: باب في الصيد (٢٨٥٢)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٩٥).

(٢) متن الغاية والتقريب (ص/ ٥٠).

(٣) لبّة البعير موضع نحره.

(٤) مع شرحه المجموع (٩/ ٨٠).

أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»[1] فإنْ ذبح بحجر محدّد أو ليطة[2] حلّ لما ذكرناه من حديث كعب بن مالك في المرأة الّتي كسرت حجرا فذبحت بها شاة، ولما رُوي أنّ رافع بن خديج قال يا رسول الله إنّا نرجو أنْ نلقى العدوّ غدا وليس معنا مُدًى أفنذبح بالقَصب فقال رسول الله ﷺ: «**ما أنهر الدّم وذُكر اسم الله عليه فكلوا ليس السّنّ والظّفر وسأخبركم عن ذلك أمّا السّنّ فعظم وأمّا الظّفر فمُدَى الحبشة**»[3] فإنْ ذبح بسنٍّ أو ظفر لم يحل لحديث رافع ابن خديج» اهـ.

قال النوويّ في «شرح المهذّب»[4]: «ولو أمرَّ السكّين ملتصقا باللحيين فوق الحلقوم والمريء وأبان الرّأس فليس هو بذبح لأنّه لم يقطع الحلقوم والمريء» اهـ.

فإذا كان بهذه الكيفيّة لا يحلّ أكلها فكيف إذا صعقت البهيمة بالكهرباء فماتت؟ وكيف إذا ضُربت البهيمة حتى يتلف دماغها ولم يبقَ فيها حياة مستقرّة ثم بعد ذلك تقطّع؟

وقال في موضع ءاخر[5]: قد ذكرنا أنّ مذهبنا اشتراط قطع الحلقوم والمريء بكمالهما وأنّ قطع الودجين سنّة وهو أصحّ الروايتين عن أحمد. قال ابن المنذر: أجمع أهل العلم على أنّه إذا قطع بما يجوز الذّبح به وسمَّى وقطع الحلقوم والمريء والودجين وأسال الدّم حصلت الذّكاة الشرعيّة وحلّت الذّبيحة» اهـ.

فبعد أنْ نقلنا ما نقلناه من كتاب «المجموع» للحافظ الفقيه يحيى بن شرف

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصيد والذبائح باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة (١٩٥٥).

(٢) قال النووي: «هي القشرةُ الرقيقةُ للقصبة وقيل مطلق قشرةِ القصبة والجماعة لِيَطٌ» (المجموع ٩/ ٨١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأضاحي باب جواز الذبح بكل ما أنهر الدم إلا السن والظفر وسائر العظام (١٩٦٨).

(٤) المجموع شرح المهذب (٩/ ٨٠).

(٥) الفتاوى الكبرى (١/ ٤٥ و٤٦).

الدّين النّوويّ الشّافعيّ رحمه الله تعالى يتبيّن لنا أنّ الذّبيحة الّتي طرأ الشّكّ في صحّة ذكاتها لا تؤكل وهذا ما قرره العلماء الأجلاء فبالأولى اللحم المعلّب أو المجلّد لا يحلّ أكله مع الشكّ في صحة ذكاته سواء من جهة الشّكّ في كون الذّابح مسلما أو كتابيّا أو غير ذلك في بلد أهله ينتمون إلى دين غير الإسلام وكذلك إنْ شكّ في صحّة الذّبح هل تمّ بشروطه الّتي ذكرها الفقهاء والّتي هي أربعة:

- أنْ يكون الذّبح بفعل مسلم أو كتابيّ.
- وأنْ يكون الذّبح بقطع الحلقوم والمريء.
- وأنْ يكون بآلة حادة غير الظّفر والعظم والسّنّ.
- وأنْ لا يذكر عليها غير اسم الله.

وقد سئل العالم الشهير المحقّق عبدالله الشّيبيّ أدام الله عزّه وجعله ذخرا لعلماء الأمّة الإسلاميّة عن قول -مَنْ أحلّ أكل اللحم الذي يباع في أسواق أميركا مستدلاّ أنّ اللحم الحلال مختلط بلحم حرام غير محصور على مسئلة التزوّج من أجنبيّات غير محصورات على زعمه- فقال لطف الله به:

«عليه في ذلك مؤاخذتان:

- **الأولى**: دعواه أنّ الفقهاء أحلّوا اللحم الحلال والحرام إذا اختلطا في بلد فإنّ هذه الدعوى منقوضة بما أجمع عليه الفقهاء من أنّ الشّكّ في باب اللحم مؤثر أخذًا من الأحاديث الواردة في هذا الحكم.

- **الثانية**: دعواه القياس ومن هو حتى يقيس ألم يعلم أنّ الأصوليين نصّوا على أنّ القياس من وظيفة المجتهد فقد نقل الإجماع على تحريم ما يشكّ فيه من اللحم شهاب الدّين القرافيّ وغيره «الفروق»[1] ونقل ذلك عنه المواق في كتابه «التّاج

(١) الفروق.

والإكليل» فقال[1]:

«وشهاب الدّين في الفرق الرابع والأربعين بين الشّكّ في السّبب والشّكّ في الشّرط: أشكل على جمع من الفضلاء، قال: شرع الشّارع الأحكام وشرع لها أسبابًا وجعل من جملة ما شرعه من الأسباب الشّكّ وهو ثلاثة مجمع على اعتباره كمن شكّ في الشّاة المذكّاة والميتة وكمَن شكّ في الأجنبيّة وأخته من الرّضاعة.

ومجمع على إلغائه كمن شكّ هل طلّق أم لا وهل سها في صلاته أم لا فالشّكّ هنا لغوٌ.

وقسم ثالث اختلف العلماء في نصبه سببًا كمن شكّ هل أحدث أم لا، فاعتبره مالك دون الشّافعيّ، ومن حلف يمينًا أو شكّ ما هي، ومن شكّ هل طلّق واحدة أو ثلاثًا» اهـ.

وأما الأخبار الّتي يحتجّ بها العلماء إذا شكّ في اللحم هل هو ممّا يحل أكله أم لا فمنها حديث عديّ بن حاتم عن النبيّ ﷺ: «**إذا رميت الصّيد فوجدته بعد يوم أو يومين ليس به إلاّ أثر سهمك فكلْ وإن وجدته غريقًا في الماء فلا تأكلْ**» متفق عليه[2]. وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنّ رجلاً أتى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله أفتني في سهمي فقال: «**ما ردّ عليك سهمك فكلْ**» قال وإنْ تغيّب عني، قال: «**وإن تغيّب عنك ما لم تجد أثرًا غير أثر سهمك أو تجده قد صَلَّ**» [3] رواه أبو داود[4]. وما رواه عدي بن حاتم قال سألت رسول الله ﷺ فقلت: أرسل كلبي

---

(١) انظر «التاج والإكليل لمختصر خليل» المطبوع بهامش كتاب «مواهب الجليل شرح مختصر خليل» (١/ ٣٠١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الذبائح والصيد: باب الصيد إذا غاب عنه يومين أو ثلاثة (٥٤٨٤) ومسلم في صحيحه: كتاب الصيد والذبائح: باب الصيد بالكلاب المعلمَّة (٦/١٩٢٩).

(٣) في المختار: صلَّ اللحم يَصِلُ أنتن.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصيد: باب في الصيد (٢٨٥٧).

فأجد معه كلبًا ءاخر قال: «**لا تأكل فإنك إنما سميت على كلبك ولم تسمِّ على الآخر**»، وفي رواية: «**فإنْ وجدتَ مع كلبك كلبًا ءاخر فخشيت أنْ يكون أخذ معه وقد قتله فلا تأكلْه فإنّك إنّما ذكرت اسم الله على كلبك**»، وفي رواية: «**فإنّك لا تدري أيّهما قتل**». وما رواه عديّ بن حاتم أيضًا عن النبيّ ﷺ قال: «**إذا رميت الصّيد فوجدته بعد يوم أو يومين ليس به إلا أثر سهمك فكلْ وإنْ وجدته غريقا في الماء فلا تأكل**».

وهذه الأخبار هي مستند الإجماع فبعد هذا لا يجوز أن يُصغى إلى مَن يحلّ اللحوم الّتي تباع في بلاد لا يعرف عنها الذّبح الشرعيّ إلاّ ما يباع في بلد يكون فيه الذّبائح بأيدي مسلمين أو كتابيّين ذبحا باليد لا خنقا ولا صعقا بالكهرباء أو غير ذلك ممّا يشبه ذلك. فإنْ كان البلد لا يوجد فيه إلا مسلمون أو كتابيّون فالأمر ظاهر أو يكون المسلمون فيه أغلب من الّذين تكون طريقة إزهاقهم أرواح البهائم غير معتبرة شرعا بحيث تكون الطّريقة الشّرعيّة هي أغلب استعمالا في البلد والطّريقة الأخرى قليلة الوجود.

فالبلد الذي يكون فيه الذّبائح على هذه الحال يحلّ شراء اللحم منها للأكل، وأمّا أمْرُ أكثر البلاد اليوم فالأمر على العكس مِن ذلك لأنّه لا يكاد يوجد مَن يذبح ذبحا معتبرا شرعا، وذلك أنّ الفقهاء ألحقوا الحالة الّتي يكون فيها البلد من تحل ذكاته أغلب إلى الّذين لا تحلّ ذكاتهم بالبلد الّتي ليس فيها إلاّ ذبائح مَن تحلّ ذكاته وهم المسلمون والكتابيّون الّذين لا يذكّون البهائم تذكية شرعيّة، وهذا الذي أفتى بحلّ اللحم الذي يباع في أسواق لا يُعرف عنها الذّبح الشرعيّ زاعما القياس فإنّما هو مجازف منابذ لقول الحنفيّة وغيرهم، ليرجع إلى نصوص الحنفيّة لأنّهم موافقون في هذه المسئلة لغيرهم لأنّ المسئلة إجماعيّة فكيف يقوّلهم ما لم يقولوا ومِن أين له أن يدّعي القياس والقياس كما بيّنّا فيما سبق خاصٌّ بالمجتهدين كما ذكر ذلك الإمام الشّافعيّ والإمام ابن المنذر.

ونصيحتنا له ولأمثاله أنْ لا يتجاوزوا حدّهم ولا يغشّوا الناس بهذه الفتاوى الجديدة الفاسدة وليذكروا وقوفهم بين يدي الله[1] يوم القيامة، وأمّا قوله إنّ الرّسول أكل من جبن النّصارى ولم يسألْ عنه وإنَّ ذلك ورد في حديث صحيح فقولوا له مَن روى ذلك ومَن صحّحه من المحدّثين ولن يجد إلى ذلك سبيلًا بل الواقع أنّه روي عن عمر بن الخطّاب أنّه أُتِيَ بجبن يصنعه المجوس وعادتهم أنْ يضعوا فيه إنفحة الخنزير فأكل منه ولم ينسب هذا إلى الرّسول ذو تحصيل في علم الحديث ونسبة ابن حجر الهيتميّ في شرحه على «منهاج الطالبين» وتلميذه المليباريّ إلى رسول الله أنّه أكل من جبن المجوس لا عبرة به لأنّه لم يَعْزُه إلى أحد من المحدّثين وأنّه لم يذكر أنّ هذا جبن النّصارى كما ادّعى هذا المجازف، فتبيّن أنّ هذا المجازف يبني أمره على وهْم في وهْم فليتقِ الله.

وذكر الإمام ابن عقيل الحنبليّ وغيره أنه سأل الإمام أحمد بن حنبل عن الجبن الذي يصنعه المجوس فقال لا أدري إلاّ أنَّ أصحّ حديث فيه حديث الأعمش عن أبي وائل عم عمرو بن شرحبيل قال سأل عمر عن الجبن فقيل له يُعمل فيه الإنفحة الميتة[2] فقال: «سمّوا أنتم وكلوا» رواه أبو معاوية عن الأعمش[3] وقال أليس الجبن الذي نأكله عامّته يصنعه المجوس.

وعجبٌ عجاب قياس هذا الرجل المجازف اللحوم على الجبن وهذا دليل على أنّه ليس محقّقا في فقه الحنفيّة كمّا أنّه ليس محصّلًا في غيره وأيّ فقيه أو متفقّه يساوي الجبن باللحم، سبحانك هذا بهتان عظيم.

تنبيه: قول أحمد في صدر الجواب «لا أدري» دليل على أنّه لم يطمئن لمسئلة الجبن الّتي شُهِرَ بأنّها من عمل المجوس الّذين جرت عادتهم على أنْ يجبنوا اللبن

---

(١) معنى الوقوف بين يدي الله الوقوف للحساب وعرض الأعمال. الله تعالى موجود بلا مكان وليس جسمًا ولا يوصف بالجوارح والأعضاء وليس بينه وبين شيء من خلقه مقابلة ولا مناسبة.

(٢) معناه ليس متيقنًا أن الذي يصل إلى أيديكم فيه هذا الشيء فلا يحرم بالشك.

(٣) انظر «مصنف ابن أبي شيبة» (٥/ ١٣٠).

بإنفحة الخنزير، وقوله «إلاّ أنّ أصحّ حديث فيه» يعني به أنّ هذا أقرب ما يروى في مسئلة الجبن وليس معناه الجزم بصحّة ذلك عن عمر ولو كان يرى صحّة ذلك عن عمر باطمئنان البال لم يقل لا أدري.

وأما أكل عمر من ذلك فمبنيّ على أنّ ما سوى اللحوم مِن الأجبان والألبان والجلود لا يجب البحث فيه كما قرّر ذلك علماء الحنفيّة والشّافعيّة والمالكيّة فهم متفقون على أنّه لا يجب العمل بالشّكّ في غير اللحوم أي الجبن والسّمن ونحوه، فيكون عمر أراد أنْ يبيّن للنّاس أنّه لا يحرم بالشّكّ كما يحرم اللحم، فيُقال لهذا المفتي إنّك خلطتَ وخبطتَ خبط عشواء، فاتَّقِ الله إلى أين يذهب بك وهمك. انتهى جواب سيّدنا الإمام الشيّبيّ رضي الله عنه.

قال الفقيه النوويّ الشّافعيّ في كتاب «المجموع شرح المهذّب»[1]: «فرع: لو وجدنا شاة مذبوحة ولم ندر من ذبحها فإنْ كان في بلد فيه من لا يحلّ ذكاته كالمجوس لم تحل سواء تمحّضوا أو كانوا مختلطين بالمسلمين للشّكّ في الذّكاة المبيحة والأصل التّحريم وإن لم يكن فيه أحد منهم حلّت».

وفي «الفتاوى الكبرى»[2] لابن حجر الهيتميّ الشّافعيّ ما نصّه: «وسئل نفع الله ببركاته عن شاة مذبوحة وجدت في محلّة المسلمين ببلد كفّار وثنيّة وليس فيهم مجوسيّ ولا يهوديّ ولا نصرانيّ فهل يحلّ أكل تلك الشّاة المذبوحة الّتي وجدت في تلك المحلّة أم لا؟ فأجاب بأنّه حيث كان ببلد فيه من يَحلّ ذبحه كمسلم أو يهوديّ أو نصرانيّ ومَن لا يحلّ ذبحه كمجوسيّ أو وثنيّ أو مرتدّ ورُؤيَ بتلك البلد شاة مذبوحة مثلًا وشكّ هل ذبحها مَن يحلّ ذبحه لم تحلّ للشّكّ في الذّبح المبيح والأصل عدمه» اهـ.

---

(١) المجموع شرح المهذب (٩/ ١/ ٨٠).

(٢) الفتاوى الكبرى (١/ ٤٥ و٤٦).

وفي «الأشباه والنّظائر» للسّيوطيّ[1] الشّافعيّ ما نصّه: «الفائدة الثّانية: قال الشّيخ أبو حامد الأَسفراييني الشّكّ على ثلاثة أضرب شكّ طرأ على أصل حرام، وشكّ طرأ على أصل مباح، وشكّ لا يُعرف أصله، فالأوّل مثل أن يجد شاة في بلد فيه مسلمون ومجوس فلا يحلّ حتى يعلم أنّها ذكاة مسلم لأنّها أصلها حرام وشككنا في الذّكاة المبيحة» اهـ.

وفي كتاب «التّاج والإكليل لمختصر خليل»[2] في فروع فقه المالكيّة في باب الضّوء نقلا عن شهاب الدّين القرافي ما نصّه: «الفرق الرّابع والأربعون بين الشّكّ في السّبب والشّكّ في الشّرط، وقد أشكل على جمع من الفضلاء قال: شرع الشّارع الأحكام وشرع لها أسبابًا وجعل من جملة ما شرعه من الأسباب الشّكّ، وهو ثلاثة مجمع على اعتباره كمَنْ شكّ في الشّاة المذكّاة والميتة وكمَنْ شكّ في الأجنبيّة وأخته في الرّضاعة» اهـ.

وقال ابن رجب الحنبليّ في شرحه على «الأربعين النوويّة» المسمّى «جامع العلوم» ما نصّه[3]: «وما أصله الحظر كالأبضاع ولحوم الحيوان فلا يحلّ إلّا بيقين حلّه من التّذكية والعقد، فإنْ تردّد في شيء من ذلك لظهور سبب ءاخر رجع إلى الأصل فبنى عليه، فيبني فيما أصله الحرمة على التّحريم ولهذا نهى النبيّ ﷺ من أكل الصّيد الذي يجد فيه الصّائد أثر سهم غير سهمه أو كلب غير كلبه أو يجده قد وقع في ماء، وعلّل بأنّه لا يدري هل مات من السّبب المبيح له أو من غيره» اهـ.

وقد ذكر العلاّمة الفقيه المحدّث الشّيخ عبدالله الهرريّ في كتابه «بغية الطّالب»[4] معاصي البطن ما نصّه: «أكلُ النّجاساتِ من جملةِ معاصي البطن كالدّم

---

(١) الأشباه والنظائر (ص/ ٧٤).

(٢) انظر «التاج والإكليل لمختصر خليل» المطبوع بهامش كتاب «مواهب الجليل شرح مختصر خليل» (١/ ٣٠١).

(٣) جامع العلوم والحكم (١/ ١٩٨) عند شرح حديث: «**إن الحلال بيّن**».

(٤) بغية الطالب (ص/ ٣٦٤)، ط٢.

المسفوح أي السّائل ولحمِ الخنزير والميتةِ» اهـ.

فإنْ كان أكل لحم الميتة ذكره العلماء أنه من جملة معاصي البطن وحرام بنصّ القرءان وأما استعمال شحومها لطلاء السّفن وإضاءة القناديل فلا يحرم وقد مرّت مسألة الجبن والسّمن تفصيلا وهذا نصّ جواب الإمام حجّة عصره وفريد زمانه الإمام الشّيبيّ عندما سئل عن السّمن المتّخذ من حليب ودهن فأجاب: «إنّ مَن اعتقد أنّ هذا الدّهن سمنٌ مأخوذ من حليب بقر أو غنم ثمّ شكّ هل فيه شحم أو ألية لا يحرم عليه استعمال هذا السّمن ومن علم أنّه مخلوط من السّمن المتّخذ من الحليب ومن الشّحم أو الألية فلا يحلّ له أنْ يستعمله إلاّ بعد معرفة حال الذّابح للبقرة أو الغنم هل هو ممن تحلّ ذبيحته أو لا» اهـ.

وخلاصة ما مضى من البحث العميق وبعد التّحقيق والتّدقيق في هذه المسألة فهاكم خاتمة مختصرة احتوت على لبّ المسألة نقول: اتّفق المذاهب الأربعة على أنّه لا يحلّ أكل اللحم إلاّ أنْ يُعلم أنّ مَن ذبح مسلم أو يهوديّ أو نصرانيّ أو ممّا صاده واحد منهم مِن غير ميتة السّمك والجراد وكذلك عند غيرهم من الأئمّة واتّفقوا أيضًا أنّ ما شُكَّ في تذكيته ذكاة شرعيّة فهو حرام بدليل حديث البخاريّ ومسلم عن عديّ بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله، فإنْ أمسك عليك فأدركتَه حيّا فاذبحه وإنْ أدركته قد قُتل ولم يأكلْ منه فكلْه، وإنْ وجدتَ مع كلبك كلبًا غيره وقد قتل فلا تأكل فإنّك لا تدري أيّهما قتله، وإنْ رميتَ سهمك فاذكر اسم الله فإنْ غاب عنك يوما فلم تجد فيه إلا أثر سهمك فكلْ إن شئت، وإنْ وجدته غريقا في الماء فلا تأكلْ**»، وفي رواية: «**فإنّك لا تدري الماء قتله أمْ سهمك**».

فيؤخذ منه أنّه لا يجوز الأكل من اللحم الذي يشكّ في ذابحه مسلم هو أم كتابيّ أو غيرهما أو هل هو مقتول خنقا أو ذبحا أو غير ذلك.

وأمّا حديث عائشة إنّ أناسا من الأعراب حديثي عهد بكفر يأتوننا بلحمان لا

ندري أذكر اسم الله عليها أم لا، قال رسول الله ﷺ: «**سمّوا الله أنتم وكلوا**» فليس فيه دليل لحلّ ما لم يُعلم حال ذابحه أمسلمٌ أم كتابيٌّ أم وثنيّ بل الحديث فيمن هو مسلم لكنّه قريب عهد بالكفر أي أنّه أسلم مِن قريب لم يمضِ عليه منذ أسلم زمان طويل، وقد احتجّ به بعض أدعياء الدّين المحرّفين لهذا الدّين لمحاولة إباحة ذبيحة الوثنيّين كأنّه لم يرَ قول عائشة رضي الله عنها قريبي عهد بكفر.

وأمّا الآية الّتي يحتجّ بها بعض النّاس فيفسّرونها تفسيرا خطأ وهي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا ﴿٥١﴾ ﴾ [سورة المؤمنون]. فقد روى الإمام مسلم في صحيحه حديثا يفسّر الرّسول به هذه الآية وهو قوله ﷺ: «**إنّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين**» فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا ﴿٥١﴾ ﴾ [سورة المؤمنون]. وكذلك الطيّبات في هذا الحديث ما كان من المأكولات حلالا، هذا معنى الطيّبات في هذا الحديث وليس معنى الطيّبات المستلذّات، وكذلك في هذه الآية الطيّبات هي الأشياء الّتي أحلّها الله، والله تعالى رخّص لبني ءادم الأكل مِن الحلال، ومفهوم ذلك النّهي عن الأكل ممّا حرّم الله، فيجب على المكلّف أنْ يعرف ما أحلّ الله من المأكول والشّراب قبل تعاطيه يجب أن يعرف ما أحلّ الله وما حرّم لأنّه إذا عرف ذلك أكل من الطيّبات أي ممّا أحلَّ الله وترك أكلَ ما حرّم الله، أمّا إذا لم يعرف بأنْ لم يتعلّم ذلك فإنّه يقع فيما حرّم الله، ثمّ إنّ الإنسان لا يُعذر يوم القيامة بقوله إنّي كنت جاهلا إذا أكل في الدّنيا ما شاء ولم يقتصر على الحلال.

ونصيحتي لكلّ مَن أفتى بإباحة أكل اللحم المشكوك فيه أنْ يتّقيَ الله وأن يذكر وقوفه بين يدي الله للحساب يوم لا ينفع مداهنا مداهنته وأنْ يرجع عن فتواه إلى الصّواب الذي بيّناه وليذكر قول النبيّ ﷺ: «**من أفتى بغير علم لعنته ملائكة السّماء والأرض**» رواه ابن عساكر في تاريخه، وقوله: «**من تعمّد عليّ كذبًا فليتبوّأ مقعده من النّار**».

وإنّي أرجو من الله العليّ القدير أنْ ينفع بما قدّمته إيضاحا لهذه المسئلة وإجلاء لشبه المحرّفين، كلَّ من أراد الصواب ونظر بعين التفكّر والإمعان لما ذكرناه من أقوال الأئمّة وءايات القرءان.

وقال فضيلة الشيخ الدكتور الأديب الشاعر الداعية أسامة بن محمد السيد اللبناني الأشعري الشافعي الرفاعي القادري في كتابه «القرضاوي في العراء» ما نصه[1]:

القرضاوي يزعم أنه تؤكل كل ذبائح أهل الكتاب حتى ولو خنقا ولا يجب علينا السؤال عن كيفية الذبح

قال في كتابه المسمى «الحلال والحرام» ص٦٢ ما نصه: «ولقد سئلت عن النصراني يفتل عنق الدجاجة «يخنقها» ثم يطبخها هل تؤكل معه أو تؤخذ منه طعاما؟ فقلت: تؤكل لأنها طعامه وطعام أحباره ورهبانه وإن لم تكن هذه ذكاة عندنا ولكن أباح الله لنا طعامهم مطلقا وكل ما يرونه في دينهم فإنه حلال لنا» اهـ.

وقال من المصدر نفسه ص٦٣ ما نصه: «وعلى ضوء ما ذكر نعرف الحكم في اللحوم المستوردة من عند أهل الكتاب كالدجاج ولحوم البقر المحفوظة مما قد تكون تذكيته بالصعق الكهربائي ونحوه فما داموا يعتبرون هذا حلال مذكى فهو حلٌّ لنا» اهـ.

ويقول في نفس الصحيفة عن ذبيحة المجوس: «وقال آخرون هي حلال لأن النبي ﷺ قال: سنوا بهم سنة أهل الكتاب، ثم قال في التعليق: وما ورد من تتمة لهذا الحديث غير ناكحي نسائهم ولا ءاكلي ذبائحهم» فلم يصح عند المحدثين» اهـ.

وقال في الصحيفة نفسها: «وليس على المسلم أن يسأل عما غاب عنه كيف كانت تذكيته؟ وهل استوفت شروطها أم لا؟ وهل ذكر اسم الله على الذبيحة أم

(١) القرضاوي في العراء (طبعة دار المشاريع- ص١٦٩).

لم يذكر؟ بل كل ما غاب عنا مما ذكاه مسلم ولو جاهلا أو فاسقا أو كتابي فحلال أكله. وقال العلماء في حديث «إن قوما يأتوننا بلحمان لا ندري..». هذا دليل على أن الأفعال والتصرفات تحمل على حالة الصحة والسلامة حتى يقوم دليل على الفساد والبطلان» اهـ.

وقال في كتابه المسمى «فقه الأولويات» ص١٦٩ ما نصه: «فهناك الموسوسون الذين يبحثون عن الشبهات لأدنى ملابسة حتى يجدوها كالذين يشككون في الذبائح في بلاد الغرب لأوهى سبب» اهـ.

الرد: أحب أن أبدأ أولًا بأن الجزء الأخير من حديث «سنوا بهم سنة أهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا ءاكلي ذبائحهم» هو صحيح وليس كما ادعى القرضاوي أن قوله «غير ناكحي نسائهم ولا ءاكلي ذبائحهم» غير صحيح وهذا دليل جهله بالحديث والحديث رواه أبو داود والبيهقي ونتحدى القرضاوي أن يسمي لنا محدثا معتبرا قال بمقولته.

ثم إن ما قاله القرضاوي هنا فيه مخالفة صريحة للشرع ولا سيما ونحن الآن يأتينا من الغرب ما يعرف باللحوم المثلجة، وقد ثبت وبما لا يحتمل الشك أن المسالخ هناك لا تذبح غالبًا بل يصعقون الثور مثلًا بالتيار الكهربائي أو يطلقون عليه الرصاص فيقتل ثم يسلخ ثم يكتبون على العلب المجهزة «ذبح على الطريقة الإسلامية» وذلك للكذب والتمويه.

وهناك بعض الدول الأوروبية تعتبر أن الذبح جريمة يعاقب عليها القانون لذلك فإن بعض المسلمين في سويسرا يدخلون إلى فرنسا ويذبحون ذبائحهم ثم يدخلونها إلى سويسرا لأن سويسرا تعتبر أن ذبح البهيمة جريمة يعاقب عليها القانون فأين الذبح الشرعي في كل هذا؟!

وقول القرضاوي هذا فيه مخالفة للإجماع المنعقد على عدم جواز الأكل من اللحم الذي لم يعرف كيف ذبح وهو اللحم المشكوك فيه ولمزيد من الفائدة إليك

الرد التالي بالتفصيل:

اعلم أن الذكاة الشرعية بقطع مجرى الطعام والشراب ومجرى النفس بما له حد، بشرط أن يكون الذابح مسلما أو يهوديًا أو نصرانيا. فإذا حصل هذا وكان المذبوح مأكولًا حلّ الأكل منه لمن علم، وأما ما كان موته بما لا حد له كأن مات بسبب التردي أو الغرق أو شيء يزهق الروح بثقله لا بحده فلا يحل أكله. وأيضا لا يحل أكل ما لم يعلم هل ذابحه هو ممن يصح تذكيته أم لا، لأن أمر اللحم في هذا أشد من أمر الجبن والحلوى ونحوهما، فإنه إذا شك شخص هل في الحلوى التي بين يديه أو الجبن الذي بين يديه نجاسة جاز له الأكل منه مع الشك وأما اللحم فلا يجوز الشروع في أكله مع الشك في ذكاته كما نص على ذلك الفقهاء كابن حجر الهيتمي والسيوطي من الشافعيةِ والقرافي من المالكية وغيرهم، بل تحريم اللحم الذي لم يعلم طريق حله بأن شك في ذلك مجمع عليه.

وفي كتاب التاج والإكليل لمختصر خليل بهامش كتاب مواهب الجليل شرح مختصر خليل الجزء الأول ص٣٠١ في باب الوضوء نقلا عن شهاب الدين القرافي ما نصه: «الفرق الرابع والأربعون بين الشك في السبب والشك في الشرط وقد أشكل على جمع من الفضلاء قال: شرع الشارع الأحكام وشرع لها أسبابًا وجعل من جملة ما شرعه من الأسباب الشك وهو ثلاثة مجمع على اعتباره كمن شك في الشاة المذكاة والميتة وكمن شك في الأجنبية وأخته من الرضاعة» اهـ.

أي أن تحريم ما شك فيه من اللحم مسألة إجماعية فلا التفات إلى ما يخالف هذا الإجماع من قول بعض أهل العصر المتعالمين وهؤلاء ضرّوا الناس برأيهم المخالف للإجماع في البلاد العربية وفي أوروبا وأمريكا وموّه بعضهم بإيراد حديث أخرجه البخاري (في كتاب الذبائح والصيد والتسمية على الصيد باب ذبيحة الأعراب) على غير وجهه والحديث ورد في ذبيحة أناس مسلمين قريبي عهد بكفر وذلك لحديث عائشة «أن قومًا قالوا للنبي ﷺ إن قوما يأتوننا بلحم لا ندري أذكر اسم الله عليه أم

لا فقال **سمّوا عليه أنتم وكلوه**»، قالت: وكانوا حديثي عهد بالكفر.

ومعنى الحديث أن هذه اللحوم حلال لأنها مذكاة بأيدي مسلمين ولو كانوا حديثي عهد بكفر ولا يضركم أنكم لم تعلموا هل سمى أولئك عند ذبحها أم لا وسموا أنتم عند أكلها أي ندبًا لا وجوبًا لأن التسمية سنة عند الذبح فإن تركها الذابح حل الأكل من الذبيحة.

فمن أين موّه هؤلاء بإيراد هذا الحديث على غير وجهه فكأن هؤلاء قالوا إن الرسول أحلّ أكل ما لم يعلم هل ذابحه مسلم أم مجوسي أم بوذي أم غير ذلك بالاقتصار على التسمية عند الأكل وهذا لم يقله عالم مسلم قط، فليتقوا الله هؤلاء المتهورون وليعلموا أن الإنسان يسأل يوم القيامة عن أقواله وأفعاله وعقائده.

ملاحظة: لقد ألّف الشيخ عبد الحي الغماري رسالة في الرد على القرضاوي في مسألة الذبائح هذه.

ومن مخازي القرضاوي أنه يدعو إلى الاجتهاد بالتصويت كما في كتابه المسمى شريعة الإسلام ص١٥٦. رغم هذا فقد صدر عن المجلس الأوروبي للإفتاء في اجتماعه الثاني في دبلن والذي يرأسه القرضاوي وأعضاؤه من حزب الإخوان فتاوى وتوصيات وبتّوا في كل المسائل المطروحة إلا في مسألة الذبائح فقد ورد في ص٤ ما نصه: «وبعد البحث المضني والتباين الكبير في وجهات النظر وزوايا المعالجة قرر المجلس إفراد الموضوع بالمزيد من البحث والتدقيق حتى يتم حسمه بالنظر إلى جوانبه المتعددة» اهـ.

وقال الشيخ الحافظ عبد الله الهرري رضي الله عنه في كتابه النهج السوي، وزاد فيصل مولوي في الفساد فذكر في مجلة الشهاب العدد الثالث والعشرون السنة السابعة ١٩٧٤ر ص١٦ ما نصه:(لا بأس في أكل لحوم المعلبات ولو كانت مصنوعة في أوروبا أو أمريكا لأنهم أهل كتاب، وقد أباح الله لنا طعامهم، وتسمي أنت عندما تأكل لأن الرسول ﷺ أباح لمن يأتيه لحم لا يدري أذُكر اسم الله عليه

أم لا أن يأكل منه ويسمي هو عليه).

فالجواب: أن اللحم لا يجوز الشروع في أكله مع الشك في ذكاته كما نص على ذلك الفقهاء وأجمعوا عليه، نقل ذلك القرافي في كتابه الفروق. أما إيراده للحديث فهو تمويه وتحريف لمعنى الحديث مع النظر إلى حذف القيد المذكور في الحديث وهو أن عائشة قالت: «يا رسول الله، إن أناسًا حديثي عهد بكفر يأتوننا بلحمان لا ندري أذكر اسم الله عليها أم لا» فقال: «**سموا الله أنتم وكلوا**» رواه البخاري، ومعناه أن هذه اللحوم حلال لأنها مذكاة بأيدي مسلمين قريبي عهد بكفر أي دخلوا في الإسلام من جديد. فلا يضركم أنكم لم تعلموا هل سمى أولئك عند ذبحها أم لا وسموا أنتم عند أكلها أي ندبًا لا وجوبًا.

وفي البخاري باب ذبيحة الأعراب ونحوهم، حدثنا محمد بن عبيد الله قال:حدثنا أسامة بن حفص المدني عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن قومًا قالوا للنبي ﷺ: إن قومًا يأتونا باللحم لا ندري أذكر اسم الله عليه أم لا، فقال:«**سموا عليه أنتم وكلوه**» قالت: وكانوا حديثي عهد بالكفر.

وقال الحافظ في شرحه: أخرج الطبراني من حديث أبي سعيد نحوه لكن قال اجتهدوا أيمانهم أنهم ذبحوها ورجاله ثقات، وللطحاوي في المشكل سأل ناس من الصحابة رسول الله ﷺ فقالوا: أعاريب يأتوننا بلحمان وجبن وسمن ما ندري ما كُنْهُ إسلامهم؟ قال:«**انظروا ما حرم الله عليكم فامسكوا عنه وما سكت عنه فقد عفا لكم عنه وما كان ربك نسيًا اذكروا اسم الله عليه**». قال المهلب: هذا الحديث أصل في أن التسمية على الذبيحة لا تجب إذ لو كانت واجبة لاشترطت على كل حال، وقد أجمعوا على أن التسمية على الأكل ليست فرضًا، فلما نابت عن التسمية على الذبح دل على أنها سنة لأن السنة لا تنوب عن الفرض، ودل هذا على أن الأمر في حديث عديّ وأبي ثعلبة محمول على التنزيه من أجل أنهما كانا يصيدان على مذهب الجاهلية فعلمهما النبي ﷺ أمر الصيد والذبح فرضه ومندوبه لئلا يواقعا شبهة من

ذلك وليأخذا بأكمل الأمور فيما يستقبلان. وأما الذين سألوا عن هذه الذبائح فإنهم سألوا عن أمر قد وقع ويقعوا لغيرهم ليس فيه قدرة على الأخذ بالأكمل، فعرّفهم بأصل الحل فيه. اهـ وبعون الله تعالى قد أوفينا هذا الموضوع حقه بالبيان الشافي نصيحة للناس الذين إلتبس عليهم الأمر فحللوا للناس ما حرّم الله، ألم يبلغهم قول رسول الله ﷺ: «**إذا أرسلت سهمك فأصاب الصيد ثم وقع في الماء فلا تأكل لأنك لا تدري هل قتله السهم أم قتله الماء**» وهذا الحديث هو الأصل في تشديد الفقهاء في أمر اللحم حيث أجمع المجتهدون منهم على الشك في حله يحرمه، ولم يحرموا الجبن والسمن ونحوهما بالشك والله الموفق للصواب.

٢٤- قال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [سورة المائدة]

الشرح: ليس في هذه الآية الكريمة ما ذهب إليه خوارج العصر جماعة سيد قطب من تكفير المجتمعات كلها والحاكم والمحكوم والحكام والملوك والسلاطين والرعايا بزعمهم أن الحاكم الذي يحكم بالقانون ولو بقضية واحدة جزئية فهو كافر مرتد رفض ألوهية الله واعتدى عليها وأثبتها لنفسه وأنه لا ينفعه مهما أعلن أنه مسلم وأنه يصوم ويصلي، فقولهم هذا ما أنزل الله به من سلطان، وهم بهذه العقيدة يحيون عقيدة أسيادهم الخوارج الأوائل الذين كفروا الصحابة والأمة.

وأما معنى هذه الآية فقد قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرءان ما نصه: «قوله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ أفحكم نصب بـ «يبغون» والمعنى: أن الجاهلية كانوا يجعلون حكم الشريف خلاف حكم الوضيع؛ كما تقدم في غير موضع، وكانت اليهود تقيم الحدود على الضعفاء الفقراء، ولا يقيمونها على الأقوياء الأغنياء؛ فضارعوا الجاهلية في هذا الفعل» اهـ.

وقال الإمام المفسر محمد بن جرير الطبري في كتابه تفسير الطبري ما نصه: «قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: أيبغي هؤلاء اليهود الذين احتكموا إليك، فلم يرضوا بحكمك، إذ حكمت فيهم بالقسط «حكم الجاهلية»، يعني: أحكام عبدة الأوثان من أهل الشرك، وعندهم كتاب الله فيه بيان حقيقة الحكم الذي حكمت به فيهم، وأنه الحق الذي لا يجوز خلافه.

٢٥- قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [سورة الأنعام]

الشرح: ليعلم أن الله واحد لا شريك له وأنه سبحانه وتعالى وحده المستحق للعبادة، قال تعالى: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾، وهذه الآية الكريمة ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ معناها أن الله معبود من قبل الملائكة الكرام في السماوات ومعبود من قبل المؤمنين من الإنس والجن في الأرض.

وليس معناها أنه سبحانه حال في السماوات أو في الأرض وليس فيها أنه يسكن السماء أو الأرض وليس كما زعم بعض الملاحدة من أدعياء الإسلام والطريقة النقشبدية في بيروت من أن ما تشتهيه يكون إلها لك فقالوا كل ما تهواه من زوجة أو ما ينشغل به قلبك من متاع الدنيا يكون إلها لك! نعوذ بالله من كفرهم، فالآية لا تعني هذا وليس فيها أن السماء لها إلـه والأرض لها إلـه آخر، قال الله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ ﴿٢٢﴾ ﴾ والفاء هنا بمعنى اللام أي لو كان لهما إلـه مسيطر عليهما مع الله لخربت السماوات والأرض فهذا دليل على أن الله واحد لا شريك له وهو وحده الذي يستحق العبادة، أما من زعم أن كل ما يشتهيه الإنسان يكون اتخذه إلها له فهو كفر صريح لأنه تكفير للأنبياء ولكل المسلمين.

البرهان على الوحدانية

معنى الوحدانية أنه ليس ذاتًا مؤلفًا من أجزاء ولا يوجد ذات مثل ذاته وليس لغيره صفة كصفته أو فعل كفعله. وليس المراد بوحدانيته وحدانية العدد إذ الواحد في العدد له نصف وأجزاء أيضًا.

وبرهان الوحدانية أنه لو لم يكن واحدًا بل متعددًا بأن كان معه إلـه أو أكثر لما قدر على إيجاد أيّ ممكن أو إعدامه ولكان عاجزًا والعجز عليه محال فكونه غير واحد محال أيضًا بل هو الواحد الأحد، ولو كان لغيره فعل كفعله لم يكن منفردًا

بالألوهية إذ فعله على وجه الإحداث من العدم ولا فعل لغيره على وجه الإحداث أي الإبراز من العدم.

وبرهان الوحدانية أيضًا أنه لو كان اثنين وأراد أحدهما أمرًا فالثاني إن كان مضطرًّا إلى مساعدته كان هذا الثاني مقهورًا عاجزًا ولم يكن إلـهًا قادرًا، وإن كان قادرًا على مخالفته ومدافعته كان هذا الثاني قويًّا قاهرًا والأول ضعيفًا قاصرًا ولم يكن إلـهًا قادرًا.

وأيضًا لو كان للعالَم مكونان فصاعدًا لم يخلُ إما أن يكونا قادرين فلو كانا قادرين على الكمال لجاز في العقول تدافعهما بأن يريدَ أحدهما بقاء الجسم في حالة معينة ويريد الآخر فناءه في تلك الحالة فإذا قدرا على تنفيذ إرادتيهما أدى ذلك إلى المحال وهو أن يكون الجسم موجودًا معدومًا في حالة واحدة وما أدى إلى المحال محال، وإن كانا عاجزين أو كان أحدهما عاجزًا فالعاجز لا يصلح للإلـهية لأنه ثبت أن الصانع قديم، وعجزٌ قديم محال لأنه لا يكون إلا عن فعل يُعجز عنه وما لم يتصور الفعل لم يتصور العجز.

وإن شئت قلت: لا بد للصانع من أن يكون حيًّا قادرًا عالمًا مريدًا مختارًا فإذا ثبت وصف الصانع بما ذكرناه قلنا لو كان للعالم صانعان وجب أن يكون كل واحد منهما حيًّا قادرًا عالما مريدًا مختارًا والمختاران يجوز اختلافهما في الاختيار لأن كل واحد منهما غير مجبر على موافقة الآخر في اختياره فإذا صح هذا فلو أراد أحدهما خلاف مراد الآخر في شيء لم يخلُ من أن يتم مرادهما أو لا يتم مرادهما أو يتم مراد أحدهما ولا يتم مراد الآخر. ومحال تمام مراديهما لتضادهما وإن لم يتم مرادهما فهما عاجزان وإن تم مراد أحدهما ولم يتم مراد الآخر فإن الذي لم يتم مراده عاجز ولا يكون العاجز إلـهًا ولا قديمًا وهذه الدلالة معروفة عند الموحدين تسمى بدلالة التمانع.

والدليل على استحالة وجود قديم عاجز أن الفاعل القديم القادر قد وجب

وجوده بدلالة الحوادث عليه فلو صح وجود قديم عاجزٍ معه وقد صح أن القادر يكون قادرًا بقدرة والعاجز يكون عاجزًا بعجز لوجب أن يكون اختصاص أحدهما بالقدرة والآخر بالعجز بعد استوائهما في الوجود والقدم والحياة والقيام بالنفس وسائر الأوصاف التي استحقاها لنفسيهما بمخصص خصّهما أو خصَّ أحدهما بإحدى الصفتين وذلك قيام معنًى حادثٍ وأن يكون مُحدِثُ الحوادث محدَثًا غير قديم وهو محال.

وفي «تشنيف المسامع» ما نصه: «فإن قيل وهل في العقل دليل أن صانع العالم واحد؟ قيل دلالة التمانع المشار إليه في قوله تعالى ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الأنبياء] لأنه لو كان للعالم صانعان لكان لا يجري تدبيرهما على نظام ولا يَتَّسِقُ على إحكام ولكان العجز يلحقهما أو أحدهما وذلك لأنه لو أراد أحدهما إحياء جسم وأراد الآخر إماتته فإما أن تنفذ إرادتهما فيتناقض لاستحالة تجزؤ الفعل إن فُرِضَ الاتفاق ولامتناع اجتماع الضدين إن فرض الاختلاف، وإما أن لا تنفذ إرادتهما فيؤدي إلى عجزهما، أو لا تنفذ إرادة أحدهما فيؤدي إلى عجزه، والإلـه لا يكون عاجزًا لأنه يلزم منه عجز قديم إذ لا تقوم به الحوادث، والعجز القديم محال لأنه يستدعي معجوزًا عنه وإنما يتعلق العجز بالممكن لا بالمستحيل» اهـ.

ثم قال: «واعلم أن الوحدةَ تطلق في حق الإلـٰه من ثلاثة أوجه:

أحدها بمعنى نفي الكثرة المصححة للقسمة عن ذاته تعالى وهي تفسير الأحد الصمد.

الثاني بمعنى نفي النظير عنه في ذاته وصفاته كما يقال للشمس واحدةٌ بمعنى أنه لا نظير لها في الوجود. ووجود نظير الرب محال.

والثالث بمعنى أنه منفرد بالخلق والإيجاد والتدبير فلا مساهم له في اختراع المصنوعات وتدبير المخترَعات. ومنهم من زاد معنى ءاخر وهو أنه لا يشبهه شيء» اهـ.

ومما يناسب هذا الموضوع ما قاله أبو العتاهية: [المتقارب]

فَـيَـا عَـجَـبًـا كـيـف يُـعـصى الإلـ ـهُ أم كَـيـفَ يَجْـحَـدُهُ الجـاحـدُ
وفي كـــل شيءٍ لـــه ءايـــةٌ تـــــدل عـــلى أنـــــه واحـــــدُ
وفي كـــل تحـــريـــكـــةٍ ءايـــةٌ وفي كـــل تـسـكـيـنـةٍ شـاهِـدُ

بيان
أن عقيدة الحلول والاتحاد عقيدة كفرية مخالفة للإسلام

تساهل بعض الناس واستحلوا النطق بكلمات الكفر في غير محله وادعوا أن لها تأويلا، ومن أمثلة ذلك ما ادعاه بعض جهلة المتصوفة أن هذا البيت الذي ينشده بعض أدعياء الشاذلية وغيرهم في حضرة الذكر وهو قولهم:

فما في الوجود سوى واحد ولكن تكثر لما صفا

فقال بعض هؤلاء: إن تأويله أن الله تكثَّر بصفاته.

قلنا: هذا تأويل بعيد وفيه زيادة في الكفر لأن هذا البيت فيه نسبة التغير إلى الله تعالى وهذا كفر، ونسبة حدوث الصفاء في ذاته تعالى كفر، ونسبة التكثر إلى الله تعالى كفر، والله تعالى مستحيل عليه التغير فهو تعالى ذاته أزلي وصفاته أزلية بأزلية الذات، ولا يوصف الله بالصفاء ولا بالكدر لأن هذه أوصاف الخلق.

وعلى كل تقديرٍ لا يجوز إثبات صفة لله لم ترد في الكتاب والسنة حتى بقول صحابيٍ ولا تابعيٍ لا تثبت، فكيف تثبت بغيرها.

وهذا البيت موجودٌ في بعض الكتب وفي الديوان المنسوب للشيخ عبد الغني النابلسي رضي الله عنه ولا نراه صحيحًا عنه بل نرى أنه مدسوسٌ عليه ومفترى كما دُس على الشيخ محيى الدين بن عربي رضي الله عنه كما قال صاحب «المعروضات المزبورة[1]» الحنفي: «قد تيقنا أن اليهود دسوا عليه»[2] وهذا الظن هو اللائق به وبأمثاله.

---

(١) أي المذكورة أو المشار إليها.

(٢) نقله الشعراني في لطائف المنن والأخلاق (ص/ ٣٨٤، ٣٨٨، ٦٧٤).

وليعلم أن كتاب «الفتوحات المكية» يحتوي على كلماتٍ كثيرةٍ من الكفر الصريح الذي لا تأويل له كما قال المحدث الحافظ وليُّ الدين العراقي في رسالةٍ له سماها «الأجوبة المرضية»، وكذا كتاب «فصوص الحكم» وبعض غيرهما من مؤلفات الشيخ محيى الدين بن عربي رضي الله عنه.

وأما الشيخ محيى الدين بن عربي رضي الله عنه فاعتقادنا فيه أنه من العلماء الصالحين والصوفية الصادقين الزاهدين، ترجمه الحافظ ابن حجر في لسان الميزان[1] وذكر أنه اعتدَّ به حفاظ عصره كابن النجار وغيره.

وأكثر ما في كتابيه المذكورَين مما هو مدسوسٌ عليه مما ليس من كلامه كلمات الوحدة المطلقة ففي كتابه «الفتوحات المكية» ما يخالف ذلك فإن فيها ذم عقيدة الوحدة المطلقة وذم عقيدة الحلول.

فمما فيه لإبطال الوحدة المطلقة والحلول قوله في كتاب الأسرار من «الفتوحات المكية» ونص عبارته: «ما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد، ومن قال بالحلول فدينه معلول» اهـ.

فبعد هاتين العبارتين الصريحتين في إبطال عقيدة الوحدة المطلقة وعقيدة الحلول لا يجوز أن يُصَدَّق على الشيخ محيى الدين رضي الله عنه ما في بعض المواضع الأخرى من هذا النوع.

وقد قال الشيخ عبد الله الهرري رحمه الله: حضرتُ مجلس الشيخ الولي أحمد الحارون الدمشقي رحمه الله وكان معروفًا في بلده دمشق بالكشف، فسألته عن عبارة نسبها بعض الناس إلى الشيخ ابن عربي الفتوحات المكية، فقال الشيخ أحمد: «هذا الشيخ ما له حقٌّ في أن يذكر هذا، الفتوحات المكية فيها دسٌّ كثير» اهـ.

وقد قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه في كتابه «لطائف المنن

---

(١) الأجوبة المرضية، مخطوط (ق/ ١٧٢).

والأخلاق» ما يؤيد ما ذكرنا ونصه[1]: «وقد نقل الشيخ محيى الدين بن عربي في الفتوحات المكية إجماع المحققين على أن من شرط الكامل أن لا يكون عنده شطح عن ظاهر الشريعة أبدًا، بل يرى أن من الواجب عليه أن يُحِقَّ الحقَّ ويُبطل الباطل ويَعمَلَ على الخروج من خلاف العلماء ما أمكن اهـ. هذا لفظه بحروفه ومن تأمله وفهمه عرف أن جميع المواضع التي فيها شطحٌ في كتبه مدسوسةٌ عليه لا سيما كتاب «الفتوحات المكية»، فإنه وضعه حال كماله بيقين، وقد فرغ منه قبيل موته بنحو ثلاث سنين، وبقرينة ما قاله في «الفتوحات المكية» في مواضع كثيرةٍ من أن الشطح كله رعونة نفس لا يصدر قط من محقق، وبقرينة قوله أيضًا في مواضع: من أراد أن لا يضلَّ فلا يَرمِ ميزان الشريعة من يده طرفة عين بل يستصحبها ليلًا ونهارًا عند كل قول وفعل واعتقاد انتهى». انتهى كلام الشعراني.

ثم قال الشيخ الشعراني في «لطائف المنن» ما نصه[2]: «وليُحذَر أيضًا من مطالعة كتب الشيخ محيى الدين بن عربي رضي الله تعالى عنه لعلو مراقيها ولما فيها من الكلام المدسوس على الشيخ، لا سيما الفصوص والفتوحات المكية، فقد أخبرني الشيخ أبو طاهر عن شيخه عن الشيخ بدر الدين بن جماعة أنه كان يقول: جميع ما في كتب الشيخ محيى الدين من الأمور المخالفة لكلام العلماء فهو مدسوسٌ عليه، وكذلك كان يقول الشيخ مجد الدين صاحب القاموس في اللغة.

قلتُ: وقد اختصرتُ الفتوحات المكية وحذفتُ منها كل ما يخالف ظاهر الشريعة فلما أَخبرت بأنهم دسوا في كتب الشيخ ما يوهم الحلول والاتحاد وَرَدَ عليَّ الشيخ شمس الدين المدني بنسخة الفتوحات التي قابلها على خط الشيخ بقونية، فلم أجد فيها شيئًا من ذلك الذي حذفته، ففرحت بذلك غاية الفرح فالحمد لله على ذلك». انتهى كلام الشعراني.

---

(١) لطائف المنن والأخلاق (ص/ ٣٩٠) تأليف الشيخ عبد الوهاب الشعراني / دار عالم الفكر.

(٢) لسان الميزان (٥/ ٣٥٣).

وقال الشيخ أبو الهدى الصيادي ما نصه[1]: «والكثير من هذه الفرقة قام قائمهم وقعد قاعدهم منهمكًا بمطالعة كتب الشيخ محيى الدين بن عربي طاب مرقده، ولا بدع فكتب الشيخ كَثُرَت فيها الدسائس من قِبَل ذوي الزيغ والبهتان وعصائب الشيطان، وهذا الذي يطيب القول به لمن يريد براءة الذمة من القطع بما لم يعلم والله تعالى قال: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [سورة الإسراء]، وقد نسبوا -أعني الدساسين- للشيخ ما لا يصح لا عقلًا ولا شرعًا، ولا ينطبق على حكمةٍ نظريةٍ ولا يوافق صحاح القواعد العرفانية» اهـ.

ثم قال بعد كلام ما نصه[2]: «والحق يقال: الذي عليه أهل الورع من علماء الدين أنه لا يحكم على ابن عربي رحمه الله نفسه بشيءٍ لأنا لسنا على يقين من صدور مثل هذه الكلمات منه ولا من استمراره عليه إلى وفاته، ولكنا نحكم على مثل هذا الكلام بأنه كفرٌ» اهـ.

وقال صاحب «المعروضات المزبورة» أحد الفقهاء الحنفية المشهورين: «تيقنا أن اليهود دسوا عليه في فصوص الحكم» اهـ.

قلت: وهذا الكلام المنسوب للشيخ محيى الدين ليس من دين الله وهو منافٍ للتوحيد الذي هو أصل الدين وأصل التصوف الإسلامي، فما هذا الكلام إلا زندقةً وهو كفرٌ صريحٌ لا تأويل له، وهو دُسَّ على الشيخ محيى الدين بن عربي رضي الله عنه فهو لا يتفوه بمثل هذا الكلام المنافي للتوحيد ولعقيدة المسلمين.

وقد وقع الشطح والغلو من كثير من المنتسبين للطرق الصوفية لاسيما في عصرنا هذا فاعتقدوا اعتقادات كفرية وتلفظوا بأقوال شنيعة وهم يظنون أنهم يتكلمون بالأسرار التي تخفى على مخالفيهم وأنهم على مرتبةٍ ومقامٍ عالٍ والواقع أنهم ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

(١) لطائف المنن والأخلاق (ص/ ٣٩٤) عالم الفكر، أبو الهدى الصيادي.

(٢) مراحل السالكين (ص/ ٦١).

وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [سورة الكهف].

والعجب كيف ينتسبون إلى التصوف الإسلامي وهم ضد الصوفية لأن التصوف الإسلامي ما ذهب إليه الجنيد وأمثاله، وهو موافق للنصوص القرءانية كقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ ﴾ [سورة الإخلاص]، فإن هذا صريح في أن الله ليس أصلًا لغيره ولا فرعًا عن غيره، فهؤلاء القائلون بالوحدة والحلول مصادمون لهذا النص وغيره، فكفرهم أسمج الكفر وأشنعه.

وهؤلاء الأدعياء مخالفون أيضًا لسيد الطائفة الصوفية الإمام الجنيد بن محمد البغدادي رضي الله عنه فقد قال: «التوحيد إفراد القديم من المحدَث»، فقول الإمام الجنيد في وادٍ وهؤلاء الجهلة الذين يقولون مرة بعبارات الوحدة ومرة بعبارات الحلول أي حلول الله في خلقه في وادٍ ءاخر، فما أبعد ما بين الواديين.

وقد تجرأ بعضهم فقال: «وقد ألف السادة الصوفية نفعنا الله بهم الكتب والرسائل في إثبات وحدة الوجود وأقاموا الأدلة النقلية والعقلية على إثباتها» اهـ.

الجواب: هذا الكلام مردودٌ لأن الصوفية الذين على نهج الإمام الجنيد البغدادي رضي الله عنه ردّوا هذه العقيدة الفاسدة. قال السيد أبو العلمين الإمام أحمد الرفاعي رضي الله عنه: «إياك والقولَ بالوحدة فإنه من الأباطيل»[1]، وقال أيضًا ما نصه: «لفظتان ثُلمتان في الدين: القول بالوحدة، والشطح المجاوزُ حدَّ التحدث بالنعمة»[2]، فكيف بعد هذا يقول هذا المؤلف إن هذا قول السادة الصوفية، وكيف يتجرأ أن ينسب إليهم ما هو ضد التوحيد.

قال الشيخ أبو الهدى الصيادي الرفاعي في كتابه مراحل السالكين ما نصه[3]:

---

(١) انظر كتابه الحكم (ص/ ٣٨).

(٢) المصدر السابق (ص/ ٣٥).

(٣) مراحل السالكين (ص/ ٦٩).

«ومن أشرف مراتب الصبر مرتبة الصبر عن الكلام في الذات والصفات والوقوف مع ظواهر النصوص في العموم والخصوص، فكم زلق بمثل هذا الكلام زالقٌ، وكم فارق بالخوض فيه للحق مفارقٌ، نعق ناعقهم فتدرج والعياذ بالله تعالى إلى القول بوحدة الوجود المطلقة واندفع مع تلك المزلقة، وزعم أن علوم أهل الله تعالى هي عبارةٌ عن هذه الأغلاط السقيمة والكلمات الذميمة، وقفا ما لم يعلم وأراد أن يصعد إلى السطح بغير سُلَّمٍ، وتكلم بما سكت عنه الأنبياء والمرسلون، وتباعد عن الخوض به الآل والصحابة والوارثون والصديقون والمقربون، حتى صار والعياذ بالله ملعبة الشيطان، وخبط عقله خابط النقصان، واخترع من مخيلته لقلقة الزور والبهتان، ووقف مع إبليس في مراتعه، وحرَّفَ الكلم عن مواضعه، وهدم جدران الحقيقة، وسلك من طرق الزندقة والإلحاد أسوأ طريقة، وادعى الوصلة ولكن إلى النار وبئس القرار، وفارق منهاج السلف الأخيار.

وقد أدَّبَنا رسول الله وبلغنا الأحكام كلها، وتركنا على محجة بيضاء ليلها كنهارها، ولم يأت في كتاب الله ولا في سنة رسوله عليه الصلاة والسلام ما يشير لهذه الأغاليط التي وضعها واضعهم حتى زلق والعياذ بالله فجعل الخلق عين الخالق والمرزوق هو الرازق، وخلط وغلط ولم يكتف حتى زعم أن زندقته هي الطريقة المُثلى والمحجة الموصلة إلى [الله]، وجعل الكفر سعيًا مشكورًا والإلحاد طريقًا مبرورًا وظلمة الباطل نورًا.

والكثير من هذه الفرقة قام قائمهم وقعد قاعدهم منهمكًا بمطالعة كتب الشيخ محيى الدين بن عربي طاب مرقده، ولا بدع فكتب الشيخ كَثُرَت فيها الدسائس من قِبَل ذوي الزيغ والبهتان وعصائب الشيطان، وهذا الذي يطيب القول به لمن يريد براءة الذمة من القطع بما لم يعلم والله تعالى قال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الإسراء].

وقد نسبوا أعني الدساسين للشيخ ما لا يصح لا عقلًا ولا شرعًا، ولا ينطبق

على حكمة نظرية ولا يوافق صحاح القواعد العرفانية، حتى تجرد لرد كلامه أمة من العلماء وبعضهم ظنًّا بل جزمًا بأن كل ذلك من كلامه أفتوا بتكفيره وقالوا فيه ما لا يقال، وحكموا عليه بذلك فيما ظهر لهم بقوله الذي لا نشك في دسه عليه». انتهى كلام الصيادي. ثم ساق بعد ذلك جملة من أقوالهم الكفرية الشنيعة التي تشمئز لها النفوس وتنفر منها القلوب.

ثم قال بعد ذلك ما نصه: «أليست هذَياناتهم هذه ودسائسهم على الشيخ وأمثاله كلّها إلحادًا وزندقةً وإبطالًا لجميع الشرائع وإفسادًا في دين الإسلام، لأنه معلومٌ بالبَداهة أن ثبوت ذواتِ الأنبياء وشرائعهم وثبوت الجنة والنار والثواب والعقاب في دار الجزاء إنما يُبتنى على ثبوت الحقائق في الخارج، وإذا انتفى ثبوتها فيه انتفى ثبوتُ ذوات الأنبياء عليهم السلام وغيرهم من الأمور المذكورة بالضرورة، فلا يتأتَّى حينئذٍ إثبات رسولٍ ومرسلٍ إليه، فيلزم من ذلك بطلان جميع الأمور الدّينية والتَّكاليف الشرعية.

وأما القول بإقرار الأديان وادّعاء الإيمان بالرّسل تَسترًا وتلبيسًا مع نفي الحقائق وسلب الوجود عن الأشياء المستلزم إبطالَ الشرائع فتناقضٌ ظاهرٌ ومحالٌ باهرٌ بل هو عين الزندقة والإلحاد المنافيان للشرائع والأديان، فانظر وأنْصِفْ إن كنت أهلًا للإنصاف.

فلما عجزوا عن إقامة البرهان وسوق الأدلة إلى إثبات المرام بهتوا وتحصنوا مع ارتكاب أنواع المحالات الفظيعة في ترويج تلك الأباطيل الشنيعة بادعاء الكشف والعيان كما قال سعد الدين التفتازاني رحمه الله في رسالته[1]، ويروجون تلك السفسطة النافية لدين الإسلام ولزوم الأحكام بإحالتها على الكشف، ويتفوهون بأن درجة الكشف وراء طور العقل وأنت خبيرٌ بأن مرتبة الكشف نيل ما ليس له العقل ينال لا نيل ما هو ببديهة العقل محال، ولا ينبغي أن يتوهم أن ذلك من قبيل ما ليس

(١) نقله عنه الإمام الرواس في كتابه مراحل السالكية.

له العقل ينال بل هو مستحيلٌ، وللعقل في إبطاله تمكنٌ ومجالٌ.

ثم إن ما يناله الكشف ولا يناله العقل عبارة عندهم عن الممكن الذي الطريق إليه العيان دون البرهان لا المحال الممتنع الوجود في الأعيان إذ الكشف لا يجعل الممتنع متصفًا بالإمكان موجودًا في الأعيان» اهـ.

وقال أيضًا في موضع ءاخر من تلك الرسالة: فكيف يحل لمسلمٍ أن يسمي بالتصوف هذه الزندقة وأولئك الكفرة الزنادقة بالمتصوفة، بل التصوف في لسان القوم عبارةٌ عن التخلق بالأخلاق النبوية والتمسك بقوائم الشريعة المطهرة المحمدية في العلمية والعملية لا عن عقيدة المعطلة والسفسطائية والدهرية.

ومما يزيد في فضح وكشف ضلال أولئك الملحدين كشفًا وإيضاحًا ولحال أولئك المبطلين هتكًا وافتضاحًا أنهم يجمعون في إثبات تلك الزندقة الملعونة بين إقامة الحجة والبرهان وبين ادعاء ظهورها عليهم بالكشف والعيان مع أنه من المعلوم عند أهل العرفان أن التعبير عن المعلوم بالكشف والعيان ليس في حيز الإمكان لقصور العبارة عن بيان هذه الحال وتعذر الكشف عنها بالمقال، فلا يمكن إيداعه في الكتب والرسائل فضلًا عن إثباته بالحجج والدلائل وناهيك ببديهة العقل الحاكمة على بطلان زندقتهم التي أصولها المكابرات وفروعها الضلالات والمحالات التي لم يسمع بمثلها من الكفرة الأقدمين لا من المجوس ولا من المشركين» اهـ.

وكما قال السيد الشريف في حاشية التجريد[1]: ذهب جماعة من الصوفية إلى أنه ليس في الواقع إلا ذات واحدة وهي حقيقة وجودٍ ولها تقيدات بقيود اعتبارية بحسب ذلك تتراءى أي تُظَن موجودات متمايزة فيتوهم من ذلك تعدد حقيقي وليس كذلك بل الكل حقيقةٌ واحدةٌ كالبحر في تموجه، فيتوهم الصغير الذي لا يعقل أن ذلك المرتفع والمنخفض غير الماء، أما العاقل فلا يخفى عليه أن ليس هناك إلا بحر، وتعيّن وأن هذه الحالة أمور اعتبارية فكذلك ليس في الوجود سوى

(١) نقله الرواس في كتابه مراحل السالكين (٦٠/ ٧٤).

الله تعالى، وأن هذه الصور المرئية والكثرة المشهودة أمور اعتبارية وخيالات وهمية ليس لها حقيقة مغايرة لحقيقة الحقّ، أقول: هذا خروج عن طور العقل، فإنَّ بداهيته شاهدة بتعدد الموجودات تعدُّدًا حقيقيًّا، وأنه ذوات وحقائق مختلفة بالحقيقة دون الاعتبار فقط» اهـ.

وأيضًا قال في شرح المواقف[1]: إن حقائق الموجودات متخالفة بالضرورة وما يقال من أن الكلَّ ذاتٌ واحدةٌ تتعدد بحسب الأوصاف لا غير، فالمتقيدون بطور العقل يعدُّونه مكابرةً لا يُلتفت إليها» اهـ.

وقال بعضهم: قال أصحاب الذوق الوهمي: «إذا تعارض الكشف وظاهر الشرع قدمنا الكشفَ لأن الخبر ليس كالمعاينة» اهـ. ولم يدروا أن أخبار الله ورسوله فوق مرتبة عيان الخلق، فكيف بالكشف الذي هو محلُّ اللَّبس.

وقال الإمام الطحاوي[2] رحمه الله: «إن العلم علمان: علم في الخلق موجودٌ وعلم في الخلق مفقودٌ، فإنكار العلم الموجود كفرٌ، وادعاء العلم المفقود كفرٌ، ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود وترك طلب العلم المفقود» اهـ.

أراد بالعلم المفقود علم القدر والغيب الذي طواه الله تعالى عن أنامه ونهاهم عن مرامه، وأراد بالعلم الموجود علمَ الشريعة أصولها وفروعها، فمن أنكر شيئًا مما جاء به الرسل كان من الكافرين، وكذا من ادَّعى علمَ الغيب.

وأيضًا قال شارح عقيدة الطحاوي في كتابه الرد على القائلين بوحدة الوجود[3]: وهذا القول الذي هو ظاهر الفساد قد قضى بقوم إلى القول بالحلول والاتحاد وهو أقبح من كفر النصارى في الاعتقاد، فإن النصارى خصُّوه بالمسيح من الكائنات وهؤلاء عمُّوا جميع الكائنات. ومن فروع هذا التوحيد عندهم والعياذ بالله أن فرعون

---

(١) شرح المواقف موجود بالمعنى القريب ص٦٢ / ج٧ – ٨ دار الكتب العلمية.

(٢) العقيدة الطحاوية.

(٣) الرد على القائلين بوحدة الوجود لعلي بن سلطان القاري (٣١/ ١).

وقومَه كاملو الإيمان عارفون بالله تعالى على التحقيق والإيقان، ومن فروعه أنه لا فرق في التحريم والتحليل بين الأم والأخت والأجنبية، ولا فرق بين الماء والخمر والزنى والنكاح فكلٌّ من عين واحدة بل هو العين الواحدة، ومن فروعه أن الأنبياء ضيَّقوا على الناس، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا اهـ.

كأنه أشار إلى أقوال دُسَّت على الشيخ محيى الدين من أنه قال في الفصوص: «من ادعى الألوهية فهو صادقٌ في دعواه»، ومن أنه أباح المكث للجنب والحائض في المسجد، وأنه يقول بقدم العالم، ومن أنه قال: «ضيق ابن أبي كبشة أمر الدنيا على الموحدين»، وأن فرعون خرج من الدنيا طاهرًا مطهرًا كما نقل ذلك عماد الدين بن كثير بسنده عن العلامة تقي الدين السبكي عن شيخ الإسلام ابن دقيق العيد القائل في ءاخر عمره: «لي أربعون سنة ما تكلمت بكلمة إلا وأعددت لها جوابًا بين يدي الله تعالى»، قال الإمام الجزري رحمه الله بعد كلام: «وبالجملة فالذي أقوله وأعتقده وسمعته ممن أثق به من شيوخي الذين هم حجة بيني وبين الله تعالى أن من صح عنه هذا الكلام وأمثاله مما يخالف الشرع المطهر وقاله وهو في عقله ومات وهو معتقد ظاهره فهو أنجس من اليهود والنصارى فإنهم لا يستحلون أن يقولوا ذلك، ولا يلتفت إلى قول من قال إن هذا الكلام المخالف لظاهر المرام ينبغي أن يؤوَّل بما يوافق أحكام الإسلام فإنه غلط من قائله وكيف يؤول قولهم:

الـــرب حـــق والـعـبـد حق يا ليت شعري من المكلف

وقولهم: «ما عرف الله إلا المعطلة والمجسمة لأن الله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى] فهذا دليل المعطلة، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى] دليل المجسمة»، وقولهم: ما عبد من عبد إلا الله لأن الله تعالى يقول: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [سورة الإسراء]، وقوله في فرعون: قبضه الله تعالى طاهرًا مطهرًا لم يقترف ذنبًا والله تعالى يقول: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾

وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [سورة القصص].
ثم إنما يؤول كلام المعصوم، ولو فتح باب تأويل كل كلام ظاهر الكفر لم يكن في الأرض كافر اهـ.

وقد تجرأ بعضهم فقال: هذه الكلمات من اصطلاحات الصوفية توافقوا على ألفاظ وأرادوا بها معاني غير المعاني المتعارفة منها، فأجاب بعض الفضلاء عن تلبيس هذا الملبس بقوله: «إن أراد هذا المغفل بالصوفية الصوفية الحقيقية المسلمين التابعين للكتاب والسنة فزور وبهتان لأنهم إنما اصطلحوا على ألفاظٍ مطابقةٍ في تفسيرها لقواعد الإسلام، وأحكام الشرع غير مخالفةٍ لشيءٍ منها على ما هو في البرهان المؤيد والرسالة القشيرية ونحوهما.

وإن أراد بالصوفية هؤلاء الملاحدة فإننا قد اطلعنا على اصطلاحاتهم المخالفة لقواعد الإسلام بل لقواعد جميع الملل والأديان، واختبرنا مذهبهم حقيقة الاختبار فكله فاسدٌ وإلى الوهم والخيال راجعٌ وعائدٌ، والسادة الصوفية أهل المراتب العلية هم كما قال الشرف المقري رحمه الله تعالى:

على الحق كانوا ليس فيهم لوحدةٍ ولا لحلول الحق ذكر لذاكرِ

ويا ليت شعري هل يجوز لأحد أن يصطلح على ما يخالف الشرع واللغة ويوجب كفر صاحبه ويصير سببًا لفتح باب الشر والفساد لسائر الملاحدة والزنادقة المبطلين، فويلٌ ثم ويلٌ لمن يدعي العلم ويُظهر الفضل فينخدع ويغتر بمثل هذه الشبهات الركيكة الوهمية والتلبيسات الإلحادية الزنديقية، ولم يفرق بينهما وبين الاصطلاحات الإسلامية» اهـ.

وقال بعضهم: «إن كلامهم شبيه بالمتشابه في الكتاب والسنة من حمله على ظاهره كفر وله معنى سوى المعنى المتعارف»، وقال بعض العلماء في جوابه: «بأن المتشابه هو الكلام الذي فيه اشتباه الطرفين يشبه المردود بظاهره ويحتمل المقبول

بتأويل مطابق لظاهره وهذا لا يتأتى في ظاهر عباراتهم بل هي نصٌّ صريحٌ في أن الحق هو الوجود المطلق وأن العالم صورته وهويته، وأيضًا هل يجوز لأحد غير الشارع أن يتكلم بكلمات متشابهة مخالفة للشرع ويداوم عليها ويكتبها في الكتب ويدونها في الزبر ويحرض الناس على قبولها والعمل بها كلا لا يجوز ذلك لغير الشارع أبدًا. ولا تغتر أيها المحب بقول من يقول: «إن هذه الكلمات من أمور القلب» فذلك جهلٌ أو عنادٌ لأن الألفاظ قوالب المعاني وموضوعةٌ لها، والمعاني إنما تؤخذ من الألفاظ وإلا لما ثبت كفر أحدٍ ولا إيمانه مع أن العلماء والعقلاء اجتمعوا على أن مذاهب الرجال تعرف من كلامهم في كتبهم وإلا فقد فُقِدَ الأمن من كل شيء» اهـ.

قال سعد الدين التفتازاني رحمه الله تعالى: «صرف الكلام عن ظاهره وجواز تأويله وحمله على المجاز إنما يُحكى إذا لم يصرح المتكلم أن مقصوده حقيقة الكلام ولم يقم على إثباتها البرهان، فعند التصريح وإقامة الدليل على إثبات مفهومه الصريح يصير محكمًا في إفادة الحقيقة غير قابلٍ للتأويل وحمله على المجاز، وذلك كتصريح الملاحدة الوجودية بأن الله تعالى هو الموجود المطلق المنبسط في الظاهر، ثم تلفيقهم المغالطة في صورة البرهان على إثباته ثم تفريعهم عليه بأن كل من عبد الأصنام فقد عبد الله وكل من ادعى الألوهية فهو صادق في دعواه فلذلك بعد ما صار محكمًا بالتصريح وإقامة الدليل لا يقبل التجوز والتأويل.

وبهذا يظهر لك بطلان ما يقوله الذابون عن هؤلاء الملاحدة أن ليس مراده الوجودية ما تفهمه العامة بل لهم تأويل لا يفهمه إلا الخاصة» اهـ.

وقولهم: «لعل له تأويلًا» عين الفساد في الدين أن يتكلم شخصٌ بكلامٍ هو كفرٌ وإلحادٌ في ملة الإسلام، ويرغب فيه ويدعو إليه ثم يقال: «لعل له تأويلًا عند أهل الباطن» وهل باطن دين الإسلام يخالف ظاهره!

فإن قالوا: «كلاهما حقٌّ»، يقال لهم: هذا مخالفٌ لقوله تعالى ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة يونس].

وأيضًا مخالفٌ لإجماع المسلمين أن الحق واحدٌ في الاعتقاديات التي يكفر مخالف الحق فيها، ولهذا أجمع أهل زمان الحلاج على قتله مع أن كلامه أقرب إلى إمكان التأويل من كلام غيره.

وقولهم: «صدور ذلك عنهم يكون في حال السكر والغيبة وهم غير مؤاخذين لأنهم غير مكلفين في ذلك الحال» اهـ.

فالجواب: قد تقرر أن صدور مثل كلمةٍ أو كلمتين أو نحو ذلك حال السكر والشطح قد يمكن لا تأليف كتابٍ وتأسيس قواعدٍ وتفريع فروع مبنيةٍ عليها وترتيب مقدماتٍ وبراهين بزعمهم كتأسيس أن الحق سبحانه هو الوجود المطلق الظاهر في صورة الموجودات وأن الموجودات عينه وهويته، ثم تفريع أن مَن عبد شيئًا فإنما عبدَ الله فأي مسلم يحلُّ له أن يسمع مثل هذا ثم يقول: «لعل له تأويلًا» أو «لعله قاله القائل حال سكره» أو أن يعتقد أن القوم أهل الله يقولون أو يعتقدون مثل هذا الكلام وحاشاهم بل هم مبرَّؤون من كل ذلك وقائل ذلك هالكٌ.

فالحاصل أن القائلين بالوحدة المطلقة لهم اعتقادٌ خارج عن الشرع والعقل وهم مصرِّحون بذلك، ويقولون إن متابعة العقل حِجاب وكذلك العلم الاستدلالي وإنما ينال العلم الذي يدَّعونه بالذوق لا بتقليد الأنبياء ولا ببراهين العلماء يريد بذلك قائلهم إن نظر العقل قاصرٌ عن إدراك الأمور كما هو حَقُّها، فكذلك الأخبار أيضًا قاصرةٌ عنه لأنه لا يمكن الوصول إليها إلا بالذَّوق لا بالوحي، فلذلك ألسنة الأنبياء والرسل قاصرةٌ عنها، فلم يبق العلم الكامل والإدراك التَّام إلا في التجلي والكشف، فهذا إنكار لجميع الشرائع وصريحٌ في عدم قبولها كما قال كثير من الوجودية: «كُمَّل الأولياء يأخذون العلم من المعدن الذي أخذ منه الأنبياء والرسل من ذلك المعدن، فالعلم الذي أخذ بواسطة الرُّواة والأسانيد ليس بعلم»، وهذا هو الضلال البعيد والعصيان الذي ما عليه من مزيد.

وصرح بعض الفضلاء أن هذه الضلالة المستحيلة في العقول سرت في جماعة

من المسلمين نشأوا في الابتداء على الزهد والخلوة والعبادة، فلما حصلوا من ذلك على شيءٍ صفت أرواحهم وانكشفت لهم ما كانت الشواغل الشهوانية مانعةً من انكشافه، وقد طرق أسماعهم من خرافات رهبان النصارى أنه إذا حل روح القدس في شيء نطق بالحكمة وظهر له أسرار ما في هذا العالم مع تشوف النفوس إلى المقاصد العلية، فذهبوا إلى هذه المقالة السخيفة، فمنهم من صرّح بالاتحاد على المعنى الذي قالته الرهبان وزادوا عليهم ولم يقتصروه على المسيح كما ذهبت إليه غلاة الروافض في سيدنا الإمام عليّ رضي الله تعالى عنه من الحلول، ولهم في ذلك كلمات يعسر تأويل كلها لمن يريد الاعتذار عنهم بل منها ما لا يقبل التأويل.

ولهم في التأويل خلط وخبط كلما أرادوا أن يقربوا من المعقول ازدادوا بُعدًا حتى إنهم استنبطوا قضية حلت لهم الراحة وقنعوا في مغالطة الضرورة بالمغيب وهي أن ما هم فيه يزعمون وراء طور العقل وأنه يفهم بالوجدان ولا يقدر على الإيضاح به اللسان والحال أنَّ التكليف في أمر الدين لم يجئ إلا بمقدار الوُسع والوسع هو الوسع العقلي لا غير، والله تعالى قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴿٢٨٦﴾﴾ [سورة البقرة] أي طاقتها ووسع عقلها، والنبي لم يمتحن الأمة إلا بما تعي به العقول، فعلى هذا ما كان وراء طور العقل لم يكن من الدين، وهذه أحكام الدين التي يجب اعتقادها دائرة على محور العقل ولا يضر بعض الأحكام عدم وصول بعض العقول لفهمها ولحقائق أسرار الشرع فيها، بل الغاية من هذا المعنى أن العقول الكاملة أعني عقلاء العلماء العاملين وأهل العِرفان واليقين محيطة بفهم حقائق الأحكام المعتقدة، ولذلك قال شيخنا شيخ مشايخ الإسلام القطب الغوث الأكبر الإمام السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه وعنا به: «كل دين لم يحط بالعقل فليس بدينٍ وكل عقلٍ لم يحط بالدين فليس بعقل» أي ليس بعقلٍ كاملٍ، وقد أوردنا في هذا المقصد كلمات العلماء الأعلام احتجاجًا على قواصر الأفهام كي لا يزعم أحدهم أن قولنا محض انتصارٍ لمذهبنا في طريقتنا العلية الرفاعية بالرد على الوجودية.

ومن كلام علماء الدين رضي الله عنهم تعلم أيها المحب صحة مذهب السادة

الرفاعية أنصار السنة السنية، فتمسك بهديهم وسر بطريقهم، وخذ بقولهم، ودع شقاشق أهل الوحدة المطلقة فإنها عين الزندقة، ولا تُفرِّط ولا تُفرِط، وبرّئ القوم الذين اشتهروا بالصلاح والعرفان من نسبة الأقوال المكفرة إليهم وحملها عليهم، وقل بدسّها في كتبهم وعلى ألسنتهم فقد وضع الوضاعون على لسان الشارع المأمون، وتحقق بظاهر الشرع الشريف، واعمل به اتباعًا للعلماء العاملين أكابر الدين، ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك، وقف مع السنة، وتباعد عن الفتنة، واهجر المارقين والضالين، واندمج في الصالحين الصادقين، وأن الله لمع المتقين». انتهى كلام الصيادي.

وقال في نفس الكتاب ما نصه: «وأزلق الناس في هذه الوَهدَات زمر المتشيخة من الفقهاء والصوفية الذين انبعثوا مع هفوات ءارائهم وأعجبتهم طقطقة النعال حولهم وكثرة المعتقدين والطلاب فوسوس لهم الشيطان وخدعهم، فأحدثوا في المذاهب والطرق الشريفة ما لم يقل به السلف، يريدون بذلك زيادة استمالة الناس من العامة، وها هم بين ظهراني الأمة يكذبون على الله ويفترون على رسوله، والله تعالى قال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٦٨﴾﴾ [سورة العنكبوت]، يخوضون في الدين ويغشون المسلمين ويأتون بالعجب العجاب من المعتقدات الفاسدة والبضائع الخبيثة الكاسدة، ويُبيحون المحرمات ويُحرفون معاني الأخبار والآيات، ويفسرون كلام الله بآرائهم، ويجذبون جماهير العامة من بحبوحة صحتهم إلى وهدة دائهم، ويتكلمون بالحلول والاتحاد، ويبثّون في الأرض الفساد والإلحاد، ويكثرون من الشطحات والدعاوى العريضة والترهات، فمثل أولئك عصابة الخدعة والمكر والفرار منهم يجب كما يجب الفرار من المجذوم» اهـ.

ثم قال في نفس الكتاب ما نصه: «قال إمام الطريق سيدنا الغوث الأكبر الرفاعي: «أقرب الناس إلى الزندقة المتصوفة المشغولون عن العبادات بالخوض في الكلام على الذات والصفات» اهـ. ثم قال: «وقال رضي الله عنه: «قل لمدعي الوحدة المطلقة أنت محوز عن غيرك بجهتك ومكانك وهو منزهٌ عن الجهة والمكان، وأنت محاطٌ

بثوبك وهو بكل شيءٍ محيط[1]، وأنت مسوَّرٌ بالعجز في كل شيء وهو على كل شيء قدير، فكذب وهمك كما كذبك وجودك لتدخل في أعداد المؤمنين الصادقين، فكل ما يطرأ عليه الحدث من جانبٍ فهو حادثٌ، فاتق الله ونزه ربك، فإن التوحيد إفراد القدم عن الحدث» اهـ.

وقد أورد أبو الهدى الصيادي قبل هذا الكلام في كتابه هذا أبياتًا أوَّلها:

طريقة الغوث الكبير الأمجد ... طريقة السنة والكتاب
أحمد نسل المصطفى صاحب اليد ... والآل أهل الحق والأصحاب

ثم قال فيها:

طريقة القول برد الشطح ... والأخذ ما بين الورى بالنصح
طريقة البعد عن الإلحاد ... مثل حلول ساء واتحاد

وقال أيضًا في كتابه «الطريقة الرفاعية» ما نصه[2]: «الطريقة الرفاعية ردّ القول بالوحدة المطلقة والحلول، بل وردّ الشطحات والدعاوى العريضة التي لا يقول بها الشرع ولا يرتضيها العقل»، ثم قال: «وحيث إن القول بالوحدة المطلقة والحلول يؤدي إلى الكفر والعياذ بالله تعالى، والشطحات العريضة تؤدي إلى الفتنة وتزلق بقدم الرجل إلى النار فاجتنابها واجبٌ، وتركها ضربة لازمٌ، وكل ذلك من طريق شيخنا الإمام السيد أحمد الرفاعي الحسيني رضي الله عنه وعنا به، وبهذا أمر أتباعه وأشياعه وحث على ذلك أصحابه وأحزابه، وقد أوضح كل ذلك في كتابه «البرهان المؤيد» وفي الكثير من مجالسه الشريفة ومقولاته المنيفة وتناقلها أتباعه بطنًا بعد بطنٍ وجيلًا بعد جيل» اهـ.

---

(١) أي إحاطة العلم.

(٢) (٢) الطريقة الرفاعية (ص/ ١٥).

وقال في كتابه «الكوكب الدري» ما نصه[1]: «خاتمة استطرادية: من قال: أنا الله، أو ما في الوجود إلا الله، أو لا موجود إلا الله، أو الكل هو الله، أو نحو ذلك فإن كان عاقلًا صاحيًا في قيد التكليف فلا خلاف بين المسلمين جميعًا في كفره لمخالفته نص القرءان، إذ يلزم حينئذ نفي الخالق والمخلوق والرسول والمرسَل إليه والجنة والنار للزوم الاتحاد من هذا القول، وهو أشد زللًا والعياذ بالله من الذين قالوا بالحلول والاتحاد، وقد خصصوهما بسيدنا عيسى فقط عليه الصلاة والسلام، بخلاف من قال ما تقدم فإنه يلزم من قوله الشمول لكل الموجودات، وبهذا صرح بعضهم فقال:

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما الله إلا راهب في كنيسة

وهذا كفرٌ وضلالٌ تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم، وأما إن كان قائل ما تقدم غائبًا عن شعوره مغمًى عليه فقد سقط عنه التكليف فلا يكفر حينئذٍ ولا يؤاخذ شرعًا، كما أنه لا يجوز تقليده مطلقًا، ولا ريب أن التفوه بمثل ذلك من كل عاقلٍ مكلفٍ يُغضب الله ورسولَهُ.

واعلم أن أهل الطريق الحق لا ينحرفون في الأقوال والأفعال عن ظاهر الشرع، وكفى بالشرع والشارع قدوةً وإمامًا والسلام». انتهى كلام الصيادي.

ولتأييد ما ذكرناه نورد ما ذكره الحافظ السيوطي الذي جمع بين علم الشريعة والتصوف في رسالته «تنزيه الاعتقاد عن الحلول والاتحاد»[2]، ونص عبارته: «وما زالت العلماء ومحققو الصوفية يبينون بطلان القول بالحلول والاتحاد وينبهون على فساده ويحذرون من ضلاله» اهـ. ثم ساق السيوطي جملة من أقوال الأئمة في ذلك نورد بعضها:

---

(١) الكوكب الدري في شرح بيت القطب الكبير (ص/ ١١ – ١٢).

(٢) الحاوي للفتاوى (٢/ ٢٣٦) للسيوطي/ المكتبة العصرية.

«قال الإمام فخر الدين الرازي في كتاب «المحصل في أصول الدين»: مسئلة: البارئ تعالى لا يتحد بغيره لأنه حال الاتحاد -يعني على زعمهم- إن بقيا موجودين فهما اثنان لا واحد» اهـ.

«وقال الإمام أبو الحسن الماوردي صاحب الحاوي الكبير في مناظرة ناظرها لبعض الحلوليين: لا ينفع التنزيه مع القول بالاتحاد والحلول، فإن دعوى التنزيه مع ذلك إلحاد، وكيف يصح توحيد مع اعتقاد أنه سبحانه حل في البشر» اهـ.

«وقال القاضي عياض المالكي في الشفا ما معناه: أجمع المسلمون على كفر أصحاب الحلول ومن ادعى حلول البارئ سبحانه في أحد الأشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية» اهـ.

«وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في «قواعده الكبرى»: ومن زعم أن الإلـه يحل في شيء من أجساد الناس أو غيرهم فهو كافر» اهـ.

«وقال صاحب كتاب «نهج الرشاد في الرد على أهل الوحدة والحلول والاتحاد»: حدثني الشيخ كمال الدين المراغي قال: اجتمعت بالشيخ أبي العباس المرسي تلميذ الشيخ الكبير أبي الحسن الشاذلي وفاوضته في هؤلاء الاتحادية، فوجدته شديد الإنكار عليهم والنهي عن طريقهم وقال: أتكون الصنعة هي الصانع!» اهـ.

ثم قال صاحب نهج الرشاد: «وما زال عباد الله الصالحون من أهل العلم والإيمان ينكرون حال هؤلاء الاتحادية، قال الشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد: ومنهم بعض المتصوفة القائلون بأن السالك إذا أمعن في السلوك وخاض معظم لجة الوصول فربما يحل الله فيه كالنار في الجمر بحيث لا تمايز أو يتحد به بحيث لا أثنينية ولا تغاير وصح -على زعمهم- أن يقول: هو أنا وأنا هو، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا. قال التفتازاني: وفساد الرأيين غني عن البيان».

وذكر الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في أول كتابه حلية الأولياء أنه جمع فيه أسامي جماعة من أعلام المحققين من الصوفية وأئمتهم من قرن الصحابة والتابعين

وتابعيهم ومن بعدهم وذلك لما انتشر في الأمصار في كل قطر المنتسبون إليهم من الفسقة الفجار والمباحية والحلولية الكفار.

تنبيه: قال العز بن عبد السلام: «يُعزَّر وليٌّ قال «أنا الله» ولا ينافي ذلك ولايته لأنه غير معصوم» اهـ. يعني أن الولي إذا قال بلسانه في حال ارتفاع التكليف عنه ذلك لغيبة عقله يُعزر لأنه ينكف عن قوله بالتعزير، لأن التعزير يؤثر في المجنون كما تؤثر العقوبة بالضرب في البهائم، ولم يُرد أن الولي يتكلم بكلمة الكفر في حال صحوه بإرادة لأن الولي معصومٌ عن أن يتكلم بكفر ما دام بحالة التكليف كما دل على ذلك الحديث القدسي[1]: «من عادى لي وليًّا فقد ءاذنته بالحرب وما تقرب إلي[2] عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به» الحديث، وفي رواية: «ويكون من أوليائي وأصفيائي»[3].

وليحذر العاقل من هؤلاء المتصوفة الذين لا يراعون الشريعة، ومن عادتهم أنهم إذا عارضهم معارض فيما يخالفون فيه الشرع يقولون: «أنتم أهل الظاهر ونحن أهل الباطن لا نتفق»، فيقال لهؤلاء الجهلة: الله تعالى ما جعل شريعتين شريعة للمتصوفة وشريعة للمتمسكين بشرعه، بل لا يصل متصوف إلا بكمال التمسك بالشريعة، ولا يصل متصوفٌ إلى الولاية إلّا بالتمسك بشرع الله، ثم بعد الولاية يزداد تمسكًا بالشريعة، فعندئذٍ يستحق العلم اللدني، أما من لم يتمسك بالشريعة على التمام فحرام عليه العلم اللدني.

فإن قالوا: أليس قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴿٢٨٢﴾﴾ [سورة البقرة] قيل لهم: قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴿٢٨٢﴾﴾ معناه أدوا كل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق: باب التواضع الجزء الثامن ص٨٩.

(٢) أي القرب المعنوي.

(٣) عزاها الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١١/ ٣٤٥) للطبراني (دار المعرفة).

الفرائض واجتنبوا كل المحرمات فهذا الذي يُعلمه الله العلم اللدني، أما بدون ذلك مستحيلٌ شرعًا أن يعطيه الله تعالى العلم اللدني.

وهؤلاء ابتعدوا من نصوص الشريعة كل البعد قال رسول الله [1]: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ»، أي كل أمر لا يوافق شريعتنا فهو مردودٌ عند الله تعالى، فما أبعدهم من سيرة سيد الطائفة الصوفية الجنيد بن محمد البغدادي رضي الله عنه فقد قال: «الطريق إلى الله مسدودة إلا على المقتفين ءاثار رسول الله» اهـ.

وقال محمود بن محمد خطاب السبكي المصري في كتابه الدين الخالص ما نصه[2]:

المتشابه

أما ما ورد من الآيات والأحاديث المتشابهة فقد أجمع السلف والخلف رضى الله عنهم على أنها مصروفةٌ عن ظاهرها، لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص] وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [سورة الشورى] (ثم اختلفوا) في بيان معاني تلك الآيات والأحاديث (فالسلف) يفوضون علم معانيها إليه تعالى. فيقولون أن الاستواء في آية ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، مع جزمهم بأنه جل جلاله يستحيل عليه الاستقرار على العرش أو اتصاله به أو جلوسه عليه، لأنه تعالى إلـه قديمٌ موصوفٌ باستوائه على العرش قبل خلق العرش، لأن القرءان الذي منه هذه الآية يخبرنا أن الله موجود قبل إيجاد العرش، فكيف يعقل أنه تعالى استقر على العرش

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الأقضية: باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ص١٣٤٤.

(٢) الدين الخالص (دار الكتب العلمية – ص٥٣-٧٢).

والعرش غير موجود؟ ولما خلق الخلق لم يحتج إلى مكانٍ يحل فيه، بل هو غنيٌّ عنه. فهو تعالى لم يزل بالصفة التى كان عليها (والخلف) يقولون فيها: الاستواء لأنه معناه الاقتدار والتصرف أو نحو ذلك، ومذهب السلف أسلم لأنه يحتمل أن الله عز وجل أراد معنى في الآية غير ما فسرها به الخلف.

ووجه صحة مذهب الخلف أنهم فسروا الآية بما يدل عليه اللفظ العربي. والقرءان عربى (وحملهم) على التفسير المذكور ولم يفوضوا كما فوض السلف وجود المشبهة والمجسمة في زمانهم زاعمين أن ظاهر الآيات يدل على أنه تعالى جسمٌ، ولم يفقهوا أنه مستحيلٌ عليه عز وجل الجسمية والحلول في الأمكنة. وقد اغتر بعض العوام بقولهم، فاعتقدوا أن الله تعالى جالسٌ على العرش وحالٌّ في السماء، فكفروا والعياذ بالله تعالى، والنفس أمّارةٌ بالسوء، والشياطين تحسن لها ارتكاب ما تخلد به في النار (فوجب) عليهم أن يبيّنوا للعامة معنى تلك الآيات والأحاديث المتشابهة -حسب مدلولات القرءان والأحاديث النبوية- بما يصح اتصاف الله تعالى به، ليعرفوا الحق فيعلموا عليه ويتركوا الباطل وأهله فلا يكفرون، فجزاهم الله تعالى خير الجزاء. (وقد) نقل العلامة أحمد زروق عن أبي حامد أنه قال: لا خلاف في وجوب التأويل عند تعين شبهةٍ لا ترتفع إلا به اهـ. (والحاصل) أن الخلف لم يخالفوا السلف في الاعتقاد وإنما خالفوهم في تفسير المتشابه للمقتضى الذي حدث في زمانهم دون زمان السلف كما علمت. بل اعتقادهم واحدٌ، وهو أن الآيات والأحاديث المتشابهات مصروفةٌ عن ظاهرها الموهم تشبيهه تعالى بشيءٍ من صفات الحوادث، وأنه سبحانه وتعالى مخالفٌ للحوادث، فليس بجسمٍ ولا جوهرٍ ولا عرضٍ ولا مستقرٍ على عرشٍ ولا في سماءٍ ولا يمر عليه زمانٌ وليس له جهةٌ إلى غير ذلك مما هو من نعوت المخلوقين. (فمن اعتقد) وصفه تعالى بشيءٍ منها فهو كافر بإجماع السلف والخلف. نسأل الله تعالى حسن الاعتقاد وهو أن الله موجود بلا مكان ليس جسمًا ولا يتصف بصفات الأجسام لأنه ليس كمثله شيء.

تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (واطلع) عليها من لا علم عنده بأصول الدين

الصحيحة فاعتقد أن ما ذكر فيها حقٌّ وعقائد صحيحةٌ، وأعانه على ذلك الاعتقاد المكفر من كفر قبله بسبب هذا الاعتقاد (ويقولون) لهم: هذه كتب أكابر العلماء المحققين. وهذه العقيدة عقيدة السلف، ومن لم يعتقدها يكون كافرًا مخلدًا في النار معطلًا لصفات الله وغير ذلك من البهتان الفظيع. (ومن) جهلهم استدلالهم على دعواهم الباطلة أن الله تعالى استقر على العرش، بقول بعض السلف كمالك بن أنس رضى الله تعالى عنه جوابًا للسائل عن معنى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ الاستواء معلومٌ والكيف غير معقولٍ والايمان به واجبٌ والسؤال عنه بدعةٌ وما أظنك إلا ضالًا، ثم أمر به فأخرج. ولا دليل فيها، فإن معنى الاستواء معلومٌ أنه مصرحٌ به في القرءان. ففى رواية تأتى للشافعي عن مالك: الاستواء مذكورٌ والكيف مرفوعٌ يعني لا نعلم معناه، لأنه لا يعلم معنى المتشابه إلا الله تعالى. فهو ناطقٌ بأنه لا يتعرض لبيان معناه لعدم علمه به. فكيف يدعى عليه أنه فسر الاستواء بالاستقرار والجلوس؟ سبحانك هذا بهتانٌ عظيم. (والأدهى) دعوى هذه الشرذمة أن من لم يعتقد أن لله تعالى جهة، وأنه في مكان، فهو كافرٌ لإنكاره وجود الله عز وجل. ويقولون لمن حضرهم من العوام بسطاء العقول: إذا كان الله تعالى ليس في جهة فوق ولا تحت ولا أمام ولا خلف ولا يمين ولا شمال، فهو غير موجود. فيجب الكفر بالإلٰـه الذي لا جهة له ولا مكان. (فهذه) الدعوى ناطقة بأنهم يعتقدون أن الله تعالى جسم كالأجسام شبيه بالحوادث.

وهو كفر صريح نعوذ بالله تعالى من الكفر وأهله، (فقد) عكسوا الحقائق لانعكاس بصيرتهم وفظيع مركب جهلهم. قال الله تعالى ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٣٣﴾ [سورة الرعد] (إذ لو كانوا) يسمعون أو يعقلون وتأملوا قليلًا (الجهات وله مكان (صريحة) في اعتقادهم عدم وجود الله سبحانه وتعالى لأنه لا مكان له ولا جهة، مع أنه كان موجودًا قبل خلق الجهات والأمكنة، وكان موجودًا ولا شىء معه كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وذلك من صفات الألوهية. كما أن الاحتياج إلى المكان والجهة من صفات الأجسام الحادثة. (وكيف) يتوهم من

عنده شائبة عقل أن وجود الإلـه القديم يتوقف على اتصافه بصفات المخلوق. أن هذا لمن أشنع الخبال والبهتان، (والأغرب) أنهم يعتقدون أنهم سلفيون وهم كاذبون وبغيهم جاهلون.

(ومن خرافاتهم) دعواهم أن من لم يعتقد أن الله عز وجل جالسٌ ومستقرٌ على العرش أو في السماء، معطلٌ لصفات الإلـه (مع العلم) الضروري أن ذلك ليس من صفات الله تعالى بل هو ضد صفاته سبحانه وتعالى نافٍ للألوهية بالكيلة كما علمت.

(وأما) السلف والخلف فإنهم مجمعون على ثبوت صفات الله تعالى الواردة في الكتاب العزيز والسنة المحمدية. وإنما خلافهم في تفويض معنى المتشابه وهو مذهب السلف. وفى بيان معناه وهو مذهب الخلف (قال) ابن كثير في تفسيره ما نصفه: أما قوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الأعراف] فلنا في هذا المقام مقالات كثيرة جدًّا ليس هنا موضوع بسطها. وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك والأوزاعي والثوري والليث ابن سعد قديمًا وحديثًا. وهو أمراها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطليل والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفيٌّ عن الله تعالى، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه و ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى]. بل الأمر كما قاله الأئمة. منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري قال: من شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر. وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، (فمن أثبت) لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى (ونفى) عنه تعالى النقائص، فقد سلك سبيل الهدى اهـ. (وقال) العلامة إسماعيل حقى في تفسيره روح البيان: من قال أن الله في السماء، إن أراد به المكان كفر، وإن أراد به الحكاية عما جاء في الظاهر الأخبار لا يكفر، لأنها مؤولة. والأذهان السليمة والعقول المستقيمة لا تفهم بحسب السليقة من مثل هذه التشبيهات إلا عين التنزيه اهـ.

(ولذا) لم يتعرض السلف لتأويل المتشابهات لكون العقول إذ ذاك كانت سليمة لا تفهم من المتشابه إلا تنزيه الله عز وجل عن صفات الحوادث. (وتعرض) الخلف للتأويل لفساد عقول كثير من أهل زمانهم ففهموا من ظاهر المتشابهات أن الله سبحانه وتعالى جسمٌ يحل في العرش أو السماء أو الجهة.

وقد تقدم التنبيه على ذلك (قال) في روح البيان: يقال لمن قال أن لله تعالى مكانا: أين كان قبل خلق هذه العوالم؟ ألم يكن له وجودٌ متحققٌ؟ فان قالوا: لا، فقد كفروا وإن قالوا بالحلول والانتقال، فكذلك لأن الواجب لا يقارن الحادث إلا بالتأثير والفيض وظهور كمالاته، لكن لا من حيث أنه حادث مطلقًا، بل من حيث أن وجوده مستفاض منه، فافهم اهـ. (وقال) أيضًا: من يثبت له تعالى مكانًا فهو من المجسمة. ومنهم جهلة المتصوفة القائلون بأنه تعالى في كل مكان، ومن يليهم من العلماء الزائغين عن الحق الخارجين عن طريق العقل والنقل والكشف اهـ.

(والعلماء) الزائغون عن الحق هم الذين ذمهم الله تعالى بقوله ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ ﴿٧﴾﴾ [سورة آل عمران]. وأيُّ فتنةٍ أفظع من كونهم كفروا بالله تعالى لاعتقادهم أن الله تعالى جالسٌ على العرش أو له مكانٌ أو حل في جهة زعمًا منهم أن ظاهر الآيات والأحاديث يدل على ذلك وكفر بسببهم كثير من جهلة العوام ضعفاء العقول كما شاع وذاع في كثير من البقاع، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(وقال) البيضاوى في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الأعراف]: استوى أمره أو استولى وعن أصحابنا أن الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف. والمعنى أن له تعالى استواء على العرش على الوجه الذي عناه منزهًا عن الاستقرار والتمكن اهـ.

(وقال) العلامة الخطيب: الله تعالى لا يتصف بالأماكن والجهات والحدود، لأنها صفات الأجسام ولأنه تعالى خلق الأمكنة وهو غير متحيزٍ، وكان في أزله قبل خلق المكان والزمان ولا مكان له ولا زمان وهو الآن على ما عليه كان اهـ.

وقال العارف الصاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة النحل]: المراد بالفوقية القهر لا الجهة لأنها مستحيلةٌ عليه تعالى اهـ . (وقال) الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الملك]: المراد بها توقيره وتنزيهه تعالى عن السفل والتحت ووصفه بالعلو والعظمة لا بالأماكن والجهات والحدود، لأنها من صفات الأجسام، ولأنه خلق الأمكنة وهو غير محتاجٍ إليها، وكان في أزله قبل خلق المكان والزمان ولا زمان ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان اهـ.

(وقال): أبو حيان في تفسيره: معتقد أهل الحق أن الله تعالى ليس بجسمٍ ولا جارحة له ولا يُشَبَّهُ بشيء من خلقه ولا يُكَيَّفُ ولا يَتحيز ولا تحله الحوادث اهـ. (وقال) في تفسير قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴿٣﴾﴾ [سورة الأنعام]: إنما ذهب أهل العلم إلى الخروج عن ظاهر ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ لما قام عليه العقل من استحالة حلول الله تعالى في الأماكن ومماسة الأجرام ومحاذاته لها وتحيزه في جهة اهـ.

(وقال) الإمام النيسابوري في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الأعراف]: يقطع بكونه تعالى متعاليًا عن المكان والجهة اهـ.

(وقال) عماد الدين الكندي في تفسير قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي

﴿ٱلْأَرْضِ﴾: حلول الله تعالى في الأماكن مستحيلٌ، وكذلك مماسة الأجرام أو محاذاته لها، أو تحيزة في جهة، لا متناع جواز التغير عليه تبارك وتعالى، وقد استقرت القواعد على أن الله تبارك وتعالى لا يجوز عليه الجهة ولا الظرفية اهـ. بتصرف (وقال) في تفسير قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴿٦١﴾﴾ [سورة الأنعام]: الفوقية تمثيل للقهر لا للقاهر. وما أغبى الحشوية وأجمدهم حيث التزموا فوقية الجهة والجسمية في من يستحيل عليه ذلك. فما بالحشوية إلا مكايدة المعقول ومكابرة المنقول اهـ.

(وقال) العلامة ابن العادل الدلجي في تفسير قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴿٨٤﴾﴾ [سورة الزخرف]: ابن الخطيب: وهذه الآية من أدل الدلائل على أنه تعالى غير مستقرٍّ في السماء، لأنه تعالى بين في هذه الآية أن نسبته بألهية السماء كنسبته بألهية الأرض. فلما كان إلها للأرض مع أنه غير مستقرٍ فيها، فكذلك وجب أن يكون إلـٰهًا للسماء مع أنه لا يكون مستقرًا فيها اهـ. (وقال) في تفسير قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ ﴿٤﴾﴾: لابد فيه من التأويل. فإذا جوزنا التأويل في موضع وجب تجويزه في سائر المواضع اهـ. فيجب التأويل في آية ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [سورة طه] بصرفها عن ظاهرها. وهو الاستقرار والجلوس. وكذلك سائر المتشابهات من الآيات والأحاديث. (وقال) أيضًا في تفسير قوله عز وجل ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿١٦﴾﴾ قال ابن الخطيب: هذه الآية لا يمكن إجراؤها على ظاهرها باتفاق المسلمين، لأن ذلك يقتضي إحاطة السماء به من جميع الجوانب، فيكون أصغر منها. والعرش أكبر من السماء بكثير. فيكون حقيرًا بالنسبة إلى العرش وهو باطلٌ بالاتفاق. ولأنه قال ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الأنعام]. فلو كان فيهما لكان مالكًا لنفسه. فالمعنى إما من في السماء (أي رفيع القدر جدًا وأما الله فموجود بلا مكان) عذابه وإما من في السماء سلطانه وملكه وقدرته، كما قال الله تعالى ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴿٣﴾﴾ [سورة الأنعام]. فإن الشيء الواحد لا يكون دفعه في مكانين. والغرض من ذكره السماء تفخيم في شرح صحيح البخاري في تفسير الاستواء على العرش: قالت المجسمة: معناه الاستقرار. وهو قولٌ فاسدٌ، لأن

الاستقرار من صفات الأجسام. ويلزم منه الحلول والتناهي، وهو محالٌ في حق الله تعالى وغير لائق اهـ.

(وقال) العلامة النووي في شرح صحيح مسلم: مذهب السلف في أحاديث الصفات أنه يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله تعالى مع اعتقادنا أن الله ليس كمثله شيء وأنه منزه عن التجسم والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوق اهـ. (وقال) القاضي عياض: لا خلاف بين المسلمين قاطبة فقيههم ومحدثهم ومتكلمهم ومجتهدهم ومقلدهم، أن الظواهر الواردة بذكر الله تعالى كقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴿١٦﴾﴾ ونحوه ليست على ظاهرها بل متأولة عند جميعهم اهـ. (وقال) العلامة الأبي في شرح صحيح مسلم. قال القاضى عياض: لم يختلف المسلمون في تأويل ما يوهم أنه القاهر فوق عباده، وأنه استوى على العرش «فالتمسك» بالآية الجامعة للتنزيه الكلي الذي لا يصح في العقل غيره وهي قوله تعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ «عصمة» لمن وفقه الله تعالى اهـ.

(وقال) العلامة أحمد زروق في شرحه على رسالة ابن أبي زيد القيرواني. قال أبو حامد: إنه تعالى مستوٍ -على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده- استواءً منزهًا عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بمحض قدرته ومقهورون بمشيئته اهـ. وهو مذهب السلف الصالح. ومنهم الأئمة المجتهدون أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم.

(وقال) الشيخ زين الدين الحنفي في كتابه البحر الرائق شرح كنز الدقائق ويكفر «بقوله» يجوز أن يفعل الله فعلًا لا حكمة فيه، وبإثبات المكان لله تعالى فإن قال: الله في السماء -أي عالي القدر جدًا فهو أقدر من كل قادر وأعلم من كل عالم وأعظم من كل عظيم وليس المراد به المكان-. فإن قصد حكاية ما جاء في ظاهر

الأخبار لا يكفر. وإن أراد المكان كفر. وإن لم يكن له نية، كفر عند الأكثر وهو الأصح. وعليه الفتوى «وبقوله» الله جلس للإنصاف أو قام له وبوصفه تعالى بالفوق أو بالتحت اهـ بحذف.

(وقال) الإمام الشافعي في كتابه الأكبر: فصل واعلموا أن البارئ لا مكان له. والدليل عليه هو أن الله تعالى كان ولا مكان، فخلق المكان وهو على صفته الأزلية كما كان قبل خلقه المكان. لا يجوز عليه التغيير في ذاته والتبديل في صفاته ولأن من له مكان وله تحت يكون متناهي الذات محدودًا. والمحدود مخلوقٌ. تعالى الله عن ذلك. ولهذا المعنى استحال عليه الزوجة والولد، لأن ذلك لا يتم إلا بالمباشرة والاتصال والانفصال. فكذلك الزوجة والولد في صفته تعالى محالٌ. (فإن قيل) قال الله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾، (يقال) له أن هذه الآية من المتشابه التى يحار في الجواب عنها وعن أمثالها من لا يريد التبحر في العلم، أي يمر بها كما جاءت ولا يبحث عنها ولا يتكلم فيها، لأنه لا يأمن الوقوع في الشبة والورطة إذا لم يكن راسخًا في العلم. ويجب أن يعتقد في صفة البارئ ما ذكرناه. وأنه لا يحويه مكان ولا يجرى عليه زمانٌ، منزهٌ عن الحدود والنهايات، مستغنٍ عن المكان والجهات ليس كمثله شيء. ويتخلص عن هذه المهالك، (ولهذا) زجر مالك السائل حين سأله عن هذه الآية فقال: الاستواء مذكورٌ والكيفُ -غير معقولٍ-، والإيمان به واجبٌ، والسؤال عنه بدعة. ثم قال: فان عدت إلى مسألتك أمرت بضرب رقبتك. أعاذنا الله تعالى وإياكم من التشبيه اهـ كلام الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه (ونحوه) للإمام أبي حنيفة في الفقه الأكبر وشرحه، (وقال) العلامة الجليل سعد الدين التفتازاني في كتابه تهذيب الكلام (والقول) بأنه تعالى جسمٌ على صورة إنسان أو غيره وفى جهة العلو مماسًا للعرش أو محاذيًا له تمسكًا بأن كل موجودٍ جسمٌ أو جسمانيٌّ ومتحيزٌ أو حالٌّ فيه ومتصلٌ بالعالم أو منفصلٌ عنه (جهالة) والنصوص مؤولة اهـ.

قال محشية محمد وسيم: وأما ما تقرر في فطرة العقلاء مع اختلاف آرائهم من

التوجه إلى العلو في الدعاء ورفع الأيدي إلى السماء فليس من جهة اعتقادهم أنه في تلك الجهة بل من جهة أن السماء قبلة الدعاء، منها تتوقع الخيرات والبركات وهبوط الأنوار ونزول الأمطار المحيى للأقطار اهـ.

(وقال) المحقق الدواني على العقائد العضدية: ويستحيل عليه تعالى التحيز والجهة ولا يصح عليه الحركة والانتقال اهـ. (قال) السنوسي في عقيدة أهل التوحيد الكبرى: ومن هنا -يعني من وجوب قدمه تعالى وبقائه- تعلم وجوب تنزهه تعالى عن أن يكون جرمًا أو قائمًا أو محاذيًا له أو في جهة له أو مرتسمًا في خياله لأن ذلك كله يوجب مماثلته للحوادث، فيجب له ما وجب لها. وذلك يقدح في وجوب قدمه وبقائه، بل وفي كل وصف أوصاف ألوهيته اهـ. (وقال) الدسوقي في حاشيته على أم البراهين: أنه يستحيل عليه تعالى أن يكون له جهةٌ، لأن الجهات من عوارض الجسم، والله تعالى يستحيل أن يكون جسمًا اهـ. (وقال) العلامة الهدهدي في شرحه على السنوسية: وكذا يستحيل عليه أن يكون في جهة لأنه لو كان في جهةٍ لزم أن يكون متحيزًا اهـ. أي وكونه تعالى متحيزًا محالٌ عليه عز وجل.

(وقال) العلامة الفخر الرازي في كتابه أساس التقديس: ظاهر قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [سورة ق]. وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴿٤﴾﴾ [سورة الحديد]. وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴿٨٤﴾﴾ [سورة الزخرف]. ينفي كونه مستقرًا على العرش وليس تأويل هذه الآيات أولى من الآية التي تمسكوا بها يعني ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ اهـ.

(وقال) أيضًا في كتابه المذكور: أن الدلائل العقلية القاطعة التي قدمنا ذكرها تبطل كونه تعالى مختصًا بشيءٍ من الجهات. وإذا ثبت هذا ظهر أنه ليس المراد من الاستواء الاستقرار. فوجب أن يكون المراد هو الاستيلاء والقهر ونفاذ القدر وجريان الأحكام الإلهية. وهذا مستقيمٌ على قانون اللغة، وتمامه فيه.

(وقال) العلامة جمال الدين عبد الرحمٰن بن الجوزي الحنبلي في كتابه «دفع

شبهة التشبيه»: الحق سبحانه وتعالى لا يوصف بالتحيز، لأنه لو كان متحيزًا لم يخل من أن يكون ساكنًا في حيزه أو متحركًا عنه، ولا يجوز أن يوصف بحركةٍ ولا سكونٍ ولا اجتماعٍ ولا افتراقٍ، ومن جاور أو بين فقد تناهى ذاتا، والتناهي اذا اختص بمقدار استدعي مخصصًا، وكذا ينبغي أن يقال ليس بداخل في العالم وليس بخارج منه، لأن الدخول والخروج من لوازم المتحيزات. فهما كالحركة والسكون وسائر الأعراض التي تخص الأجرام اهـ. (وقال) أيضًا: قال القاضي أبو يعلي في كتابه المعتمد: أن الله عز وجل لا يوصف بالمكان اهـ. (وقال) ومن الآيات قوله تعالى ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ قد ثبت قطعًا أن الآية ليست على ظاهرها لأن لفظة «في» للظرفية. والحق سبحانه وتعالى غير مظروف. وإذا منع الحس أن ينصرف إلى مثل هذا بقي وصف العظيم بما هو عظيم عند الحق اهـ.

(وقال) المحقق الجليل على القاري في شرح المشكاة: قال جمع من السلف والخلف: أن معتقد الجهة كافرٌ كما صرح به العراقي أنه قول لأبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري والباقلاني اهـ. ومحل الخلاف في كفره أن اعتقد جهة العلو لله تعالى مع اعتقاد أنه تعالى لا مكان له ولا تحيز ولا اتصالٌ بعرشٍ ولا سماءٍ ولا غيرهما من الحوادث، وإلا فهو كافرٌ بإجماع عقلاء المسلمين.

(وجملة القول) أن الأدلة القطعية والبراهين النقلية ناطقة بأنه تعالى ليس له جهة وليس في جهةٍ، وليس جالسًا على العرش ولا حالا السماء ولا غيرها، ولا يتصف بالتحول والانتقال، وليس جسمًا ولا جوهرًا ولا عرضًا، ولا غير ذلك من صفات الحوادث.

(ومن الآيات المتشابهات) قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الفتح] ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ ﴿٤٧﴾﴾[سورة الذاريات]. (وقد) اتفق علماء السلف والخلف المعول عليهم على أن اليد في هذه الآيات ونحوها مصروفةٌ عن ظاهرها، لأن الله تعالى منزهٌ عن الجارحة لقوله تعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى]. (واختلفوا) في بيان المراد منها (فالسلف) يفوضون علم المراد منها إلى الله تعالى. لقوله عز وجل ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴿٧﴾﴾ (والخلف) يقولون: المراد منها القدرة والنعمة، بناءً على أن الوقف في الآية على قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴿٧﴾﴾ ولكل وجهة.

(ومن الآيات) المتشابهات ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الرحمن]. و﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة القصص]. (فالسلف) يقولون: له وجهٌ لا كوجوهنا لا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالى، (والخلف) يقولون: المراد بالوجه الذات. وعبر عنها بالوجه على عادة العرب الذين نزل القرءان بلغتهم. يقول أحدهم: فعلت لوجهك أي لك، وقس على هذا باقي الآيات المتشابهة.

(ومن) الأحاديث المتشابهة حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلةٍ إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟**» أخرجه مالك والخمسة إلا النسائي.

وهو مصروفٌ عن ظاهره بإجماع السلف. (قال) العلامة ابن جماعة في كتابه «إيضاح الدليل» ما ملخصه: اعلم أن النزول الذي هو الانتقال من علوٍ إلى سفلٍ لا يجوز حمل الحديث عليه لوجوه: (الأول) أن النزول من صفات المحدثات، ويتوقف على ثلاثة أجسامٍ، منتقل، ومنتقل عنه، ومنتقل إليه، وهذا محال على الله تعالى. (الثاني) لو كان النزول لذاته حقيقةً لتجددت له كل يومٍ وليلةٍ حركاتٌ عديدةٌ تستوعب الليل كله، لأن ثلث الليل يتجدد على أهل الأرض شيئًا فشيئًا. فيلزم انتقاله في سماء الدنيا ليلًا ونهارًا من قومٍ إلى قومٍ، عوده إلى العرش في كل لحظةٍ على رأى المجسمة القائلين بأنه تعالى ينزل بذاته ونزوله من العرش إلى سماء الدنيا. ولا يقول ذلك ذو لب. (الثالث) أن القائل بأنه تعالى فوق العرش، وأنه ملأه، كيف يرى أن سماء الدنيا تسعه تعالى؟ وهي بالنسبة إلى العرش كحلقةٍ في فلاة. فيلزم عليه

أحد أمرين أما اتساع سماء الدنيا كل ساعةٍ حتى تسعه، أو تضاؤل الذات المقدسة عند ذلك حتى تسعها السماء ونحن نقطع بانتفاء الأمرين. ولذا ذهب جماعة من السلف إلى عدم بيان المراد من النزول مع قطعهم بأن الله منزهٌ عن الحركة والانتقال. وذهب المؤولن إلى أن المراد بالنزول هنا الإقبال بالرحمة والإحسان وإجابة الدعاء، (وقيل) في الكلام مضافٌ مقدرٌ، والمعنى ينزل أمر ربنا أو ملك ينزل بأمره. وهو في القرءان كثير منه قوله تعالى: ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة النحل]. ومعلوم أن حامد الحنبلي المجسم: في الحديث ما يتعالى الله عنه. وهو أنه ينزل من مكانه الذي هو فيه وينتقل. وأحمد بن حنبل رحمه الله تعالى بريء منه، ولقد تأذى الحنابلة بسوء كلامه واعتقاده اهـ.

فأنت ترى أن اعتقاد ابن حامد الحنبلي وأحزابه دليلٌ واضح على أنهم ما عرفوا أن الله سبحانه وتعالى إلـه قديم لا يتصف بالجسمية ولا التحول والانتقال، لأن ذلك كله من صفات الحوادث. وأن الإمام أحمد رضي الله تعالى عنه بريءٌ منهم، (ولو كانوا) يسمعون أو يعقلون، لعرفوا أن الله تبارك وتعالى إلـه قديم موجود قبل خلق العالم يستحيل عليه الحركة والسكون وغيرهما من صفات المخلوق. قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة غافر]. (وقال) الإمام فخر الدين الرازي في كتابه أساس التقديس ص١٣٤ ما حاصله: فأما الحديث المشتمل على النزول إلى سماء الدنيا فالكلام عليه أن النزول قد يستعمل في غير الانتقال. وذلك لوجوه (منها) قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴿٦﴾ ﴾ [سورة الزمر]. ونحن نعلم بالضرورة أن الجمل أو البقر ما نزل من السماء إلى الأرض على سبيل الانتقال. وقوله تعالى: ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة الفتح]. والانتقال على السكينة محال، (ومنها) أنه إن كان مقصودٌ من النزول من العرش إلى سماء الدنيا أن يسمع نداءه فهذا لم يحصل. وإن كان المقصود مجرد النداء وإن نسمع فهذا مما لا حاجة فيه إلى النزول. وهذا عبث غير لائق بحكمة الله تعالى. (ومنها) أن من يقول بظاهر الحديث يرى أن كل السموات بالنسبة للكرسي كقطرةٍ في بحرٍ والكرسي

بالنسبة للعرش كذلك. ثم يقول إن العرش مملوءٌ منه والكرسي موضع قدمه. فإذا نزل إلى سماء الدنيا فكيف تسعه؟ فإما أن يقال بتداخل أجزائه في بعض وهذا يقتضي أنها قابلةٌ للتفرق ويقتضي جواز تداخل جملة العالم في خردلة واحدة وهو محالٌ، وإما أن يقال أن تلك الأجزاء فنيت عند النزول إلى سماء الدنيا. وهذا مما لا يقوله عاقلٌ في حق الله تعالى، (فثبت) أن القول بالنزول على الوجه الذي قالوه باطلٌ. وأنه يتعين حمل هذا النزول على نزول رحمته إلى الأرض في ذلك الوقت. وخص هذا الوقت بذلك لوجوهٍ (منها) أن التوبة التى يؤتى بها في جوف الليل شأنها أن تكون خاليةً عن شوائب الدنيا خالصةً لوجه الله تعالى، لأن الأغيار لا يطلعون عليها، فتكون أقرب إلى القبول. (ومنها) أن الغالب على الإنسان في جوف الليل الكسل والنوم، فلولا الرغبة الشديدة في نيل الثواب العظيم لما تحمل مشاق السهر، ولما أعرض عن اللذات الجسمانية، ولذا احتيج في الترغيب في الطاعة والعبادة بالليل إلى مزيد أمورٍ تؤثر في تحريك دواعي الاشتغال بالطاعة والتهجد لتكون الدواعي إليه أتم وأوفر، ويكون الثواب أكمل. ولذا أثنى الله تعالى على من تحلّى بالطاعة في الليل. قال تعالى ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة الذاريات]. وقال: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة السجدة]. (وقيل) النزول في الحديث كنايةٌ عن المبالغة في الإكرام والإحسان. وذلك أن نزل من الملوك عند إنسان لإصلاح شأنه والاهتمام بأمره يكون وجوده عنده مبالغة في إكرامه، فلما كان النزول مستلزمًا لغاية الإكرام وكمال الإحسان، أطلق اسم النزول على الإكرام المذكور. (وقيل) إن «ينزل» في الحديث بضم الياء من الإنزال، أي أن جمعًا من أشراف الملائكة ينزلون في ذلك الوقت بأمر الله تعالى اهـ. (وقال) الإمام ابن الجوزي الحنبلي في كتابه «دفع شبهة التشبيه» ص٤٦: روى حديث النزول عشرون صحابيًا وقد تقدم أنه يستحيل على الله عز وجل الحركة والنقلة والتغير فيبقى الناس رجلين، (أحدهما) المتأول بمعنى

أنه يقرب رحمته. وقد وصف أشياء بالنزول فقال: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الحديد]. وإن كان معدنه في الأرض.

وقال: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴿٦﴾﴾ [سورة الزمر] ومن لم يعرف الجمل فكيف يتكلم في نزوله(١)، (والثاني) الساكت عن الكلام في ذلك مع اعتقاد التنزيه. والواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النقلة، وأن النزول الذي هو انتقال من مكانٍ إلى مكانٍ يحتاج إلى ثلاثة أجسامٍ: جسمٌ عالٍ هو مكانٌ لساكنه، وجسمٌ سافلٌ، وجسمٌ منتقلٌ من علوٍ إلى سفل. وهذا لا يجوز على الله عز وجل. (قال) ابن حامد: هو على العرش بذاته مماس له وينزل وينزل من مكانه الذي هو فيه وينتقل. وهذا رجلٌ لا يعرف ما يجوز على الله. (وقال) أبو يعلى: النزول صفةٌ ذاتيةٌ ولا نقول نزوله انتقال، وهذا مغالطٌ، (ومنهم) من قال يتحرك إذا نزل. وما يدري أن الحركة لا تجوز على الله تعالى. وقد حكوا عن الإمام أحمد ذلك، وهو كذب عليه. ولو كان النزول صفةٌ ذاتيةٌ لذاته لكانت صفته كل ليلةٍ تتجدد. وصفاته قديمة كذاته اهـ. وقال: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴿٦﴾﴾ [سورة الزمر] ومن لم يعرف الجمل فكيف يتكلم في نزوله. (والثاني) الساكت عن الكلام في ذلك مع اعتقاد التنزيه. والواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النقلة، وأن النزول الذي هو انتقال من مكانٍ إلى مكانٍ يحتاج إلى ثلاثة أجسامٍ: جسمٌ عالٍ هو مكان لساكنه، وجسمٌ سافلٌ، وجسمٌ منتقلٌ من علوٍ إلى سفل، وهذا لا يجوز على الله عز وجل. (قال) ابن حامد: هو على العرش بذاته مماسٌّ له وينزل من مكانه الذي هو فيه وينتقل. وهذا رجلٌ لا يعرف ما يجوز على الله. (وقال) أبو يعلى: النزول صفةٌ ذاتيةٌ ولا نقول نزوله انتقال، وهذا مغالطٌ. (ومنهم) من قال يتحرك إذا نزل، وما يدري أن الحركة لا تجوز على الله تعالى. وقد حكوا عن الإمام أحمد ذلك. وهو كذب عليه. ولو كان النزول صفةٌ ذاتيةٌ لذاته لكانت صفته كل ليلةٍ تتجدد. وصفاته قديمةٌ كذاته اهـ.

وقد رد ما ذهب إليه ابن حامد وأبو يعلى، قال: ومن نسب ذلك إلى الإمام

أحمد فقد كذب عليه، (ومنه) تعلم أيضًا كذب ما نسب في مختصر الصواعق إلى حماد بن زيد من قوله: إن الله في مكانه يقرب من خلقه كيف يشاء. وعلى فرض ثبوته عنه فيحرم التمسك به لمنافاته صريح الآيات القرءانية كقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وإجماع سلف الأمة وخلفها على أن الله تعالى يستحيل عليه أن يكون له مكانٌ لأنه يستلزم المماثلة والاحتياج، وهما محالان في حقه تعالى. (وكذا) ما نسبه إلى ابن عبد البر من أن أهل السنة مجمعون على حمل المتشابهات على الحقيقة لا على المجاز، فهو كذبٌ وافتراءٌ. فها هي ذي كلمتهم متفقةٌ على أنه يجب صرف المتشابه عن ظاهرة لقيام الأدلة القطعية عقليةٍ ونقليةٍ على استحالة ظاهرها في حق الله تعالى.

وقد رد ما ذهب إليه ابن حامد وأبو يعلى قال: ومن نسب ذلك إلى الإمام أحمد فقد كذب عليه. (ومنه) تعلم أيضًا كذب ما نسب في مختصر الصواعق إلى حماد ابن زيد من قوله: إن الله في مكانه يقرب من خلقه كيف يشاء. وعلى فرض ثبوته عنه فيحرم التمسك به لمنافاته صريح الآيات القرءانية كقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، وإجماع سلف الأمة وخلفها على أن الله تعالى يستحيل عليه أن يكون له مكان لأنه يستلزم المماثلة والاحتياج وهما محالان في حقه تعالى. (وكذا) ما نسبه إلى ابن عبد البر من أن أهل السنة مجمعون على حمل المتشابهات على الحقيقة لا على المجاز، فهو كذبٌ وافتراءٌ. فها هي ذي كلمتهم متفقة على أنه يجب صرف المتشابه عن ظاهرة لقيام الأدلة القطعية عقلية ونقلية على استحالة ظاهرها في حق الله تعالى، وإنما يستدل بها في الفروع بإجماع أئمة الدين.

وقال القاضي عياض: لم يختلف المسلمون في تأويل ما يوهم أنه تعالى في السماء كقوله (ءأمنتم من في السماء)» اهـ.

٢٦- قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة الأنعام]

الشرح: ليعلم أن من عقيدة الإسلام أن الله تعالى هو وحده الذي يحكم بما يريد ويوجد ما يشاء ويقضي بالحق، قال سبحانه ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ وأنه لا يظلم أحدًا، والظلم يستحيل عليه ويستحيل وصفه بالظلم شرعًا وعقلًا، وحكمه العدل هذا معنى إن الحكم إلا لله يفصل بين خلقه بالحق فيعذب من يشاء ويعفو عن من يشاء ويوجد ما يشاء، وليس معنى الآية الكريمة كما يقول سيد قطب وحزبه والجماعات التكفيرية الذين يكفرون كل من حكم بالقانون ولو بمسألة واحدة مع اعتقاده أن حكم القرءان هو الأفضل والأسلم والأحسن. ومع تفضيلهم لحكم القرءان على الحكم الوضعي، ومع عدم تسويتهم بين حكم القرءان وحكم القانون إلا أنهم حكموا بالقانون مجاراة للحكومات والدول أو لأجل الرشوة والهدايا المالية أو لأجل القرابة ومسايرة للزعماء والحكام، فلمجرد هذا لا يجوز تكفيرهم وإن كانوا عصوا الله تعالى، لكن لم يصلوا إلى حد الكفر أما من فضل حكم القوانين الوضعية على حكم القرءان أو ساواه به فهو كافرٌ بإجماع الأمة.

قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرءان في تفسير هذه الآية ما نصه: «﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ أي: ما الحكم إلا لله في تأخير العذاب وتعجيله. وقيل: الحكم الفاصل بين الحق والباطل لله» اهـ.

قال الطبري في تفسيره لسورة الأنعام في تفسير الآية ما نصه: «ما الحكم فيما تستعجلون به، أيها المشركون، من عذاب الله وفيما بيني وبينكم، إلا لله الذي لا يجور[1] في حكمه، وبيده الخلق والأمر، يقضي الحق بيني وبينكم، وهو خير

(١) أي لا يظلم.

الفاصلين بيننا بقضائه وحكمه» اهـ.

قال اللغوي المفسر أبو حيان الأندلسي في كتابه البحر المحيط[1] في تفسيره لهذه الآية ما نصه: «﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ أي الحكم لله على الإطلاق وهو الفصل بين الخصمين المختلفين بإيجاب الثواب والعقاب. وقيل: القضاء بإنزال العذاب وفيه التفويض العام لله تعالى «اهـ.

واتفق علماء السلف والخلف الصحابة ومن بعدهم من أهل الحق المعتبرين على أن هذه الآيات الثلاث والآية التي فيها ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ والآية التي فيها ﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾، نزلت في ذم اليهود الذين حرَّفوا التوراة الأصلية كما سيأتي مفصلًا، وكذلك اتفقوا على كفر من يُفضِّل القانون الوضعي على القرءان أو يجعله مساويًا له، واتفقوا على أن المسلم لا يُكَفَّر لمجرَّد أن حكم بالقانون الوضعي مع اعتقاده أن القرءان أفضل، فلا التفات بعد ذلك إلى ما ابتدعه رؤساء التكفيريين البدعيين المستبيحين لدماء الأمة بغير حقٍّ ولا سببٍ شرعيٍّ، كأبي الأعلى المودودي وسيد قطب، ووافقهما على ذلك الوهابية والجماعات الإرهابية التكفيرية التخريبية التي تكفّر العباد وتدمّر البلاد، محتجين لزعمهم الفاسد الكاسد بهذه الآيات التي ليس فيها ما ادعوه من تكفيرهم للأمة.

يقرر سيد قطب في كتابه المسمى «في ظلال القرءان» أنه لا وجود للمسلمين على الأرض طالما هم يخضعون لحكم الحكام بغير الشرع ولو في مسائل صغيرة، يذكر ذلك فيقول[2]: «فليس هناك دين للناس إذا لم يتلقوا في شؤون حياتهم كلّها من الله وحده، وليس هناك إسلام إذا هم تلقوا في أي أمر من هذه الأمور جلّ أو حَقُرَ من مصدر ءاخر، إنما يكون الشرك أو الكفر وتكون الجاهلية التي جاء الإسلام ليقتلع جذورها من حياة الناس» اهـ.

---

(١) انظر الكتاب (ص/ ١٤٣).

(٢) الكتاب المسمى في ظلال القرءان (١/ ٥٩٠).

وقال سيد قطب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة المائدة]: «بهذا الحسم الصارم الجازم، وبهذا التصميم الذي تحمله «من» الشرطية وجملة الجواب بحيث يخرج من حدود الملابسة والزمان والمكان ويطلق حكمًا عامًّا على كل من لم يحكم بما أنزل الله في أي جيل ومن أي قبيل، والتأول في مثل هذا الحكم لا يعني إلا محاولة تحريف الكلم عن مواضعه» اهـ. وقد قال ذلك سيد قطب جاهلًا ومكابرًا وغير عارفٍ أن السّلف ومن بعدهم أوّلوا هذه الآية، كما ثبت ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما ابن عم رسول الله ﷺ وترجمان القرءان، والبراء بن عازب رضي الله عنه، ذكر القرطبي في كتابه «الجامع لأحكام القرءان» في تفسير هذه الآية ما نصه: «نزلت كلّها في الكفار، ثبت في صحيح مسلم[1] من حديث البراء، وعلى هذا المعظم، فأما المسلم فلا يكفر وإن ارتكب كبيرةً، وقيل فيه إضمار أي: ومن لم يحكم بما أنزل الله ردًّا للقرءان وجاحدًا لقول رسول الله ﷺ فهو كافر، قاله ابن عباس ومجاهد فالآية عامةٌ على هذا.

قال ابن مسعود والحسن: هي عامةٌ في كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود الكفار أي معتقدًا ذلك ومستحلًا له -أي أن المسلم إذا اعتقد أن الحكم بغير ما أنزل الله أفضل من القرءان أو ساوى به كفر-، فأما من فعل ذلك وهو معتقدٌ أنه راكب محرّمًا فهو من فساق المسلمين وأمره إلى الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، إلا أن الشعبي قال: هي في اليهود خاصة، واختاره النحاس قال: ويدل على ذلك ثلاثة أشياء: «منها أن اليهود قد ذُكروا قبل هذا في قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة المائدة] فعاد الضمير عليهم.

ومنها أن سياق الكلام يدل على ذلك، ألا ترى أن ما بعده: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة المائدة]، فهذا الضمير لليهود

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب رجم اليهود أهل الذمة.

بإجماع، ومعلومٌ أن اليهود هم الذين أنكروا الرجم والقصاص. فإن قال قائل: (من) إذا كانت للمجازاة فهي عامةٌ إلا أن يقع دليل على تخصيصها، قيل له: (من) هنا بمعنى الذي مع ما ذكرناه من الأدلة، والتقدير: واليهود الذين لم يحكموا بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون، فهذا من أحسن ما قيل في هذا.

ويروى أن حذيفة سئل عن هذه الآيات، أهي في بني إسرائيل، قال: «نعم، هي فيهم». ثم قال: وقال طاوس وغيره: «ليس بكفر ينقل عن الملة ولكنه كفرٌ دون كفر. وهذا يختلف إن حكم بما عنده على أنه من عند الله فهو تبديل له يوجب الكفر، وإن حكم به هوى ومعصية فهو ذنبٌ تدركه المغفرة على أصل أهل السنة في الغفران للمذنبين، قال القشيري: ومذهب الخوارج أن من ارتشى وحكم بغير حكم الله فهو كافر» اهـ. وذكر نحوه الخازن في تفسيره وزاد عليه[1]: «وقال مجاهدٌ في هذه الآيات الثلاث: من ترك الحكم بما أنزل الله رادّا لكتاب الله فهو كافر ظالم فاسق، وقال عكرمة ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحدًا به فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالمٌ فاسقٌ وهذا قول ابن عباس أيضًا، وقال طاوس: قلت لابن عباس: أكافر من لم يحكم بما أنزل الله؟ فقال: به كفر وليس بكفر ينقل عن الملة كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ونحو هذا روي عن عطاء قال: هو كفرٌ دون كفر» اهـ.

وقد حسم حبر الأمة عبد الله بن عباس الموضوع بتفسير موجز مفيد، فقد أخرج الحاكم في المستدرك[2] وصححه ووافقه الذهبي، وأخرج البيهقي في سننه وغيرهما عنه في الآيات الثلاث المذكورات أنه قال: «إنه ليس بالكفر الذي يذهبون إليه، إنه ليس كفرًا ينقل عن الملة، كفرٌ دون كفر» اهـ. ومعنى «كفر دون كفر» أي ذنبٌ كبيرٌ يشبه الكفر في الفظاعة كما قال رسول الله ﷺ: «**سباب المسلم فسوق**

(١) تفسير الخازن (١/ ٤٦٧-٤٦٨).

(٢) موافقة الخبر الخبر (٢/ ٤٣٥).

وقتاله كفر» رواه الإمام أحمد. وقد وقع القتال بين المؤمنين منذ أيام على رضي الله عنه ولا يزال يحدث إلى الآن، والله يقول ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الحجرات].

ثم إن كلام سيد قطب هو عين مذهب الخوارج القائلين إن الظلم والفسق هما كفرٌ يخلد في النار، ثم إن إطلاق قوله بتكفير من حكم بغير الشرع من غير تفصيلٍ فيه تكفيرٌ لكثير من الحكام الذين توالوا على الخلافة الإسلامية سواءٌ كانوا من بني أمية أو بني العباس أو بني عثمان، فإنهم حكموا بأن جعلوا الخلافة ملكًا يتوارثونه، وهذا يبطل دعوى سيد قطب في كتابه المسمى «في ظلال القرءان» فهو أوّلا يرد التأويل في هذه الآية وكأنه بلغ ما قد بلغه ترجمان القرءان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وغيره من الصحابة والتابعين، فهو لا يتردد في كتابه هذا عن إطلاق النكير على العلماء من السلف والخلف فهو يقول فيه ما نصه[1]: «والتأويل والتأول في مثل هذا الحكم لا يعني إلا محاولة تحريف الكلم عن موضعه» اهـ. فقد أداه جهله إلى هذا الاتهام الباطل لعبد الله ابن عباس وحذيفة بن اليمان وسعيد بن جبير والحسن البصري وغيرهم من السلف والخلف إلى أن جعلهم محرفين لكتاب الله كما فعلت علماء اليهود اهـ.

والعجب أن هذا الكتاب يروج ويباع في البلاد الإسلامية وهو لم يدع فردا من البشرية إلا وقد رماه بالردة حتى المؤذنين في المشارق والمغارب لأنهم لم يثوروا على رؤسائهم الذين يحكمون بغير الشرع فيقول ما نصه[2]: «فقد ارتدت البشرية إلى عبادة العباد وإلى جور الأديان ونكصت عن لا إلـه إلا الله وإن ظل فريق منها يردد على المآذن لا إلـه إلا الله دون أن يدرك مدلولها ودون أن يعي هذا المدلول وهو يرددها، ودون أن يرفض شرعية الحاكمية التي يدعيها العباد لأنفسهم»، ثم يقول ما

(١) انظر كتاب القرضاوي المسمى في ظلال القرءان (٢/ ٨٩٨).

(٢) الكتاب المسمى في ظلال القرءان (٢/ ١٠٥٧).

نصه: «إلا أن البشرية عادت إلى الجاهلية وارتدت عن لا إلـه إلا الله فأعطت لهؤلاء العباد خصوص الألوهية ولم تعد توحّد الله وتخلص له الولاء»، ثم يتابع فيقول: «ارتدت البشرية بجملتها بما فيها أولئك الذين يرددون على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات لا إلـه إلا الله بلا مدلولٍ ولا واقعٍ، وهؤلاء أثقل إثمًا وأشد عذابًا يوم القيامة، لأنهم ارتدوا إلى عبادة العباد» اهـ. ثم يذكر[١] أن من حكم ولو في مسألةٍ جزئيةٍ بغير الشرع فهو خارجٌ عن الدين، وبعدها[٢] يذكر أن الذين يقولون إنهم مسلمون ولا يقيمون ما أنزل إليهم من ربهم هم كأهل الكتاب هؤلاء ليسوا على شيء كذلك، ثم يكفّر من يحكم بغير الشرع إطلاقًا ولو في قضيةٍ واحدةٍ فيقول[٣]: «والإسلام منهج للحياة كلها من تبعه كله فهو مؤمن وفي دين الله ومن اتبع غيره ولو في حكمٍ واحدٍ فقد رفض الإيمان واعتدى على ألوهية الله وخرج عن دين الله مهما أعلن أنه يحترم العقيدة وأنه مسلم» اهـ. ويذكر[٤] نحو ذلك وزاد في الجرأة والوقاحة إلى أن ذكر[٥] أن من أطاع بشرًا في قانون ولو في جزئيةٍ صغيرةٍ فهو مشركٌ مرتدٌ عن الإسلام مهما شهد أن لا إلـه إلا الله، ثم يطلق القول[٦] بعد ذلك بأن الإسلام اليوم متوقفٌ عن الوجود مجرد الوجود، وإننا في مجتمع جاهليّ مشرك، ويقرر[٧] على زعمه أن البشرية اليوم بجملتها مرتدةٌ إلى جاهليةٍ شاملةٍ فيقول: «إن رؤية واقع البشرية على هذا النحو الواضح تؤكد لنا أن البشرية اليوم بجملتها قد ارتدت إلى جاهليةٍ شاملةٍ» اهـ.

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٨٤١).

(٢) المصدر السابق(ص٩٤٠).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٩٧٢).

(٤) المصدر السابق (٢/ ١٠١٨).

(٥) الكتاب المسمى في ظلال القرءان (٣/ ١١٩٨).

(٦) المصدر السابق (٣/ ١٢٥٧).

(٧) المصدر السابق (٤/ ١٩٤٥).

ويقرر[1] سيد قطب أنّ على المسمّين بالجماعة الإسلامية أو حزب الإخوان انتزاع زمام الحكم من الحكام والقضاء على نظمهم والثورة وإحداث الانقلابات في الدول.

ويذكر[2] سيد قطب في كتابه المسمى «معالم في الطريق» أن وجود الأمة المسلمة قد انقطع منذ قرونٍ كثيرةٍ يقول في الكتاب المذكور[3]: إن العالم يعيش اليوم كله في جاهلية، ومنه يقول[4]: «نحن اليوم في جاهليةٍ كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم» اهـ.

والعجب من أتباعه والمنادين برأيه المكفرين لمن حكم بالقانون ولو في جزئيةٍ صغيرةٍ، قسمٌ منهم يشتغلون بالمحاماة وقسمٌ ءاخر يتعاملون بالقانون كمعاملات الباسبور والفيزا ونقل الكفالة وحجر مؤلفاتهم أو مطبوعاتهم على غيرهم أن يطبعوها إلا بإذنهم، ويعتقدون أن من فعل ذلك يحاكم قانونًا، وكفاهم هذا خزيًا وتفاهةً ومناقضةً لأنفسهم فإنه على مؤدى كلام زعيمهم أنهم كفروا وهم لا يشعرون، بل هم على موجب نصه هذا قسم منهم عباد للحكومة السعودية وقسم منهم عباد لسائر الدول التي يعيشون فيها، فمن حقق في أمر هذا الرجل عرف أنه ليس له سلفٌ إلا طائفة من الخوارج يقال لهم البيهسية منفردين عن سائر فرق الخوارج بقولهم: إن الملك إذا حكم بغير الشرع صار كافرًا ورعاياه كفار من تبعه ومن لم يتابعه، وسيد قطب كأنه أعاد دعوة عقيدة تلك الفرقة الخارجية التي هي من أشدهم في تكفير المسلمين، وكفاه ذلك خزيًا وضلالة لأن الرسول ﷺ قال في الخوارج: «**يخرج قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يقرؤون القرءان لا يجاوز حناجرهم يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم وصيامه إلى صيامهم**» اهـ. ثم قال عليه الصلاة والسلام: «**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**» رواه البخاري،

---

(١) المصدر السابق (٣/ ١٤٤٩-١٤٥٠ و١٤٥١).

(٢) معالم في الطريق (ص/ ٥-٦).

(٣) المصدر السابق (ص/ ٨).

(٤) المصدر السابق (ص/ ١٧-١٨).

وقال: «**يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية**».

وقد قالت إحدى أتباعه المسماة صافي ناز كاظم، في موقع الأخبار المسمى «الدستور»، رئيس التحرير: إبراهيم عيسى، في خانة: رأي ورؤى- تحت عنوان: صافي ناز كاظم تكتب: سيد قطب وحبل المشنقة[1]! وهي تمدح سيد قطب: «عمله الموسوعي الجليل في تفسير القرءان الكريم «في ظلال القرءان»، الذي مكنه الله سبحانه وتعالى بما يشبه المعجزة، من تنقيحه ومراجعته وزيادته، قبل استشهاده»، ثم قالت: «وأذكر حينما انتهيت من إتمام قراءة «في ظلال القرءان»، الذي أعود إليه كثيرًا، أنني كنت متعجبةً من البشاشة والهدوء وأجواء السلام، التي تنبعث من سطور تلك المجلدات». انتهى كلامها.

ومما يؤكد لك أن الوهابية تُكفِّر من يحكم بالقوانين الوضعية موافقين في ذلك أبا الأعلى المودودي في كتابه المسمى «شهادة الحق» بقوله: «هذه الطرق والمناهج هي سبل الكفر المعوجة التي يتتبع معالمها زعماؤكم والذين أخذوا زمام أمركم» وبقوله: «لكن الأمة بأسرها ترجع إلى أئمة الكفر والضلال وتستهديهم» وبقوله «بل الحقيقة أنكم لو خلعتم عن أبدانكم لباس الإسلام الذي لا تلبسونه إلا زورًا وتلفيقًا» وموافقة لسيد قطب والحركات التكفيرية، ما جاء في كتاب الوهابية المسمى «التوحيد» المرحلة الثانوية، الصف الأول تأليف صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، والذي قرَّرَت تدريسَه في مدارس السعودية وزارة التربية والتعليم، بتوقيع وزير التربية محمد بن أحمد الرشيد، والمطبوع في مركز التطوير التربوي ١٤٢٥هـ يقول الفوزان: «﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ وتحكيم النظم والقوانين البشرية كفرٌ وشركٌ»، ثم قال: «قال الله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴿٣١﴾﴾» اهـ. وبهذا تكون الوهابية كفَّرت ملوك وأمراء وشيوخ ووزراء المملكة العربية السعودية لأنهم يحكمون بعشرات القضايا

(١) وذلك يوم الخميس الواقع في ٢٩ - ٧ - ٢٠١٠.

بالقوانين الوضعية لا بالشريعة الإسلامية.

فنرجو الله تعالى أن يُلهِم المسؤولين في المملكة العربية السعودية أن يوقفوا الوهابية عند حدهم ويمنعوهم من تكفيرهم للأمة.

ومما يؤكد لك أن الوهابية تُكَفِّر الملوك والرؤساء لمجرد أن حكموا بالقانون، ما جاء في حاشية كتابهم المسمى «فتح المجيد» يقولون: «أن الطاغوت كل ما صرف العبدَ وصدَّه عن عبادة الله وإخلاص الدين والطاعة لله ولرسوله، سواء في ذلك الشيطان من الجن والشيطان من الأنس والأشجار والأحجار وغيرها، ويدخل في ذلك بلا شك الحكم بالقوانين الأجنبية عن الإسلام وشرائعه» اهـ.

لاحظوا هنا كيف جعلوا مجرد الحكم بالقوانين البشرية عبادةً لغير الله كما يُعبَد الطاغوت والعياذ بالله، وقد دافع عن تكفير سيد قطب لكل البشرية وعن تحريفه لمعنى الآيات الوهابي سعد بن على الشهراني في كتابه المسمى «فرقة الأحباش، فيتبيَّن لك اتفاق الوهابية مع سيد قطب في تكفير كل البشرية. نسأل الله السلامة وأن يحفظ المسلمين من الأفكار الخطيرة الهدامة.

ومن الدليل على أن مجرد المشاركة في الحكم ليس كفرًا قوله تعالى إخبارًا عن نبيه يوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ ﴾ [سورة يوسف]، قال شهاب الدين الألوسي البغدادي في تفسيره روح المعاني: «وفيه دليل على جواز مدح الإنسان نفسه بالحق إذا جهل أمره، وجواز طلب الولاية إذا كان الطالب ممن يقدر على إقامة العدل وإجراء أحكام الشريعة وإن كان من يد الجائر أو الكافر، وربما يجب عليه الطلب إذا توقف على ولايته إقامة واجب مثلًا وكان متعينًا لذلك» اهـ.

والملك الذي طلب منه يوسف الولاية كان من الكافرين بدليل قوله تعالى إخبارًا عن يوسف: ﴿ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ ﴾ [سورة يوسف]، وبدليل قوله تعالى إخبارا عن يوسف قال: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ

﴿ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴿٤٠﴾﴾، فهذه الآيات تدل على أن الملك ورعيته كانوا كافرين ومع ذلك طلب يوسف عليه السلام تحمل المسؤولية.

وقال الإمام أبو الحسن البغدادي الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية والولايات الدينية: «وقد رغب نبي الله يوسف عليه السلام إلى فرعون في الولاية والخلافة فقال: ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة يوسف].

ومن عجائب حزب الإخوان في هذا العصر أنهم صاروا اليوم حكامًا في مصر وتونس ويقولون عن الدولة التي يريدونها دولة مدنية لا دينية بل صرحوا غير مرة بأنهم ضد الدولة الدينية والآن ليس أمامهم إلا الحكم بالقانون تحت مسمى الديمقراطية، حتى إن الغنوشي الذي كان لطالما ينادي بحجاب المرأة... الآن يقول: أنا ما عنديش مشكلة بالبكيني (الميوه) الذي تلبسه المرأة في المسابح، وهو الذي صار ينادي اليوم بحرية العقيدة وأباح الكفر لمن أراد البقاء عليه. والآن أليس الذي كانوا يسمونه الشهيد سيد قطب والمفكر... أليس صار عندهم كافرًا لأنه ضد الدولة المدنية ولو في جزئية من القانون؟؟!! كيف سيواجه حزب الإخوان هذا الكم الهائل من التراث المليء بالتكفير والتفجير، وقد قالت العرب: طابخ السم ءاكله.

٢٧- **قال تعالى** ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦ ﴾ [سورة المائدة]

الشرح: إن معنى هذه الآية الكريمة أن الأنبياء والأولياء والصالحين والأتقياء هم صفوة خلق الله وأحبابه الذين يلتزمون أوامره ويقومون بطاعته على الوجه الأتم الأكمل، فهم أحب الخلق إليه، وليس المراد بكلمة «حزب الله» أنهم يعينونه أو ينفعونه بشيءٍ، فهو ربهم وخالقهم كما أنه رب وخالق كل شيءٍ، فلا يحتاج إلى شيءٍ ولا إلى أحدٍ، وإنما هي لإظهار شرفهم وعلو قدرهم، فبعد هذا البيان فلا يصح أن تفسر في غير الأنبياء والأولياء والصالحين والأتقياء، فلا تطلق على الناس عامة ولا على الفسقة ولا على الكفرة، فحزب الله بمعنى جندُ الله أو أنصارُ الله أي أنصارُ وأعوانُ دينه لا على معنى أن الله ينتفع بهم أو يدفع بهم عن نفسه ضرًا ولا على معنى أن الخالق يحتاجهم، بل من ظن ذلك فهو كافرٌ بالله العظيم.

قال الإمام المفسر الفقيه المتكلم فخر الدين الرازي في كتابه التفسير الكبير ما نصه: «قال أبو روق: حزب الله أي أولياء الله» اهـ.

٢٨- قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴿٦٤﴾ ﴾ [سورة المائدة]

الشرح: قال الخازن: قوله عزَّ وجلَّ ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ نزلت هذه الآية في فَنْحَاص بن عازوراء اليهودي. قال ابن عباس: إن الله كان قد بسط على اليهود حتى كانوا أكثر الناس أموالًا وأخصبَهم ناحية، فلما عصوا الله ومحمدًا ﷺ وكذبوا به كف عنهم ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص يد الله مغلولةٌ يعني محبوسةٌ مقبوضةٌ عن الرزق والبذل والعطاء، فنسبوا الله تعالى إلى البخل والقبض، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا. ولما قال هذه المقالة الخبيثة فنحاص ولم ينهه بقية اليهود ورضوا بقوله لا جرم أن الله تعالى أشركهم معه في هذه المقالة فقال تعالى إخبارًا عنهم ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ يعني نعمته مقبوضة عنا.

واعلم أن غل اليد وبسطها مجازٌ عن البخل والجُود بدليلِ قولِه تعالى لنبيه: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴿٢٩﴾ ﴾ والسبب أن اليد ءالةٌ لكل الأعمال لاسيما لدفع المال وإنفاقِه وإمساكِه، فأطلقوا اسم السبب على المسبَّبَ، وأسندوا الجود والبخل إلى اليد مجازًا، فقيل للجواد الكريم فَيَّاضُ اليد ومبسوط اليد، وقيل للبخيل مقبوض اليد.

وقوله تعالى: ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ﴿٦٤﴾ ﴾ قال الزجاج: رد الله عليهم فقال: أنا الجواد الكريم وهم البخلاء وأيديهم هي المغلولة الممسوكة، وقيل هذا دعاء على اليهود علمنا الله كيف ندعو عليهم فقال: ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴿٦٤﴾ ﴾ أي في نار جهنم، فعلى هذا هو من الغُلّ حقيقة أي شُدَّت أيديهم إلى أعناقهم وطرحوا في النار جزاء لهم على هذا القول ومعنى ﴿ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ﴿٦٤﴾ ﴾ عذبوا بسبب ما قالوا، فمن لعنتهم أنهم مسخوا في الدنيا قردة وخنازير، وضربت عليهم الذلة والمسكنة والجزية، وفي الآخرة لهم عذاب النار. وقوله تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴿٦٤﴾ ﴾ يعني أنه تعالى جَوَادٌ كريمٌ ينفق كيف يشاء، وهذا جوابٌ لليهود وَردٌّ عليهم ما افتروا واختلقوه على

الله، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا، وإنما أجيبوا بهذا الجواب على قدر كلامهم.

قال أبو حيان في البحر المحيط: معتقد أهل الحق أن الله تعالى ليس بجسمٍ ولا جارحةٍ، ولا يشبَّه بشيءٍ من خلقه، ولا يُكيَّف ولا يتحيز ولا تحله الحوادث، وكل هذا مقررٌ في علم أصول الدين، والجمهور على أن هذا استعارة عن جوده وإنعامه السابغ، وأضاف ذلك إلى اليدين جاريًا على طريقة العرب في قولهم فلانٌ ينفق بكلتا يديه ومنه قوله:

يَـدَاكَ يَـدا مُجِـدٍّ فكَفٌّ مفيدَةٌ وكفٌّ إذا ما ضُنَّ بالمالِ تُنْفِقُ

ويؤيد أن اليدين هنا بمعنى الإنعام قرينة الإنفاق، ومن نظر في كلام العرب عرف يقينًا أن بسط اليد وقبضها استعارة للجود والبخل، قال الشاعر:

جادَ الحمى بَسْطَ اليدين بوابِلٍ شَكَرَتْ نَدَاهُ تِلاعُهُ وَوِهادُه

وقال لبيد:

وَغداةَ رِيحٍ قد وَزعْتَ وِقرَّةٍ قد أصبحتْ بيد الشِمالِ زِمامُها

٢٩- قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة المائدة]

الشرح: قال الخازن: قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴿٨٢﴾﴾ اللام في قوله لتجدن لام القسم، وتقديره والله يا محمد إنك لتجدن أشد الناس عداوةً للذين ءامنوا بك وصدقوك اليهود والذين أشركوا، وصف الله شدة عداوة اليهود وصعوبة إجابتهم إلى الحق وجعلهم قرناء المشركين عبدة الأصنام في العداوة للمؤمنين، وذلك حسدًا منهم للمؤمنين ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ قيل: نزلت في أناسٍ من أهل الكتاب ءامنوا بالرسول فأثنى عليهم قيل هو النجاشي وأصحابه، تلا عليهم جعفر بن أبي طالب حين هاجر إلى الحبشة سورة مريم، فآمنوا وفاضت أعينهم من الدمع، وقيل: هم وفد النجاشي مع جعفر إلى الرسول ﷺ وكانوا سبعين بعثهم إلى الرسول عليهم ثياب الصوف اثنان وستون من الحبشة وثمانية من الشام، وهم بحيرا الراهب وإدريس وأشرف وثمامة وقثم ودريد وأيمن، فقرأ عليهم الرسول ﷺ يس فبكوا وءامنوا وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى، فأنزل الله هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ ﴿٨٢﴾﴾ يعني من النصارى ﴿قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾، ولم يرد كل النصارى بل الآية نزلت فيمن ءامن من النصارى كالنجاشي وأصحابه. والقس والقسيس اسم رئيس النصارى، والجمع قسيسون، وأما الرهبان فهو جمع راهبٍ، وقيل الرهبان واحدٌ وجمعه رهابين وهم سكان الصوامع.

٣٠- **قال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [سورة المائدة]

الشرح: يجب الاعتقاد بأن الخمر محرمٌ بنص القرءان والحديث والإجماع وليس كما يزعم بعض السفهاء بأنه مكروهٌ غير محرمٍ وهذا تكذيب للقرءان، وقد قال الفقيه ملّا على القاري الحنفي: «من قال إن القرءان لم يحرم الخمر كفر».

وأما قوله تعالى ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾، وقوله تعالى ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾، فهما نصان واضحان وصريحان على تحريم الخمر وعلى اجتنابها والابتعاد عنها وتهديدٌ ووعيدٌ لمن شربها.

قال الإمام الهرري رضي الله عنه في كتابه بغية الطالب ما نصه[1]: «ومن معاصي البطن شرب الخمر وهو من الكبائر وهي كما قال عمر «ما خَامرَ العقلَ» أي غيّرَه رواه عنه البخاري[2] في الصحيح في كتاب الأشربة. وقد اعتيدَ في بعض البلادِ تسميةُ بعض الأشربة التي هي مُسكِرَةٌ باسمٍ خاصّ فاستحلُّوا شُربَها كما يَحصُل ذلك في بعضِ بلادِ الحبشةِ، عندهم شرابٌ يتّخذونَه منْ بعضِ الحبُوب يُسمُّونَه في بعضِ النّواحي قُرارِي وفي بعضِ النّواحي شَلَلِي ولا فَرقَ في الحقيقةِ بين هذا والخمرِ الآخرِ الذي يَعتبرونه حَرامًا ويَتجنَّبُونه إلا أنَّ هذا أخفُ من ذاك، فكيف خفيَ عليهم الحكمُ الشّرعيُّ، وما ذاك إلا لِغَلبة الهَوى، فَقد قالَ رسول الله ﷺ «**وما أسْكَرَ الفَرَقُ منه فمِلءُ الكَفِّ مِنْهُ حَرام**» رواه أبو داود[3]. والفَرَقُ مِكيالٌ يقال إنه يسَع ستّةَ عشَرَ رِطْلاً.

---

(١) انظر الكتاب (٢/ ١٨٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأشربة: باب الخمر من العنب وغيره.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الأشربة: باب النهي عن المسكر.

وأمّا حَدُّ الخَمْر فهو في الأصل بالنسبةِ لشَارِبها الحرّ أربعونَ جَلْدة وللرقيقِ عِشرُون، ثم إذا اقتَضتِ المَصْلَحةُ الزيادةَ على ذلكَ جازَ إلى الثّمانينَ لفِعْلِ عمرَ[1]. قال سيّدُنا عليٌّ رضي الله عنه «جلَدَ رسولُ الله (أي في الخَمْرِ) أربعينَ وجلَدَ أبو بكر أربعينَ وجلَدَ عمرُ ثَمانِين وكلٌّ سُنَّةٌ وهذا أحبُّ إليّ»، أي الأربعونَ رواه مسلم[2].

أما الدّليل على حُرمة شرب الخمر من القرءان فقولُ الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١﴾ [سورة المائدة].

﴿وَٱلۡمَيۡسِرُ﴾ القمارُ، ﴿وَٱلۡأَنصَابُ﴾ نوع من الأوثان وهي حجارةٌ يُهْرِيقُونَ الدمَ عبادةً لها لأنها تُنْصَبُ فتُعْبَدُ، ﴿وَٱلۡأَزۡلَٰمُ﴾ هي سهامٌ كان مكتوبًا على أحدها أمرني ربي وعلى الآخر مكتوبٌ نهاني ربي والثالث ليس عليه كتابة كانوا يقتسمون بها في الجاهلية يخلطونها ويأخذون أحدها فإذا خرج الذي ليس عليه كتابة يردونه ويعيدون الخلط إلى أن يخرج أحد المكتوب عليهما. ﴿رِجۡسٞ﴾ أي نَجِسٌ أو خَبِيثٌ مُسْتَقذَرٌ، ﴿مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾، لأنه يَحمِلُ عليه فكأنَّه عمَلُه والضميرُ في ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ يَرجع إلى الرّجْسِ أو إلى عَمَلِ الشّيطانِ، ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ أكَّد تَحرِيمَ الخَمْرِ والمَيْسرِ مِنْ وجُوهٍ حَيثُ صَدَّر الجُملةَ بإنّما وقرنها بعبادةِ الأصْنام، وجَعلَهما رِجْسًا مِنْ عَمل الشّيطانِ ولا يأتي منه -أي الشيطانُ- إلا الشّرُّ البَحْتُ، وأَمرَ بالاجتِنابِ وجَعَلَ الاجتِنَابَ مِنَ الفَلاح، وإذَا كانَ الاجتِنابُ فَلاحًا كَانَ الارتكابُ خَسَارًا. وفي قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾

---

(١) قال الأنصاري في فتح الوهاب (٢/ ١٦٥ - ١٦٦) في كتاب الأشربة والتعازير «وللإمام زيادة قدره أي الحد عليه إن رءاه فيبلغ الحر ثمانين وغيره أربعين كما فعله عمر رضي الله تعالى عنه في الحُرّ. ثم قال وهي أي زيادة قدر الحد عليه تعازير» اهـ.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحدود: باب حد الخمر.

بيانُ ما يتولّد من الخمر والميسرِ من الوبال وهو وقوعُ التّعادِي والتّباغُضِ بين أصْحابِ الخمر والقمار وما يؤدّيانِ إليه منَ الصّدّ عن ذِكْرِ الله وعن مراعاةِ أوقاتِ الصّلاة وخصَّ الصلاةَ مِنْ بين الذّكْرِ لزيادة دَرجتها كأنّه قال وعن الصلاةِ خصوصًا، وإنّما جمَعَ الخَمْر والمَيسِرَ معَ الأنصاب والأزلام أوّلا ثم أفْردَهما ءاخِرًا لأنّ الخِطابَ مع المؤمنين، وإنما نهاهُم عما كانوا يتعاطَونَه مِنْ شُرب الخمر واللَّعِب بالميْسِر وذكَرَ الأنْصاب والأزلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر وإظهار أن ذلك جميعًا من أعمال أهلِ الشّرك ثم أفْرَدهما بالذِكْر ليُعْلَم أنّهما المقصودُ بالذّكْر. وقولُه تعالى ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ مِنْ أبْلَغ ما يُنْهَى به كأنّه قيل قدْ تُلِيَ عليكم ما فيهما من أنواع الصّوارِف والزَّواجر فهل أنتم معَ هذه الصّوارِف منتهون أم أنتم على ما كنتم عليه كأنْ لم تُوعظُوا ولم تُزجَرُوا. ويفهم من الآية أيضًا أنَّ القِمار من الكبائر وله صُوَرٌ عديدة.

ورَوى الإمامُ أحمَدُ[1] من حديثِ ابنِ عمر قالَ سمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ «**أتَاني جِبريلُ علَيه السّلامُ فقالَ يا محمدُ إنَّ الله لَعَنَ الخَمْرَ وعَاصِرَها ومُعتَصِرَها وبائِعَها ومُبتاعَها وشَارِبها وءاكلَ ثَمنِها وحامِلَها والمَحمُولَةَ إلَيه وسَاقِيها ومُسْتَقِيهَا**». وليسَ في الحديث أنّ الناظر إليها ملعونٌ كما شاع على ألسنة بعض العوامّ بل قولُ ذلكَ على الإطلاق ضَلالٌ وكفرٌ والعياذ بالله.

وروى البُخاريُّ ومُسْلِمٌ[2] أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال «**مَنْ شَرِبَ الخَمْرةَ في الدُنيا يُحْرَمُها في الآخِرَةِ**». أي إنْ لم يَتُبْ يُحْرمُ شُربَ خَمْرِ الجنةِ الذي لا يُسكِرُ ولا يُصْدِعُ الرأسَ وليسَ نَجِسًا. فقَولُه تعالى ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ مع قوله ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ دليلٌ على حُرمَةِ شُرْب الخَمْر، وقبلَ نُزولِ هاتَينِ الآيتينِ لم تكنِ الخَمرةُ مُحرّمةً

---

(١) مسند أحمد (٢/ ٢٥،٧١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأشربة: باب قول الله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة المائدة]، ومسلم في صحيحه: كتاب الأشربة: باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام.

على أمّةِ محمدٍ أي إذا كانت إلى القدْر الذي لا يضُرّ الجسم. ومع ذلك فإن الأنبياء لا يحثّون أمَمَهُم على شرب الخمر لأن ذلك ينافي حكمة البِعْثَة التي هي تهذيبُ النفوس، وقليلُ الخمر يؤدّي إلى كثيره. وما يزعم بعضهم من أن سيدنا عيسى قال قليل من الخمر يفرّح قلب الإنسان فهو كذب عليه.

وأمّا قولُه تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [سورة النساء] فهذا نزلَ قبلَ التَّحْرِيم، وكذلكَ قولُه تعالى ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا ﴿٢١٩﴾ ﴾ [سورة البقرة] فَهذا أيضًا لَيسَ تَحرِيمًا، لأنّهم ظَلُّوا يَشرَبُونَ الخَمْرَ بعدَ نُزولِ هَاتَينِ الآيتَينِ بل لما نَزَلت هاتَان الآيتَانِ قالَ سيّدُنا عمرُ رضيَ الله عنه: «اللهُمَّ بيّنْ لَنا في الخَمْرِ بَيانًا شَافِيًا» رواه أصحابُ السُنن الأربعة أبو داود والترمذي والنسائي وابنُ ماجَه[1]. ولَم يَفهَمْ سيّدُنا عمرُ ولا غيرُه مِنَ الصَّحابةِ التَّحريمَ مِنْ هاتيْنِ الآيتَينِ، وانقَطَعُوا عن شُربها لما نَزلَ قَولُه تعالى ﴿ فَٱجۡتَنِبُوهُ ﴾ مَعَ قَولِه تَعالى ﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ لأنّهم فهِمُوا مِنه التّحريمَ القَطْعيَّ. والله تَعالى تَسْهيلًا عَليهم حتّى لا يكونَ علَيهِمْ مشَقّةٌ زائِدةٌ في الإقلاعِ عن شُرْبِ الخَمْرِ أنزلَ التّحريمَ شَيئًا فشَيئًا. ثم لما نَزلَ قَولُه تَعالى ﴿ فَٱجۡتَنِبُوهُ ﴾، مَع قَوله تَعالى ﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ قال سَيّدُنا عمرُ «انتهَيْنا انتهَيْنا» وأراقوا الخَمرَ حتى جَرت في السّكَكِ. وأمَّا قولُه تعالى ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۗ ﴿٦٧﴾ ﴾ [سورة النحل] فقد قالَ بعضُهم السَّكَرُ هو الخَلُّ، وقال بعضهم هذه الآيةُ نُسِخَت لما نزلت ءايةُ التحريم.

وكَما يَحرمُ شُربُ الخَمْرِ يَحرمُ بَيْعُهَا ولو لِغَيرِ شُرْبها لحديثِ البُخاريّ ومُسْلِم[2] **«إنّ الله ورسُولَه حَرَّم بيعَ الخمر والميْتَةِ والخِنزيرِ والأَصْنامِ»**.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الأشربة: باب في تحريم الخمر، والترمذي في سننه: كتاب تفسير القرءان: باب ومن سورة المائدة، والنسائي في سننه: كتاب الأشربة: باب تحريم الخمر.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب البيوع: باب بيع الميتة والأصنام، ومسلم في صحيحه: كتاب المساقاة: باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام.

والخمرُ قَدْ يكونُ مِنَ العِنَبِ أو التَّمر أو العَسلِ أو الحِنْطَةِ أو الشّعيرِ أو الذّرة أو البَصَل أو البطاطا أو التّفاح أو غير ذلك. رَوى مُسلمٌ[1] مِنْ حديثِ ابنِ عمرَ رضيَ الله عنهُما أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ «**كُلُّ مُسْكِرٍ خَمرٌ، وكلُّ مُسْكِرٍ حَرامٌ**». وفي لفظٍ «**وكلُّ خَمْرٍ حرام**». فكلُّ شراب غيَّر العَقْلَ معَ الطّرَبِ أي معَ النَّشْوَةِ والفَرح فهو خَمرٌ إنْ كانَ مِنْ عِنَبٍ أو عَسَلٍ أو ذُرَةٍ أو شَعِيْرٍ أو غَير ذلكَ. وهَذِه الأَشْياءُ إنّما تَصِيرُ خَمرًا إذا حَصَل الغَلَيانُ، عندما تَغْلِي وتَرتَفِعُ ثم تَنْزِلُ عِندئذ الذينَ يَشرَبُونَ الخَمْرَ يعتَبِرُونَها صَافِيةً، أمّا قَبْلَ الغلَيانِ فهو حَلالٌ يقالُ له نَبِيذٌ حَلالٌ، فما ينقع بالماء إن وصل إلى حد الإسكار أو لم يصل يقال له نبيذ، لكن إن لم يصل إلى حد الإسكار فهو نبيذ حلال.

أمّا عَصِيرُ العِنَبِ فيَصِيرُ خَمرًا بعد الغليان مِنْ دُونِ أنْ يُخلَطَ بهِ شَيءٌ، أمّا العَسَلُ والشّعِيرُ والذُّرَةُ والزَّبيبُ والتّمرُ إنّما يَصِيرُ خَمرًا عندما يوضَعُ فيه ماءٌ ثم يَمكثُ مُدّةً ثم يَغْلي أي يَرتَفِعُ ويَطْلَعُ مِنه صوتٌ يقالُ له نَشيشٌ عِندئذ يَصِيْرُ خَمرًا. وفي النَّسائي[2] عن ابنِ عمرَ «اجتنب كلُّ شرابٍ يَنِشُّ» يُقالُ في اللغة العربية[3] نَشَّ الشَّرابُ يَنشُّ نَشِيشًا مَعناهُ طَلَعَ لَهُ صَوْتٌ، هذا النّشيشُ أوّلُ الخَمْرِ بَعدَ ذلكَ يَصِيرُ رائِقًا يَنْزِلُ يَرجِعُ إلى حَيثُ كانَ، عِنْدئذٍ يُحبُّه شَرَبَةُ الخُمُور ويَبقَى هذا الشَّرابُ خَمْرًا إلى أيّامٍ طَوِيلَةٍ إلا أنّه بَعدَ مُدّةِ نَحوِ أربعينَ يومًا في بَعْضِ البلاد يتغيَّرُ طَعْمهُ، فيَصِيرُ حَامِضًا، فلا يَصْلحُ للإسْكارِ بعدَ ذلكَ مَهما شُرِبَ مِنْه صَارَ خَلًّا لا يُسْكِرُ[4]. والخَلُّ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الأشربة: باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام.

(٢) أخرجه النسائي في سننه: كتاب الأشربة: باب ذكر الأخبار التي اعتل بها من أباح شراب السكر.

(٣) المصباح المنير (ص/ ٢٣١).

(٤) **تَنبيهٌ** الخَلُّ المُباحُ أنْ يُصَبَّ على العِنَب أو العصِير خَلٌّ قبلَ غلَيانِه حتى لا يغلِيَ نصَّ على ذلكَ أحمدُ في روايةِ الجَماعةِ، ورَوى أبو داودَ قال: سمِعتُ أحمدَ سئِلَ عن الخَلّ يُتّخذ قالَ: يُصَبُّ عليه الخَلُّ حتى لا يَغْلِيَ، قيلَ: صُبَّ عليه الخلُّ فغَلَى، قال: يُهْرَاقُ قالَ: قلتُ لأحْمَدَ: فإنَّ رَجلًا فعلَه فَغَلَى ثم جَعلَه خلًّا أيشرَبهُ؟ قال: نعم إذا كانَ خَلًّا. من أراد تخليل العنب يشترط أن يزيل العروق والقشور والبذور منه، يُعصَر ثمَّ يُخلّل هكذا الشرط عند الشافعي، عنده يشترط أن لا=

يُعرفُ بالحُمُوضَةِ أمّا الخَمرُ طَعْمُها مُرٌّ لكنْ أولئكَ يَستَلِذُّونها معَ ذلِكَ.

ثم إنَّ العَسَلَ إذا خُلِطَ بالماءِ وسُدَّ فَمُ الإنَاء يَصِير خمرًا في البلادِ الحَارّة في ظَرفِ خمْسَةِ أيام، أما في البلاد البارِدَةِ يتَأخّرُ، وإن لم يخلط بشيءٍ وكان العسَلُ صافيًا ووُضِع في إناء الزجاج ونحوِه يبقَى سَنَواتٍ طَويلةً مِنْ غَيرِ أن يَفسُدَ. ثم إن بَعض النّاسِ يُسْكِرُهمْ قَلِيل الخمر وكثِيرهُ، وبعضُ النّاسِ لا يُسْكِرُهم إلا كَثِيرُهُ وكُلٌّ حَرامٌ كما دلّ على ذلك ما رواه أحمدُ[1] من حديث جابر رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال «**ما أسْكَرَ كثيرُه فقليلُه حرام**» وقال حينَ سئل عن البِتْع[2] «**كلُّ شرابٍ أسْكر فهو حرام**» رواه البخاري ومسلم[3] من حديث عائشة رضي الله عنها. لكنْ مَنِ استحَلَّ شُرْبَ القَدْرِ الذي لا يُسْكِرُ مِنْ غير خمر العِنَبِ لا يُكَفّرُ إلا أن يكون يعتقد تحريمه في الشرع لأنَّ هذا مما يَخفَى على كثيرٍ مِنَ الناسِ. ثم إنّه ورَدَ في وعِيْدِ شَارب الخَمْرِ حَديثٌ صَحِيحٌ عن رسول الله ﷺ وهو «**المُدْمِنُ على الخَمْرِ كعَابِدِ وثَنٍ**». رَواه البزَّارُ[4] من حديث مجاهِدٍ عن عبدِ الله بن عمرو، وأبو نُعَيم في الحِلْية وابن حبان[5] بلفظ «**مدمنُ خمر كعابد وثن**»، ومعناه أن الذي يُواظِبُ ويُداوِمُ على شُربها ذَنبُه كبِيرٌ كأنّه يَعبُدُ الوثَنَ في شدَّة إثْمِه وقد يُبْتَلَى بسوءِ الخَاتِمَةِ عِندَ المَوتِ، فبَعضُ النّاسِ الشَّيطانُ يتخَبَّطُهُم عند الموت ويأتيْهِمْ بخواطرَ خبيثة فيَكفُرونَ ومَنْ حَولهم مِنَ الناسِ لا

= يكون هناك عينٌ غيرُ عصيره حتى لا يتنجس الخل بهذه العروق والقشور والبذور. وقال بعضهم إن هذه لا تؤثّر فيبقى طاهرًا عندهم ولو مع وجودها.

(١) مسند أحمد (٣/ ٣٤٣).

(٢) البِتْع هو نبيذ العسل إذا صار خمرًا.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأشربة: باب الخمر من العسل وهو البتع، ومسلم في صحيحه: كتاب الأشربة: باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام.

(٤) مسند البزار (١١/ ٢٨٩).

(٥) حلية الأولياء (٩/ ٢٥٣)، صحيح ابن حبان (انظر الإحسان: كتاب الأشربة: فصل في الأشربة، ٧/ ٣٦٧).

يَعرِفُونَ. وقد علّمنا رسولُ الله ﷺ أن نقولَ في دعائنا[1] «**اللهمّ إنّي أعوذُ بك من أنْ يتخبَّطَني الشيطانُ عند الموت**»، فإنّ بعض الناس عند الموت ترتبط ألسنَتُهم ويُصيبُهم عطشٌ شديدٌ، فيأتيه الشيطان وبيده الماء ويقول له اكفر أسْقِكَ، فمن ثبّته الله يَصْبرُ ولا يلتفِتُ إليه.

ثم إنّ شُرْبَ الخَمْر مِنْ أكبرِ الكَبائِر لكِنْ هيَ أخَفُّ مِنَ الزّنَى. بعدَ قَتْلِ النّفْسِ المؤمنةِ التي حَرَّم الله أشَدُّ الذّنُوبِ الزّنَى وبَعدَه ترك الصلاة وأكل الرّبا وشُربُ الخَمْرِ.

وأمّا القَولُ بنَجاسَةِ الخَمْر فهو مَذهَبُ أكثرِ الأئِمّةِ، منهم الأربعةُ مالك والشّافعيّ وأحمد وأبو حنيفَة فإذا أصابَتْ ثَوبًا أو بَدنًا يَجِبُ تَطْهِيْرُه عند القيام للصلاة، وقالَ بعضُ الأئمّةِ بطهَارتها وهوَ إمامٌ مجتَهدٌ في العِلْم يقالُ لهُ ربيعَةُ بنُ أبي عبدِ الرَّحمنِ شَيخُ الإمامِ مالِكٍ، ومع ذلك أجمعوا على أنّه يحرمُ شُربها وبَيْعها وشِراؤها، فإنه لم يَرِدْ في القُرءانِ ولا في الحَديثِ نصٌّ على نجاسَةِ الخَمْرِ، إنّما وَردَ النص الصريح بتَحرِيم شُربها وبَيعِها وشِرائِها ونحو ذلك فَمَنْ أنكَر حُرْمةَ شُربِها وبَيْعِها وشِرائِها لمن يريدها للشرب كفر.

وأما ما رَوى مُسلمٌ وأبو داودَ وغَيرُهما[2] مِنْ حدِيثِ وائلٍ الحَضْرَميّ أنّ طَارقَ بنَ سُوَيدٍ رضيَ الله عنه سألَ النبيَّ ﷺ عن الخَمْر يصنَعُها للدّواءِ فقال: «**إنّها لَيْسَتْ بدَواءٍ ولكنّها دَاءٌ**» فليسَ مَعناه أنّه ليسَ فيها شِفاءٌ مِنْ أيّ مرَضٍ إنّما المعنى ليسَتْ بدواءٍ طيّبٍ بل هيَ دَواءٌ خَبِيثٌ فهي لِكَثْرَةِ مضَارّها كأنّها ليسَ فيها شَيءٌ مِنَ الشّفاءِ. وليسَ مُرادُ الرَّسولِ عليهِ الصّلاةُ والسلامُ أنّه ليسَ فيها شِفاءٌ بالمرة، لأنّ وجُودَ الشّفاء بها مِنْ بعضِ الأَمراض شَيءٌ مَحسُوسٌ، فتفسيرُ الحديثِ على الظّاهِر غَلَطٌ كَبِيرٌ بل الأَطباءُ القُدَماءُ والمحدَثُون أجمَعُوا على أنّها تَشْفِي مِنْ بعضِ الأمراضِ، وهذا يدخلُ

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة: باب في الاستعاذة.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الأشربة: باب تحريم التداوي بالخمر، وأبو داود في سننه: كتاب الطب: باب في الأدوية المكروهة، والترمذي في سننه: كتاب الطب: باب ما جاء في كراهية التداوي بالمسكر، قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

في نَوع مِنَ المجاز وهوَ مَجازُ الحَذْفِ، فالتّقديرُ في قَولِه لَيسَتْ بدَواءٍ أي ليسَتْ بدَواءٍ طَيّب.

ويَدُلُّ على وجُودِ المنْفَعةِ فيها قولُه تعالى ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴿٢١٩﴾﴾ [سورة البقرة]، لكن الذينَ نَفَوا وجُودَ المَنْفَعةِ فيها قالُوا كانَ فيها مَنافعُ ثمَّ سُلِبَتْ مَنافِعُها.

ثم إنّ المسْكِراتِ لم ينزل تحريمُها إلا بعدَ الهِجْرَةِ، أمّا قبلَ ذلِكَ النّاسُ كانُوا يَنتَفِعُونَ بها، كانُوا يَشرَبُونَ الخَمْرَ للتَّدفُّئ، ويَشرَبُونها فيَصيرُ عِندَهم نَشَاطٌ بلا مَعْصِيةٍ ثم لما حُرّمَتْ حُرِمُوا تِلْكَ المنَافِعَ التي فيها.

وأمّا التّداوِي بالخَمْر فَقد ذَهبَ جمهورُ الفُقَهاء إلى القَولِ بحُرمَتِهِ وهَذا هوَ ظَاهِرُ الرّوايةِ في المَذْهَبِ الحَنفِيّ[1] وهوَ المعتَمدُ عندَهم، وبهِ قالَ المالِكيةُ[2] وهوَ الصّحيحُ عند الشافِعيّةِ[3] وهوَ مذهَبُ الحَنابِلَةِ[4].

وذَهبَ بعضُ الفُقَهاءِ[5] إلى القَولِ بجَوازِ التَّداوي بها بثَلاثةِ شُروطٍ: الشّرطُ الأوّلُ أن تتعَيّنَ عِلاجًا دُونَ غَيرِها وإلا ففِي غَيرها مَندُوحَةٌ، أي سَعَةٌ عَنْها. والشَّرطُ الثاني أنْ تكونَ بمقدارٍ قليلٍ بحيثُ لا يُسْكِرُ ولا يُذهِبُ العَقْلَ لئلّا يتَدَاوى مِنْ شَيءٍ فيقَعَ في أَشدَّ منهُ. والثالثُ أنْ يصِفَها طَبيبٌ مسلِمٌ ثِقَةٌ لأنَّ غَيرَ المُسْلِم لا تُقبَلُ شَهادَتُه فِيْما يتَعلَّقُ بالطّبّ.

وأما قولُه عليه الصلاة والسلام[6] «**لا يَشرَبُ الخَمرَ الشّاربُ حينَ يشرَبُها وهو**

---

(١) الدر المختار (٣/ ٢١١).

(٢) مواهب الجليل (١/ ١١٩).

(٣) المجموع (٩/ ٥١).

(٤) كشاف القناع (٢/ ٧٦).

(٥) روضة الطالبين (١٠/ ١٧٠).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المظالم والغصب: باب النهي بغير إذن صاحبه، ومسلم=

مؤمنٌ»، فليس معناه أنّه يَخرُج منَ الإسلامِ بمجرد الشرب، بل مَعناهُ لا يكونُ إيْمانه كامِلًا.

وقد رَوى البيهقي[1] أنّه قيلَ لِبَعْضِ العرَبِ: لم لا تَشْرَب النّبِيذَ (أي النّبِيذَ المحرَّم) فقال: والله ما أرْضَى عَقْلِي صَحِيحًا فكيفَ أُدخِلُ إلَيه ما يُفسِدُه.

وقالَ الحُسَينُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ[2]: [الطويل]

أرَى كلَّ قَوم يَحفَظُونَ حَرِيمَهُم ... ولَيسَ لأصْحَابِ النّبِيذِ حَرِيمُ

إذا جِئْتَهُم حيَّوكَ ألفًا ورَحَّبُوا ... وإنْ غِبْتَ عَنهُمْ سَاعةً فذَمِيْمُ

المعنى أنَّهم في وجْهِكَ يُعظّمُونَكَ ويُكْرِمونَكَ، ثمّ في خَلْفِكَ يَذُمُّونَكَ.

أخَاهُم إذا ما دَارَتِ الكَأسُ بَينَهُم ... وكلُّهم رَثُّ الوِصَالِ سَئُومُ

فَهذا ثَنائي لم أَقلْ بجهَالةٍ ... ولكِنْ بحالِ الفَاسِقينَ عَلِيْمُ

مَعناه خَبِيرٌ بأحْوالِ شَرَبَةِ الخُمُورِ.

قال بعض الشعراء مبَكّتًا لبعض الناس الذين يعتبرون الخمر التي من غير عصير العنب حلالًا إلا القَدْر المسكر بالفِعل: [الوافر]

فيشربها ويزعمُها حلالًا ... وتلك على المسيء خطيئتانِ

وأشرَبُها وأزعُمُها حرامًا ... وأرجُو عَفْوَ ربي ذي امتِنانِ

هؤلاء المتأوّلون تأوّلوا فأخطأوا في التأويل، ولولا تأويلُهم لكفروا بهذا الاعتقاد، هم تأوّلوا النصوص التي وردت في الشرع أنها لا تحرّم إلا القدر الذي يُسكِرُ، أما ما

= في صحيحه: كتاب الإيمان: باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله.

(١) شعب الإيمان (٥/ ١٤).

(٢) شعب الإيمان (٥/ ١٦).

دون القدر الذي يُسكِر فحلال. الإمام الشافعي رضي الله عنه يقول هؤلاء إذا شربوا النبيذ المسكر نقيمُ عليهم الحدّ لكن لا نكفّرهم[1] لأنهم متأوّلون.

وأمّا بيع العنب لمن يتّخذه خمرًا فهو حرامٌ بالإجماع، فقد روى الطبراني في الأوسط[2] بإسناد حسَن عن عبد الله بنِ بُرَيدةَ عن أبيه رضي الله عنهما قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**من حبَس العِنَب أيَّامَ القِطافِ حتى يبيْعَه ممّن يتّخذُه خمرًا فقد تقحَّمَ النارَ على بَصِيْرةٍ**». وأما ما نُقِلَ عن أبي حنيفة من أنه قال ويجوز بيع العنب لمن يعتصِرُه خمرًا، فمعناه يصِحّ البيع مع المعصية، وليس معناه لا معصية فيه كما نصَّ على ذلك صاحب كتاب إعلاء السّنن من الحنفية»[3] اهـ.

تنبيه مهم: ومن أوضح الدليل على تحريم الخمر قول الله عز وجل في سورة البقرة: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴿٢١٩﴾ ﴾، والإثم الضرر، وفي هذه الآية سماها إثما، وفي سورة الأعراف قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ** ﴿٣٣﴾ ﴾، ففي هذه الآية الثانية نصٌّ صريحٌ قاطعٌ بتحريم الإثم، فهو دليل بنص القرءان على تحريم الخمر، وهذا ردٌّ على السفهاء الماجنين الساقطين المنحلين الذين يقولون لا دليل في القرءان على تحريمها أو يقولون نريد لفظًا صريحًا في التحريم، فبماذا سيجيبون عن هذا الدليل بعد الآن؟!

فبعدَ كل هذه الأدلة على تحريم الخمر من القرءان الكريم وأحاديث رسولِ الله ﷺ يَتَضِحُ ويظهَرُ أنَّ ما قالَهُ العفريتُ المصريُّ مصطفى راشد الأزهري هو افتراءٌ على الله وعلى رسوله وعلى دينه، فقال في قناة التحرير المصرية تاريخ الأحد ١٢/ ٧/ ٢٠١٤: «إنَّ شُرْبَ الخمر ليس حرامًا وإن أي شخص يقول بأنَّ شُرب الخمر حرام يكذِبُ على الله». وقال «القرءان أمر بتجَنُّبه والتَجَنُّبُ لا عين التحريم». ويَظهر من كلامهِ أنَّهُ داعٍ إلى الإلحادِ

---

(١) أي ولا يُفسَّقون.

(٢) المعجم الأوسط (٥/ ٤٤٨)، حسّن إسناده الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام (ص/ ١٧٤).

(٣) إعلاء السنن (١٧/ ٤٣٩).

والزَندقةِ والخروجِ عن الإسلام وتكذيب القرءان.

وقد قال الفقيهُ الحنفيُّ مُلا علي القاري في كتابه «شرح الفقه الأكبر»: ولو قالَ حُرمَةُ الخمرِ لا تثبُت بالقرءانِ كَفَرَ أي لأنه عارضَ نص القرءان وأنكر تفسير أهل الفرقان، وقد قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ ﴿٩٠﴾﴾ [سورة المائدة] أي القمار بجميع أنواعه، ﴿وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ ﴿٩٠﴾﴾ أي إثم وسخط، ﴿مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ ﴿٩٠﴾﴾ أي الرجس، ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [سورة المائدة] أي بالاجتناب عنه.

وفي الآية مبالغات عظيمةٌ عند قوم لهم فُهومٌ سليمة، لا تدركها عقول سقيمة.

وفي التتمةِ: من أنكر حرمة الخمر في القرءان كفر. وفي الخلاصة من قال[1]: من لا يشرب مسكرًا فليس بمسلمٍ، كفر. ومن استحل شُربَ نبيذ التمر إلى السكر إلى حد الإسكار كفر.

وقبله قال الفقيه الحنفي محمد بن إسماعيل المعروف بالبدر الرشيد المتوفى ٧٦٨هـ[2]: «ولو قال حرمة الخمر لا تثبتُ بالقرءان كفر»، «وفي التيمية: من أنكر حرمة الخمر في القرءان كفر. وفي الخلاصة من قال من لا يشرب المسكر فليس بمسلم كفر، ومن استحلَّ نبيذ التمر إلى السُكْر كفر».

وقال أيضًا الدكتور عبد الرحمٰن كمال محمد في كتابه «علمُ أصول الدين أمرُهُ في الفقه الإسلامي»[3]: «ويكفرُ من قال إن حرمةَ الخمر لم تثبت بالقرءان».

وقال الفقيه الشافعي ابن حجر الهيتمي في كتابه الزواجر عن اقتراف الكبائر[4]: «أما شرب ما سكر بالفعل فهو حرام وفسقٌ بالإجماع، وكذا قليل عصير العنب أو

---

(١) (ص٥٠٧ – ٥٠٨) الدار المسماة البشائر الإسلامية الطبعة الأولى.

(٢) مؤسسة نادر الطبعة الأولى ص٤٧.

(٣) علمُ أصول الدين أمرُهُ في الفقه الإسلامي (ص/ ٥٨٥)، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى.

(٤) دار الفكر الجزء الثاني الطبعة الأولى ص٢٤٤.

الرطب إذا اشتد وغلي من غير عمل النارِ فيه فهو حرامٌ ونجسٌ إجماعًا يُحَدُّ شاربُه ويفسَقُ بل ويكفُر إن استحله، قالوا ونزل في تحريم الخمر أربع آياتٍ بمكة».

وقال أبو داود: «لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه» اهـ.

ورواه ابن ماجه وزاد «وآكل ثمنها»، وابن ماجه والترمذي: واللفظ له، وقال حسن غريب.

قال الحافظ المنذري رواتُه ثقات: «لعن رسول الله في الخمر عشرة: عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة له وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري لها والمشترى له» اهـ.

وقال أبو داود وغيره: «إن الله حرم الخمر وثمنها وحرم الميتة وثمنها وحرم الخنزير وثمنه. وقال: «لعن الله اليهود ثلاثًا إن الله حرم عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها، إن الله إذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه». وقال: «من باع الخمر فليشقص الخنزير» اهـ.

قال الخطابي: «معنى هذا توكيد التحريم والتغليظ فيه. يقول من استحل بيع الخمر فليستحل أكل الخنازير فإنهما في الحرمة والإثم سواء، فإذا كنت لا تستحل أكل لحم الخنزير فلا تستحل ثمن الخمر» اهـ.

وأما قول هذا الزنديق المتَستّر باسم الأزهري وعمامَتِه والأزهَرُ منه براء بأنه لا يوجد عقوبةٌ لشارب الخمر وأنه يتحدى في ذلك، فيكفي في الرد عليه ما ثبت في صحيح مسلم كتاب الحدود «باب حد الخمر» قال علي رضي الله عنه: «جَلَدَ رسول الله في الخمر أربعين، وجلدَ أبو بكرٍ أربعين وجلد عمر ثمانين وكلّ سنةٌ – أي من الشريعةِ – وهذا أحبُّ إليَّ – أي الأربعونَ –. ثمَّ إنَّ هذا المنحَلّ الشيطان الذي يلبَسُ عمامةً أنكر الإجماع وقال لا يوجد شيء اسمه صحيح البخاري، وقال لا يجبُ على المرأة أن تغطيَّ رأسَها، ولعلَّ هذا الإنسان مدفوعٌ من قبل اليهود ليحاولَ أن

يهدِمَ الدين ولكن هيهات هيهاتَ للناموسةِ أي الحشرة الصغيرة أن تزيلَ الجبال الراسيات.

تحذير:
شيخ الوهابية محمد العريفي ينسب إلى النبي أنه كان يُهدي الخمر أو يبيعها والعياذ بالله

وها هو مُحرِّف آخر من شيوخ الفتنة والفساد وفتاوى الهوى الباطلة التي ما أنزل الله بها من سلطان محمد العريفي في قناة دبي بتاريخ ١٣/ ٦/ ٢٠١٣ يقول والعياذ بالله: إن صحابيًّا أهدى إلى النبي راويتي خمر وليس معنى هذا أنه يشربها بل ربما كان يهديها أو يبيعها.

وهذا الكلام من الوهابية ومن مشايخها فيه نسبة مخالفة الشرع إلى النبي وأنه كان متناقضًا متضاربًا بين أقواله وأفعاله، ففي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري: «**لعن رسول الله ﷺ في الخمرة عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري لها والمشترى له**» اهـ.

وفي رواية أخرى رواها البخاري والمزّي: «**لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها**» اهـ.

فانظر أخي المسلم إلى قول رسول الله ﷺ: «**لعن الله الخمر وحاملها والمحمولة إليه**»، فعلى قول العريفي الوهابي إن أهداه الرسول لشخص أو باعه فالرسول ملعون على حسب دين الوهابية.

وفي الرواية الثانية: «**لعن الله الخمر وبائعها ومبتاعها**» اهـ. فعلى قول العريفي الوهابي الرسول ملعونٌ إن أهداها أو باعها والعياذ بالله، بل نقول إن من قال ذلك فهو الكافر الملعون، وحاشا لرسول الله أشرف خلق الله ﷺ وهذا إستخفاف من الوهابية برسول الله وبمنصبه وبشريعته ألا فاعرفوا الوهابية على حقيقتها.

ويجب التحذير من قول بعضهم إن عيسى كان يشرب الخمر أو كان يشجع على

شربها أو كان يقول لأمه أيتها المرأة زودينا بالخمر، ويجب التحذير من قول بعضهم أن عيسى كان يحول الماء إلى خمر وكان يسقيه للناس، وشرب الخمر والاسترسال فيه يتلف العقل وهذا لا يشجع عليه الأنبياء، ولم يحصل من نبيٍّ من الأنبياء أن شرب الخمر أو شجع على شربها.

٣١- قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾ [سورة الأعراف]

الشرح: الله سبحانه وتعالى أمر عباده بالعمل الصالح الذي يكون فيه نجاتهم يوم القيامة، والعمل الصالح هو أداء الواجبات واجتناب المحرمات وهو الذي يحمل الإنسان على أن يلتزم أوامر الله على الوجه الأتم، ويجتنب ما حرم الله، وفي هذا أمنٌ وأمانٌ وفوزٌ ونعيمٌ يوم القيامة، فمعنى الآية الكريمة ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ ﴾ العمل الصالح وتقوى الله، وليس كما زعم هذا البروفسور التركي «أن المرأة المسلمة لا يجب عليها أن تستر عورتها فلا يلزمها وضع الخمار» بزعمه محرفًا لمعنى الآية الكريمة زاعمًا أن تقوى الله في القلب وهذا وحده يكفي وهو لباس التقوى، والإنسان بسبب انشغالاته وأعماله لا يلزمه أن يصلي خمس صلوات بل يصلي في قلبه وهو ماشٍ في الطريق، فهذا ليس تفسيرًا بل هو تكذيب لدين الله وخروج عن القرءان ونقضٌ للإجماع وعمل دينٍ جديدٍ.

فيجب الحذر والتحذير من هذا الكلام الباطل والسخيف الذي قاله هذا التركي «نوري يشار»، ولعله من ملاحدة الماسونية.

قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرءان في تفسير هذه الآية ما نصه: «قال ابن عباس: لباس التقوى هو العمل الصالح» اهـ.

قال الحسين بن مسعود البغوي في تفسيره معالم التنزيل ما نصه: «وقال عروة بن الزبير: لباس التقوى خشية الله -أي تأدية الواجبات واجتناب المحرمات-» اهـ.

قال اللغوي المفسر أبو حيان الأندلسي في كتابه البحر المحيط في تفسيره لهذه الآية ما نصه: «قال ابن جريج لباس التقوى هو الإيمان» اهـ.

٣٢- قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ [سورة الأعراف]

الشرح: يجب الاعتقاد أن أنبياء الله معصومون محفوظون منزهون عن الشرك والكفر بجميع أنواعه قبل النبوة وبعدها، كذلك هم معصومون من الكبائر وصغائر الخسة فلا يجوز ولا يصح ولا يعقل أن يكون معنى هذه الآية أن رسول الله آدم عليه الصلاة والسلام أشرك بربه وسمى ولده عبد الحارث، والحارث من أسماء الشيطان فأشرك بربه بذلك على زعم الحثالة الوهابية وأن حواء هي أيضًا أشركت معه بذلك والعياذ بالله تعالى وذلك في كتاب الوهابية المسمى «الدين الخالص»[1] تأليف القنوجي حيث يقولون فيه: «أن الشرك إنما وقع منهما»، ثم يقولون: «الصحيح أنه وقع من حواء فقط دون آدم»، فعلى قولهم هذا أن آدم عليه السلام على قول يكون كافرًا مشركًا، وعلى القول الصحيح عندهم على زعمهم أن حواء هي المشركة دون آدم، والعياذ بالله تعالى من افتراءهم على أنبياء الله وأوليائه، فحواء مسلمةٌ مؤمنةٌ وليةٌ صالحةٌ لا تشرك بربها، وبهذا تكون الوهابية جعلت البشر أولاد زنى.

والصحيح في تفسير الآية أن بعض الناس من ذرية آدم هم الذين فعلوا ذلك وليس آدم وحواء بدليل قول الله تعالى في نفس الآية ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، فلو كان المراد آدم وحواء لأدى ذلك إلى نفي النبوة والرسالة عن آدم ونفي الولاية عن حواء، فتحتم أن يكون المراد ناسًا آخرين.

ولا ندري لعل منشأ هذا الخبط والخلط عند الوهابية في تكفير آدم وحواء لأنهم ينكرون نبوته ورسالته أم لسبب آخر، وفي كتب كثير من الوهابية يقولون «إن أول الأنبياء نوح» وبهذا أنكروا نبوة آدم وشيث وإدريس وذلك في كتاب مجموع رسائل محمد بن عبد الوهاب.

---

(١) انظر الكتاب (ص/ ١٦٠).

قال القرطبي في تفسيره في شرحه لهذه الآية: «قال الكلبي: إن إبليس أتى حواء في صورة رجل لما أثقلت في أول ما حملت فقال: ما هذا الذي في بطنك؟ قالت: ما أدري! قال: إني أخاف أن يكون بهيمة. فقالت ذلك لآدم عليه السلام. فلم يزالا في هم من ذلك. ثم عاد إليها فقال: هو من الله بمنزلة، فإن دعوت الله فولدت إنسانًا أفتسمينه بي؟ قالت نعم. قال: فإني أدعو الله. فأتاها وقد ولدت فقال: سميه باسمي. فقالت: وما اسمك؟ قال: الحارث -ولو سمى لها نفسه لعرفته- فسمته عبد الحارث. ونحو هذا مذكورٌ من ضعيف الحديث، في الترمذي وغيره. وفي الإسرائيليات كثيرٌ ليس لها ثبات؛ فلا يعول عليها من له قلب» اهـ.

«وقال قوم: إن هذا راجعٌ إلى جنس الآدميين والتبيين عن حال المشركين من ذرية آدم عليه السلام، وهو الذي يعول عليه. فقوله: جعلا له يعني الذكر والأنثى الكافرين، ويعني به الجنسين. ودل على هذا فتعالى الله عما يشركون ولم يقل يشركان. وهذا قولٌ حسنٌ. وقيل: المعنى هو الذي خلقكم من نفس واحدة من هيئةٍ واحدةٍ وشكلٍ واحدٍ وجعل منها زوجها أي من جنسها فلما تغشاها يعني الجنسين. وعلى هذا القول لا يكون لآدم وحواء ذكر في الآية» اهـ.

قال الإمام المفسر محمد بن جرير الطبري في تفسيره ما نصه: «بل المعني بذلك رجلٌ وامرأةٌ من أهل الكفر من بني آدم، جعلا لله شركاء من الآلهة -بزعمهم- والأوثان حين رزقهما ما رزقهما من الولد. وقالوا: معنى الكلام: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا ﴿١٨٩﴾﴾: أي هذا الرجل الكافر، ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت ﴿١٨٩﴾﴾ دعوتما الله ربكما. قالوا: وهذا مما ابتدئ به الكلام على وجه الخطاب، ثم رد إلى الخبر عن الغائب، كما قيل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴿٢٢﴾﴾، [سورة يونس] وقد بينا نظائر ذلك بشواهده فيما مضى قبل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع قال: حدثنا سهل بن يوسف، عن عمرو، عن الحسن: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ قال: كان هذا في بعض أهل الملل، ولم يكن بآدم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر قال: قال الحسن: عني بهذا ذرية آدم، من أشرك منهم بعده يعني بقوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴿١٩٠﴾﴾.

حدثنا بشر بن معاذ قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قال: كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولادًا فهودوا ونصروا» اهـ.

وقال أبو الحسن على بن أحمد السبتي الأموي المعروف بابن خمير في كتابه «تبرأة الأنبياء عم نسب إليهم حثالة الأغبياء»[1]: «ومعلوم من دين الأمة أنه ما كفر نبي قط، ولا جَهِلَ الله تعالى، ولا سجد لوثن ولا أخبر الله تعالى عن واحد منهم بالكفر» اهـ.

ومن المناسب هنا أن نذكر أدلة أهل السنة والجماعة على نبوة آدم وعلى كفر من أنكرها.

(١) انظر الكتاب (ص/ ٨٤)، الطبعة الثانية سنة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩مـ دار الفكر.

آدم نبي رسول بإجماع الأمة

قال الإمام الحجة المجتهد المجدد الحافظ الشيخ عبد الله الحبشي الهرري رضي الله عنه في كتابه «صريح البيان في الرد على من خالف القرءان»[١] ما نصه: «ومن الكفر أيضًا إنكار نبوّة نبيٍّ مجمعٍ على نبوّته كموسى وعيسى وإبراهيم وءادم عليهم الصلاة والسلام، أما نبوّة ءادم فقد اتّفق المسلمون عليها وأجمعوا، ونقل إجماعهم أبو منصور التميمي البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩ هجرية في موضعين من كتابه فقال ما نصه[٢]: «أجمع أصحابُ التواريخ من المسلمين على أنّ عددَ الأنبياء عليهم السلام مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا كما وردت به الأخبار الصحيحة أوّلهم أبونا ءادم عليه السلام وءاخرهم نبيّنا محمد ﷺ» اهـ.

وقال في موضعٍ ءاخر[٣]: «أجمع المسلمون وأهل الكتاب على أنّ أوّل مَن أرسل من النّاس ءادم عليه السلام» اهـ.

وفي الحديث[٤] عن أبي سعيد الخُدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيّد ولدِ ءادم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبيٍّ يومئذٍ ءادم فَمَن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أوّل مَن تنشقّ عنه الأرض ولا فخر**» اهـ.

وأما تكفير منكر نبوّته فهو في الفتاوى الهندية[٥] ففيها ما نصّه: «عن جعفر فيمن يقول: ءامنتُ بجميع أنبيائه ولا أعلم أنَّ ءادم نبيٌّ أم لا، يكفر كذا في العتابية» اهـ.

---

(١) صريح البيان في الرد على من خالف القرءان (طبعة دار المشاريع ص٢٠٥-٢٠٩).

(٢) أصول الدين (ص/ ١٥٧).

(٣) أصول الدين (ص/ ١٥٩).

(٤) أخرجه الترمذي: في كتاب المناقب: باب في فضل النبي ﷺ وقال عقبه: حسن صحيح.

(٥) الفتاوى الهندية (٢/ ٢٦٣).

وقال ملا على القاري في الفقه الأكبر[1] ما نصه: «والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلّهم أي جميعهم الشامل لرسلهم ومشاهيرهم وغيرهم أولهم ءادم عليه الصلاة والسلام على ما ثبت بالكتاب والسنّة وإجماع الأمة فما نُقل عن بعض من إنكار نبوّته يكون كفرًا».ا.هـ.

وفي قول الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة المائدة] الآية دليلٌ على رسالة ءادم، وأن أبناءه كانوا على شريعة أنزلت على أبيهم، وفي حديث البخاري[2]: «**لا تُقتل نفسٌ ظلمًا إلا كان على ابن ءادم الأوّل كِفْلٌ[3] من دمها**»، دليلٌ أيضًا لأنه لو لم يكن مرسلاً إلى أبنائه لم يكونوا مكلفين، فلم يكن يكتب على ابن ءادم الأول ذنب. وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه بفضل البشر، ولو كان أولهم ءادم وأبناؤه عائشين بغير شريعة يعملون بها لكانوا كالبهائم ليس لهم ذلك الفضل الذي ناله أبوهم بإسجاد الملائكة له.

وروى ابن حبّان في صحيحه[4] قال: «أخبرنا محمد بن عمر بن يوسف، حدثنا محمّد بن عبد الملك بن زنجويه، حدثنا أبو توبة، حدثنا معاوية بن سلام، عن أخيه زيد بن سلام قال: سمعت أبا سلام قال: سمعت أبا أمامة أن رجلًا قال: يا رسول

---

(١) انظر الفقه الأكبر (ص/ ٥٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز: باب قول النبي ﷺ: «**يُعذّب الميت ببعض بكاء أهله عليه**» إذا كان النوح من سنّته. أي إن كان أوصى بأن ينوحوا عليه بعد موته، أما مجرد البكاء على الميت فلا بأس به إن كان تحزّنا على الميت، وقد ثبت أن رسول الله بكى عند موت ابنه إبراهيم.

(٣) الكفل بالكسر: الحظ والنصيب.

(٤) انظر الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٨/ ٢٤).

الله أنبيًّا كان ءادم؟ قال: «**نعم مكلّم**»، قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: «**عشرة قرون**».

وفيه[1] عن أبي ذرّ أنه قال: «قلت: يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال: «**مائة ألف وعشرون ألفًا**»، قلت: يا رسول الله كم الرسل من ذلك؟ قال: «**ثلاثمائة وثلاثة عشر جمّا غفيرًا**»، قال: قلت: يا رسول الله من كان أوّلهم؟ قال: «**ءادم**» قلت: يا رسول الله أنبي مرسل؟ قال: «**نعم، خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلًا**[2]»». رواه ابن حبان وصحّحه، وكلام من تكلّم في إبراهيم بن هشام ابن يحيى الغسّاني أحد رواة هذا الحديث لا يضر تصحيحه، لأن ابن حبان ذكره في كتابه الثقات[3].

ورواه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية[4] في عدة مواضع مطوّلا وعزاه لمحمد بن أبي عمر، ومختصرًا وعزاه لإسحاق بن راهويه[5].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر هذا الحديث في شرح البخاري عازيًا[6]له لابن حبّان مع ذكر أن ابن حبّان صحّحه ولم ينتقده لكون ذلك الراوي المختلف فيه وجد لحديثه شواهد، وكثيرٌ من الأحاديث يكون في إسنادها من هو مختلف في توثيقه ويوجد لحديثه شاهد فيقوى بالشاهد[7].

---

(١) انظر الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (١/ ٢٨٧ – ٢٨٩).

(٢) أي ليس بواسطة ملك وعلى هذا التفسير يكون ءادم أيضًا سمع كلام الله الذاتي.

(٣) كتاب الثقات (٨/ ٧٩).

(٤) المطالب العالية (٣/ ١١٤).

(٥) المطالب العالية (٣/ ٢٦٩).

(٦) فتح الباري (٦/ ٣٦١).

(٧) قال الشيخ المحدّث حبيب الرحمٰن الأعظمي الهندي في تعليقه على هذا الحديث قال البوصيري: «رواه الطيالسي وابن أبي شيبة وابن أبي عمر وإسحق بن راهويه وأبو يعلى وأحمد والحٰرث فذكره مختصرًا وابن حبان فذكره بزيادة طويلة جدًّا» اهـ. انظر تعليق الشيخ حبيب الرَّحمـن على المطالب العالية لابن حجر العسقلاني (٣/ ١١٤).

وقال في موضع ءاخر[1]: «قوله ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ١٦٣﴾ الآية، قيل: قدّم ذكر نوح فيها لأنه أول نبيٍّ أرسل[2] أو أول نبيٍّ عوقب قومه، فلا يرد كون ءادم أول الأنبياء مطلقًا كما سيأتي بسط القول في ذلك في الكلام على حديث الشفاعة» اهـ.

ويحتم كونه رسولًا أن النبي غير الرسول يكون تابعًا لرسول قبله ولم يكن قبل ءادم بشر حتى يكون فيهم رسول وءادم نبيًّا تابعًا له.

أما حديث البخاري[3] الذي فيه أن الناس يأتون نوحًا يوم القيامة فيقولون: أنت أوّل الرسل إلى أهل الأرض فمعناه أنه أول رسول أُرسل إلى قبائل متعددة لأن من كان قبله لم يكونوا كذلك؛ دلّ على ذلك كلمة «إلى أهل الأرض». ومن الدليل على رسالة ءادم أنه أحلّ له أن يزوج بنيه من بناته الذكر من هذا البطن من الأنثى من البطن الآخر، ثم نسخ هذا الحكم بموته. ولولا أن فعل ءادم الذي فعله من تزويج بنيه من بناته بوحيٍ أوحي إليه لأنه رسول من الله لكان ذلك التصرف تصرفًا باطلًا، ولكان ذلك كتسافد الحمير، ولكان البشر الأول لا نسب لهم شرعي بل كانوا أبناء زنى، وذلك منافٍ لكرامة ءادم عند الله؛ فنفي رسالة ءادم على الإطلاق تكذيب للدين فهو كفرٌ، فهو كإنكار نبوته الذي نقل الإجماع على أنه كفر غير واحد منهم ابن حزم فقد ذكر: إن المخالف في ذلك متّفق على كفره وذلك في كتابه مراتب الإجماع[4].

وينطبق هذا الحكم على بعض الوهابية كأبي بكر الجزائري مؤلف كتاب منهاج المسلم وكتاب عقيدة المسلم، وتسمية هذين الكتابين بهذين الاسمين تحريف للحقيقة، فهذان الكتابان جديران بأن يسميا بضد ذلك فيقال في الأول: ضد منهاج المسلم وفي الثاني: ضد عقيدة المسلم» اهـ.

---

(١) فتح الباري (١/ ٩).

(٢) أي إلى الكفار.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أحاديث الأنبياء: باب قول الله عزّ وجل: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ ٢٥﴾ [سورة هود].

(٤) مراتب الإجماع (ص/ ١٧٣).

٣٣- قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [سورة يونس]

الشرح: يجب الاعتقاد أن أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام أبعد الناس عن الكفر والمعاصي وعن تشجيع الناس عليها وأمرهم بها، فلا يصح ولا يجوز أن يأمر نبيٌّ من الأنبياء أحدًا بالكفر أو بالمعصية، وموسى عليه الصلاة والسلام نبيٌّ رسولٌ معصومٌ كسائر الأنبياء، وهو الذي قال الله فيه ﴿ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ﴾، وأما معنى هذه الآية الكريمة ﴿ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾ فإنه بمعرض التهكم والتهديد والوعيد، وليس بمعنى الأمر لهم أن يفعلوا ذلك ولا التشجيع ولا الرضا.

فبعد ما تقدم ليعلم أن السحر إما كفرٌ وإما كبيرةٌ فلا يجوز على موسى وعلى غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أن يأمروا به بدليل قول الله عز وجل ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴿٧﴾ ﴾. وقد قال أبو حنيفة رضي الله عنه: «الرضا بالكفر كفرٌ»، فإذا كان الرضا بالكفر كفرٌ فكيف الأمر بالكفر أو بمباشرته! فهو كفرٌ من باب أولى وهذا مستحيلٌ على الأنبياء.

ونقل ذلك عن الإمام أبو حنيفة الفقيه الحنفي البدر الرشيد في رسالته التي ألفها لبيان الألفاظ الكفرية، وقد قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴿٢﴾ ﴾.

قال المفسر اللغوي أبو حيان الأندلسي في كتابه البحر المحيط ما نصه: «﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴿٢﴾ ﴾ الإثم: المعاصي والعدوان: التعدي في حدود الله؛ قاله عطاء. وقيل: الإثم الكفر والعصيان، والعدوان البدعة -أي ما كان مخالفًا لعقيدة أهل السنة والجماعة-. وقيل: الإثم الحكم اللاحق للجرائم، والعدوان ظلم الناس؛ قاله ابن عطية» اهـ.

٣٤- **قال تعالى:** ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [سورة يونس]

الشرح: ليعلم أن موسى عليه الصلاة والسلام نبيٌّ رسولٌ فلا يرضى بالكفر لأحد، بل هو بُعِثَ وأُرْسِلَ ليحارب الكفر، ويخرج الناس منه إلى الهدى والإسلام، فليس في هذه الآية أنه راضٍ لهم بالكفر أو أنه يتمنى لهم أن يبقوا عليه، بل دعاؤه في معرض التشديد والتنكيل، أي كأنه يقول «اللهم ضاعف لهم العذاب»، ومن اعتقد أن موسى يرضى لهم أن يبقوا على الكفر أو تمنى لهم ذلك فهو كافرٌ لأنه نسب الكفر لنبي الله موسى عليه الصلاة والسلام.

قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرءان ما نصه: «وقد استشكل بعض الناس هذه الآية فقال: كيف دعا عليهم وحكم الرسل استدعاء إيمان قومهم؛ فالجواب أنه لا يجوز أن يدعو نبيٌّ على قومه إلا بإذن من الله، وإعلام أنه ليس فيهم من يؤمن ولا يخرج من أصلابهم من يؤمن؛ دليله قوله لنوح عليه السلام: ﴿ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ ﴾ وعند ذلك قال: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ الآية. والله أعلم» اهـ.

قال المفسر أبو حيان الأندلسي في كتابه البحر المحيط ما نصه: «لما بالغ موسى عليه السلام في إظهار المعجزات وهم مصرون على العناد، واشتد أذاهم عليه وعلى من آمن معه، وهم لا يزيدون على عرض الآيات إلا كفرًا، وعلى الإنذار إلا استكبارًا، وعلم بالتجربة وطول الصحبة أنه لا يجيء منهم إلا الغي والضلال، أو علم ذلك بوحيٍ من الله تعالى، دعا الله تعالى عليهم بما علم أنه لا يكون غيره كما تقول: لعن الله إبليس وأخزى الكفرة. كما دعا نوح على قومه حين أوحي إليه ﴿ أَنَّهُۥ

لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ ﴾ وقدم بين يدي الدعاء ما آتاهم الله من النعمة في الدنيا، وكان ذلك سببًا للإيمان به ولشكر نعمه، فجعلوا ذلك سببًا لجحوده ولكفر نعمه» اهـ.

وقال ابن حجر الهيتمي في كتابه «الإعلام بقواطع الإسلام» ما نصه[1]: «فدعا الله بقوله ﴿ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾لأنه يجوز أن موسى علم عدم إيمانهم»، ثم نقل قاعدة عامة في ص٣٤ ما نصه: «وإن أراد بقاءه على الكفر أو الرضا ببقائه عليه كفر، وفي «سلبه الله الإيمان» لمسلم و «لا رزقه الله الإيمان» لكافر إن أراد سؤال الكفر للمسلم أو البقاء عليه للكافر أو رضي بذلك كفر».

(١) الإعلام بقواطع الإسلام (ص/ ٣٣)، طبعة دار الكتب العلمية سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٣٥- قال تعالى: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة هود]

الشرح: ليعلم أن الإنسان لا يسعه أن يفسر القرءان برأيه وهواه، فمن الآيات ما قد يظن الإنسان بأن معناها ظاهر له، ومعناها بعيدٌ جدًا عن ما يعرفه هو، فلذلك لا بد من أخذ التفسير وبقية العلوم بالتلقي عن أهل العلم لا بالرأي والهوى، وإلا فقد يهلك الإنسان ويصل إلى الكفر بما يظنه تفسيرًا للآية، وفي الأصل يكون تحريفًا لمعناها وتكذيبًا للدين، فليقف العاقل عند حد الشرع ولا يتسرع، فسلامة الدين لا يعدلها شيءٌ، ونذكر مثالًا لما قدمناه الآن كهذه الآية الكريمة ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ ﴿٧١﴾ ﴾ أي سارة زوجة إبراهيم عليهما السلام حاضت فبشرتها الملائكة بإسحاق.

قال الإمام المفسر محمد بن جرير الطبري في تفسيره ما نصه: «بل معنى قوله: «فضحكت» في هذا الموضع: فحاضت.

ذكر من قال ذلك:

حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال حدثنا بقية بن الوليد عن على بن هارون عن عمرو بن الأزهر عن لي عن مجاهد في قوله: ﴿ فَضَحِكَتۡ ﴿٧١﴾ ﴾ قال: حاضت وكانت ابنة بضع وتسعين سنة. قال: وكان إبراهيم ابن مائة سنة» اهـ.

مولد إسحاق عليه الصلاة والسلام

قال تعالى في حَقّ إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾ [سورة الصافات].

وقال الله تبارك وتعالى ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة الذاريات].

كان إبراهيمُ عليه السلام يذهب بعد كل مدةٍ إلى مكة المكرمة يتفقدُ ولده إسماعيل وأمه هاجر عليهم السلام، وقد صار إسماعيل عليه السلام بعدما تزوج هناك نبيًّا. وبعد أن بلغت زوجتُه سارة سنّ اليأس وهو السن الذي لا تلد المرأة فيه عادةً، وكانت إمرأة عقيمًا، وكان عمرها تسعين سنة رزقها الله ورزق زوجها إبراهيم عليه الصلاة والسلام ابنًا نجيبًا عليمًا هو إسحاق عليه السلام الذي صار بعد ذلك نبيًّا كأخيه إسماعيل عليهما السلام.

أما كيف جاء إبراهيم وزوجته سارة البشارة بهذا الولد الطيب فقد ذكر الله تبارك وتعالى أن ثلاثةً من الملائكة المكرمين عنده قيل هم: جبريل وميكائيل وإسرافيل لما وفدوا على نبي الله إبراهيم الخليل حسبهم أولًا ضيوفًا، فعاملهم معاملة الضيوف وشوى لهم عِجْلا سمينًا من خيار بقره، فلما قَرّبه إليهم وعرض عليهم لم ير لهم همةً إلى الأكل لأن ملائكة الله الكرام لا يأكلون ولا يشربون ولا يتعبون ولا يتوالدون وليس فيهم حاجة إلى الطعام، فلما وجد إبراهيم عليه السلام أن ضيوفه ليس لهم هِمة على الأكل لم يعرفهم ونكرهم وأوجس منهم

خيفةً، عند ذلك هدّءوا روعه وقالوا له: لا تخف، وطمأنوه أنهم في طريقهم إلى مدائن قوم لوط الكافرين ليدمّروهم ويُنزلوا بهم العذاب لكفرهم وفجورهم، فاستبشرت عند ذلك سارة غضبًا لله عليهم، وكانت قائمة على رءوس الضيوف كما جرت به عادة الناس من العرب وغيرهم، وضَحِكت استبشارًا بذلك قال الله تعالى ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ ﴾ [سورة هود] أي بشرتها الملائكة بذلك، عند ذلك أقبلت سارة في صَرخة وصكّت وجهها كما يفعل النساء عند التعجب وقالت: كيف يلد مثلي وأنا امرأة كبيرة وعقيم وزوجي شيخ كبير فقالوا لها ﴿ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣ ﴾ [سورة هود]، وكذلك تعجب إبراهيم استبشارًا بهذه البشارة فرحًا بها ﴿ قَالَ أَبَشَّرۡتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ٥٤ قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ٥٥ ﴾ [سورة الحجر] أي اليائسين، فأكدوا لإبراهيم هذه البشارة وبشروه وزوجته سارة بغلام عليم وهو إسحاق أخو إسماعيل عليهما الصلاة والسلام.

٣٦- **قال تعالى:** ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة هود]

الشرح: يجب الاعتقاد أن الله سبحانه وتعالى لا يجوز أن يسمى إلا بما سمى به نفسه أو سماه به أنبياء أو أجمعت عليه الأمة كما قال أهل السنة: «ما أطلق الله على نفسه أطلقناه عليه وما لا فلا» اهـ. وكما قال الحافظ البيهقي «أسماء الله توقيفية»، أي ورد الشرع بها، وكما قال إمام أهل السنة والجماعة أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه في كتاب مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري[1] «لا يجوز أن يسمى الله إلا بما ورد في الكتاب والسنة أو أجمعت عليه الأمة»، ونبي الله لوط عليه الصلاة والسلام لم يسمِ الله ركنًا، بل الركن هو زاوية البناء والركن مخلوقٌ، ويطلق الركن في لغة العرب على القوة وعلى العشيرة وعلى الأنصار وعلى الجنود وأما الله فمستحيل عليه أن يكون ركنًا، وتسميته بذلك إلحادٌ وكفر.

قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرءان ما نصه: «ومراد لوط بالركن العشيرة والمنعة بالكثرة» اهـ.

قال المفسر الطبري في تفسيره ما نصه: «﴿أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾، يقول: أو أنضم إلى عشيرةٍ مانعةٍ تمنعني منكم لحلت بينكم وبين ما جئتم تريدونه مني».

ثم قال: «حدثني موسى قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدي: قال لوط: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾، يقول: إلى جندٍ شديدٍ لقاتلتكم. [ص: ٤١٩]

حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة: ﴿أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ قال: العشيرة.

---

(١) مجرد مقالات أبي الحس الأشعري لأبي بكر محمد بن الحسن بن فورك (ص٤٢).

حدثني المثنى قال حدثنا إسحاق قال حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: ﴿إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ٨٠﴾ قال: العشيرة.

حدثني الحارث قال حدثنا عبد العزيز قال حدثنا مبارك بن فضالة، عن الحسن: ﴿أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ٨٠﴾ قال: إلى ركن من الناس.

حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال: قوله: ﴿أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ٨٠﴾ قال: بلغنا أنه لم يبعث نبي بعد لوط إلا في ثروة من قومه حتى النبي ﷺ.

حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق قال: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ٨٠﴾ أي: عشيرة تمنعني أو شيعة تنصرني لحلت بينكم وبين هذا.

حدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ٨٠﴾ قال: يعني به العشيرة» اهـ.

٣٧- قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [سورة يوسف]

الشرح: قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ ﴿١٨٠﴾ ﴾ قال النسفي في تفسيره: «من الإلحاد تسمية الله بالروح والعقل والجسم والجوهر»، فأسماء الله كلها حسنى أي تدل على الكمال، ما منها من اسم إلا وهو دال على الكمال، والروح لا يدل على الكمال، فتسمية الله بالروح إلحادٌ وكفرٌ، وقد قال الفقيه الحنفي المحدث الشيخ عبد الغني بن اسماعيل النابلسي في كتابه «أسرار الشريعة» ما نصه: «من سمّى الله روحًا كفر» اهـ. وقال الإمام أبو الحسن الأشعري في ما نقله عنه تلميذ تلميذه أبو بكر بن فورك ما نصه: «لا يجوز تسمية الله بالروح لأنه لم يجئ في الشريعة».

ونبي الله يعقوب ما قال «من روح الله» بضم الراء، وحاشى لأنبياء الله أن يسموه «روحًا» وإنما قال «من رَوْحِ الله» بفتح الراء أي من رحمة الله.

ولزيادة المزيد والاطلاع على الأدلة راجع إن شئت كتابنا الفرقان في تصحيح ما حرف تفسيره من آيات القرءان الجزء الأول.

قال الحسين بن مسعود البغوي في تفسيره ما نصه: «﴿ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ ﴾ ولا تقنطوا (من روح الله) أي: من رحمة الله» اهـ.

وقال الطبري في تفسيره ما نصه: «حدثنا بشر قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد عن قتادة في قوله: ﴿ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ ﴾، أي من رحمة الله» اهـ.

وقال المفسر اللغوي أبو حيان الأندلسي ما نصه: «و ﴿ رَّوۡحِ ٱللَّهِ ﴾ رحمته وفرجه وتنفيسه» اهـ.

وقال المفسر محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام

القرءان ما نصه: «ولا تيأسوا من روح الله أي لا تقنطوا من فرج الله قاله ابن زيد يريد: أن المؤمن يرجو فرج الله، والكافر يقنط في الشدة. وقال قتادة والضحاك: من رحمة الله» اهـ.

٣٨- قال تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾

[سورة يوسف]

الشرح: يجب الاعتقاد بأن من انتقص نبيًا من أنبياء الله أو ذمه أو أهانه أو حقّره أو استخف به أو استهزء به أو سفهه أو نسب إليه الرذيلة فهو كافر بالله العظيم، فقول أولاد سيدنا يعقوب عليه الصلاة والسلام العشرة وهم من سوى يوسف وبنيامين عليه السلام ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ وإن لم يريدوا ويقصدوا بالضلال الكفر فإنهم كفروا بذلك لأنهم بقولهم لفي ضلالك تسفيهٌ له عليه السلام، وتسفيه النبي كفرٌ بإجماع الأمة، وهذا استخفافٌ واستهزاءٌ منهم لأبيهم النبي يعقوب عليه الصلاة والسلام.

فإن قال قائل «لم يكفروا لأنهم ما قصدوا تكفيره»، فيقال له «وإن لم يقصدوا تكفيره كفروا بتسفيههم واستهزائهم به»، ومن لم يكفرهم لهذا هو كافرٌ أيضًا.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿٦٦﴾﴾، وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾.

وقد قال الإمام سعيد بن جبير عن معنى في ضلالك أي في جنونك، وهل يشك بكفر من يقول ذلك لنبي؟!

ثم أجمعت الأمة أنه لا يكون نبيٌّ من الأنبياء ضالًا، فلا نقاش في تكفيرهم بعد نسبتهم الضلالة لأبيهم وإن أرادوا معنى غير التكفير، فالذي يجادل عنهم ويدافع عنهم ويدفع عنهم التكفير لقولهم هذا فهو لاحقٌ بهم في الكفر، إلا أنهم بعد ذلك أسلموا وتابوا ورجعوا عن ما كانوا عليه.

ولا حجة لمن ينفي عنهم التكفير بزعمه بقول الله تعالى ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾﴾ فإن هذه الآية قال فيها بعض المفسرين: (ضل الطريق عندما كان

صغيرًا في كفالة جده في مكة ثم رده إليه). وقال بعضهم (ما كنت تعرف أمور الشريعة قبل أن تنزل عليك). هنا لا ننسى أن هذا قول الله لنبيه ومعناه لا يدل على النقص والاستخفاف، وأما ذاك فهو قولهم لأبيهم النبي في معرض الاعتراض عليه وعدم موافقتهم له في محبته ليوسف وتسفيههم لرأيه واستهزاء بفعله، وهذا لا شك أنه استخفافٌ بهذا النبي الكريم.

واعتبارهم محبة نبي الله يعقوب لابنه يوسف الذي أطلعه الله أنه سيصير نبيًا ويكون له شأن عظيم ويدخل أهل مصر في الإسلام ينقذهم من عبادة الأصنام والأوثان، فأحبه يعقوب لله تعالى محبة هي من نوع تعظيم الأنبياء، وهذا مما أمر الله به وحث عليه، ومع ذلك اعتبروه مخطئًا في ذلك وهذا كفرٌ ءاخر، فلا مهرب ولا مفر لهم من الكفر حيث نسبوا إليه الخطأ في ما هو طاعة لله تعالى وحيث أهانوه بنسبته إلى الضلال القديم، وهذا لا يدل إلا على الانتقاص والإهانة، فلا يَتوقف بعد ذلك في تكفيرهم إلا الجاهل الجهول الكفور الذي لم يعرف عصمة الأنبياء وما يليق بهم وما لا يليق.

ونختم هذه الضية بسؤال لأولئك الجاهلين: لو أن إنسانًا وصف نبينا محمدًا ﷺ أو أي نبي ءاخر بالضلال في معرض الاعتراض عليه والإنكار لفعله، فهل يكون مدحًا وتعظيمًا له؟؟ أم يكون انتقاصًا واستهزاءً واستخفافًا به وتحقيرًا له؟!

لا شك أنه انتقاصٌ، وانتقاص الأنبياء كفرٌ بإجماع الأمة كما نص عليه غير واحدٍ من علماء الأمة.

٣٩- **قال تعالى:** ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الإسراء]

الشرح: يجب الاعتقاد أن الله سبحانه وتعالى فضّل الأنبياء على سائر الخلق لأنه قال في سورة الأنعام ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾، وبعدهم الأولياء، فطبقات الخلق في التفضيل الأنبياء الرسل أولًا، ثم بعدهم الأنبياء الغير رسل ثم رؤساء الملائكة، ثم خواص أولياء البشر كأبي بكرٍ وعمر وعثمان وعليٍّ رضي الله عنهم، ثم عامة الملائكة، ثم عامة الصالحين من البشر والجن.

فلا يجوز الاعتقاد بأن كل البشر متساوون في الفضل والرتبة والمنزلة، بل من اعتقد ذلك يكون كافرًا بالله العظيم لأنه يكون قد ساوى بين موسى وفرعون، وبين إبراهيم والنمرود، ومحمد وأبو جهل وأبو لهب، وهذا من أبشع الكفر، بل الاعتقاد الصحيح الذي يكفر من خالفه أن الأنبياء والأولياء والمسلمين أفضل من كل الكافرين على الإطلاق، وأن المسلم التقي أفضل من المسلم الغير تقيٍّ، وأن المسلم الفاسق الفاجر أفضل عند الله من جميع الكافرين، قال الله سبحانه وتعالى ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ وقال جلّ جلاله ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾.

ويجب الاعتقاد بأن الكفار لا يحبهم الله تعالى وليس لهم شأنٌ عند الله ولا منزلةٌ ولا قدرٌ، ومن قال إن الله يحبهم لأنه هو خلقهم فقد كفر وكذّب بما مرّ من آياتٍ في هذا الموضوع، والكفار وإن كانوا خلقًا من خلق الله إلا أن الله عز وجل قال ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾، وقال سبحانه ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾، فالله خلق الجميع نعم، خلق الكل صحيح، لكنه لا يحب الكافرين لكفرهم لأنه سبحانه قال ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾، أي الله لا يحبهم لكفرهم لأنهم تولوا عن الإيمان به وبرسوله

محمد ﷺ، قال الله تعالى ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾.

وإنما معنى هذه الآية ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴿٧٠﴾ ﴾ فهو بالنسبة لأصلهم، فقد جعل الله أصلهم وهو المني طاهرًا، والله سبحانه وتعالى جعل خلقة الآدمي تامةً كاملةً سويةً أتم من خلقة الملائكة والجن والبهائم، فجعل الإنسان يمشي على رجليه، ويعمل بيديه فيما ينفعه، ويدفع بهما عن نفسه الضرر، وجعله سميعًا بصيرًا متكلمًا، وركب فيه العقل الذي ميزه به عن البهائم، وهذا لا يعني أن الكافر له شأن عند الله ولا يساوى بالمؤمن، بل أقل مؤمن أفضل من ملئ الأرض من الكافرين.

وليس كما زعم مفتي الناتو يوسف القرضاوي الذي جاء بدينٍ خليطٍ في كتابه المسمى «غير المسلمين في المجتمع الإسلامي» يقول ما نصه: «اعتقاد كل مسلم بكرامة الإنسان أيًا كان دينه أو جنسه أو لونه قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [سورة الإسراء]، وهذه الكرامة المقررة توجب لكل إنسان حق الاحترام والرعاية» اهـ.

قف على كلامه المنحرف هذا وقارنه بقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة التوبة]، أي عقيدتهم نجسة، وبقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴿٥٥﴾ ﴾ [سورة الأنفال]، وبقول الله تعالى عن الكفار: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ ﴾، وبقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ ﴾، ثم سل نفسك أي احترام هذا الذي زعمه وتكلم عنه القرضاوي!!

أما قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴿٧٠﴾ ﴾ فهو بالنسبة لأصلهم فقد جعل الله أصلهم وهو المني طاهرًا كما ذكرنا، وإلا فهل يعتقد مؤمن أن أبا لهبٍ مكرم عند الله أو أن أبا جهل كان يستحق الاحترام من المسلمين أو أن عابد البقر أو الشيطان أو الفأر أو الخشب يستحق ويستوجب الاحترام على المسلمين بحيث إن من لم يحترمه ويعظمه يكون آثما عاصيا؟! حاشى، بل هذه من تخيلات القرضاوي

المبنية على انبطاحه تحت أقدام الكفار وبسبب المداهنة التي أعمت قلبه، والله حسيبه، ويا لفضيحته مع شيبته.

٤٠- **قال تعالى:** ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الإسراء]

الشرح: يجب الاعتقاد بأن النبي ﷺ معصومٌ من ترك الإسلام ومن الوقوع في الكفر، ومعصومٌ من التحريف والتبديل ومن التقول على الله، وهو ﷺ كان من صغره وقبل النبوة ليس فيه ميل للكافرين ولا إلى عقائدهم ولا إلى فسادهم، النبي ﷺ مستحيلٌ عليه أن يفتري على الله لو اجتمع عليه جميع كفار الإنس والجن لأن الله سبحانه وتعالى عصمه، والعصمة أي الحفظ.

قال المفسر أبو حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط: «﴿وَإِن كَادُوا۟﴾ قيل: لقريش، وقيل: لثقيف، وذكروا أسباب نزول مختلفة، وفي بعضها ما لا يصح نسبته إلى الرسول ﷺ، ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما عدد نعمه على بني آدم، ثم ذكر حالهم في الآخرة من إيتاء الكتاب باليمين لأهل السعادة، ومن عمى أهل الشقاوة أتبع ذلك بما يهم به الأشقياء في الدنيا من المكر والخداع والتلبيس على سيد أهل السعادة المقطوع له بالعصمة، ومعنى ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾ليخدعونك، وذلك في ظنهم لا أنهم قاربوا ذلك إذ هو معصومٌ عليه السلام أن يقاربوا فتنته عما أوحى الله إليه، وتلك المقاربة في زعمهم سببها رجاؤهم أن يفتري على الله غير ما أوحى الله إليه من تبديل الوعد وعيدًا أو الوعيد وعدًا، وما اقترحته[1] ثقيف من أن يضيف إلى الله ما لم ينزل عليه» اهـ.

قال القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي في كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى[2] ما نصه: «لأن الله -تعالى- ذكر أنهم كادوا يفتنونه حتى يفتري، وأنه لولا أن ثبته لكاد يركن إليهم» اهـ.

---

(١) انظر الكتاب (ص/ ٦٥).

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (طبعة دار الكتب العلمية الجزء الثاني ص١٢٨).

فمضمون هذا ومفهومه أن الله -تعالى- عصمه من أن يفتري، وثبته حتى لم يركن إليهم قليلًا، فكيف كثيرًا! وهم يروون أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون، والافتراء بمدح آلهتهم، -وافتروا على الرسول فنسبوا إليه هذا الحديث المكذب للدين وهو مستحيل على الرسول فزعموا أنه قال -ﷺ-: افتريت على الله، وقلت ما لم يقل، وهذا ضد مفهوم الآية، وهي تضعف الحديث لو صح، فكيف، ولا صحة له؟.

وهذا مثل قوله -تعالى- في الآية الأخرى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ﴿١١٣﴾ ﴾ [سورة النساء] وقد روي عن ابن عباس: كل ما في القرءان كاد فهو ما لا يكون، قال الله -تعالى-: ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [سورة النور]، ولم يذهب. و أكاد أخفيها ولم يفعل. قال القشيري القاضي: «ولقد طالبه قريش وثقيف إذ مر بآلهتهم أن يقبل بوجهه إليها، ووعدوه الإيمان به إن فعل، فما فعل، ولا كان ليفعل» اهـ.

قال ابن الأنباري: «ما قارب الرسول، ولا ركن» اهـ.

وقد ذكرت في معنى هذه الآية تفاسير أخر ما ذكرناه من نص الله على عصمة رسوله ترد سفاسفهم وسفهاتهم، فلم يبق في الآية إلا أن الله -تعالى- امتن على رسوله بعصمته، وتثبيته مما كاده به الكفار، وراموا من فتنته، ومرادنا من ذلك تنزيهه، وعصمته -ﷺ-، وهو مفهوم الآية» اهـ.

٤١- **قال الله تعالى:** ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الإسراء]

الشرح: اعلم أن معنى ﴿ طَٰٓئِرَهُۥ ﴾ الوارد في هذه الآية المراد به عمل الإنسان الذي يحصيه ويكتبه عليه رقيب أو عتيد والذي يعرض عليه يوم القيامة بدليل بقية الآية ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾، فلينظر العاقل ما يقدم لآخرته، وليعمل بما لو عرض عليه يوم القيامة لا يستحي منه ولا يخاف ألا وهو تقوى الله، وهذه الآية الكريمة ظاهرها يؤكد لنا أنه لا بد من التأويل في القرءان، وأما المشبهة المجسمة الذين يمنعون التأويل ويحرمونه ماذا يقولون؟! هل يزعمون أن كل إنسان يوم القيامة يكون معه طائر كطيور الحمام أو غير ذلك؟! فهذه سخافة! إذًا ثبت حقية مذهب أهل السنة والجماعة، وهو أن التأويل الموافق للشرع في محله حقٌّ لا بد منه.

قال المفسر الحسين بن مسعود البغوي في تفسيره معالم التنزيل ما نصه: «قوله عز وجل ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾، قال ابن عباس: عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان» اهـ.

وقال الإمام المفسر محمد بن جرير الطبري في تفسيره ما نصه: «يقول تعالى ذكره: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ ﴾ما قضي له أنه عامله، وهو صائرٌ إليه من شقاءٍ أو سعادةٍ بعمله في عنقه لا يفارقه» اهـ.

وقال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرءان ما نصه: «قال الزجاج: ذكر العنق عبارةٌ عن اللزوم كلزوم القلادة للعنق، وقال ابن عباس: طائره عمله وما قدر عليه من خيرٍ وشرٍّ، وهو ملازمه أينما كان» اهـ.

٤٢- **قال تعالى:** ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة الكهف]

الشرح: اعلم أن أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام هم أشجع الناس، فلا يوصفون بالجبن، وليس فيهم رعديدٌ، وإذا نسب إلى بعضهم الخوف في بعض المواضع من آيات القرءان فهو الخوف الطبيعي الذي لا يدل على جبنٍ ولا على انتقاصٍ من قدرهم العالي ومرتبتهم العظيمة، ولا يَقدح في عصمتهم، إنما هو الخوف الذي في طبيعة الإنسان كالخوف من لدغة العقرب ولسعة الحية والخوف من ظلم الملك الجائر الظالم الذي يقتل الناس بغير حقٍّ، وهذا في طبيعة الإنسان فإن الفارس الشجاع الذي يقتحم المعارك ويخترق الصفوف ويقطع الجيوش ويكسر الأعداء إذا خاف من لدغة العقرب لا يعتبر جبانًا ولا يعتبر عند الناس رعديدًا، بل هذا من حذره وانتباهه.

قال الحافظ الإمام المجتهد الحجة شيخ الإسلام عبد الله بن محمد الهرري الحبشي رضي الله عنه وأرضاه في كتابه «عمدة الراغب في مختصر بغية الطالب» ما نصه[1]: «وكذلك يستحيل على الأنبياء الجبن، أما الخوف الطبيعي فلا يستحيل عليهم، بل الخوف الطبيعي موجودٌ فيهم وذلك مثل النفور من الحية، فإن طبيعة الإنسان تقتضي النفور من الحية وما أشبه ذلك. ولا يقال عن النبي ﷺ هرب، لأن هرب يُشعر بالجبن، أما فرّ من أذى الكفار فهذا جائزٌ ما فيه نقصٌ، وعلى هذا المعنى قول الله تعالى إخبارا عن موسى أنه قال: ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴿٢١﴾ ﴾، قال القشيري في تفسيره لقوله تعالى ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴿٢١﴾ ﴾ «يجوز حمله على

(١) عمدة الراغب في مختصر بغية الطالب (طبعة دار المشاريع الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ ص٧٤).

الظاهر وأنه خاف منهم على نفسه»، وقد قال الله تعالى مخاطبًا نبيه موسى عليه السلام ﴿ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ﴾، وقال تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ ﴾ اهـ.

قال المفسر الإمام الطبري في تفسيره ما نصه: «ولملئت نفسك من اطلاعك عليهم فزعًا، لما كان الله ألبسهم من الهيبة، كي لا يصل إليهم واصلٌ، ولا تلمسهم يد لامسٍ حتى يبلغ الكتاب فيهم أجله، وتوقظهم من رقدتهم قدرته وسلطانه في الوقت الذي أراد أن يجعلهم عبرةً لمن شاء من خلقه، وآية لمن أراد الاحتجاج بهم عليه من عباده، ليعلموا أن وعد الله حقٌّ، وأن الساعة آتيةٌ لا ريب فيها» اهـ.

وقال أبو حيان الأندلسي في كتابه البحر المحيط ما نصه: «أعرضت بوجهك عنهم. وأوليتهم كشحك» اهـ.

٤٣- قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة مريم]

الشرح: قال الإمام الأستاذ المتكلم المعلم المربي شيخ الإسلام والمسلمين عبد الله بن محمد الهرري الحبشي رضي الله عنه في كتابه بغية الطالب الجزء الأول ما نصه: «والإيمانُ بالصراط وهو جسرٌ يُمَدُّ على ظهر جهنَّم فَيَرِدُهُ الناسُ، أحد طرفَيْهِ في الأرض المبدَّلة، والطرف الآخر فيما يَلي الجنّة بعد النار، فيَمرُّ الناس فيما يُسامتُ[1] الصِّراط، فالمؤمنون في ذلك على قسمين:

قسمٌ لا يدوسونَ الصّراط إِنَّما يمرّون في هوائه طائرين، وهؤلاء يَصدُق عليهم أنّهم وردوها لأنه ليس من شرط الورود المذكور في القرءان بقوله تعالى ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة مريم] دخولُها، وقسم يدُوسُونَه. ثم هؤلاء قسمٌ منهم يُوْقَعون فيها، وقسمٌ ينجيهمُ الله فيخلصون منها.

وهو دَحْضٌ مَزَلَّةٌ، معناه لا تثبت عليه الأقدام أي أملسُ، وهو مُخَوّفٌ من شدة صعوبته، قال بعض الصحابة عن الصراط بلغنا أنه أحدُّ من السيف وأدق من الشعرة، ولم يرد نصٌّ صريحٌ عن رسول الله أنه قال ذلك. والمراد بذلك وصف خطره وهو في الحقيقة ليس دقيقًا كالشعرة إنما هو عريضٌ، لكنه شيءٌ مُخَوفٌ يُخاف الانزلاق منه لأنه أملسُ» اهـ.

---

(١) أي يحاذي.

٤٤- قال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة الحج]

الشرح: لا يجوز تفسير القرءان بالرأي والهوى، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**من قال في القرءان برأيه فقد ضلّ**»، والذي يتكلم في الدين برأيه إن كان في تفسير القرءان وفي غير ذلك من أمور الشرع الشريف فإنه قد يصل إلى حد الكفر، فإن نجا من الكفر لا ينجو من الذنب الكبير.

وقد تسرع بعض المتهورين المتهتكين ففسر هذه الآية برأيه ففهم بزعمه من كلمة رجالًا «الرجال» جمع رجل، فقال إن النساء لا يجب عليهن الحج وإنما هو خاصٌّ بالرجال، فوقع بسبب غباوته وحماقته في تحريف معاني وتفسير القرءان، وهذا دليلٌ واضحٌ على أن العلم الديني يؤخذ بالتلقي من أهل العلم وليس بالاعتماد على الرأي والظن والتفكير والتخمين والتكلم بغير علم بل لا بد من الرجوع إلى العلماء الثقات أو إلى من أخذوا عن العلماء وعرفوا بالضبط والنقل الصحيح وعدم التسرع وعدم الفتوى بغير علم وعدم التكلم بالرأي كما قال الإمام الحافظ الفقيه أبو بكر الخطيب البغدادي في كتابه الفقيه والمتفقه: «إنما يؤخذ العلم من أفواه العلماء».

وأما معنى هذه الآية الكريمة فهو ما قاله علماء التفسير:

قال المفسر محمد بن أحمد القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرءان ما نصه: «قوله تعالى: ﴿ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ وعده إجابة الناس إلى حج البيت ما بين راجل وراكب» اهـ.

قال المفسر السلفي الإمام محمد بن جرير الطبري في تفسيره لهذه الآية ما نصه: «يقول: فإن الناس يأتون البيت الذي تأمرهم بحجه مشاة على أرجلهم ﴿ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾، يقول: وركبانا على كل ضامر، وهي الإبل المهازيل» اهـ.

قال الحسين بن مسعود البغوي في تفسيره لهذه الآية ما نصه: «قوله تعالى: ﴿ يَأْتُوكَ رِجَالًا ﴾ مشاةً على أرجلهم جمع راجلٍ مثل قائم وقيام وصائم وصيام ﴿ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ أي ركبانًا على كل ضامرٍ والضامر البعير المهزول» اهـ.

قال أبو حيان الأندلسي في كتابه البحر المحيط ما نصه: «ورجال جمع راجل كتاجر وتجار» اهـ.

٤٥- **قال تعالى:** ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ [سورة الشعراء]

الشرح: يجب الاعتقاد أن كل نبي من أنبياء الله يكون مطمئنًا على آخرته وأنه لا عذاب عليه لا في القبر ولا في مواقف القيامة ولا في جهنم، فهم أفضل خلق الله على الإطلاق وأتقى خلق الله وهم المتمسكون بشريعة الله باطنًا وظاهرًا فليس على أحد منهم نكدٌ أو فزعٌ أو خوفٌ أو قلقٌ في آخرته لأن الله سبحانه قال ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾، والأنبياء سادات الأبرار وأبرّ الخلق لربهم، وقال سبحانه ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾، وقال جلّ جلاله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴿١٠٢﴾ ﴾ أي هم عن النار مبعدون، وأما هذه الآية ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ وقوله تعالى ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة يونس]، وعدد من الآيات والأحاديث ورد فيها عن بعض الأنبياء في مقام التضرع إلى الله عز وجل والدعاء والتذلل بذكر «فاغفر لي» أو «تب علي» أو «إني كنت من الظالمين» أو «أعوذ برضاك من سخطك» أو بما شابه ذلك وهي ألفاظ كثيرة، كل ذلك لا يعني أنهم يخافون على آخرتهم أو أنهم يعذبون لأن الله وعد بإنجاء الأتقياء وإكرامهم، والله مستحيلٌ أن يخلف وعده وإنما هو كما بيّنا في معرض مناجاتهم لربهم وتضرعهم وتعليمًا لأممهم وأقوامهم أن يكثروا من التضرع والدعاء.

وقال بعض العلماء يجوز أن يكون استغفار بعض الأنبياء على الذنب الصغير الذي ليس فيه خسة ولا دناءة، ومثل هذا يجوز على الأنبياء ولكن يتوبون منه فورا قبل أن يطلع عليه الناس.

ثم إن الاستغفار لا يكون دائما لذنب سبق، فقد يكون أحيانًا للترقي في الدرجات كما في حديث رسول الله ﷺ: «**إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة**»، وهو ليس عليه ذنوبٌ، فمثل هذا يكون للترقي في علو الدرجات والمقامات.

وكذلك إذا قال الصبي -والصبي هو الذي دون البلوغ أي ليس مكلفًا- أستغفر الله، فمعناه يا رب احفظني من سفاسف الأمور أو لمحو الأثر القبيح وكذلك إذا قال المصلون في صلاة الجنازة على الطفل الصغير «اللهم اغفر له» وهو ليس عليه ذنب فيكون معناه «استره في آخرته».

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله عصم أنبياءه من الكفر والشرك والكبائر وصغائر الخسة قبل النبوة وبعدها.

قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرءان ما نصه: «لا تجوز عليهم الكبائر لأنهم معصومون عنها. وهذا من إبراهيم[1] إظهار للعبودية وإن كان يعلم أنه مغفورٌ له» اهـ.

(١) أي طلب المغفرة.

٤٦- قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

[سورة العنكبوت]

الشرح: ليعلم أن زوجات الأنبياء وأمهاتهم لا يزنين، لا يحصل منهن ذلك لأنهن لو فعلن الزنى لضاع بذلك نسب الأنبياء ونسب أبنائهم، فقد تكون زوجة نبي من الأنبياء كافرةً كزوجة لوط وكزوجة نوح، لأن الله قال في سورة التحريم في شأنهما ﴿وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾، لكن لا يحصل منهن الزنى وهذا إجماعٌ نقله القاضي عياض اليحصبي المالكي.

وأما ما قاله ابن باز مفتي الوهابية في تعليقه على كتاب العقيدة الطحاوية ما نصه[1]: «ولما تكلم أهل الإفك في عائشة رضي الله عنها لم يعلم براءتها إلا بنزول الوحي»، فابن باز بكلامه هذا يشير إلى أنه ﷺ لم يكن معتقد براءتها إلا بعد أن نزل الوحي والذي ينسب إلى الرسول أنه كان أساء الظن في السيدة عائشة وأنها عملت الفاحشة فإنه يفسق الرسول عليه الصلاة والسلام وهذا كفرٌ وخروج من الإسلام، فالرسول ﷺ هو الذي قال: «**إياك والظن فإن الظن أكذب الحديث**»، فالرسول كان يعتقد براءتها لكنه لم يعلن فورًا حتى لا يقول المنافقون إنه برأها لأنه يحبها، فانتظر حتى نزل عليه الوحي وبعد نزول الوحي لم يسعه إلا أن يعلن، فلعنة الله والملائكة والناس أجمعين على من اتهم الرسول ﷺ بأنه أساء الظن في السيدة عائشة رضي الله عنها.

وليس كما تخرص الألباني المدّعي الفارغ أيضًا الذي قال في كتابه المسمى (سلسلة الأحاديث الصحيحة)[2] يقول في السيدة عائشة التي طهرها الله وأنزل في

---

(١) العقيدة الطحاوية (مطبعة ما يسمى مكتبة السنة القاهرة ص١٦).

(٢) انظر الكتاب المسمى (سلسلة الأحاديث الصحيحة) مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض الطبعة الأولى (٦/ ٢٦-٣٥).

براءتها قرءانًا يتلى: «وإن كان وقوع ذلك ممكنًا من الناحية النظرية لعدم وجود نص باستحالة ذلك منهن» يعني الألباني يجيز الزنى على عائشة وعلى بقية زوجات النبي رضي الله عنهن.

وأما تفسير هذه الآية ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أي الهالكين وليس معناها الزانين.

قال الحسين بن مسعود البغوي في تفسيره ما نصه: «﴿وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أي: الباقين في العذاب» اهـ.

وقال الطبري في تفسيره: «وإنها هالكة من بين أهل لوط مع قومها» اهـ.

٤٧- **قال تعالى:** ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾ [سورة طه]

الشرح: يجب الاعتقاد بأن السحر لا يؤثر في قلوب الأنبياء ولا في عقولهم وإلا فما معنى العصمة؟ ولو كان كذلك للعب بهم السحرة كما يلعبون بعامة الناس، وهذا لا يليق بمنصب النبوة، فيكفر من اعتقد أن السحر يؤثر في عقول وقلوب وعيون الأنبياء لأنه بقوله هذا جعلهم يصيرون في وقت من الأوقات لا يضبطون ما يقولونه ولا يميزون ما يرونه ولا يفهمون ما يسمعونه، وبهذا جعلهم كالمجانين والسفهاء والبله، ومن زعم هذا فإنه يرفع الثقة من قول وفعل الأنبياء، والأنبياء إنما أرسلوا ليبلغوا ما أمرهم الله بتبليغه وليتبعهم الناس بدليل قول الله عز وجل ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴿٦٤﴾ ﴾، ومن جوّز عليهم بأن يؤثر السحر في قلوبهم وعقولهم وعيونهم فكأنه يقول إن الله تعالى يسلط السحرة والكفرة والشياطين على أنبياءه فيلعبون بهم كيف يشاؤون.

قال القاضي عياض اليحصبي المالكي في كتابه الشفا بتعريف حقوق نبينا المصطفى ما نصه: «واعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبي من الشيطان وكفايته منه لا في جسمه بأنواع الأذى ولا على خاطره بالوسواس» اهـ.

وأما هذه الآية الكريمة ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾ فليس معناها أن السحر أثّر في عقل وعيني موسى حتى رأى عصي السحرة وحبالهم أنها حيات تسعى، هذا لا يجوز على موسى ولا على غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بل معناها أن موسى رأى عصيهم وحبالهم مضطربة كأنها حيات تسعى، لكنه معصومٌ بعصمة الله له، فهو محفوظٌ من أن يؤثر السحر في عقله أو بقلبه.

وقال الإمام الفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب في تفسير سورة طه في شرح الآية ما نصه: «فأما ما روي عن وهب أنهم سحروا أعين الناس وعين موسى

عليه السلام حتى تخيل ذلك مستدلًا بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ ١١٦﴾ [سورة الأعراف] وبقوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ٦٦﴾ فهذا غير جائزٍ لأن ذلك الوقت وقت إظهار المعجزة والأدلة وإزالة الشبهة، فلو صار بحيث لا يميز الموجود عن الخيال الفاسد لم يتمكن من إظهار المعجزة، فحينئذٍ يفسد المقصود فإذًا المراد أنه شاهد شيئًا لولا علمه بأنه لا حقيقة لذلك الشيء لظن فيها أنها تسعى» اهـ.

وقال الحافظ المجتهد المجدد الهرري عن نبينا محمد ﷺ: «والصحيح أنه ﷺ سُحِرَ ولم يؤثِّر السحرُ في عقله ولا في قلبه ولا في جسده بالمرة، فما قيل من أنه ﷺ كان يُخَيَّلُ إليه أنه كان يأتي النساء وما يأتيهنَّ أو يفعل الشيء وما يفعله، فهذا غير صحيحٍ ولا يليق بعصمة النبي وأما من قال إن النبي ﷺ شعر بالألم في جسمه من أثر السحر لا يُكفَّر» اهـ.

٤٨- **قال تعالى:** ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [سورة العنكبوت]

الشرح: إن مما أجمعت عليه الأمة أن الصلوات الخمس هي أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله ورسوله، ومرتبتها في الإسلام عاليةٌ جدًا، فهذه الآية الكريمة فيها أن ذكر العبد لربه في الصلاة أكبر من ذكره لربه خارج الصلاة، وقيل ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ ﴾ أي إثابة الله لعبده المؤمن أكبر من ذكر العبد لربه، وليس في الآية أن الذكر اللساني المطلق كقول لا إلـه إلا الله أو سبحان الله أو الله أكبر أو الحمد لله أو سبحان الله وبحمده أفضل من الصلوات الخمس، ولا أن حلقة الذكر أو حضرة الذكر أفضل من الصلوات الخمس كما زعم بعض ملاحدة وزنادقة المتصوفة كأمثال رجب ديب السوري الذي قال: «إن الذكر اللساني أفضل من الصلوات الخمس»، ثم زاد كفرًا فقال: «الذكر في المرتبة الأولى والصلاة في المرتبة الرابعة»!

فهذا تكذيبٌ للقرءان والحديث والإجماع فليتنبه لذلك.

وروى الحاكم في المستدرك على الصحيحين في كتاب التفسير في تفسير سورة العنكبوت ما نصه: «حدثني عليّ بن حمشاذ العدل أخبرني يزيد بن الهيثم ثنا إبراهيم بن أبي الليث الأشجعي عن سفيان عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن ربيعة قال: سألني ابن عباس -رضي الله عنهما- عن قول الله عز وجل: ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ ﴾ فقلت: ذكر الله بالتسبيح والتهليل والتكبير، فقال: لا، ذكر الله أكبر من ذكركم إياه. صحيح الإسناد ولم يخرجاه» اهـ. معناه ذكر الله عبده بالثواب.

قال القرطبي في تفسيره ما نصه: «إن ذكر الله أكبر مع المداومة على الصلاة في النهي عن الفحشاء والمنكر» اهـ.

وقال اللغوي المفسر أبو حيان الأندلسي ما نصه: «وَلَذِكْرُ اللهِ فِي الصَّلَاةِ أَكْبَرُ مِنْهُ خَارِجَ الصَّلَاةِ، أَيْ: أَكْبَرُ ثَوَابًا» اهـ.

قال الإمام الحافظ الحجة المجتهد الشيخ عبد الله الهرري الحبشي رضي الله عنه في كتابه بغية الطالب ما نصه: «قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبِرُكم بخير أعمالِكم وأزكاها عند مَليكِكُم وأرفَعِها في درجاتِكُم وخيرٍ لكم من إنفاق الذهب والوَرِق وخيرٍ لكم من أن تلقَوا عدوَّكم وتضربوا أعناقَهُم ويضربوا أعناقكم**» قالوا: بلى يا رسول الله. قال «**ذِكْرُ الله**» أي الصلاة، ومعناه أن أفضل الواجبات بعد الإيمان بالله ورسوله الصلوات الخمس، والورِقُ أي الفِضة. وحملُ هذا الحديث على الذكر المطلَقِ تحريفٌ للحديث. وأما قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴿٤٥﴾﴾[1] [سورة العنكبوت]، فليس معناه أن اشتغال المرء بالتسبيح والتحميد بلسانه ونحو ذلك من الأذكار أفضل من الصلوات الخمس، بل المعنى أنّ ذِكرَ الله لعبده أكبرُ من ذكرِ العبدِ ربَّه. وقد نبغت طائفةٌ تنتسب للطريقة النقشبندية تفضل طريقتها على الصلوات الخمس حملًا للذِّكر الوارد في الآية على ما يفعلونه من ذكرهم الاسمَ المفردَ الله في قلوبهم عددًا معيّنًا، وحصل مثل ذلك في بعض الشاذلية وهذا ضد الدين وتكذيبٌ لقواعده المنصوص عليها» اهـ.

(١) أي إثابة الله عبده أكبر من طاعة العبد ربه لأن الله يثيب العبد، لا يرجو منه ثوابًا والعبد يطيع ربه، يرجو ثوابه.

٤٩- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١﴾ [سورة الأحزاب]

الشرح: ليعلم أن أتقى الخلق وأخشاهم لله تعالى هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهم أبعد الناس عن الذنوب والمعاصي والآثام فليس في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ توبيخٌ له، حاشاه، ولا أنه كان مقيمًا عن المعاصي مسترسلًا في المحرمات غارقًا في الفسوق والآثام، فهذا مستحيلٌ على أنبياء الله وهو خلاف العصمة بل الذي في الآية أنه ﷺ متقٍ لله محافظٌ على ما أمر الله وأمر له بالثبات والاستمرار والمداومة على ذلك أي على تقوى الله إلى الممات.

وليس للملاحدة والذين يفسرون القرءان بآرائهم على ظاهره أو لهم مقصدٌ خبيثٌ للطعن في نبي الله فيقولون «النبي بشر مثلنا يخطئ ويصيب ليس معصومًا»، ويحتجون لكفرهم هذا بظاهر هذه الآية، والآية ردٌّ عليهم لا لهم.

قال المفسر الحسين بن مسعود البغوي في كتابه التفسير معالم التنزيل ما نصه: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ أي: دم على التقوى، كالرجل يقول لغيره وهو قائم: قم هاهنا، أي: اثبت قائما» اهـ.

وقال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره التفسير الكبير في تفسير سورة الأحزاب ما نصه: «الأمر بالشيء لا يكون إلا عند عدم اشتغال المأمور بالمأمور به، إذ لا يصلح أن يقال للجالس: اجلس وللساكت اسكت، والنبي عليه السلام كان متقيًا، فما الوجه فيه؟ هو أنه أمر بالمداومة، فإنه يصح أن يقول القائل للجالس: اجلس ههنا إلى أن أجيئك، ويقول القائل للساكت: قد أصبت فاسكت تسلم، أي دم على ما أنت عليه» اهـ.

وقال القاضي المفسر أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي رحمه

الله في تفسيره المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز ما نصه[1]: «قوله ﴿ٱتَّقِ﴾ أي معناه دم على التقوى» اهـ.

وقال المفسر أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي المتوفى سنة ١٢٧٠هـ في كتابه روح المعاني في تفسير القرءان العظيم والسبع المثاني ما نصه[2]: «وظاهر سياق ما بعد أن المعنى بالأمر بالتقوى هو النبي ﷺ لا أمته كما قيل في نظائره، والمقصود الدوام والثبات عليها» اهـ.

وقال المفسر أبو الحسن على بن أحمد الواحدي النيسابوري المتوفى سنة ٤٦٨هـ في كتابه الوسيط في تفسير القرءان المجيد ما نصه[3]: «قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ اثبت على تقوى الله ودم عليه» اهـ.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز (الجزء الرابع ص٣٦٧).

(٢) تفسير القرءان العظيم والسبع المثاني (طبعة دار الكتب العلمية سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٤مـ المجلد ٢٢ ص١٤٢).

(٣) الوسيط في تفسير القرءان (المجيد طبعة مكتبة دار الكتب العلمية الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٤مـ الجزء الثالث ص٤٥٧).

٥٠- **قال تعالى:** ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦﴾ [سورة الأحزاب]

الشرح: إن مما أجمعت عليه الأمة أن السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها وعن أبيها أمًّا للمؤمنين بنص هذه الآية الكريمة ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ فمن اتهمها بالزنى بعد ما برأها الله وبعد ما برأها الرسول عليه الصلاة والسلام فهو كافر بالله العظيم لا نصيب له في الإسلام إلا أن يرجع عن ذلك ويدخل في الإسلام بالنطق بالشهادتين، فعائشة رضي الله عنها نشئت في بيت رسول الله ﷺ فهي رضي الله عنها لما عقد الرسول عليها كان عمرها ست سنوات ودخل بها وهي بنت تسع فمتى تزني! وكيف تزني!

وهي التي كانت تحت أنظاره ﷺ تترعرع على التقوى والصلاح حتى صارت أفقه نساء العالمين وفي الفضل والتقوى هي الخامسة بعد مريم وفاطمة وخديجة وآسيا بنت مزاحم امرأة فرعون رضي الله عنهم جميعا.

فالذي يقذفها بالزنى يتهم الرسول عليه الصلاة والسلام بالخيانة إذ أنه ﷺ كان يرجم ويقيم الحد على المحصن الذي يزني، فلو أنها زنت كيف تركها الرسول من الرجم؟! ولو أنها زنت فكيف تركها الرسول عليه الصلاة والسلام من غير أن يقيم عليها حد الزنى؟! وهي التي عاشت إلى ما بعد وفاة رسول الله ﷺ فلا هو رجمها ولا غيره من خلفائه بعده، بل كانت معززة مكرمة معروفة بين الأمة بالولاية والتقوى والصلاح والعلم ورجاحة العقل والطهارة والرزانة والأدب والعفة والصيانة، والأمة تعرف حب الرسول عليه الصلاة والسلام لها، فهو الذي ثبت عنه في الصحيح من حديث عمرو بن العاص قال: «يا رسول الله من أحب الناس إليك»، فقال:

«عائشة»، قال: «فمن الرجال»، قال: «أبوها».

أي أن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها الصديق هما من أحبّ الناس إلى قلب رسول الله ﷺ، وكيف تكون زانيةً حاشاها وهي التي أنزل الله براءتها في القرءان في سورة النور وفي سورة الأحزاب، وقال بعض العلماء: «مما نزل في براءتها وبراءة صفوان بن المعطل هذه الآية الكريمة: ﴿أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴿٢٦﴾﴾»، وكيف تكون زانية رضي الله عنها وقد أنزل الله ستة عشرة آية في براءتها وقيل أربعة عشرة آية وقيل ثمانية عشرة آية ونزلت براءتها في القرءان الذي يتلوه المسلمون آناء الليل وأطراف النهار والذي لا يرضى بذلك ولا يعجبه أن القرءان برأها فهو إذًا ليس من المؤمنين وهي رضي الله عنها ليست أمه فالمؤمن لا يتهم أمه الصديقة الزكية النقية الصفية الهنية الرضية الولية بالزنى، بل هو تافهٌ ساقطٌ سافلٌ منحط.

وقال الإمام البخاري في صحيحه ما نصه: «حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعدٍ عن صالحٍ عن ابن شهابٍ قال حدثني عروة ابن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاصٍ وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعودٍ عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، وهو جزءٌ من حديث الإفك الطويل وفيه: وأما عليٌّ فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثيرٌ.

وفيه: فقال لسعدٍ كذبت لعمر الله.

وفيه: فإنك منافقٌ.

وفيه: فإن كنت بريئةً فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنبٍ فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه.

وفيه: حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به ورواه مسلم أيضًا في صحيحه» اهـ.

فقول على رضي الله عنه: «وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ»: هذا قول على رضي الله عنه

وليس فيه إساءة ظنٍّ في السيدة عائشة رضي الله عنها كما في شرح القسطلاني المسمى إرشاد الساري، ما نصه: «وهو -رضي الله عنه- منزهٌ عن أن يقول بمقالة أهل الإفك»، وكذلك سؤال النبي ﷺ ومشاورته أسامة ليس فيه شك من النبي ﷺ في براءتها بدليل ما أجمع عليه أهل التواريخ والتفسير والسير من أنه ﷺ لم يفارقها ولم يرجمها، وهذا فيه بينةٌ ودلالةٌ واضحةٌ على براءتها.

قوله: «فاستعذر من عبد الله بن أبيٍ وهو على المنبر فقال يا معشر المسلمين من يعذرني من رجلٍ قد بلغني عنه أذاه في أهلي والله ما علمت على أهلي إلا خيرًا ولقد ذكروا رجلًا ما علمت عليه إلا خيرًا».

قال الحافظ النووي في شرحه على مسلم، ما نصه: «وقيل معناه من ينصرني والعذير الناصر» اهـ.

قول عائشة رضي الله عنها: «سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج قالت وكان قبل ذلك رجلًا صالحًا» اهـ.

لا يخفى أن سعد بن عبادة رضي الله عنه من أولياء الصحابة وصلحائهم وقولها وكان قبل ذلك رجلًا صالحًا ليس معناه أنه صار الآن ناكصًا على عقبيه فاسقا كافرا لا، إنما معناه ما بينه العيني في كتابه «عمدة القاري»، ما نصه: «وفي مسلم: (وكان رجلًا صالحًا) يعني لم يكن قبل ذلك يحمي لمنافق قولها، ولكن احتملته الحمية -بحاء مهملة وميم-أي أغضبته، وعند مسلم اجتهلته بجيم وهاء أي أغضبته وحملته على الجهل -[أي الغضب]- فالروايتان صحيحتان» اهـ.

قول سعد رضي الله عنه: «كذبت لعمر الله»، جاء في شرح أبي داود للعيني ما نصه: «(لعمر الله)، الحلف ببقاء الله» اهـ.

قول سعد: «فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ»، قال العيني في «عمدة القاري»، ما نصه: «قولها فإنك منافق أي تفعل فعل المنافقين، ولم ترد به النفاق الحقيقي» الذي هو إبطان الكفر وإظهار الإسلام وهذا هو النفاق في الإيمان وهو كُفْرٌ.

قوله عليه الصلاة والسلام: «**فإن كنت بريئةً فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنبٍ فاستغفري الله وتوبي إليه**».

يجب الاعتقاد بأن النبي ﷺ معصوم من إساءة الظن بعباد الله، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ٦﴾ وفي قراءة «فتثبتوا» وقال عليه الصلاة والسلام: «**إياك والظن فإن الظن أكذب الحديث**»، وقد قال القاضي عياض في كتابه «الشفا»:»واعلم أن الأمة مجمعةٌ على عصمة النبي من الشيطان وكفايته منه لا في جسمه بأنواع الأذى ولا على خاطره بالوسواس»، فمن أين يأتيه ﷺ الشك ببراءة السيدة عائشة بل هو محفوظٌ من ذلك وأبعد خلق الله عن معصية الله؟! ومن نسب إليه أنه كان شاكًا في براءة عائشة فقد وصفه بالفجور والفسوق، وهذا تكذيبٌ لعصمة الأنبياء وإجماع المسلمين، وهو كفرٌ صريحٌ فليتنبه لذلك، إنما النبي ﷺ أمرها بالاستغفار، ومجرد هذا ليس فيه إساءة ظن لأنه ﷺ كان يستغفر في اليوم مائة مرة، وهو ليس عليه ذنبٌ، وقد قال الله له في القرءان الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾، وهذا ليس معناه أنه ﷺ كان واقعًا في الإثم والمعاصي، ومعناه يا أيها النبي اثبت على تقوى الله.

وقد نقل الإجماع على براءة السيدة عائشة محمد عارف بن أحمد بن سعيد المنير الحسيني الدمشقي في كتابه «الحصون المنيعة»، فقال: «اعلم أن السيدة عائشة الصديقة بريئةٌ مما نسب إليها من الإفك باتفاق أهل السنة والجماعة»، ثم قال بعد كلام: «فقد كان ذلك إجماعًا منهم على براءة السيدة عائشة الصديقة مما أفك به عليها باتفاق الأمة الإسلامية» اهـ.

أما قولها رضي الله عنها: «حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ فَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي»، فإنما كان خطابًا لأبويها لِمَا ظنَّته هي من شدة حزنها وتألُّمِهَا، خوفًا منها أن يكونا صدَّقا ما قيل فيها، مع اعتقادنا أنه لم يثبت ولم يحصل من والدَيها ما هو اتِّهام لها في هذا الأمر، ولا تعني به النبي ﷺ لأنه معصومٌ

من أن يُسيء بها الظن، كما سبق وبيَّنَّا.

فإذا كان الإجماع منعقدًا على طهارتها وبراءتها وعصمتها من الزنا، وقد برأها الله في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة النور]، فكيف ينسب بعد كل ذلك إلى رسول الله ﷺ أنه شكٌّ في براءتها!!! سبحانك هذا بهتان عظيم وقول أفاك أثيم.

٥١- قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [سورة الأحزاب]

الشرح: طعن بعض الكفار فيه ﷺ بقوله إن محمدًا احتال على زيد بن حارثة لما عَلِقَت نفسه بزوجته زينب بنت جحش حتى توصل لزواجها.

والجواب أن زينب لم تكن معرفته بها جديدة لأنها بنت عمته، أمها أميمة بنت عبد المطلب وكان رسول الله ﷺ أراد أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه فكرهت ذلك ثم رضيت بما صنع رسول الله ﷺ فزوجها إياه، ثم أعلم الله عز وجل نبيه ﷺ أنها تكون من أزواجه فكان يستحي أن يأمره بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيدٍ وزينب ما يكون من الناس، فأمره رسول الله ﷺ أن يُمسك عليه زوجه وأن يتقي الله، وكان يخشى الناسَ أن يعيبوا عليه ويقولوا تزوج امرأة ابنه، وكان قد تبنى زيدًا فكان مما قاله زيد يا رسول الله إن زينب اشتد عليَّ لسانها وأنا أريد أن أطلقها فقال له «اتق الله وأمسك عليك زوجَك»، فمعنى قوله تعالى ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [سورة الأحزاب] أنه كان يُخفي إخبار الله الذي أخبره أنها ستصير زوجته بوحي غير قرءان، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه وأراد اللهُ إبطالَ ما كان عليه الناس قبل البعثة من أحكام التبني بأمر لا أبلغَ في الإبطال منه وهو تزوج امرأة الذي يُدْعى ابنًا له، ثم لما أنزل الله في ذلك قوله ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [سورة الأحزاب] أظهر ذلك فتلاه على الناس قرءانًا.

وقال الشيخ الدكتور السيد الشريف محمد بن إبراهيم بن عبد الباعث الحسني الكتاني في كتابه «رد المتشابهات إلى المحكمات» ما نصه[1]: «لقد أشكلت هذه الآية على ما نسب إليه ﷺ من إخفاء حبه لزينب بنت جحش، مع أنها كانت في ذلك الوقت تحت زيد بن حارثة، والذي كان رسول الله ﷺ قد تبناه في الجاهلية!!

ودفعًا لهذا الإشكال نقول:

لا يخفى على ذي بصيرة ما في هذا القول من شُنْعَةٍ في حق من كان مفطورًا على الكمالات وهُجْنَةٍ في حق من كان لا تثنى مجلسه الفلتات فضلًا عن أن ينسب إليه أمثال هذه الهنات. وكيف لا وهو المثنى عليه من قبل ربه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾.

فأكرم به من أحمد ومحمد.

ونحن نجيب على هذه الشبهة بما ثبت لدينا من منقولٍ ومعقولٍ، أما النقل فقد قال على بن الحسين عليهما السلام: «كان قد أوحى الله إليه كان زيدًا سيطلقها وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها فلما شكى زيد خلقها وأنها لا تطيعه وأعلمه بأنه يريد طلاقها قال له: أمسك عليك زوجك واتق الله، على طريق الأدب والوصية وهو يعلم أنه سيطلقها وهذا هو الذي أخفى في نفسه ولم يرد أن يأمره بالطلاق لما علم منه أنه سيطلقها وخشي رسول الله ﷺ أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد وهو مولاه وقد أمره بطلاقها فعاتبه الله على هذا القدر في شيء قد أباحه الله بأن قال: أمسك، مع علمه بأنه يطلق، فأعلمه بأن الله أحق بالخشية أي في كل حال» اهـ.

قلت: وهو الأمر الذي أظهره الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا

(١) رد المتشابهات إلى المحكمات (١/ ١٣٦).

مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ﴾.

ولعمري -إن كانت الأخرى- أترون هذا فعل حبيب بحبيبه وهو يرى تربص المنافقين والمرجفين به، كلا والله ما هكذا الظن ولا كان ﴿ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ٩٥ ﴾ [سورة الحجر].

وأما العقل فإن تسليمنا بتوجه العتاب من الله لرسوله ﷺ في هذه الآية، لا يصدق إلا على مقتضى الحكمة من دفع الظنة أو التهمة عنه ﷺ والتي لم تتحقق في أمره لزيد بتطليق زينب وإنما تحققت في كتمانه لما أظهره الله عليه فأنحى الله باللائمة ليفهم قومًا آخرين.

ولشيخنا الشيخ محمد الحافظ كلام نفيس حول زواجه ﷺ بزينب بنت جحش هذا نصه: «أما من طنطن به من طنطن في زواج زينب بنت جحش فتلك شكاة ظاهر عنك عارها، فهو ﷺ ولي أمرها وزوجها لزيد مولاه، وكانت العرب تنفر من زواج من كانت تحت مولى وإذا تبنى أحدهم غير ولده اعتبروه ولده يرثه، ويحرم منه ما يحرم من الابن، فإذا ترك زوجته حرمت على أبيه الذي تبناه فأراد الله رد الأمر إلى حقيقته وكانت العرب تنفر من ذلك كل النفور فبدأ برسوله ﷺ فأمره أن يتزوج زوجة زيد ليعرف الملأ أن تحريم زوجة المتبنى لا وجه له لأنه ليس بابن صحيح.

وإذا فعل الرسول ﷺ ذلك فلا تشمئز منه بعض نفوس من نشأت على تحريمه.

كما أنها لا تنظر إلى الموالي نظرة الاحتقار فتستقذر زوجة المولى فقد أعلن الإسلام ألا فضل لأحد على أحد إلا بما فيه من خير.

وليس من المتعارف في طبيعة من يريد الاستمتاع أن تكون في متناول يده وهي بكرٌ عذراء ثم يتركها حتى يستمتع بها من يستمتع بها ثم يصبو إليها بعد أن زالت بهجتها الفطرية، ولا شك أن من لم ينلها أحد أحظى لنفس من يريد الشهوة ممن جرّبت الرجال.

وقد تعرض ﷺ لألسنة الجاهلين في عصره الشريف لأنه خرج على عرفهم ولم ينتقد نفس خصومه المعاصرين له إلا مخالفته للتقاليد وما جاء إلا لإصلاحها وقد كان في الأمة من هو أجمل وأجمل من زينب وليس فيه تعرض لمخالفة المجتمع في تقاليده ومن ذا الذي لا يحرص على مصاهرته ﷺ؟!

ولكنه عليه الصلاة والسلام كان في ذلك متطوعًا لإنقاذ الإنسانية من أمور: ادعاء البنوة وليست ببنوة، وتحريم زوجة المتبنى وهي حلالٌ، وإعلان المساواة بين الأحرار والموالي، وأن معيار التفاضل إنما هو ما فيهم من مكارم ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الحجرات]، وأن استقذار زوجة المولى من الكبر الممقوت الذي لا يعبأ به الصالحون فأين الشهوة؟!» اهـ.

وتأمل قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾ [سورة الأحزاب] اهـ.

وقال الإمام المجتهد المجدد الحافظ الولي العالم الشيخ عبد الله الهرري الحبشي رضي الله عنه وأرضاه في كتابه الدليل القويم ما نصه[1]: «

رد مزاعم الملاحدة أن النبي ﷺ كان شهوانيًّا

ليعلم أن نبينا ﷺ لم يكن متعلق القلب بالنساء، والدليل على ذلك أنه كان معروفًا بين أهل مكة بالأمين إلى أن بلغ من العمر أربعين سنة، وقد كان أوتي من الجمال ما لم يساوه فيه أحد، فلو كان كما يفتري عليه الملحدون ولوعًا بالنساء لظهرت منه رذيلةٌ بل رذائل كثيرة، ولكان أهل بلده طعنوا فيه بذلك حين أعلن دعوته ودعاهم إلى عبادة الله وحده وترك ما كانوا يعبدونه من الأوثان، وكانوا اكتفَوا بالتشنيع عليه بذلك عن غيره من أساليب الإيذاء له ولمن ءامن به. ولم يتزوج النبي ﷺ إلا بعد أن صار عمره خمسة وعشرين عامًا، ثم ماتت زوجته حين بلغ من العمر خمسين سنة ثم تزوج امرأةً أخرى، ثم عدّد لا لإشباع الشهوة بل لحِكَمٍ تعود إلى مصالح دعوته، فخصّه الله تعالى دون أمته بأن أباح له أن يجمع بين أكثر من أربع من الزوجات، ومن جملة تلك الحكم أن تنتشر شريعته بطريق النساء إلى النساء.

قلنا لو كان كما يقولون كان عدَّد الزواج قبل أن يبلغ عمره خمسين سنة كما هو شأن المنهمكين في شهوة النساء.

ومن الدليل على أنه لم يكن متعلق القلب بالنساء ما رواه مسلم عن عائشة أنها قالت: «ما كانت تمر ليلتي على رسول الله ﷺ إلا خرج إلى البقيع أي جبانة المدينة يدعو لأهل الجبانة»، هذا مع ما اجتمع في عائشة من حداثة السن والجمال. فبهذا ظهر ووضح أنه ﷺ لو كان متعلق القلب بالنساء لكان غلب عليه ذلك التعلق، فعدد الزواج بالكثير من النساء قبل بلوغ خمسين عامًا من عمره» اهـ.

وقال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا

(١) الدليل القويم (ص٥٥٢).

وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [سورة الفرقان].

فقد درج أعداء الإسلام على التشكيك في الرسول الكريم صاحب الخلق العظيم ﷺ والطعن في رسالته، يريدون بذلك تشكيك المؤمنين في دينهم وإبعادهم عن الإيمان برسالة الرسول عليه الصلاة والسلام، ويحاول الملحدون أعداء هذا الدين أن يثيروا الغبار في دعوتهم الباطلة لينالوا من صاحب الرسالة العظمى ويطعنوا بنبينا ﷺ وهم بذلك يفضحون ما في قلوبهم من زيغ وحقد وضلال.

وما هذا الافتراء والضلال الذي يفتريه هؤلاء الملاحدة الكفار بقولهم: «لقد كان محمدٌ متعلق القلب بالنساء يسير وراء شهواته وملذاته فلذلك لم يكتف بزوجة واحدة بل عدد الزوجات سيرًا مع شهواته وميلا مع الهوى» إلا افتراء وكذب على رسول الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾ حقا إنهم لكاذبون حاقدون مفترون شرذمة قليلون، وإن الرسول ﷺ لن يضره أن تنبح هذا الأصوات الضفدعية.

إن الرسول العظيم لم يكن كما افترى عليه هؤلاء، بل هو الذي خاطبه رب العزة بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [سورة الأحزاب].

ومن الدلائل الساطعة على نزاهته وطهارته عما يفترون.

أولًا: من الأدلة الواضحة الساطعة على أن الرسول لم يكن متعلق القلب بالنساء ما رواه الإمام مسلم ابن الحجاج النيسابوري رحمه الله عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ كلما كانت ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غدا مؤجلون وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد.

والبقيع مقبرة أهل المدينة. وهذا يدل دلالة ظاهرة على أن الرسول لم يكن متعلق القلب بالنساء كما زعمت الملاحدة الزنادقة فلو كان كما زعموا لم يكن يترك عائشة في ليلتها ثم يذهب إلى الجبانة وحده ليستغفر لأهل الجبانة ويدعو لهم ويقضي هناك من الوقت ما شاء، مع العلم أن عائشة رضي الله عنها من أجمل نسائه وكان عمرها عند وفاة النبي ﷺ ثماني عشرة سنة.

ثانيًا: ومما يدل على أن الرسول لم يكن متعلق القلب بالنساء أنه كان معروفًا بين أهل مكة بمحمد الأمين ﷺ إلى أن بلغ من العمر أربعين سنة، وقد كان أوتي من الجمال ما لم يساوه فيه أحد من خلق الله تعالى على الإطلاق، فكان ﷺ كأن الشمس والقمر يجريان في وجهه، وكان وجهه أبيضًا مشربًا بالحمرة خلقة وكان أحلى من الورد الأحمر على الثلج الأبيض، وكان إذا تكلم خرج النور من ثناياه وأعجز العرب والأعجام، فلو كان كما يفتري الملحدون مولعا بالنساء لظهرت منه رذيلة بل رذائل كثيرة ولكان أهل بلده طعنوا فيه بذلك حين أعلن دعوته ودعاهم إلى عبادة الله وحده وترك ما كانوا يعبدونه من الأوثان.

ثالثًا: ومما يدل على أن الرسول لم يكن متعلق القلب بالنساء أن شخصا عرض عليه ابنته ليتزوج منها ووصفها بالجمال وقال إنها لم تمرض قط فقال له الرسول ﷺ: لا حاجة لي فيها، فلم يرض بزواجها مع ما وصفت به من الجمال والحسن فلو كان متعلق القلب بالنساء كما يزعمون لم يفوت هذه الفرصة.

رابعًا: وكذلك من الأدلة أن الرسول ﷺ لم يتزوج إلا بعد أن صار عمره خمسة وعشرين عاما حيث تزوج من السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ولها من العمر أربعين عاما ثم ماتت زوجته حين بلغ من العمر خمسين سنة، ثم تزوج امرأة أخرى ثم عدد لا لإشباع الشهوات بل لحِكَمٍ تعود لمصالح الدعوة الإسلامية فخصها الله تعالى دون أمته بأن أباح له أن يجمع بين أكثر من أربعة من الزوجات لأنه لا يخشى عليه أن يظلم واحدة منهن لأنه كان أعدل خلق الله تعالى وأكملهم خَلقا وخُلقا، ولو كان الرسول كما يقولون لكان عدد الزوجات قبل أن يبلغ عمره خمسين سنة كما هو شأن المنهمكين في شهوة النساء ولكنه ﷺ عدد بعد الخمسين وهذا يدل على نزاهته وعفته.

خامسًا:

الحكمة من تعداد الرسول الزواج

اعلم أن الرسول ﷺ عدد الزوجات لا للشهوة بل لتنتشر شريعته والأحكام الخاصة بالنساء بطريق النساء إلى النساء ومما لا شك فيه أن لزوجات النبي ﷺ الطاهرات رضوان الله عليهن الفضل الكبير في نقل أحواله وأقواله، ولقد أصبح من هؤلاء الزوجات بعد وفاة الرسول معلمات ومحدثات وفقيهات نقلن هديه ﷺ، وقد اشتهرت بقوة الحفظ ونبوغ الذكاء كعائشة رضي الله عنها التي هي أفقه زوجات النبي ﷺ، قال تعالى في حق زوجات النبي ﷺ: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤ ﴾ [سورة الأحزاب]، ولقد عدد الرسول زوجاته وكن من قبائل شتى لتنتشر التعاليم الخاصة بالنساء كالحيض والنفاس والولادة والرضاع على الوجه الأتم وقد ثبت عن زوجاته ﷺ أنهن نشرن عنه علمًا وفضلًا وفقهًا كثيرًا.

وليعلم أن تعدد الزوجات في حق رسول الله ﷺ ليس عيبًا وليس فيه نقصٌ حيث أنه لم يكن لشهوة خاصة بل كان لنشر دين الإسلام والتعاليم والأحكام الدينية، وإن

النبي ﷺ تزوج كما تزوج إخوانه الأنبياء قبله، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴿٣٨﴾ ﴾ [سورة الرعد].

ولقد ظن هؤلاء الملحدون والمشوشون أعداء هذا الدين الحنيف أنهم وجدوا في قضية جمع الرسول بين أكثر من أربع زوجات بابًا يشوهون منه سمعة المصطفى ويطعنون في تعاليمه وما هم إلا خاسرون واهمون ضالون.

٥٢- قال تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [سورة الأحزاب]

الشرح: مما أجمعت عليه الأمة أن الله عز وجل أزلي أبدي قال تعالى ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾، وصفاته أزليةٌ أبديةٌ، قال تعالى ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾، فصفاته لا تتغير ولا تزيد ولا تنقص وليست كصفات المخلوقين.

ومن صفات الله العلم، وعلمه علمٌ واحدٌ شاملٌ لكل المعلومات الكليّات والجزئيات جملةً وتفصيلًا، وعلمه لا يزيد ولا ينقص ولا يتغير ولا يتطور وليس كعلم المخلوقين فلا يتجدد له علم، قال تعالى ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

فمن اعتقد أو ظن أن الله تعالى يغيب عن علمه شيءٌ أو يتجدد له علمٌ شيءٌ لم يكن في علمه في الأزل فهو كافرٌ بالله العظيم لأن حدوث الصفة يستلزم حدوث الذات، وأما قول الله تعالى ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ﴾، فهذا ليس للاحتمال والشك، بل معناه عند كل علماء التفسير (يعلم الله) أي عالم في الأزل، وليس معناه أنه يتجدد له بعد أن لم يكن.

قال الطبري في كتابه التفسير ما نصه: «يقول -تعالى ذكره-: قد يعلم الله الذين يعوقون الناس منكم عن رسول الله -ﷺ- فيصدونهم عنه» اهـ.

وفي كتاب أضواء البيان في إيضاح القرءان بالقرءان لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجنكي الشنقيطي في تفسير سورة المجادلة ما نصه: «اللطيفة الأولى: يقول علماء اللغة: (قَدْ) حرف يُوجَب به الشيء وهي إذا دخلت على الماضي تفيد (التحقيق) وإذا دخلت على المضارع تفيد (التقليل) لأنها تميل إلى الشك تقول: قد ينزل المطر، وقد يجود البخيل، وأمّا في كلام الله فهي للتحقيق سواء دخلت على الماضي أو المضارع كقوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾[سورة الأحزاب]» اهـ.

ومثله قال الفقيه بدر الدين الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرءان.

وقال الحافظ المجتهد المجدد الشيخ عبد الله الهرري الحبشي رضي الله عنه في كتابه الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم ما نصه[1]: «اعلم أن علم الله قديمٌ أزليٌّ كما أن ذاته أزليّ فلم يزل عالمًا بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته فلا يتصف بعلم حادث لأنّه لو جاز اتصافه بالحوادث لانتفى عنه القدم لأنّ ما كان محلًا للحوادث لا بدّ أن يكون حادثًا.

العلم صفةٌ أزليةٌ أبديةٌ ثابتةٌ لله تعالى، والله تعالى ليس جوهرًا يحلّ به العرض فعلمنا عرضٌ يحلّ بأجسامنا ويستحيل ذلك على الله تعالى، والله تعالى يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون، ولا يقبل علمه الزيادة ولا النقصان فهو سبحانه وتعالى محيطٌ علمًا بالكائنات التي تحدث إلى ما لا نهاية له حتى ما يحدث في الدار الآخرة التي لا انقطاع لها يعلم ذلك جملةً وتفصيلًا، قال تعالى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطًا ١٢٦﴾ [سورة النساء]. وعلم الله تعالى أعمّ من الإرادة والقدرة، فالإرادة والقدرة تتعلقان بالممكنات العقلية أما علمه يتعلق بالممكنات العقلية والمستحيلات وبالواجب العقلي.

وأما قوله تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ٢٥٥﴾ [سورة البقرة]، فمعناه أن أهل السماوات وهم الملائكة وأهل الأرض من أنبياء وأولياء فضلًا عن غيرهم لا يحيطون بشيءٍ من علمه أي معلومه إلا بما شاء، أي إلا القدر الذي شاء الله أن يعلموه هذا الذي يحيطون به.

أما قول الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ ٦٥﴾ [سورة النمل] فالمنفي عن الخلق علم جميع الغيب، أما بعض الغيب فإن الله يطلع عليه بعض البشر وهم الأنبياء والأولياء والملائكة، وأما من ادعى أن الرسول يعلم كل ما يعلمه الله فقد سوّى الرسول بالله وذلك كفرٌ. ولا فرق بين من يقول الرسول يعلم كل ما يعلمه الله من غير أن يعطيه الله ذلك، وكلا الاعتقادين كفرٌ من أبشع

(١) الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم (ص/ ٢٠٠).

الكفر لأن الله تعالى لا يصح عقلًا ولا شرعًا أن يعطي أحدًا من خلقه جميع ما يعلمه لأن معنى إن النبي يعلم كل ما يعلم الله من باب العطاء أن الله تعالى يساوي خلقه بنفسه، وهذا مستحيلٌ. فهذا القائل كأنه يقول الله يجعل بعض خلقه مثله والعياذ بالله. وكيف خفي على بعض الناس فساده فتجرءوا بل صاروا يرون هذا من جواهر العلم، فلو قيل لهؤلاء فعلى قولكم هذا يصح أن يجعل الله الرسول قادرًا على كل شيء الله قادر عليه فماذا يقولون! حسبنا الله. وهذا من الغلو الذي نهانا الله عنه ورسوله. وهؤلاء يزعمون أن هذا من قوة تعظيم الرسول ومحبته. وهؤلاء لهم وجودٌ في فرقة تنتسب إلى التصوف في الهند.

وأما قوله تعالى ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الجن]، فلا حجة فيه لمن يقول إن الرسل يطلعهم الله على جميع غيبه كهذه الفرقة المذكورة، إنما معناه أن الذي ارتضاه الله من رسول يجعل له رصدًا أي حفظة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من الشيطان، «فإلا» هنا ليست استثنائية بل هي بمعنى «لكن»، فيفهم من الآية أن علم الغيب جميعه خاص بالله تعالى فلا يتطرق إليه الاستثناء فتكون الإضافة في قوله تعالى ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ﴾ للعموم والشمول من باب قول الأصوليين المفرد المضاف للعموم، فيكون معنى غيبه أي جميع غيبه، وليس المعنى أن الله يطلع على غيبه من ارتضى من رسول فإن من المقرر بين الموحدين أن الله تعالى لا يساويه خلقه بصفةٍ من صفاته، ومن صفاته العلم بكل شيء قال تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأنعام]، والعجب كيف يستدل بعض الناس بهذه الآية على علم الرسل ببعض الغيب إنما الذي فيها أن الله هو العالم بكل الغيب، ولكن الرسل يجعل الله لهم حرسًا من الملائكة يحفظونهم. وأما اطلاع بعض خواص عباد الله من أنبياء وملائكة وأولياء البشر على بعض الغيب فمأخوذٌ من غير هذه الآية كحديث «**اتقوا**

فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»[1].

فلو كان يصح لغيره تعالى العلم بكل شيء لم يكن لله تعالى تمدح بوصفه نفسه بالعلم بكل شيء، فمن يقول إن الرسول يعلم بكل شيء يعلمه الله جعل الرسول مساويًا لله في صفة العلم، فيكون كمن قال الرسول قادر على كل شيء وكمن قال الرسول مريدٌ لكل شيءٍ سواءٌ قال هذا القائل أن الرسول عالم بكل شيءٍ قال بإعلام الله له أو لا فلا مخلص له من الكفر.

ومما يرد به على هؤلاء قوله تعالى ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الأنعام]، وقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الأنعام]، فإن الله تبارك وتعالى تمدح بإحاطته بالغيب والشهادة علمًا.

ومما يرد على هؤلاء أيضًا قوله تعالى ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴿٩﴾﴾ [سورة الأحقاف]، فإذا كان الرسول بنص هذه الآية لا يعلم جميع تفاصيل ما يفعله الله به وبأمته فكيف يتجرأ متجرئ على قول إن الرسول يعلم بكل شيءٍ، وقد روى البخاري في الجامع الصحيح «كتاب الجنائز باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه» حديثًا بمعنى هذه الآية، وهو ما ورد في شأن عثمان بن مظعون، فقائل هذه المقالة قد غلا الغلو الذي نهى الله ورسوله عنه قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة المائدة]، وقال رسول الله ﷺ «**إياكم والغلو فإن الغلو أهلك من كان قبلكم**»، رواه ابن حبان في صحيحه[2]. وقد صح أن الرسول ﷺ قال: «**لا ترفعوني فوق منزلتي**»[3].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب تفسير القرءان باب ومن سورة الحجر.

(٢) انظر الإحسان تحت كتاب الحج باب رمي جمرة العقبة.

(٣) مسند أحمد ولفظه لا أحب أن ترفعوني فوق منزلتي.

وروى البخاري في الجامع[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: «**إنكم محشورون حفاةً عراةً غرلًا** -معناه الجلدة التي تقطع من الحشفة تعود كما كانت- ثم قرأ الآية ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ **وأول من يكسى من حلل الجنة زيادة على ما عليه من الثياب يوم القيامة إبراهيم عليه السلام، وإنه سيجاء بأناس من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول هؤلاء أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول: سحقًا سحقًا أقول كما قال العبد الصالح** ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ ﴿١١٧﴾﴾ إلى قول ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾».

ومن أعجب ما ظهر من هؤلاء الغلاة لما قيل لأحدهم: كيف تقول الرسول يعلم كل شيء يعلمه الله وقد أرسل سبعين من أصحابه إلى قبيلة ليعلموهم الدين فاعترضتهم بعض القبائل فحصدوهم، ولو كان يعلم أنه يحصل لهم هذا هل كان يرسلهم؟ فقال: نعم يرسلهم مع علمه بذلك. وهذا الحديث رواه البخاري وغيره في كتاب المغازي باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان، ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب ثبوت الجنة للشهيد.

ومثل هذا الغالي في شدة الغلو رجلٌ كان يدّعي أنه شيخ أربع طرق فقال «هو الرسول المراد بهذه الآية ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [سورة الحديد]، وهذا من أكفر الكفر لأنه جعل الرسول الذي هو خلق من خلق الله أزليًا أبديًا لأن الأول هو الذي ليس في وجوده بداية وهو الله وصفاته فقط.

وما أوهم تجدد العلم لله تعالى من الآيات القرءانية كقوله تعالى: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴿٦٦﴾﴾ [سورة الأنفال]، فليس المراد به ذلك، وقوله ﴿وَعَلِمَ﴾ ليس راجعًا لقوله ﴿ٱلْـَٰٔنَ﴾، بل المعنى أن الله تعالى خفف عنكم الآن

(١) كتاب التفسير باب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا.

لأنه علم بعلمه السابق في الأزل أنه يكون فيكم ضعف.

هذه الآية معناها أن نسخ ما كان واجبًا عليهم من مقاومة واحد من المسلمين لأضعاف كثيرة من الكفار بإيجاب مقاومة واحد لاثنين من الكفار رحمة بهم للضعف الذي فيهم.

وكذلك قوله تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة محمد]، معناه ولنبلونكم حتى نميز أي نظهر للخلق من يجاهدوا ويصبروا من غيرهم، وكان الله عالمًا قبل كما نقل البخاري في صحيحه في كتاب التفسير باب سورة العنكبوت.

قال الله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الأنفال]. أي أن الله تعالى يبتلي عباده بما شاء من البلايا حتى يظهر ويميز لعباده من هو الصادق المجاهد في سبيل الله الذي يصبر على المشقات مع إخلاص النية لله تعالى ومن هو غير الصادق الذي لا يصبر.

وكذلك قوله تعالى ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴿٣٧﴾﴾ فليس معناه أن الله لم يكن عالمًا من هو الخبيث ومن هو الطيب ثم علم بل المعنى ليظهر لعباده من هو الخبيث ومن هو الطيب.

وأما الدليل العقلي على صفة العلم فهو أنه تعالى لو لم يكن عالمًا لكان جاهلًا والجهل نقصٌ والله منزهٌ عن النقص، وأما من حيث النقل فالنصوص كثيرة منها قوله تعالى ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾[سورة الحديد].

٥٣- **قال تعالى:** ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾

[سورة سبأ]

الشرح: مما لا شك فيه أن نبينا محمدًا ﷺ وصحابته الكرام على الحق والهدى بدليل آيات القرءان الكثيرة والمعجزات التي أيّد الله نبيه بها والإجماع القائم على ذلك، فمن جوّز أو شك هل النبي على حقٍّ أم لا أو يحتمل أن يكون على باطلٍ فهو كافر بالله العظيم مكذّبٌ للقرءان الكريم خارجٌ من الملة والإسلام، وما قاله هذا الدكتور السوري من أن الإنسان في الجدال والخصومة لا يجزم أنه على حقٍّ بل يحتمل أن يكون خصمه على حقٍّ واحتج بقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾، فهذا دليلٌ على غباوته وقلة فهمه وهو منه تسفيهٌ للنبي ﷺ وعدم الجزم واليقين والاعتقاد المؤكد بأن نبينا على هدى، بل هو على الاحتمال والشك وهذا لا يقوله مسلمٌ ولاعاقلٌ، بل نسبة ذلك إلى النبي ﷺ تكفيرٌ له، وهذا كفرٌ صريحٌ بإجماع الأمة.

والآية ليس فيها هذا المعنى ولا تشير إلى ذلك بل معناها يقينًا قولًا واحدًا أنه ﷺ يقول لخصومه «نحن على هدى وأنتم في الضلالة»، وسياق الآية شاهد لهذا المعنى في لغة العرب، ففي لغة العرب يقول الصادق للكاذب «أحدنا صادق» ويعني نفسه ولا يشك في ذلك والآخر كاذبٌ أي خصمه كاذبٌ، فلا تحمل هذه الكلمة على الاحتمال والشك كما زعم بعض أغبياء العصر الذين احتاروا كيف يداهنون النصارى في النقاش والجدال والمحاضرات، داهنوهم إلى حد تكذيب الشرع والوقوع في الكفر والعياذ بالله تعالى.

وإليك ما يؤكد قولنا وكلامنا من كلام علماء التفسير:

قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرءان ما نصه: «**وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين**» هذا على وجه الإنصاف في الحجة كما يقول القائل: أحدنا كاذب، وهو يعلم أنه صادقٌ وأن صاحبه كاذبٌ. والمعنى: ما نحن وأنتم على أمرٍ واحدٍ، بل على أمرين متضادين، وأحد الفريقين مهتد وهو نحن والآخر ضال وهو أنتم؛ فكذبهم بأحسن من تصريح التكذيب، والمعنى: أنتم الضالون حين أشركتم بالذي يرزقكم من السماوات والأرض. ﴿ أَوْ إِيَّاكُمْ ﴾ معطوف على اسم (إن)، ولو عطف على الموضع لكان (أو أنتم) ويكون لعلى هدى للأول لا غير، وإذا قلت: (أو إياكم) كان للثاني أولى، وحذفت من الأول، ويجوز أن يكون للأول، وهو اختيار المبرد، قال: ومعناه معنى قول المستبصر لصاحبه على صحة الوعيد والاستظهار بالحجة الواضحة: أحدنا كاذب، قد عرف المعنى، كما تقول: أنا أفعل كذا وتفعل أنت كذا وأحدنا مخطئ، وقد عرف أنه هو المخطئ، فهكذا وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين. و(أو) عند البصريين على بابها وليست للشك، ولكنها على ما تستعمل العرب في مثل هذا إذا لم يرد المخبر أن يبين وهو عالمٌ بالمعنى. وقال أبو عبيدة والفراء: هي بمعنى الواو، وتقديره: وإنا على هدى وإياكم لفي ضلالٍ مبين. وقال جرير:

أثعلبة الفوارس أو رياحا عدلت بهم طهية والربابا

يعني أثعلبة ورياحا. وقال آخر:

فلما اشتد أمر الحرب فينا وتأملنا رياحا أو رزاما» اهـ

وقال ابن جرير الطبري في تفسيره ما نصه: «معنى ذلك: وإنا لعلى هدى وإنكم لفي ضلالٍ مبين.

ذكر من قال ذلك:

حدثني إسحاق بن إبراهيم الشهيدي قال: ثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن عكرمة وزياد في قوله ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ قال: إنا لعلى هدى، وإنكم لفي ضلالٍ مبين.

واختلف أهل العربية في وجه دخول «أو» في هذا الموضع فقال بعض نحويي البصرة: ليس ذلك لأنه شكٌّ ولكن هذا في كلام العرب على أنه هو المهتدي قال: وقد يقول الرجل لعبده: أحدنا ضارب صاحبه. ولا يكون فيه إشكالٌ على السامع أن المولى هو الضارب.

وقال آخر منهم: معنى ذلك: إنا لعلى هدى، وإنكم إياكم لفي ضلالٍ مبين، لأن العرب تضع «أو» في موضع واو الموالاة» اهـ.

وقال الحسين بن مسعود البغوي في تفسيره معالم التنزيل ما نصه: «ليس هذا على طريق الشك ولكن على جهة الإنصاف في الحجاج، كما يقول القائل للآخر: أحدنا كاذب، وهو يعلم أنه صادقٌ وصاحبه كاذب.

والمعنى: ما نحن وأنتم على أمرٍ واحدٍ بل أحد الفريقين مهتد والآخر ضال، فالنبي -ﷺ- ومن اتبعه على الهدى، ومن خالفه في ضلالٍ، فكذبهم من غير أن يصرح بالتكذيب.

وقال بعضهم:«أو» بمعنى الواو، والألف فيه صلة، كأنه قال: وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين، يعني: نحن على الهدى وأنتم في الضلال» اهـ.

٥٤- **قال تعالى:** ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة يس]

الشرح: إن مما أجمعت عليه الأمة ونصّ عليه القرءان والحديث أن الله سبحانه وتعالى منزهٌ عن كل ما كان من معاني المخلوقين وصفات المحدثين، فهو سبحانه لا يجوز عليه التحسر لأن الحسرة في لغة العرب هي الندم، فلو كان الله متحسرًا لكان متأثرًا، ولو كان متأثرًا لكان متصفًا بالجسم والعروق والعصب والإحساس والشعور وهذا كله ضد الآية ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ وتكذيب لقوله تعالى ﴿ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾ فالله عزّ وجلّ لو كان متصفًا بصفة من صفات الحوادث لجاز عليه أن يتصف بكل صفات المخلوقين ومن صفات المخلوقين الموت والعجز والضعف والزوال والتغير والفناء والهلاك والتعب والجوع والقعود والجلوس والحركة والسكون والاتصال والانفصال والتألم واللذة والانزعاج والحلول في الأماكن والجهل والغباء، هذا من صفات المخلوقين والله منزهٌ عن كل ذلك.

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي أحمد بن سلامة الذي كان من علماء السلف في عقيدته التي سماها بالعقيدة الطحاوية التي ذكر أن الإجماع قائمٌ عليها وأنها عقيدة أهل السنة والجماعة: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر»، أي من وصف الله بصفة من صفات المخلوقين فهو كافرٌ بالإجماع.

فقد تبين أن هذه الآية ﴿ يَٰحَسۡرَةً ﴾ الحسرة فيها تعود للمخلوق لا إلى الخالق جلّ جلاله.

قال الطبري في تفسير الطبري في تفسيره لهذه الآية ما نصه: «يقول -تعالى ذكره-: يا حسرة من العباد على أنفسها وتندمًا وتلهفًا في استهزائهم برسل الله ﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ ﴾ من الله ﴿ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ وذكر أن ذلك في بعض القراءات (ياحسرة العباد على أنفسها).

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ ﴾أي: يا حسرة العباد على أنفسها على ما ضيعت من أمر الله، وفرطت في جنب الله. قال: وفي بعض القراءات: (ياحسرة العباد على أنفسها).

حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن؛ قال: ثنا ورقاء، جميعًا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ ﴾ قال: كان حسرة عليهم استهزاؤهم بالرسل.

حدثني على قال: ثنا أبو صالح قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ ﴾ يقول: يا ويلًا للعباد. وكان بعض أهل العربية يقول: معنى ذلك: يا لها حسرة على العباد» اهـ.

وقال الحسين بن مسعود البغوي في تفسيره معالم التنزيل ما نصه: «أنه من قول الهالكين. قال أبو العالية: لما عاينوا العذاب قالوا: يا حسرة أي: ندامة على العباد، يعني: على الرسل الثلاثة حيث لم يؤمنوا بهم، فتمنوا الإيمان حين لم ينفعهم» اهـ.

وقال المفسر اللغوي أبو حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط ما نصه: «فيجوز أن تكون الحسرة منهم على ما فاتهم، ويجوز أن تكون الحسرة من غيرهم عليهم، لما فاتهم من اتباع الرسل حين أحضروا للعذاب؛ وطباع البشر تتأثر عند معاينة عذاب غيرهم وتتحسر عليهم» اهـ.

وقال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرءان ما نصه: «وحقيقة الحسرة في اللغة أن يلحق الإنسان من الندم ما يصير به حسيرًا» اهـ.

٥٥- قال تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [سورة يس]

الشرح: قد تجرأ بعض الناس على الخوض في ما لا باع لهم فيه فقالوا زاعمين أن الأرض تدور حول نفسها و إن الشمس ثابتةً والعياذ بالله من مسخ القلوب، مموهين على الناس باستدلالهم ببعض ظواهر الآي و حجتهم المزعومة حجةً عليهم في ما ادعوه.

آيات قرآنية فيها أن الأرض ثابتة وأن الشمس هي التي تجري

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [سورة البقرة].

قال تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [سورة يس].

قال تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة الرحمن].

قال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة الكهف].

قال تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾ ﴾ [سورة الإسراء].

قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ

﴿ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢﴾ [سورة الرعد].

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ [سورة النبأ].

قال تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥﴾ [سورة النحل].

قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧﴾ [سورة ق].

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۝٣﴾ [سورة الرعد].

بعض الأحاديث التي تدل على جريان الشمس

قال الحافظ السيوطي في «الدر المنثور»[1]: «أخرج عبدُ بن حُمَيد و البخاري والترمذي وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي ذر قال: «كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس فقال: «**يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس؟**» قلت: «الله ورسوله أعلم». قال: «**فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش**»، فذلك قوله: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ قال: «**مستقرها تحت العرش**».

أخرج ابن ماجه مرفوعًا عن صفوان ابن عسال: «**إن من قِبَلِ مغرب الشمس بابًا مفتوحًا عرضه سبعون سنةً، فلا يزال ذلك الباب مفتوحًا للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه. فإذا طلعت مِنْ نَحْوِهِ لَمْ يَنْفَعْ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أو كسبت في إيمانها خيرًا**».

قال الطبري في تفسيره[2]: «وقوله: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾. يقول

(١) الدر المنثور (دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١١ هـ الجزء الخامس ص٤٩٤).

(٢) تفسير الطبري (الجزء٢٠ ص٥١٦).

تعالى ذكره: والشمس تجري لموضع قرارها بمعنى: إلى موضع قرارها، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ».

الإجماع على أن الأرض ثابتةٌ وأن الشمس هي التي تجري

وقد نقل الإمام عبد القاهر بن طاهر البغدادي التميمي المتوفى ٤٢٩هـ في كتابه (الفرق بين الفرق)[١]، نقل الإجماع على ثبوت الأرض فقال: «وأجمعوا على وقوف الأرض وسكونها، وأن حركتها إنما تكون بعارض يعرض لها من زلزلةٍ ونحوها خلاف قول من زعم من الدهرية أن الأرض تهوي أبدًا، ولو كانت كذلك لوجب ألا يلحق الحجرُ الذي نلقيه من أيدينا أبدًا، لأن الخفيف لا يلحق ما هو أثقل منه في انحداره» اهـ. والرسول ﷺ قال: «**لا تجتمع أمتي على ضلالة**».

وذكر في كتابه أصول الدين[٢]: «اختلفوا في هذه المسألة -أي المسلمون مع غيرهم- فقال المسلمون وأهل الكتاب بوقوف الأرض وسكونها وإن حركتها إنما تكون في العادة بزلزلة تصيبها، وبه قال جماعة من الفلاسفة منهم أفلاطون وأرسطاطاليس وبطليموس وإقليدس» وقال[٣] «ولو كانت للأرض حركةً دوريةً لأحسسنا بذلك كما نحس بحركتها عند الزلزلة، ثم إنّا لو جعلنا قطعة من الأرض على طبق لم تدر عليه ولو رمينا بها في الهواء لنزلت على الاستواء ولم تدر على نفسها، فإذا كانت كل قطعة منها لا تدور فكيف دارت جملتها» إلى أن قال[٤] في الأسطر الثلاثة الأخيرة «فلما لم يكن كذلك بطلت هذه العلة وسائر العلل التي

---

(١) الفرق بين الفرق (في بيان أوصاف الفرقة الناجية في الباب الخامس في الفصل الثالث الركن الثاني في بيان الأصول التي اجتمع عليها أهل السنة والجماعة ص٣٣٠ طبعة دار المعرفة بيروت-لبنان).

(٢) أصول الدين (طبعة دار الآفاق الجديدة بيروت الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، في صحيفة ٦٠ المسألة الثانية عشرة من الأصل الثاني في بيان وقوف الأرض ونهايتها).

(٣) انظر الكتاب (ص٦٢).

(٤) انظر الكتاب (ص٦٣).

حكيناها عن مخالفينا وصح بما قلنا أن الأرض واقفة بقدرة الله تعالى وإنها متناهية من كل جهة كما بيناه، وإذا بطلت أقوال مخالفينا في هذه المسألة صح قولنا فيها» اهـ.

وجاء أيضًا عن الإمام العالم الأصولي المتكلم اللغوي فخر الدين الرازي في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴿١٠﴾﴾ [سورة لقمان]، قال: «الجبال الراسية ثابتة ﴿أَن تَمِيدَ﴾ أي كراهية أن تميد، وقيل المعنى ألّا تميد، واعلم أن الأرض ثباتها بسبب ثقلها وإلا كانت تزول عن موضعها بسبب المياه والرياح ولو خلقها مثل الرمل لما كانت تثبت للزراعة كما نرى الأراضي الرملية ينتقل الرمل الذي فيها من موضعٍ إلى موضعٍ ثم قال تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [سورة البقرة]، أي سكون الأرض فيه مصلحة حركة الدواب فأسكنا الأرض وحركنا الدواب ولو كانت الأرض متزلزلة وبعض الأراضي يناسب بعض الحيوانات لكانت الدابة التي لا تعيش في موضعٍ تقع في ذلك الموضع فيكون هلاك الدواب، أما إذا كانت الأرض ساكنةً والحيوانات متحركةً تتحرك في المواضع التي تناسبها وترعى فيها وتعيش فيها» اهـ.

ويدل على ثبوتها شيءٌ مشاهدٌ مجمعٌ عليه من المسلمين ومن أهل الكتاب وهو النجم القطبي الذي يدل على جهة الشمال، وهذا النجم ثابتٌ لا يتحرك، أجمع عليه المسلمون، أي على ثبوته، وأهل الكتاب، فلو وقفت رحمك الله بتوفيقه في وقتٍ مبكرٍ من الليل في مكانٍ ونظرت إلى السماء ورأيت هذا النجم، فقف في نفس المكان وإلى نفس الاتجاه الذي اتجهت إليه أول مرة حتى وصلت إلى هذا النجم، فبالطبع سترى أن هذا النجم لم يتزحزح عن مكانه وحتى لم ينحرف أدنى انحراف عن المكان الذي شاهدته فيه أول الليل عن المكان الذي شاهدته فيه آخر الليل.

فإذا ثبت لك وقوف الأرض فأنت ترى دوران الشمس وليس الأرض هي التي تدور.

وأما قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة يس]، ليس فيها دليلٌ

على دوران الأرض كما يزعم بعض المفتونين، بدليل أن الآية ذكرت القمر والشمس والليل والنهار وليس فيها ذكر الأرض.

فقوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة يس]، أي أن كلا من الشمس والقمر والليل والنهار له فلك يسبح فيه، الليل له فلك، هذه البقعة لها دورٌ يأتي عليها الليل وللنهار دورٌ عليها، وهكذا ثم في الوقت الذي يكون هنا ضوء النهار يكون الذي قبله مدارا لليل، ولم يرد ذكر الأرض في هذه الآية الكريمة ولم يرد التصريح بدوران الأرض بآية من القرءان الكريم ولا في حديث صحيح، بل إن القول الموافق القريب لما نقل عن السلف عدم هذا الدوران، فقد روى ابن أبي خيثمة بإسنادٍ صحيحٍ عن حذيفة بن اليمان أنه بلغه أن كعبًا يقول أن السماء تدور على قطب كالرحى فقال حذيفة: كذب كعب (أي أخطأ)، إن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴿٤١﴾﴾ [سورة فاطر]، فمحل الشاهد استدلال حذيفة على نفي الدوران عن السماء والأرض بالآية أي فهم من الآية أنها تنفي الدروان.

الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴿٤١﴾﴾ لما بين أن آلهتهم المزعومة لا تقدر على خلق شيءٍ من السموات والأرض بين أن خالقهما وممسكهما هو الله، فلا يوجد حادث إلا بإيجاده، ولا يبقى إلا ببقائه. و﴿أَن﴾ المصدر المؤول في موضع جرٍّ بمعنى كراهة أن تزولا، أو لئلا تزولا، أو يحمل على المعنى لأن المعنى أن الله يمنع السموات والأرض أن تزولا، فلا حاجة على هذا إلى إضمار، وهذا قول الزجاج. ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ قال الفراء: أي ولو زالتا ما أمسكهما من أحد. و﴿إِنْ﴾ بمعنى ما. قال: وهو

مثل قوله: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾﴾. وقيل: المراد زوالهما يوم القيامة. وعن إبراهيم قال: دخل رجل من أصحاب ابن مسعود إلى كعب الأحبار يتعلم منه العلم، فلما رجع قال له ابن مسعود: ما الذي أصبت من كعب؟ قال سمعت كعبًا يقول: إن السماء تدور على قطب مثل قطب الرحى، في عمود على منكب ملك، فقال له عبدالله: كذب كعب، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴿٤١﴾﴾ إن السموات لا تدور، ولو كانت تدور لكانت قد زالت. وعن ابن عباس نحوه، وأنه قال لرجل مقبل من الشام: من لقيت به؟ قال كعبًا. قال: وما سمعته يقول؟ قال: سمعته يقول: إن السموات على منكب ملك. قال: كذب كعب، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴿٤١﴾﴾ والسموات سبع والأرضون سبع، ولكن لما ذكرهما أجراهما مجرى شيئين، فعادت الكنآية إليهما، وهو كقوله تعالى: ﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴿٣٠﴾﴾ ثم ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ لأن المعنى في ما ذكره بعض أهل التأويل: إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا من كفر الكافرين، وقولهم اتخذ الله ولدا. قال الكلبي: لما قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله، كادت السموات والأرض أن تزولا عن أمكنتهما، فمنعهما الله، وأنزل هذه الآية فيه؛ وهو كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴿٩٠﴾﴾[1] الآية.

ثم القول بالدوران ينافي ما اتفق عليه الناس من أن هذه الأرض منها بلادٌ مشرقيةٌ ومنها بلادٌ مغربيةٌ، وهذا يتعارض مع القول بالدوران لأنه على هذا القول كل بقعة من الأرض مشرق ومغرب فعليه لا بلاد مشرقية ولا بلاد مغربية، والله تبارك وتعالى دلَّ في كتابه على أن من الأرض قسمًا يختص بكونه مشرقًا وقسمًا يختص بكونه مغربًا فقال تعالى: ﴿بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴿٤٠﴾﴾[سورة المعارج]، وليس هذا مبنيًا

(١) الجامع لأحكام القرءان المجلد الرابع عشر دار الفكر ١٣٨٤هـ.

على أمر موهومٍ لا حقيقة له، فماذا يقول المقلدون القائلون بالدوران هل يقولون إن القرءان أتى بالناس بالوهم والتخيل أم ماذا يقولون، فمن شاء فليطلع على تاريخ ابن أبي خيثمة المنقول عنه ما تقدم حتى يرى بعينيه.

أما بالنسبة للشمس فإنها تجري خارج مركزها قال تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ أما قوله تعالى: ﴿ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ ﴿٤٠﴾ ﴾ فمعناه أن الشمس أثناء سيرها في الفضاء لها عدة مشارقٍ وعدة مغاربٍ، اليوم تمر في هذا الخط وغدًا تمر في الخط الذي يليه وبعد غد تمر في الخط الذي يليه وهكذا ثلاثة أشهر ذاهبة، ثم تعود وترجع في هذه الخطوط التي قطعتها حتى تصل منتهاها، ثم ثلاثة أشهر في خطوط أخرى ذاهبة، ثم ثلاثة أشهر راجعة في نفس هذه الخطوط، الشمس لها مائة وثمانون مشرقًا ومائة وثمانون مغربًا.

ومعنى قوله تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ ﴾. [سورة الرحمن]، أي رب مشرق الصيف ومشرق الشتاء وهو أيضًا رب مغرب الصيف ومغرب الشتاء.

أما حدوث الليل والنهار فهو أمر ينتج من دوران الشمس، اختلاف الليل والنهار سببه أن الله تعالى لم يعط الشمس قوة تسيطر بها على جميع بقاع الأرض في آنٍ واحدٍ، بل جعل قوتها تتسلط على جزءٍ من الأرض ثم على جزءٍ ثم على جزء.

والأرض محدودبةٌ، أما قوله تعالى: ﴿ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سورة الغاشية]، أي وسّعت وهي محدودبةٌ ليست مثل السجادة الممدودة على الأرض، والله تعالى خلق سبع سمواتٍ وسبع أرضين وما بين كل سماءٍ وسماءٍ مسيرة خمسمائة عام، كذلك بين كل أرض وأرض مسيرة خمسمائة عام، وكل أرض منفصلةٌ عن الأخرى واقفةٌ في الفضاء بقدرة الله تعالى، الله تعالى يمسكها بقدرته، الأراضون الست التي تحت الأولى فيها جن وأولئك الجن أغلبهم كفار.

كما أن فيها أشجارًا وأنهارًا وبحارًا وجبال يعيش عليها بهائم وفيها حشرات، وأما البشر فمستقرهم هذه الأرض الأولى فقط قال الله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ

﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة طه]، أي تدفنون في هذه (أي هذه الأرض التي نحن عليها) وتبعثون يوم القيامة منها، وهناك أجزاء من الأرض لم يكتشفها جغرافيو هذا العصر.

السموات السبع أجرامٌ صلبةٌ متينةٌ، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾ [سورة الملك]، فالسماء الأولى هي الزرقاء الصافية حين يكون الجوّ صحوًا ولا يوجد غيوم هل يرى فيها شقوق؟! لا ترى فيها شقوقٌ، أما في الليل فهي لا تظهر لنا لبعدها، فهؤلاء الإفرنج يرونها بأعينهم ولا يعترفون بأنها جسمٌ صلبٌ، يقولون عنها فضاء مليء بالنجوم والكواكب علمًا بأن الشمس والقمر وهذه الكواكب والنجوم بعيدة جدًا عن السماء فكيف ينكر وجودها؟! يا لهؤلاء الجهلة، قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الذاريات]، معناه أن الله خلق السماء بقوة، ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أي وإنا لقادرون. قاله ابن عباس.

دخول أوقات الصلاة بالطريقة الشرعية

دليل على ثبوت الأرض ودوران الشمس:

من الواجب خمس صلواتٍ في اليوم والليلة.

الظهر ووقتها إذا زالت الشمس إلى مصير كل شيء مثله غير ظل الاستواء.

روى الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**وقت الظهر إذا زالت الشمس وكان ظل الرجل كطوله ما لم يحضر العصر**».

والعصر ووقتها من بعد وقت الظهر إلى مغيب الشمس.

قال رسول الله ﷺ: «**ومن أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر**». رواه البخاري.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**ووقت العصر ما لم تَصْفَرَّ الشمس**». رواه مسلم.

والمغرب ووقته من بعد وقت العصر إلى مغيب الشفق الأحمر.

قال رسول الله ﷺ: «**وقت المغرب ما لم يغب الشفق**». رواه مسلم.

والعشاء ووقته من بعد وقت المغرب إلى طلوع الفجر الصادق.

عن أبي قتادة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**أما أنه ليس في النوم تفريط إنما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يجيء وقت الصلاة الأخرى**». رواه مسلم

والصبح ووقتها من بعد وقت العشاء إلى طلوع الشمس.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من أدرك من الصبح ركعة قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح**». وقوله عليه الصلاة والسلام: «**من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة**». رواه البخاري.

عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «**وقت الظهر ما لم يحضر العصر ووقت العصر ما لم تَصْفَرَّ الشمس ووقت المغرب ما لم يسقط ثور الشفق ووقت العشاء إلى نصف الليل** (توجد أوقات فضيلة وأما وقت العشاء فيمتدّ إلى طلوع الفجر الصادق) **ووقت الفجر ما لم تطلع الشمس**». رواه مسلم.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن وقت الصلوات فقال: «**وقت صلاة الفجر ما لم يطلع قرن الشمس الأول ووقت صلاة الظهر إذا زالت الشمس عن بطن السماء ما لم يحضر العصر ووقت صلاة العصر ما لم تصفر الشمس ويسقط قرنها الأول ووقت صلاة المغرب إذا غابت الشمس ما لم يسقط الشفق ووقت صلاة العشاء إلى نصف الليل**». رواه مسلم.

وقد قال الفقيه الشافعي الغزالي في كتابه الحكمة في مخلوقات الله، يقول رحمه الله: «اعلم أن الله سبحانه خلق الشمس لأمورٍ لا يستكمل علمها إلا الله وحده، فالذي ظهر من حكمته فيها أن جعل حركتها لإقامة الليل والنهار في جميع أقاليم

الأرض. ولولا ضياء نورها ما كان الناس يتهنون بالعيش ولا انتفعوا بالأبصار ولم تظهر الألوان. ثم بتقدمها وتأخرها تستقيم الفصول، فيستقيم أمر النبات والحيوان، ثم انظر إلى مسيرها في فلكها في مدة سنة وهي تطلع كل يوم وتغرب بسير آخر سُخِرَ لها بتقدير خالقها، فلولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولما عرفت المواقيت، ولو انطبق الظلام على الدوام لكان فيه الهلاك لجميع الخلق فانظر كيف جعل الله الليل سكنًا ولباسًا والنهار معاشًا، وانظر إلى إمالة سير الشمس حتى اختَلَفَ بسبب ذلك الصيف والشتاء فإذا انخفضت من وسط السماء برد الهواء وظهر الشتاء، وإذا استوت وسط السماء اشتد القيظ، وإذا كانت في ما بينهما اعتدل الزمان فيستقيم بذلك أمر النبات والحيوان بإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة، ثم تفكّر في تنقل الشمس في هذه البروج لإقامة دورة السنة، وهذا الدور هو الذي يجمع الأزمنة الأربعة: الشتاء والربيع والصيف والخريف، فقد صار هذا الفلك شمسه وقمره ونجومه وبروجه تدور على هذا العالم بهذا دورانًا دائمًا في الفصول الأربعة من السنة لصلاح ما فيه من حيوانٍ ونباتٍ وغير ذلك بتقدير الله العزيز العليم»[1] اهـ.

ويقول[2]: «وهو يتكلم عن الأرض: وجعل (يعني الله) فيها الاستقرار والثبات كما نبّه على ذلك سبحانه وتعالى بقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾. فأمكن الخلائق بهذا السفر فيها في مآربهم والجلوس لراحتهم والنوم لهدوئهم والانتقال لأعمالهم، فإنها إن كانت رجراجةً متحركةً لم يستطيعوا أن يتقنوا شيئًا من النبات وجميع الصناعات، وكانوا لا يتهنون بالعيش والأرض ترتج بهم من تحتهم، واعتبر ذلك بما يصيب الناس من الزلازل ترهيبًا للخلق، وتخويفًا لهم لعلهم يتقون الله وينزعون عن الظلم والعصيان، فهذا أيضًا من الحكمة البالغة. انتهى كلام الغزالي.

---

(١) ذكر هذا الكلام في ص(٨٦-٨٧-٨٨-٩١).

(٢) انظر الكتاب (ص٩٢).

فقد تبين لنا مما ذكرناه من آياتٍ قرءانيةٍ وأحاديث نبويةٍ وإجماع الأمة الإسلامية من الصحابة ومن بعدهم ومن مفسرين وحفاظ والإجماع الذي نقله البغدادي أن الأرض ثابتةٌ ساكنةٌ لا تتحرك إلا بزلزال بمشيئة الله، وذلك من باب اليقين والقطع، فقد ورد ذلك في النصوص القرءانية والأحاديث النبوية وردّ النصوص كفر، وعملًا بذلك أجمع الأئمة الأعلام على وقوفها وثبوتها، فلا عبرة ولا يلتفت إلى كلام بعض الغربيين أعداء الإسلام الذين يكذبون الحقائق ويروجون الدجل والأكاذيب بقولهم إن الأرض تدور، هذا لا أساس له من الصحة وليس لهم عليه دليلٌ إلا الظن والتخمين، فجاءت نظرياتهم الساقطة المردودة أوهى من خيوط العنكبوت التي تزول مع أدنى ريح عاصفة، وأيضا بكلام من تبعهم من الشرقيين الذين تفرنجوا -نسبة إلى الإفرنج- وصاروا يتكلمون بألسنتهم وهم يسمونها نظرية واسمها -أي كونها نظرية- يدل على أنها قابلةٌ للسقوط والبطلان والتغير، فهم ليس لهم عليها دليلٌ لأنها ليست حقيقة ثابتةً حتى إنهم اختلفوا بينهم في هذه النظرية فقد ذهب أناس منهم إلى قول كلامٍ خلاف هذا.

أما كل ءامنا فمبني على ما جاء في القرءان الكريم الذي لا يجوز عليه أن يكون فيه ما هو خلاف الواقع أو أن يكون متعارضًا وهو عبارة عن كلام الله ليس من تأليف بشرٍ ولا جنيٍّ ولا ملكٍ، والله تعالى هو خالق هذا العالم وما فيه وهو أعلم بذلك بلا شكٍ ولا ريبٍ فالقرءان هو العلم وما خالف القرءان فليس علمًا و ما في القرءان كافٍ ووافٍ وشافٍ.

واتبعنا النبي الصادق المصدوق الأمين المأمون الذي لا ينطق عن هواه إنما بوحيٍ من الله تعالى.

فوجب تصديق واعتقاد ما جاء في القرءان الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وما أخبر به الرسول ﷺ، بأن الأرض ثابتةٌ ساكنةٌ والشمس هي الجارية التي تدور وإلا لو كانت الأرض تدور لما كانت تصلح للعيش والاستقرار عليها ولكن

الله حكيم عليم.

ومن أعرض عن القرءان والحديث وإجماع الأمة المحمدية وأخذ بكلام أعداء الإسلام الكفار الملحدين الذي فيه محاربة هذا الدين من كلامٍ فاسدٍ باطلٍ ساقطٍ كغثاء السيل معارضٍ للشريعة الإسلامية السمحة الصحيحة يكون بهذا التوّلي قد ضل وهلك، لأن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [سورة النساء].

وأنت أيها العاقل تعلم أن من كان عنده الإيمان بالله ورسوله وكتبه لا يجعل ما ذكرناه وراء ظهره وينجرف بالدفاع عن نظريةٍ وهميةٍ واهيةٍ، إنما يكون رادًّا ما يعارض كتاب الله وكلام رسوله مدافعًا عن دين الله تعالى ومناصرًا إياه، جعلنا الله منهم.

تنبيه مهم:

مقال من مجلة الأفكار: «حقيقة الموضوع الذي نشر سنة ١٩٨٣ أن جمعية معروفة باسم «جمعية الأرض المنبسطة الدولية» مسجلةٌ في ولآية كاليفورنيا ولا يقل عدد أعضائها عن المائة، ومعظمهم من المثقفين، وينص نظام الجمعية الأساسي على أن هدفها نشر حقيقةٍ أن الأرض قرص مسطح ومنبسط وأنها ثابتة في مكانها وأن الشمس هي التي تدور حولها، وأن القول بكروية الأرض ودورانها حول الشمس هراءٌ وبدعةٌ بل كذبةٌ كبرى يتناقلها الجنس البشري، وأن الجمعية أخذت على عاتقها بطلان هذه الخدعة.

ويذكر مؤسسو الجمعية أنها ليست حديثة العهد بل تأسست سنة ١٨٠٠ في بريطانيا والولايات المتحدة بآنٍ واحدٍ وقد عرفت آنذاك باسم جمعية «zetetic society» وبقيت كذلك إلى سنة ١٩٥٦ حين عين وليم شنتون –بريطاني من دوفر– سكرتيرًا لها فغير اسمها واعتمد الاسم الحالي، وقد أصدرت الجمعية

عددًا من النشرات والرسائل تبين خريطة الأرض كما تراها» اهـ.

وذكر في مجلة العربي وغيرها أن جماعةً من الأمريكيين والمصريين في هذا الزمان وقبل سنواتٍ عديدةٍ قالوا بثبوت الأرض، وصور هذه المجلات موجودةٌ عندنا.

وبعد الذي تقدم من الأدلة القرءانية والحديثية والإجماعية على أن الأرض ثابتةٌ لا تتحرك إلا بنحو الزلزلة وأن الشمس هي التي تشرق وتغرب وتذهب وتجيء وتظهر وتختفي وهي التي تدور وتجري فلا حجة ولا دليل للجهلة الذين يتمسكون بظاهر قوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة يس] وكلٌّ في فلك يسبحون، فيقولون إن الأرض أيضًا تسبح في الفضاء وتدور، وهذا كذب مكشوفٌ وتحريفٌ ظاهرٌ لأن الأرض لا ذكر لها في هذه الآية الكريمة، وإنما المذكورون فيها الشمس والقمر والليل والنهار،

وفي آيةٍ أخرى ذكر النجوم، ولكن لا ذكر للسماوات ولا للأرض في هذه الآية ولا في مثيلاتها، فليتنبه لذلك وليقف العاقل عند حد الشرع الشريف ولا يتكلم برأيه فأجرؤكم على الفتوى أجرؤكم على النار، وكما قال عليه الصلاة والسلام: «**من أفتى بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض**». رواه الحافظ ابن عساكر.

٥٦- **قال تعالى:** ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢﴾

[سورة الصافات]

الشرح: إن مما جاء به القرءان وعلّمه الأنبياء وأجمعت عليه شرائعهم أن من كان مسلمًا مؤمنًا وختم له بذلك فهو من أهل الجنة والسعادة الأبدية ولا دخل له ولا إثم عليه ولا وزر يلحقه بكفر وفسوق وفجور زوجته التي ماتت على الكفر، والعكس أيضًا. فمثلًا نوح ولوط نبيان كريمان عظيمان عليهما الصلاة والسلام، فهل يلحقان بزوجتيهما اللتين قال الله فيهما في سورة التحريم ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠﴾، والجواب حاشى ومستحيلٌ أن يلحقهما إثمٌ أو عذابٌ أو دخول النار بسبب زوجتيهما.

وكذلك آسية بنت مزاحم امرأة فرعون هي مؤمنةٌ مسلمةٌ وليةٌ صالحةٌ وزوجها فرعون رأس من رؤوس الكفر وإمام من أئمة أهل النار فهل تكون آسية معه في جهنم؟! حاشاها، وهي التي قال الله تعالى في شأنها في القرءان ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١﴾، فيتبين من مجموع هذه الأدلة القرءانية الواضحة الصريحة أن المؤمن في الجنة والكافر في النار ولو كانوا متزوجين من بعضهم في الدنيا ولا علاقة للرجل مع زوجته في هذه الآية الكريمة التي نحن في صدد شرحها ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢﴾، فالأزواج هنا في الآية أي الأشباه أي الكافر وشبيهه في الكفر يكونان في النار، فالأزواج هنا أي المتشابهون في كفرهم وشركهم وضلالهم، وقيل الوثني مع الوثني واليهودي مع اليهودي وقيل الكفار وأشياعهم أي أتباعهم من الكفار وقيل الزوجات الموافقات لأزواجهن في الكفر.

قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرءان ما نصه: «قوله تعالى:

﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ هو من قول الله تعالى للملائكة: احشروا المشركين وأزواجهم أي: أشياعهم في الشرك، والشرك: الظلم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ فيحشر الكافر مع الكافر، قاله قتادة وأبو العالية. وقال عمر بن الخطاب في قول الله -عز وجل-: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ قال: الزاني مع الزاني، وشارب الخمر مع شارب الخمر، وصاحب السرقة مع صاحب السرقة. وقال ابن عباس: وأزواجهم أي: أشباههم. وهذا يرجع إلى قول عمر. وقيل: ﴿وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾: نساؤهم الموافقات على الكفر، قاله مجاهد والحسن، ورواه النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب. وقال الضحاك: وأزواجهم قرناءهم من الشياطين. وهذا قول مقاتلٍ أيضًا: يحشر كل كافر مع شيطانه في سلسلة. من دون الله أي من الأصنام والشياطين وإبليس. ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣﴾ أي سوقوهم إلى النار. وقيل: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ﴾ أي: دلوهم. يقال: هديته إلى الطريق، وهديته الطريق، أي: دللته عليه. وأهديت الهدية وهديت العروس، ويقال أهديتها، أي: جعلتها بمنزلة الهدية» اهـ.

وقال محمد الأمين بن محمد بن المختار بن الجنكي الشنقيطي في كتابه التفسير أضواء البيان في إيضاح القرءان العظيم ما نصه: «قوله تعالى: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣﴾ المراد بـ: الذين ظلموا الكفار، كما يدل عليه قوله بعده: ﴿وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

وقد قدمنا إطلاق الظلم على الشرك في آيات متعددة؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦﴾.

وقد ثبت في صحيح البخاري عن النبي ﷺ أنه فسر الظلم بالشرك، في قوله تعالى: ﴿وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ٨٢﴾، وقوله تعالى: ﴿وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾، جمهور أهل العلم منهم: عمر وابن عباس، على أن المراد به أشباههم ونظراؤهم، فعابد

الوثن مع عابد الوثن، والسارق مع السارق، والزاني مع الزاني، واليهودي مع اليهودي، والنصراني مع النصراني، وهكذا وإطلاق الأزواج على الأصناف مشهور في القرءان، وفي كلام العرب؛ كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا ﴿١٢﴾ ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾، إلى غير ذلك من الآيات.

فقوله تعالى: ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾، أي: اجمعوا الظالمين وأشباههم ونظراءهم، فاهدوهم إلى النار ليدخلها جميعهم، وبذلك تعلم أن قول من قال: المراد بـ أزواجهم نساؤهم اللاتي على خلاف دينهم أي المسلمات، خلاف الصواب -وتفسيرهم ﴿ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ على الإطلاق أي أن المسلمة تكون مع زوجها الكافر في النار تكذيبٌ للقرءان-. وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، أي: احشروا مع الكفار الشركاء التي كانوا يعبدونها من دون الله ليدخل العابدون والمعبودات جميعًا النار، كما أوضح ذلك بقوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾. وقد بيّن تعالى أن الذين عبدوا من دون الله من الأنبياء، والملائكة، والصالحين، كعيسى وعزير خارجون عن هذا، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾، إلى قوله: ﴿ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾، وأشار إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴿٥٩﴾ ﴾الآية» اهـ.

وقال محمد الطاهر بن عاشور المالكي في تفسيره التحرير والتنوير في شرح هذه الآية ما نصه: «وروي عن النعمان بن بشير يرويه عن عمر بن الخطاب وتأويله: أنهن الأزواج الموافقات لهم في الإشراك، أما من آمن فهن ناجياتٌ من تبعات أزواجهن، وهذا كذكر أزواج المؤمنين في قوله تعالى ﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ ﴿٥٦﴾ ﴾

[سورة يس]، فإن المراد أزواجهم المؤمنات، فأطلق حملًا على المقيد في قوله ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم.

وذكر الأزواج إبلاغٌ في الوعيد والإنذار لئلّا يحسبوا أن النساء المشركات لا تبعة عليهن.

وذلك مثل تخصيصهن بالذكر في قوله تعالى ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ ﴿١٧٨﴾﴾ في سورة البقرة.

وقيل: الأزواج: الأصناف، أي: أشياعهم في الشرك وفروعه. قاله قتادة وهو رواية عن عمر بن الخطاب وابن عباس.

وعن الضحاك: الأزواج المقارنون لهم من الشياطين» اهـ.

٥٧- **قال تعالى:** ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [سورة الزمر]

الشرح: اعلم أن الله عزّ وجل من أسمائه النور بمعنى الهادي وليس بمعنى الضوء وهذا معنى ما جاء في قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي هادي المؤمنين لنور الإيمان، ومن حمل الآية على معنى الضوء سواءً قال ضوءٌ كبيرٌ أو صغيرٌ أو أصفرٌ أو أحمرٌ أو أخضرٌ أو أبيضٌ أو غير ذلك فهو مشبهٌ لله بخلقه، وهو مكذبٌ لقول الله عزّ وجل ﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ أي لنور الإيمان، وقد قال الله سبحانه ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾، فمن اعتقد أن الله ضوءٌ فهو غير عارفٍ بربه وإنه كافرٌ به وإن زعم أنه مسلم وإن صام وصلى صورةً، وكذلك من اعتقد أن الله جسمٌ يتوقد نورًا أو أنه جسمٌ تشع منه الأنوار أو أنه نورٌ يتلألأ أو أنه تنبثق منه الأضواء فكل هذا تكذيب لقول الله عز وجل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ وقد أجمعت الأمة على كفر المشبهة والمجسمة.

وأما قول الله تعالى ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ فالأرض في هذه الآية هي أرض القيامة ومعنى (أشرقت بنور ربها) أي بحكم ربها وليس معناها أن الله ضوء يغطي أرض القيامة كما نقل ابن تيمية عن أسلافه المشبهة المجسمة موافقًا لهم ومقرًا لذلك فقال في كتابه الأسماء والصفات ما نصه[1]: «فإذا جاءهم وجلس على كرسيه أشرقت الأرض بأنواره»، فهذا خلطٌ وخبطٌ وكفرٌ صراحٌ قائله ومعتقده لم يذق طعم الإيمان ولا عرف الإسلام.

قال أبو حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط ما نصه: «الأرض في هذه الآية: الأرض المبدلة من الأرض المعروفة، ومعنى أشرقت: أضاءت وعظم نورها، ﴿ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾. قيل: يخلق الله نورٌ يوم القيامة، فيلبسه وجه الأرض، فتشرق الأرض

(١) الأسماء والصفات (طبعة دار الكتب العلمية ١/ ٨١).

به، وقال ابن عباس: النور هنا ليس من نور الشمس والقمر، بل هو نور يخلقه الله فيضيء الأرض.

وروي أن الأرض يومئذٍ من فضة، والمعنى: أشرقت بنور خلقه الله تعالى، أضافه إليه إضافة الملك إلى الملك، ويقولون للملك العادل: أشرقت الآفاق بعدلك وأضاءت الدنيا بقسطك، كما يقولون: أظلمت البلاد بجور فلان.

وقال رسول الله ﷺ: «**الظلم ظلمات يوم القيامة**»، وكما فتح الآية بإثبات العدل، ختمها بنفي الظلم» اهـ.

وقال محمد بن أحمد القرطبي الأنصاري في تفسيره الجامع لأحكام القرءان ما نصه: «قوله تعالى:﴿ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ إشراقها إضاءتها، يقال: أشرقت الشمس إذا أضاءت وشرقت إذا طلعت. ومعنى: بنور ربها بعدل ربها، قاله الحسن وغيره. وقال الضحاك: بحكم ربها، والمعنى واحدٌ، أي: أنارت وأضاءت بعدل الله وقضائه بالحق بين عباده. والظلم ظلماتٌ والعدل نورٌ. وقيل: إن الله يخلق نورًا يوم القيامة يلبسه وجه الأرض فتشرق الأرض به. وقال ابن عباس: النور المذكور هاهنا ليس من نور الشمس والقمر، بل هو نور يخلقه الله فيضيء به الأرض وقد ضل قوم هاهنا فتوهموا أن الله – عز وجل – من جنس النور والضياء المحسوس، وهو متعالٍ عن مشابهة المحسوسات، بل هو منور السماوات والأرض –أي خالق النور في السماوات والأرض–، فمنه كل نور خلقًا وإنشاءً» اهـ.

وقال البغوي في تفسيره معالم التنزيل ما نصه: «وقال الحسن والسدي: بعدل ربها، وأراد بالأرض عرصات القيامة[1]» اهـ.

وقال الفخر الرازي في تفسيره الكبير ما نصه: «﴿ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ وفيه مسائل:

---

(١) أي مواقف القيامة.

المسألة الأولى: هذه الأرض المذكورة ليست هي هذه الأرض التي يقعد عليها الآن، بدليل قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [سورة إبراهيم] وبدليل قوله تعالى: ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة الحاقة] بل هي أرضٌ أخرى يخلقها الله تعالى لمحفل يوم القيامة.

المسألة الثانية: قالت المجسمة: إن الله تعالى نورٌ محضٌ، فإذا حضر الله في تلك الأرض لأجل القضاء بين عباده أشرقت تلك الأرض بنور الله، وأكدوا هذا بقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [سورة النور].

واعلم أن الجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

الأول: أنا بينا في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أنه لا يجوز أن يكون الله سبحانه وتعالى نورًا، بمعنى كونه من جنس هذه الأنوار المشاهدة، وبينا أنه لما تعذر حمل الكلام على الحقيقة وجب حمل لفظ النور هاهنا على العدل، فنحتاج هاهنا إلى بيان أن لفظ النور قد يستعمل في هذا المعنى، ثم إلى بيان أن المراد من لفظ النور هاهنا ليس إلا هذا المعنى، أما بيان الاستعمال فهو أن الناس يقولون للملك العادل: أشرقت الآفاق بعدلك، وأضاءت الدنيا بقسطك، كما يقولون: أظلمت البلاد بجورك، وقال ﷺ: «**الظلم ظلمات يوم القيامة**». وأما بيان أن المراد من النور هاهنا العدل فقط أنه قال: ﴿ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ ﴾، ومعلومٌ أن المجيء بالشهداء ليس إلا لإظهار العدل، وأيضًا قال في آخر الآية: ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ فدل هذا على أن المراد من ذلك النور إزالة ذلك الظلم، فكأنه تعالى فتح هذه الآية بإثبات العدل وختمها بنفي الظلم.

والوجه الثاني: في الجواب عن الشبهة المذكورة أن قوله تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ يدل على أنه يحصل هناك نورٌ مضافٌ إلى الله تعالى، ولا يلزم كون ذلك صفة ذات الله تعالى لأنه يكفي في صدق الإضافة أدنى سبب، فلما كان ذلك النور من خلق الله وشرفه بأن أضافه إلى نفسه، كان ذلك النور نور الله، كقوله:

بيت الله، وناقة الله وهذا الجواب أقوى من الأول لأن في هذا الجواب لا يحتاج إلى ترك الحقيقة والذهاب إلى المجاز» اهـ.

وبعد الذي أوضحناه وشرحناه وبيناه من أن الله سبحانه وتعالى ليس ضوءً ولا يشبه الأضواء يتبين لك أن ما قاله ابن تيمية في تفسير هذه الآية هو تحريفٌ صريحٌ وتزويرٌ لتفسير الآية وليس شرحًا لها، فبقوله والعياذ بالله تعالى من الكفر والضلال عن الله عز وجل: «إذا جاءهم وجلس على كرسيه أشرقت الأرض كلها بأنواره» فيه نسبةُ الانتقال والحركة والسكون والجلوس والتغير إلى الله تعالى، وهذه عقيدةٌ فاسدةٌ كاسدةٌ نجسةٌ خسيسةٌ لا يقولها من عرف ربه، وهذا ثابتٌ عن ابن تيمية وليس تقولًا عليه، ومع ذلك فأشياعه وأتباعه يسمونه بشيخ الإسلام كذبًا وزورًا وبهتانًا وما هو إلا رأس الفتنة وشيخ الضلالة وداعية النفاق وأتباعه الجماعات التكفيرية التخريبية الدموية الإرهابية الإفسادية الإجرامية الذين دمّروا البلاد وعاثوا فيها الفساد قتلًا وسفكًا للدماء وهتكًا للأعراض وانتهاكًا للحرمات وفضحًا للمسلمات الحرائر وكل ذلك باسم الدين والإسلام والإسلام منهم براء.

ولتثبت لك أن هذه العقيدة ثابتةٌ عن ابن تيمية من كتبه وتأليفاته ورسائله ننقل بعضًا منها مما وثق نسبتها إلى ابن تيمية الإمام الحافظ المجتهد المجدد المفسر النحوي المتكلم شيخ الإسلام والمسلمين عمدة المتكلمين وصدر العلماء العاملين ولسان المفتين وسيف الأشاعرة والماتريديين حامي حمى الملة والدين وناصر السنة وقامع البدعة الداعي إلى الهدى والخير والسداد والرشاد وفاضح المنافقين المشبهة المجسمة التكفيريين سيدي وشيخي ومولاي وقرة عيني وحبيب قلبي السلطان المنيع الشيخ أبو عبد الرحمٰن عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن جامع الهرري الحبشي رضي الله عنه وأرضاه من كتابه «المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد ابن تيمية»[1] ما نصه:

---

(١) المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية (طبعة دار المشاريع -الطبعة السادسة-=

قول ابن تيمية بقيام الحوادث بذات الله تعالى

أما قوله -أي ابن تيمية- بقيام الحوادث بذات الله تعالى فقد ذكره في كتابه الموافقة فقال ما نصه[1]: «فمن أين في القرءان ما يدل دلالة ظاهرة على أن كل متحركٍ محدَث أو ممكن، وأن الحركة لا تقوم إلا بحادثٍ أو ممكنٍ، وأن ما قامت به الحوادث لم يخل منها، وأن ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث» اهـ.

وقال في موضعٍ ءاخر منه ما نصه[2]: «أما الشرع فليس فيه ذكر هذه الأسماء في حق الله لا بنفي ولا إثبات، ولم ينطق أحد من سلف الأمة وأئمتها في حق الله تعالى بذلك لا نفيًا ولا إثباتًا، بل قول القائل: إن الله جسمٌ أو ليس بجسمٍ، أو جوهرٌ أو ليس بجوهرٍ، أو متحيزٌ أو ليس بمتحيزٍ، أو في جهةٌ أو ليس في جهةٍ، أو تقوم به الأعراض والحوادث أو لا تقوم به ونحو ذلك كل هذه الأقوال محدَثة بين أهل الكلام المحدَث لم يتكلم السلف والأئمة فيها لا بإطلاق النفي ولا بإطلاق الإثبات» اهـ.

وقال في المنهاج ما نصه[3]: «فإنا نقول إنه يتحرك وتقوم به الحوادث والأعراض فما الدليل على بطلان قولنا؟» اهـ.

وقال أيضًا ما نصه[4]: «ومن قال: إن الخلق حادث كالهشامية والكرَّامية قال: نحن نقول بقيام الحوادث به، ولا دليل على بطلان ذلك، بل العقل والنقل والكتاب والسنة وإجماع السلف يدل على تحقيق ذلك، كما قد بسط في موضعه. ولا يمكن القول بأن الله يدبر هذا العالم إلا بذلك، كما اعترف بذلك أقرب الفلاسفة إلى الحق كأبي البركات صاحب «المعتبر» وغيره» اهـ.

= ١٤٢٥هـ ص٨٧-٩١).

(١) انظر الكتاب (١/ ٦٤).

(٢) انظر الكتاب (١/ ١٤٢).

(٣) انظر الكتاب (١/ ٢١٠).

(٤) مجموعة تفسير (ص/ ٣٠٩).

وقال ما نصه[1]: «بخلاف ما إذا قيل: كان قبل هذا الكلام كلامٌ وقبل هذا الفعل فعلٌ جائزٌ عند أكثر العقلاء أئمة السنة، أئمة الفلاسفة وغيرهم» اهـ.

ثم قال[2]: «وأما إذا قيل: قال «كن» وقبل «كن» «كن»، وقبل «كن» «كن»، فهذا ليس بممتنعٍ، فإن هذا تسلسل في ءاحاد التأثير لا في جنسه، كما أنه في المستقبل يقول «كن» بعد «كن»، ويخلق شيئًا بعد شيء إلى غير نهاية» اهـ.

وقال في المنهاج ما نصه[3]: «فإن قلتم لنا: فقد قلتم بقيام الحوادث بالرب، قلنا لكم: نعم وهذا قولنا الذي دل عليه الشرع والعقل» اهـ.

ثم قال فيه ما نصه[4]: «وقد أخذنا بما في قول كل من الطائفتين من الصواب وعدلنا عما يرده الشرع والعقل من قول كل منهما، فإذا قالوا لنا: فهذا يلزم منه أن تكون الحوادث قامت به قلنا: ومن أنكر هذا قبلكم من السلف والأئمة، ونصوص القرءان والسنة تتضمن ذلك مع صريح العقل وهو قولٌ لازمٌ لجميع الطوائف، ومن أنكره فلم يعرف لوازمه، ولفظ الحوادث مجملٌ فقد يراد به الأعراض والنقائص والله منزهٌ عن ذلك، ولكن يقوم به ما شاءه ويقدر عليه من كلامه وأفعاله ونحو ذلك مما دل عليه الكتاب والسنة» اهـ.

وقال أيضًا ما نصه[5]: «وأما قولهم: وجود ما لا يتناهى من الحوادث محالٌ، فهذا بناء على دليلهم الذي استدلوا به على حدوث العالم وحدوث الأجسام، وهو أنها لا تخلو من الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادثٌ، وهذا الدليل باطلٌ عقلًا وشرعًا، وهو أصل الكلام الذي ذمه السلف والأئمة، وهو أصل قول الجهمية

---

(١) مجموعة تفسير (ص/ ٣١٢ - ٣١٣).

(٢) مجموعة تفسير (ص/ ٣١٣ - ٣١٤).

(٣) انظر الكتاب (١/ ٢٢٤).

(٤) انظر الكتاب (١/ ٢٢٤).

(٥) مجموع فتاوى (٦/ ٢٩٩).

نفاة الصفات، وقد تبين فساده في مواضع» اهـ.

ومعنى قوله قيام الحوادث بذات الله فهو أنه يعتقد أن الله تعالى تقوم به الحركة والسكون أي أنه متصفٌ بالحركة والسكون الحادثَين وشبه ذلك مما يقوم بذوات المخلوقين، ومن هنا يتضح قول الحافظ تقي الدين السبكي وغيره كما قدمنا أنه -أي ابن تيمية- جعل الحادث قديمًا والقديم حادثًا، ولم يوافق في قوله هذا أحدًا من أئمة الحديث إلا المجسمة.

ومن العجب افتراء ابن تيمية هذا معرضًا عن حجة إبراهيم المذكورة في القرءان من احتجاجه بقيام الحوادث بالقمر والكوكب والشمس على عدم ألوهيتهم، وبقيام دلائل الحدوث بهم وهو التحول من حالٍ إلى حالٍ.

وقد اتبع ابن تيمية في عقيدته هذه الكرَّامية شبرًا بشبر، وقد ذكر ابن التلمساني شيئًا من معتقداتهم الفاسدة التي تبنَّاها ابن تيمية، فقال الشيخ شرف الدين بن التلمساني في شرح لمع الأدلة للجويني ما نصه[1]: «وخالف إجماع الأمة طائفةٌ نبغوا من سِجستان لقّبوا بالكرامية نسبة إلى محمد بن كرَّام، وزعموا أن الحوادث تطرأ يعني تتجدد على ذات الله، تعالى عن قولهم، وهذا المذهب نظير مذهب المجوس. ووجه مضاهاته لمذهب المجوس أن طائفةً منهم تقول بقدم النور وحدوث الظلمة، وأن سبب حدوثها أن يَزْدَان فَكَّر فكرة فَحَدَثَ منها شخص من أشخاص الظلمة فأبعده وأقصاه وهو هُرمز، وجميع الشر ينسب إليه. وكذلك الكرامية تزعم أن الله تعالى إذا أراد إحداث محدَث أوجد في ذاته كافًا ونونًا وإرادةً حادثةً، وعن ذلك تصدر سائر المخلوقات المباينة لذاته» اهـ. وقال الإمام أبو المظفر الأسفراييني ما نصه[2]: «ومما ابتدعوه -أي الكرامية- من الضلالات مما لم يتجاسر على إطلاقه قبلهم واحدٌ من الأمم لعلمهم بافتضاحه هو قولهم: بأن معبودهم محل الحوادث

(١) شرح لمع الأدلة (ص/ ٨٠ - ٨١)، مخطوط.

(٢) التبصير في الدين (ص/ ٦٦ - ٦٧).

تحدث في ذاته أقواله وإرادته وإدراكه للمسموعات والمبصرات، وسموا ذلك سمعًا وتبصرًا، وكذلك قالوا: تحدث في ذاته ملاقاته للصفحة العليا من العرش، زعموا أن هذه أعراض تحدث في ذاته، تعالى الله عن قولهم» اهـ.

فتبين مما أوردناه أن ابن تيمية ليس له سلفٌ إلا الكرامية ونحوهم، وليس كما يدعي أنه يتبع السلف الصالح، ومن المصيبة أن يأخذ مثل ابن تيمية بمثل هذه الفضيحة، فمذهبه خليطٌ من مذهب ابن كرَّام واليهود والمجسمة، نعوذ بالله من ذلك.

وقد أجاب الإمام الحجة الأسفراييني في دحض هذه الفرية بقوله[1]: «هو أن تعلم أن الحوادث لا يجوز حلولها في ذاته وصفاته لأن ما كان محلًّا للحوادث لم يخل منها، وإذا لم يخل منها كان محدَثًا مثلها، ولهذا قال الخليل عليه الصلاة والسلام: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة الأنعام] بيَّن به أن من حلَّ به من المعاني ما يغيره من حالٍ إلى حالٍ كان محدَثًا لا يصح أن يكون إلـهًا» اهـ.

فيكون بهذا ما توسع به ابن تيمية في كتبه من تجويز قيام الحوادث به تعالى وحلولها فيه خارجًا عن معتقد أهل السنة والجماعة، أهل الحق.

فائدة: قال سيف الدين الآمدي في كتاب غاية المرام[2] في علم الكلام ما نصه: «فالرأي الحق والسبيل الصدق والأقرب إلى التحقيق أن يقال: لو جاز قيام الحوادث به لم يخل عند اتصافه بها إما أن توجب له نقصًا أو كمالًا أو لا نقص ولا كمال، لا جائزٌ أن يقال بكونها غيرَ موجبة للكمال ولا النقصان فإن وجود الشيء بالنسبة إلى نفسه أشرف له من عدمه، فما اتصف بوجود الشيء له وهو مما لا يوجب فوات الموصوف ولا فوات كمال له، وبالجملة لا يوجب له نقصًا فلا محالة أن اتصافه بوجود ذلك الوصف له أولى من اتصافه بعدمه لضرورة كون العدم في

---

(١) التبصير في الدين (ص/ ٩٧ - ٩٨).

(٢) غاية المرام في علم الكلام (ص/ ١٩١ - ١٩٢).

نفسه مشروفًا بالنسبة إلى مقابله من الوجود، والوجود أشرف منه، وما اتصف بأشرف الأمرين من غير أن يوجب له في ذاته نقصًا تكون نسبة الوجود إليه مما يرجع إلى النقص والكمال على نحو نسبة مقابله من العدم، ولا محالة من كانت نسبته إلى ذلك وجود ذلك الوصف أشرف منه بالنسبة إلى عدمه، ولا جائز أن يقال: إنها موجبة لكماله، وإلا لوجب قدمها لضرورة أن لا يكون البارئ ناقصًا محتاجًا إلى ناحية كمال في حال عدمها، فبقي أن يكون اتصافه بها مما يوجب القول بنقصه بالنسبة إلى حاله قبل أن يتصف بها، وبالنسبة إلى ما لم يتصف بها من الموجودات، ومحال أن يكون الخالق مشروفًا أو ناقصًا بالنسبة إلى المخلوق، ولا من جهة ما كما مضى» اهـ.

وننقل أيضًا ما ذكره مولانا العبدري في نفس الكتاب ما نصه[1]:

قول ابن تيمية بالانتقال والحركة والنزول في حق الله تعالى

أما قوله -أي قول ابن تيمية- بنسبة الحركة في حق الله تعالى فقد ذكر في كتابه المنهاج ما نصه[2]: «فإنا نقول إنه يتحرك وتقوم به الحوادث والأعراض فما الدليل على بطلان قولنا؟» اهـ.

وقال في الموافقة ناقلًا كلام الدارمي المجسم ما نصه[3]: «لأن الحي القيوم يفعل ما يشاء ويتحرك إذا شاء ويهبط ويرتفع إذا شاء ويقبض ويبسط ويقوم ويجلس إذا شاء، لأن أمارة ما بين الحي والميت التحرك، كل حي متحرك لا محالة، وكل ميت غير متحرك لا محالة» اهـ.

وقال فيه أيضًا ما نصه[4]: «وأئمة السنة والحديث على إثبات النوعين وهو الذي

---

(١) المقالات السنية (١١٤-١٢٣).

(٢) انظر الكتاب (١/ ٢١٠).

(٣) انظر الكتاب (٢/ ٢٦).

(٤) انظر الموافقة (٢/ ٤ - ٥).

ذكره عنهم من نقل مذهبهم كحرب الكرماني وعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهما، بل صرح هؤلاء بلفظ الحركة وأن ذلك هو مذهب أئمة السنة والحديث من المتقدمين والمتأخرين، وذكر حرب الكرماني أنه قول من لقيه من أئمة السنة كأحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور، وقال عثمان بن سعيد وغيره: إن الحركة من لوازم الحياة فكل حي متحرك، وجعلوا نفي هذا من أقوال الجهمية نفاة الصفات» اهـ.

أما قوله بالنزول في حق الله تعالى فقد ذكره في كتابه شرح حديث النزول فقال ما نصه[1]: «لكن هذا النور والبركة والرحمة التي في القلوب هي من ءاثار ما وصف به نفسه من نزوله بذاته سبحانه وتعالى كما وصف نفسه بالنزول عشية عرفة في عدة أحاديث صحيحة» اهـ. وقال في كتابه المنهاج ما نصه[2]: «ثم إن جمهور أهل السنة يقولون: إنه ينزل ولا يخلو منه العرش كما نقل مثل ذلك عن إسحق بن راهويه وحماد بن زيد وغيرهما، ونقلوه عن أحمد بن حنبل في رسالته» اهـ.

وقال في كتابه شرح حديث النزول وكتابه الفتاوى ما نصه[3]: «والقول الثالث وهو الصواب وهو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها: أنه لا يزال فوق العرش ولا يخلو العرش منه مع دنوه ونزوله إلى السماء الدنيا، ولا يكون العرش فوقه» اهـ.

وقال في كتابه شرح حديث النزول أيضًا[4]: «وحينئذٍ فإذا قال السلف والأئمة كحماد بن زيد وإسحق بن راهويه وغيرهما من أئمة أهل السنة إنه ينزل ولا يخلو منه العرش لم يجز أن يقال: إن ذلك ممتنع» اهـ. ثم قال ما نصه[5]: «وأصل هذا أن قربه سبحانه ودنوه من بعض مخلوقاته لا يستلزم أن تخلو ذاته من فوق العرش بل

(١) شرح حديث النزول (ص/ ٣٨).
(٢) انظر الكتاب (١/ ٢٦٢).
(٣) شرح حديث النزول (ص/ ٦٦)، مجموع فتاوى (٥/ ١٣١ و٤١٥).
(٤) انظر الكتاب (ص/ ٩٩).
(٥) انظر الكتاب (ص/ ٩٩).

هو فوق العرش ويقرب من خلقه كيف شاء، كما قال ذلك من قاله من السلف» اهـ.

فليُنظر إلى هذه الأقوال من ابن تيمية وما ذلك منه إلا تمويه فهو ينسب الرأي الذي يعجبه إلى أئمة أهل الحديث أو السلف وهم بريئون من ذلك، ولن يستطيع أن يثبت ذلك عن أحد من أئمة الحديث إلا أن يكون من المجسمة المنتسبة إلى الحديث كأمثال الذي قال: ألزموني ما شئتم غير اللحية والعورة.

وليُعلم أن نفي الحركة والسكون عن الله هو ما أطبق عليه علماء أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية لا يعلم في ذلك خلاف بل هو معنى قول الإمام الحافظ السلفي أبي جعفر الطحاوي في عقيدته: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر» أليس من معاني البشر الحركة والسكون والجلوس، أليس تضمن تأويل الإمام أحمد بن حنبل قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الفجر] «جاءت قدرته» نفي الحركة والسكون عن الله والتحيز في العرش، فلو كان يعتقد المجيء على ظاهره لما أوَّل بل ترك اللفظ على ما هو عليه كما هو معتقد المشبهة، فإن لم تكن الحركة والسكون من معاني البشر فما هي معاني البشر، فإن الله جعل بعض العالم ساكنًا كالسموات السبع والعرش وجعل بعض العالم متحركًا دائمًا وهي النجوم، وجعل بعض العالم متحركًا تارة وساكنًا تارة كالملائكة والإنس والجن والدَّوَاب؛ فكيف يصح أن يوصف الخالق بأحدهما، فلو كان متصفًا بأحدهما لكان له أمثال كثير وذلك ينافي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى] فلو فهمت قول السلف في أحاديث الصفات: «أمروها كما جاءت بلا كيف» اهـ. فما معنى الكيف إلا نفي صفات الخلق عن الله ومنها الحركة والسكون.

وليس معنى قول السلف: «بلا كيف» إثبات الحركة والسكون والتنقل لله تعالى على ما توهمه بعض ظواهر الآيات والأحاديث.

ويكفي في الرد عليه ما ذكره الحافظ البيهقي في الأسماء والصفات نقلًا عن

الحافظ أبي سليمان الخطابي ما نصه[1]: «وقد زلَّ بعض شيوخ أهل الحديث ممن يُرجع إلى معرفته بالحديث والرجال، فحاد عن هذه الطريقة حين روى حديث النزول، ثم أقبل على نفسه فقال: إن قال قائل كيف ينزل ربنا إلى السماء؟ قيل له: ينزل كيف يشاء، فإن قال: هل يتحرك إذا نزل؟ فقال: إن شاء يتحرك وإن شاء لم يتحرك، وهذا خطأٌ فاحشٌ عظيمٌ، والله تعالى لا يوصف بالحركة، لأن الحركة والسكون يتعاقبان في محلٍّ واحدٍ، وإنما يجوز أن يوصف بالحركة من يجوز أن يوصف بالسكون وكلاهما من أعراض الحدَث وأوصاف المخلوقين، والله تبارك وتعالى متعالٍ عنهما ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى]. فلو جرى هذا الشيخ على طريقة السلف الصالح ولم يُدخل نفسه فيما لا يعنيه لم يكن يخرج به القول إلى مثل هذا الخطإ الفاحش» اهـ.

وقال[2] في قوله تعالى: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة النحل] ما نصه: «لم يُرد به إتيانًا من حيث النقلة» اهـ. وقال[3] في حديث النزول ما نصه: «إنه ليس حركة ولا نُقلة، تعالى الله عن صفات المخلوقين» اهـ.

وقال الحافظ البيهقي في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الفجر] ما نصه[4]: «والمجيء والنزول صفتان منفيتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال، بل هما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيه، جلَّ الله تعالى عما يقول المعطلة لصفاته والمشبهة بها علوًّا كبيرًا» اهـ.

قال القرطبي في تفسير سورة آل عمران عند قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ بعد ذكره حديث النزول وما قيل فيه ما نصه[5]: «وأولى ما قيل

---

(١) الأسماء والصفات (ص/ ٤٥٤ – ٤٥٥).

(٢) المصدر نفسه، (ص/ ٤٤٩).

(٣) المصدر نفسه، (ص/ ٤٤٩).

(٤) المصدر نفسه، (ص/ ٤٥٦).

(٥) تفسير القرطبي (٤/ ٣٩).

فيه ما جاء في كتاب النسائي مفسرًا عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديًا فيقول هل من داع يستجاب له، هل من مستغفر يغفر له، هل من سائل يعطى**». صححه أبو محمد عبد الحق، وهو يرفع الإشكال ويوضح كل احتمال، وأن الأول من باب حذف المضاف، أي ينزل ملك ربنا فيقول، وقد روى «يُنْزل» بضم الياء وهو يبين ما ذكرنا» اهـ. وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ما نصه[1]: «استدل به من أثبت الجهة وقال هي جهة العلو، وأنكر ذلك الجمهور لأن القول بذلك يُفضي إلى التحيّز، تعالى الله عن ذلك، وقد اختلف في معنى النزول على أقوال» اهـ. وأفاض في ذكرهما، ثم قال: «وقد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول أي ينزل ملكًا، ويقويه ما رواه النسائي من طريق الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما بلفظ: «**إن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل ثم يأمر مناديًا يقول: هل من داع فيستجاب له**» الحديث. وفي حديث عثمان بن أبي العاص: «**ينادي مناد هل من داع يستجاب له**» الحديث، قال القرطبي: وبهذا يرتفع الإشكال» اهـ.

قلت: وحديث عثمان بن أبي العاص أخرجه أحمد[2] في مسنده بلفظ: «**يُنادي منادٍ كل ليلة: هل من داع فيستجاب له، هل من سائل فيُعطى، هل من مستغفر فيُغفر له، حتى ينفجر الفجر**»، وأخرجه الطبراني[3] عنه بلفظ: «**تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي منادٍ: هل من داع فيُستجاب له، هل من سائل فيُعطى، هل من مكروب فيُفرج عنه**»، الحديث، قال الحافظ الهيثمي[4] عقبه: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».

---

(١) فتح الباري (٣/ ٣٠).

(٢) مسند أحمد (٤/ ٢٢).

(٣) المعجم الكبير (٩/ ٥١).

(٤) مجمع الزوائد (١٠/ ١٥٣).

ونقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري قول البيضاوي ونصه[1]: «وقال البيضاوي: ولما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزهٌ عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضعٍ إلى موضعٍ أخفض منه» اهـ. وقال البيهقي في مناقب أحمد[2]: «أنبأنا الحاكم قال حدثنا أبو عمرو بن السماك قال: حدثنا حنبل بن إسحق قال: سمعت عمي أبا عبد الله يعني أحمد يقول: احتجوا عليّ يومئذ -يعني يوم نوظر في دار أمير المؤمنين- فقالوا تجيء سورة البقرة يوم القيامة وتجيء سورة تبارك فقلت لهم: إنما هو الثواب، قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الفجر] إنما يأتي قدرته، وإنما القرءان أمثالٌ ومواعظ.

قال البيهقي: وفيه دليلٌ على أنه كان لا يعتقد في المجيء الذي ورد به الكتاب والنزول الذي وردت به السُّنّة انتقالًا من مكانٍ إلى مكانٍ كمجيء ذوات الأجسام ونزولها، وإنما هو عبارةٌ عن ظهور ءايات قدرته فإنهم لما زعموا أن القرءان لو كان كلام الله وصفةً من صفات ذاته لم يجز عليه المجيء والإتيان، فأجابهم أبو عبد الله بأنه إنما يجيء ثواب قراءته التي يريد إظهارها يومئذٍ فعبر عن إظهاره إياها بمجيئه» اهـ.

ونقل الحافظ ابن الجوزي الحنبلي في تفسيره زاد المسير[3] عن الإمام أحمد أنه فسّر قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة النحل] بمجيء أمره والقرءان يفسر بعضه بعضًا.

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الأعراف] فيه دليلٌ على صحة رواية النسائي[4]: «**إنّ الله عز وجلَّ يمهلُ حتى يمضيَ شطرُ الليلِ الأول ثم يأمر مناديًا..**». فكما أن الله

---

(١) فتح الباري (٣/ ٣١).

(٢) نقله عنه ابن كثير في تاريخه (١٠/ ٣٢٧).

(٣) زاد المسير (١/ ٢٢٥).

(٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرى: عمل اليوم والليلة: باب الوقت الذي يستحب فيه الاستغفار.

تعالى نسب نداءَ المَلكِ لآدمَ وحواءَ إلى نفسه لكونه بأمره، فكذلك صح إسنادُ نزولِ الملك إلى السماء الدنيا ليبلّغَ عن الله: «هل من داع فيستجيبَ الله له، وهل من سائل فيُعطى، وهل من مستغفر فيغفرَ له» إلى الله. وفي الآية أيضًا دليلٌ على أن نداء الملك لبعض خلقِ الله بأمر الله يُسند إلى الله من غير أن يكون هناك صوتٌ يخرج من الله، فمن هنا يؤخذ ردُّ اعتراض بعض المجسمة رواية النسائي لحديث النزول حيث إنه قال إن هذه الرواية تستلزم حصول قول من الملك: هل من مستغفر فأغفرَ له وهل من داع فأستجيبَ له. فنقول كما أن الله جعل نداء الملك لآدم وحواء بأن الله يقول لكما: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الأعراف]، كذلك يُحمل حديث النزول على الرواية المشهورة على أن الله يأمرُ الملكَ بالنزول إلى السماء الدنيا ويبلغ عن الله بأن يقول: إن الله يقول لعباده الداعين والسائلين: من يدعوني فأستجيبَ له ومن يسألني فأعطيَه إلى ءاخر ما ورد فيه، وليس المعنى أن الملك يقول عن نفسه من يستغفرني فأغفرَ له ومن يدعوني فأستجيبَ له ومن يسألني فأعطيه. ونظيرُ هذا ما جاء في القرءان من قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [سورة القيامة]، فقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ [سورة القيامة] معناه فإذا قرأه جبريل عليك بأمرنا، ومعلومٌ أنه ليس المعنى أن الله يقرأ القرءان على رسول الله كما يقرأ المعلمُ على التلميذِ، فبهذا ينحلّ الإشكال الذي يخطر لبعض الناس.

ويلزم من التمسّك بظاهر رواية البخاري ومالكٍ وغيرهما[1] لحديث النزول المشهور أن يكون الله فيما بين النصف الثاني من الليل والفجر مستمرّا في النزول والصعود إن حملوا النزول بالنسبة لكل أرض، وذلك أن الليل يختلف باختلاف البلاد فنصف الليل في بلد هو أول النهار في بلد ءاخر وقد يكون في أرض أول الليل

(١) أخرجه مالك في الموطإ: كتاب القرءان: باب ما جاء في الدعاء، والبخاري في صحيحه: كتاب التهجد: باب الدعاء والصلاة من ءاخر الليل، ومسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها: باب الترغيب في الدعاء والذكر في ءاخر الليل والإجابة فيه.

أو أقل أو أكثر، وإن حملوا النزول على أرضٍ واحدةٍ فيما بين انتصاف ليلها وفجرها فبأي حجة خصصوا النزول بأرضٍ واحدةٍ، والحديث ليس فيه بأرض كذا.

قال بدر الدين بن جماعة في كتابه إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل ما نصه[1]: «اعلم أن النزول الذي هو الانتقال من علوٍّ إلى سفلٍ لا يجوز حمل الحديث عليه لوجوه.

الأول: النزول من صفات الأجسام والمحدثات ويحتاج إلى ثلاثة: منتقل، ومنتقل عنه، ومنتقل إليه، وذلك على الله تعالى محال.

الثاني: لو كان النزول لذاته حقيقة لتجددت له في كل يومٍ وليلةٍ حركاتٌ عديدةٌ تستوعب الليل كله، وتنقلاتٌ كثيرةٌ، لأن ثلث الليل يتجدد على أهل الأرض مع اللحظات شيئًا فشيئًا، فيلزم انتقاله في السماء الدنيا ليلًا ونهارًا من قومٍ إلى قومٍ، وعوده إلى العرش في كل لحظةٍ على قولهم، ونزولُه فيها إلى سماء الدنيا، ولا يقول ذلك ذو لبٍّ وتحصيلٍ.

الثالث: أن القائل بأنه فوق العرش، وأنه ملأه كيف تسعه سماء الدنيا، وهي بالنسبة إلى العرش كحلقةٍ في فلاة، فيلزم عليه أحد أمرين، إما اتساع سماء الدنيا كل ساعةٍ حتى تسعه، أو تضاؤل الذات المقدس عن ذلك حتى تسعه، ونحن نقطع بانتفاء الأمرين» اهـ.

وقال الحافظ البيهقي في السنن الكبرى[2] ما نصه: «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: سمعت أبا محمَّد أحمد بن عبد الله المزني يقول: حديث النزول قد ثبت عن رسول الله ﷺ من وجوه صحيحة وورد في التنزيل ما يصدقه وهو قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الفجر] والنزول والمجيء صفتان منفيتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حالٍ إلى حالٍ، بل هما صفتان

(١) انظر الكتاب (ص/ ١٦٤).

(٢) انظر السنن الكبرى (٣/ ٣).

من صفات الله تعالى بلا تشبيهٍ جلّ الله تعالى عما تقول المعطّلة لصفاته والمشبّهة بها علوًّا كبيرًا. قلت: وكان أبو سليمان الخطابي رحمه الله يقول: إنما ينكر هذا وما أشبهه من الحديث من يقيس الأمور في ذلك بما يشاهده من النزول الذي هو تدلٍ من أعلى إلى أسفل وانتقال من فوق إلى تحت وهذه صفة الأجسام والأشباح، فأما نزول من لا تستولي عليه صفات الأجسام فإن هذه المعاني غير متوهمةٍ فيه، وإنما هو خبرٌ عن قدرته ورأفته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم، يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على أفعاله كمية سبحانه ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير» اهـ.

فليعلم الجاهلُ الذي لا تمييز له أنه حاد عن الحق الذي اتفق عليه السلف والخلف، فإن من أوّل من السلف والخلف تأويلًا إجماليًّا قال في حديث النزول وحديث الجارية وشبههما، وفي ءاية الاستواءِ على العرش والمجيء المذكور في قول الله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [سورة الفجر] وشبههما من الآيات: «بلا كيف»، ومرادُهم أن ذلك على غير صفةٍ من صفات الخلق أي ليس النزول كالنزول الحسي ولا الاستواء بمعنى الجلوس والاستقرار، ولا المجيء بالانتقال والحركة وما هو من صفات المخلوق، فمعنى قولهم بلا كيف أن لهذه النصوص معانٍ ليس فيها تشبيهٌ لصفات الله بصفات الخلق.

وأمّا الذين أوّلوا التأويل التفصيلي كالذين أوّلوا المجيء بمجيء القدرة أي ءاثار قدرة الله، والنزول بنزولِ الملكِ أو نزولِ الرحمة وما أشبه ذلك كتأويل الإمام سفيان الثوري والإمام البخاري وجهَ الله المذكور في قوله تعالى:﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴿٨٨﴾ ﴾ [سورة القصص] بما أريد به وجه الله وبمُلك الله، فلم يصفوا الله تعالى بصفات المخلوقين، فكِلا الفريقين لم يتمسك بظواهر تلك الآيات وتلك الأحاديث، فكل متفقون على تنزيه الله عن صفات المخلوقين وعلى أن تلك الآيات والأحاديث ليس معانيها المعاني المعهودة من الخلق، فلا أحد من الفريقين يعتقد في حديث النزول أن الله تعالى ينزل نزولًا حسيًّا كنزول الملائكة والبشر، ولا أحد

منهم يعتقد أن معنى الاستواء الجلوس والاستقرار على العرش أو الكون في جهة العلو من غير مماسةٍ، وذلك تمسك منهم بمعنى قوله تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُمۡ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [سورة الشورى] الذي هو تنزيهٌ كليٌّ، فتردّ تلك الآيات والأحاديث إلى هذه الآية لأنها محكمة. فنفاة التأويل الإجمالي والتفصيلي لا مهربَ لهم من الوقوع في المحال فيصيرون ضُحْكةً عند أهل التمييز والفهم الذين يوفّقونَ بين النقل والعقل.

قال تقي الدين الحصني ما نصه[1]: «وفي مواضع أغراضهم -أي ابن تيمية وأتباعه- الفاسدة يجرون الأحاديث على مقتضى العُرف والحسّ، ويقولون: ينزل بذاته وينتقل ويتحرك ويجلس على العرش بذاته، ثم يقولون: لا كما يُعقل، يغالطون بذلك من يسمع من عاميّ وسيّء الفهم، وذلك عين التناقض ومكابرةٌ للحس والعقل لأنه كلامٌ متهافِتٌ يدفع ءاخره أوله وأوله ءاخره» اهـ.

قوله بالجلوس في حقّ الله تعالى

أما قوله بالجلوس في حق الله تعالى فهو ثابتٌ عنه وإن نفاه بعض أتباعه لما استبشعوا ذلك، ذكر ذلك في كتابه منهاج السنّة النبوية[2] فقال ما نصه: «ثم إن جمهور أهل السنة يقولون إنه ينزل ولا يخلو منه العرش كما نقل ذلك عن إسحق بن راهويه وحماد بن زيد وغيرهما ونقلوه عن أحمد بن حنبل في رسالته» اهـ. وهذه فريةٌ على أهل السنّة ولا يستطيع أن يأتي بعبارةٍ لأحد منهم فهذا محضُ تقوّلٍ على الأئمة كما تقوّل في مسئلة زيارة قبور الأنبياء والأولياء للدعاء عندها رجاء الإجابة، وتعامى عما أطبق عليه السلف والخلف من قصد القبور رجاء الإجابة من الله.

---

(١) دفع شُبه من شَبه وتمرد (ص/ ٧ - ٨).

(٢) انظر المنهاج (١/ ٢٦٢).

وقال في كتابه شرح حديث النزول[1] ما نصه: «والقول الثالث وهو الصواب وهو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها أنه لا يزال فوق العرش، ولا يخلو العرش منه مع دنوه ونزوله إلى السماء الدنيا، ولا يكون العرش فوقه» اهـ.

وقال فيه أيضًا ما نصه[2]: «والذين يثبتون تقريبه العباد إلى ذاته هو القول المعروف للسلف والأئمة، وهو قول الأشعري وغيره من الكلابية، فإنهم يثبتون قرب العباد إلى ذاته، وكذلك يثبتون استواءه على العرش بذاته ونحو ذلك، ويقولون: الاستواء فعل فعله في العرش فصار مستويًا على العرش، وهذا أيضًا قول ابن عقيل وابن الزاغوني وطوائف من أصحاب أحمد وغيرهم» اهـ. وقال فيه أيضًا وفي فتاويه ما نصه[3]: «وقال أهل السنة في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه]: الاستواء من الله على عرشه المجيد على الحقيقة لا على المجاز» اهـ.

وقال أيضًا فيهما ما نصه[4]: «وإذا كان قعود الميت في قبره ليس هو مثل قعود البدن، فما جاءت به الآثار عن النبي ﷺ من لفظ القعود والجلوس في حق الله تعالى كحديث جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيرهما أولى أن لا يماثل صفات أجسام العباد» اهـ.

ويقول ابن تيمية في كتابه بيان تلبيس الجهمية ما نصه[5]: «الوجه الخامس: أن العرش في اللغة السرير بالنسبة إلى ما فوقه، وكالسقف إلى ما تحته. فإذا كان القرءان قد جعل لله عرشًا وليس هو بالنسبة إليه كالسقف عُلم أنه بالنسبة إليه كالسرير بالنسبة إلى غيره، وذلك يقتضي أنه فوق العرش» اهـ.

---

(١) انظر شرح حديث النزول (ص/ ٦٦).

(٢) شرح حديث النزول (ص/ ١٠٥).

(٣) شرح حديث النزول (ص/ ١٤٥)، مجموع فتاوى (٥/ ٥١٩).

(٤) شرح حديث النزول (ص/ ١٥١)، مجموع فتاوى (٥/ ٥٢٧).

(٥) انظر الكتاب (١/ ٥٧٦).

وقال في تفسير سورة العلق ما نصه[1]: «ومن ذلك حديث عبد الله بن خليفة المشهور الذي يروى عن عمر عن النبي ﷺ، وقد رواه أبو عبد الله محمد ابن عبد الواحد المقدسي في مختاره. وطائفة من أهل الحديث ترده لاضطرابه، كما فعل ذلك أبو بكرٍ الإسماعيلي وابن الجوزي وغيرهم، لكن أكثر أهل السنة قبلوه، وفيه قال: «إن عرشه أو كرسيه وسع السموات والأرض، وإنه يجلس عليه فما يفضل منه قدر أربعة أصابع -أو ما يفضل منه إلا قدر أربعة أصابع- وإنه ليئط به أطيط الرَّحْل الجديد براكبه» اهـ. ثم قال ما نصه[2]: «وهذا وغيره يدل على أن الصواب في روايته النفي، وأنه ذكر عظمة العرش، وأنه مع هذه العظمة فالرب مستوٍ عليه كله لا يفضل منه قدر أربعة أصابع، وهذه غاية ما يقدر به في المساحة من أعضاء الإنسان» اهـ.

فليُنظر إلى قوله: «يدل على أن الصواب في روايته النفي» أي على زعمه أن رواية النفي وهي: «لا يفضل من العرش شيء» أصح من رواية «أنه ما يفضل منه إلا أربع أصابع»[3].

ثم قال ما نصه[4]: «ومن قال: «ما يفضل إلا مقدار أربع أصابع» فما فهموا هذا المعنى، فظنوا أنه استثنى فاستثنوا فغلطوا، وإنما هو توكيد للنفي وتحقيق للنفي العام، وإلا فأي حكمة في كون العرش يبقى منه قدر أربع أصابع خالية، وتلك الأصابع أصابع من الناس، والمفهوم من هذا أصابع الإنسان، فما بال هذا القدر اليسير لم يستو الرب عليه» اهـ.

وقال في المنهاج ما نصه[5]: «وأما قوله إنه يفضل عنه من العرش من كل جانبٍ أربع أصابع فهذا لا أعرف له قائلًا ولا ناقلًا، ولكن روي في حديث عبد الله بن

(١) مجموعة تفسير (ص/ ٣٥٤ - ٣٥٥).
(٢) المصدر نفسه، (ص/ ٣٥٨).
(٣) المصدر نفسه، (ص/ ٣٥٦ - ٣٥٧).
(٤) المصدر نفسه، (ص/ ٣٥٩).
(٥) انظر المنهاج (١/ ٢٦٠ - ٢٦١).

خليفة أنه ما يفضل من العرش أربع أصابع يروى بالنفي ويروى بالإثبات، والحديث قد طعن فيه غير واحدٍ من المحدثين كالإسماعيلي وابن الجوزي، ومن الناس من ذكر له شواهد وقوَّاه، ولفظ النفي لا يَرِدُ عليه شيءٌ فإن مثل هذا اللفظ يَرِدُ لعموم النفي كقول النبي ﷺ: «**ما في السماء موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك قائم أو قاعد أو راكع أو ساجد**» أي ما فيها موضع، ومنه قول العرب: «ما في السماء قدر كفٍّ سحابًا». وذلك لأن الكف يقدر به الممسوحات كما يقدر بالذّراع، وأصغر الممسوحات التي يقدر بها الإنسان من أعضائه كف فصار هذا مثلًا لأقل شيء. فإذا قيل: إنه ما يفضل من العرش أربع أصابع كان المعنى ما يفضل منه شيء، والمقصود بيان أنه أعظم وأكبر من العرش، ومن المعلوم أن الحديث إن لم يكن النبي ﷺ قاله فليس علينا شيء، وإن كان قاله فلم يجمع بين النفي والإثبات، فإن كان قاله بالنفي لم يكن قاله بالإثبات، والذين قالوه بالإثبات ذكروا فيه ما يناسب أصولهم كما بسط في غير هذا الموضع، فهذا وأمثاله سواء كان حقًّا أو باطلًا لا يقدح في مذهب أهل السنة ولا يضرهم» اهـ.

فليُنظر إلى قوله: «ولفظ النفي لا يَرِدُ عليه شيء» كيف يجيز نسبة هذا إلى النبي ﷺ وهو كلامٌ صريحٌ في التجسيم، وانظر أيضًا إلى تجويزه أن يكون الرسول ﷺ قال: «**يفضل عنه أربع أصابع**» الذي هو أقبح من لفظ النفي وإن كان كلا اللفظين يقتضي إثبات المساحة والمقدار لذات الله، وقد قام الدليل العقلي القطعي على استحالة ذلك على الله لأنه يلزم عليه أن يجوز على الله ما يجوز على سائر الأجرام كالشمس من الفناء والتغير، وأن يكون مستدير الشكل أو مربعه أو مثلَّثه إلى غير ذلك، وهل عرفنا عقلًا أنّ الشمس محدَثةٌ إلا بالشكل ونحوه، فلو كان الله كذلك كما هو مقتضى كلامه هذا لجازت الألوهية للشمس عقلًا، ومحال أن تثبت الألوهية لغير الله تعالى، فما أدَّى إلى المحال العقلي وهو الكون ذا مقدار وشكل محال، فثبت المطلوب وهو تنزه الله تعالى عن المقدار والمساحة والشكل.

ويقول في الفتوى الحموية بعد كلام ما نصه[1]: «وذلك أن الله معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة» اهـ.

وأما عبارته في فتاويه فإنها صريحة في إثباته الجلوس لله فقال فيه ما نصه[2]: «فقد حدّث العلماء المرضيّون وأولياؤه المقربون أن محمدًا رسول الله ﷺ يجلسه ربه على العرش معه» اهـ.

وقد نقل عنه هذه العقيدة أبو حيّان الأندلسيُّ النحويُّ المفسّر المقرئ في تفسيره المسمى بالنهر قال: «وقرأت في كتاب لأحمد بن تيمية هذا الذي عاصرنا وهو بخطه سماه كتاب العرش: إن الله يجلس على الكرسي وقد أخلى منه مكانًا يُقعد معه فيه رسول الله ﷺ، تحيَّلَ عليه التاج محمد بن على بن عبد الحق البارنباري، وكان أظهر أنه داعيةٌ له حتى أخذه منه وقرأنا ذلك فيه»[3] اهـ.

ونقل أبي حيان هذا كان قد حذف من النسخة المطبوعة القديمة، ولكن النسخة الخطية تثبته. وسبب حذفه من النسخة المطبوعة ما قاله الزاهد الكوثري في تعليقه على السيف[4]، قال: «وقد أخبرني مصحح طبعه بمطبعة السعادة أنه استفظعها جدًّا فحذفها عند الطبع لئلا يستغلها أعداء الدين، ورجاني أن أسجل ذلك هنا استدراكًا لما كان منه ونصيحة للمسلمين» اهـ.

فلينظر العقلاء إلى تخبّط ابن تيمية حيث يقول مرةً إنه جالسٌ على العرش، ومرةً إنه جالسٌ على الكرسي، وقد ثبت في الحديث أن الكرسي بالنسبة للعرش كحلقة في أرض فلاة فكيف ساغ لعقله.

---

(١) رسالة الفتوى الحموية الكبرى (ص/ ٧٩).

(٢) انظر فتاويه (٤/ ٣٧٤).

(٣) انظر النهر الماد، تفسير ءاية الكرسي.

(٤) انظر السيف الصقيل (ص/ ٨٥).

والأعجب من ذلك نقله قول عثمان الدارمي[1] المجسم عن الله سبحانه وتعالى: «ولو قد شاء لاستقر على ظهر بعوضةٍ فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيته، فكيف على عرش عظيمٍ أكبر من السموات والأرض» اهـ. نعوذ بالله من مقت القلوب. ويبطل قوله هذا كلام الإمام على بن الحسين زين العابدين: «سبحانك لا تُحَسُّ ولا تُمسُّ ولا تُجسّ»[2].

ويبطله أيضًا قول الإمام الحجة أبي المظفر الإسفراييني في رده على شُبه الكرامية ونصه[3]: «ولما ورد عليهم هذا الإلزام تحيروا فقال قوم منهم: إنه أكبر من العرش، وقال قوم إنه مثل العرش، وارتكب ابن المهاجر منهم قوله: إن عرضه عرض العرش، وهذه الأقوال كلها متضمنة لإثبات النهاية، وذلك عَلَمُ الحدوث لا يجوز أن يوصف به صانع العالم» اهـ.

ونقل ابن تيمية وأمثاله لا ينفع في العقائد لأنه لا يحتج في إثبات صفة لله إلا بنص الكتاب والسنة المتفق على صحتها السالم رواتها عن الضعيف، فلا يحتج في ذلك بالحديث إذا كان في رواته من هو مختلف فيه، فلا تثبت صفة بقول صحابي ولو صح الإسناد إليه، وما يروى عن التابعي أولى بعدم الاحتجاج به.

وقد ناقض ابن تيمية نفسه فيذكر في منهاجه عن حديث المهدي ما نصه[4]: «الثاني: أن هذا من أخبار الآحاد، فكيف يثبت به أصل الدين الذي لا يصح الإيمان إلا به» اهـ، ثم إنه احتج بالمختلف في إسناده بل والموضوع، إضافة إلى احتجاجه بأقوال السجزي وعثمان الدارمي لإثبات بزعمه التجسيم ونسبة الحدّ والحركة والجلوس في حق الله سبحانه وتعالى، أليس هذا تلونًا؟!!. وقد ثبت أنه كان يعتمد

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٥٦٨).

(٢) انظر إتحاف السادة المتّقين لمرتضى الزبيدي (٤/ ٣٨٠).

(٣) التبصير في الدين (ص/ ٦٦).

(٤) انظر الكتاب (٢/ ١٣٣).

كتبهما كما ذكر تلميذه ابن القيم في كتابه المسمى اجتماع الجيوش الإسلامية ونصه[1]: «كتابا الدارمي -أي النقض على بشر المريسي والرد على الجهمية- من أجلّ الكتب المصنفة في السنة وأنفعها»، ثم قال: «وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يوصي بهما أشد الوصية ويعظمهما جدًّا» اهـ. وكيف لا يعظمهما وهما مرجعه في التجسيم والتشبيه.

وأما ما هو مذكور في نسخ الإبانة الموجودة اليوم مع نسبتها إلى أبي الحسن الأشعري من هذه العبارة وهذه هي بحروفها: «ومن دعاء أهل الإسلام جميعًا إذا هم رغبوا إلى الله تعالى بالأمر النازل بهم يقولون: يا ساكن العرش، ومن حلفهم جميعًا قولهم: لا والذي احتجب بسبع سموات»، فهو كذبٌ ظاهرٌ تعمّد مفتريه على الأشعري نسبة ذلك إليه، لأن الواقع يكذب ذلك فإن هاتين العبارتين لم ينقلا عن إمامٍ ولا عن عالمٍ أنه قال ذلك في دعائه أو في حلفه بل ولا عن عوام المسلمين.

فما أوقح هذا الذي نسب إليه هذا الكلام فإنه لا يستحي من الله ولا من المسلمين، فهذا الكتاب لا يجوز الاعتماد عليه لأن كل نسخة فيها هذا الكلام وما أشبهه فهي مدسوسة على الإمام أبي الحسن، والإمام أبو الحسن من أشهر من عُلم بنفي التحيّز عن الله، وقد صرّح بمنع قول إن الله بمكان كذا، وإن الله بمكان واحد أو في جميع الأمكنة، وهذا الذي توارد عليه أصحابنا الذين تلقوا عنه عقيدة أهل السُّنّة والذين تلقّوا عنهم وهلم جرّا.

قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه في كتابه الوصية ما نصه: «نقرُّ بأن الله على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة إليه واستقرار عليه، وهو الحافظ للعرش وغير العرش من غير احتياج، فلو كان محتاجًا لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوق، ولو كان محتاجًا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله

(١) انظر الكتاب (ص/ ٨٨).

تعالى، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا»[1] اهـ.

(١) المقالات السنية (ص١٥٩-١٦٩).

قاعدة عظيمة النفع في تنزيه الله تعالى

نقل الحافظ البيهقي في كتاب الأسماء والصفات[1] عن الإمام أبي سليمان الخطابي أنه قال: «إن الذي علينا وعلى كل مسلمٍ أن يعلمه أن ربنا ليس بذي صورةٍ ولا هيئةٍ، فإن الصورة تقتضي الكيفية، والكيفية منفيةٌ عن الله وعن صفاته» اهـ.

وفيه أيضًا عن أبي الحسن على بن محمّد الطبري وجماعة ءاخرين من أهل النظر ما نصه[2]: «والقديم سبحانه عال على عرشه لا قاعد ولا قائم ولا مماس ولا مباين عن العرش يريد به مباينة الذات التي هي بمعنى الاعتزال أو التباعد، لأن المماسة والمباينة التي هي ضدها والقيام والقعود من صفات الأجسام، والله عز وجل أحدٌ صمدٌ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، فلا يجوز عليه ما يجوز على الأجسام تبارك وتعالى.

وحكى الأستاذ أبو بكر بن فورك هذه الطريقة عن بعض أصحابنا أنه قال: استوى بمعنى علا، ثم قال: ولا يريد بذلك علوًّا بالمسافة والتحيُّز والكون في مكان متمكنًا فيه ولكن يريد معنى قول الله عز وجل: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الملك] أي من فوقها على معنى نفي الحد عنه، وأنه ليس مما يحويه طبق أو يحيط به قُطْرٌ، قلت: وهو على هذه الطريقة من صفات الذات، وكلمة ثم تعلقت بالمستَوَى عليه لا بالاستواء، وهو كقوله: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة يونس] يعني ثم يكون عملهم فيشهده، وقد أشار أبو الحسن بن إسماعيل إلى هذه الطريقة حكاية فقال: وقال بعض أصحابنا إنه صفةُ ذاتٍ ولا يقال لم يزل مستويًا على عرشه، كما أن العلم بأن الأشياء قد حدثت من صفات الذات، ولا يقال لم يزل عالمًا بأن قد حدثت ولما حدثت بعد، قال: وجوابي هو الأول وهو أن الله مستوٍ على عرشه وأنه فوق الأشياء بائن منها بمعنى

---

(١) الأسماء والصفات (ص/ ٢٩٦).

(٢) المصدر نفسه، (ص/ ٤١٠ - ٤١١).

أنه لا تحله ولا يحلها ولا يمسها ولا يشبهها، وليست البينونة بالعزلة تعالى الله ربنا عن الحلول والمماسة علوًّا كبيرًا» انتهى كلام البيهقي بنصه.

ثم قال عقبه ما نصه[1]: «وفيما كتب إليَّ الأستاذ أبو منصور بن أبي أيوب أن كثيرًا من متأخري أصحابنا ذهبوا إلى أن الاستواء هو القهر والغلبة ومعناه أن الرحمٰن غلب العرش وقهره، وفائدته الإخبار عن قهر مملوكاته وأنها لم تقهره، وإنما خص العرش بالذكر لأنه أعظم المملوكات تنبيه بالأعلى على الأدنى» انتهى كلامه.

وحاصله كما لا يخفى أن فوقية الله على عرشه فوقية القهر والعظمة.

وما روي عن ابن عباس أنه فسَّر الاستواء بالاستقرار فهو من رواية السّدي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح قال البيهقي[2]: «رواية منكرة»، وهذا السند يسمى سلسلة الكذب، فوجب الحذر من كتاب «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس» فإنه كذب عليه.

وينبغي أن يُتَنَبَّهَ لمراد من قال من الأئمة: إنه بائن من الأشياء، ومن قال منهم: إنه تعالى غير مباين فإنه ليس خلافًا حقيقيًّا بل مراد من قال: «بائنٌ» أنه لا يشبهها ولا يماسها، ومراد من قال: «ليس مباينًا» نفي المباينة الحسيَّة المسافية، فمن نقل كلام من قال منهم «إنه بائن» وحمله على المباينة المسافية والمحاذاة كابن تيمية فقد باين الصواب وقَوَّلَ أئمة الحق ما لم يقولوه، فحذار حذار ممن يحمل كلامهم على غير محمله.

وقال الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله[3]: «ثم القول بالكون على العرش -وهو موضع بمعنى كونه بذاته أو في كل الأمكنة- لا يعدو من إحاطة ذلك به أو الاستواء به أو مجاوزته عنه وإحاطته به، فإن كان الأوّل فهو إذًا محدودٌ محاطٌ

---

(١) الأسماء والصفات (ص/ ٤١٢).

(٢) المصدر نفسه (ص/ ٤١٣).

(٣) كتاب التوحيد (ص/ ٧٠).

منقوصٌ عن الخلق إذ هو دونه. ولو جاز الوصف له بذاته بما يحيط به من الأمكنة لجاز بما يحيط به من الأوقات فيصير متناهيًا بذاته مقصرًا عن خلقه.

وإن كان على الوجه الثاني فلو زيد على الخلق لا ينقص أيضًا وفيه ما في الأول.

وإن كان على الوجه الثالث فهو الأمر المكروه الدال على الحاجة وعلى التقصير من أن ينشئ ما لا يفضل عنه مع ما يُذم ذا من فعل الملوك أن لا يفضل عنهم من المعامد شيء. وبعد فإن في ذلك تجزئة بما كان بعضه في ذي أبعاض وبعضه يفضل عن ذلك، وذلك كله وصف الخلائق والله يتعالى عن ذلك.

وبعد فإنه ليس في الارتفاع إلى ما يعلو من المكان للجلوس أو القيام شرف ولا علو ولا وصف بالعظمة والكبرياء، كمن يعلو السطوح أو الجبال إنه لا يستحق الرفعة على من دونه عند استواء الجوهر، فلا يجوز صرف تأويل الآية إليها مع ما فيها ذكر العظمة والجلال، إذ ذكر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴿٣﴾﴾ [سورة يونس] فدلَّك على تعظيم العرش» انتهى كلام الماتريدي.

وليعلم العاقل أن الجلوس كيفما كان افتراشًا أو تربعًا أو غيرهما فهو كيفية لأنه لا يخرج عن كونه من صفات الأجسام. وهكذا التحيز في المكان كيفية من كيفيات الأجسام واللون، والمماسة لجسم من الأجسام كيفية فهي منفيّة عن الله.

ونذكر في ختام هذه المقالة نص الفقهاء الحنفيين من الفتاوى الهندية في تكفير مثبت المكان لله عزّ وجلّ قالوا[1]: «يكفر بإثبات المكان لله تعالى فلو قال: لا محل خال من الله يكفر، ولو قال: الله تعالى في السماء فإن قصد به حكاية ما جاء فيه ظاهر الأخبار لا يكفر، وإن أراد به المكان يكفر، وإن لم تكن له نية يكفر عند الأكثر وهو الأصح وعليه الفتوى، ويكفر بقوله الله تعالى جلس للإنصاف» اهـ.

---

(١) انظر الفتاوى الهندية (٢/ ٢٥٩).

٥٨- قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الجاثية]

الشرح: إن مما أجمعت عليه الأمة أن الله سبحانه وتعالى ليس جسمًا فلا يقبل الانقسام ولا التجزؤ، لأنه سبحانه قال في القرءان الكريم في ذم المشركين ﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًا ﴿١٥﴾ ﴾ والجسم هو الذي يقبل التركيب والانقسام والله تعالى ليس جسمًا وليس صفة للجسم، وقد قال الفقيه المحدث الفقيه الحنفي الشيخ عبد الغني ابن إسماعيل النابلسي: «معرفة الله عليك تفترض بأنه لا جوهر ولا عرض»، والله تعالى لو كان جسمًا لاحتاج إلى من يوجده والاحتياجية تنافي الألوهية ولو كان جسمًا لكان مخلوقًا والمخلوق لا يخلق، وأما قول الله تعالى ﴿ جَمِيعًا مِّنۡهُ ﴾ فليس معناه أنه جسم وأن العالم أجزاء منه فهذا مستحيل شرعا وعقلا ولو كان الله تعالى جسمًا وعنه تفرع العالم لكان معنى ذلك أن الشياطين والخنازير والكلاب والجرذان والفئران والنجاسات أجزاء منه، وهذا على مقتضى قول المجسمة وهو أصرح الصريح في الكفر وتقدس الله وتنزه عن هذه السخافات، ولكن معنى الآية الكريمة ﴿ جَمِيعًا مِّنۡهُ ﴾ أي أن كل الأشياء التي في هذا الكون صادرة من الله خلقًا وتكوينًا، ومعنى صادرة من الله أي وجدت بقدرته، وليس معناه انبثقت عنه ولا أنها خرجت منه ولا أنها أجزاء منه سبحانه بل هي مسخرة للإنسان أخرجها الله من العدم إلى الوجود وقضائه وقدره وخلقه وإيجاده ليس غير الله أوجدها.

وقد أجمعت الأمة على كفر من نسب إلى الله الجسمية أو الانقسام أو التجزؤ.

قال الإمام القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرءان ما نصه: «ذكر كمال قدرته وتمام نعمته على عباده، وبين أنه خلق ما خلق لمنافعهم. وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه؛ يعني أن ذلك فعله وخلقه وإحسان منه وإنعام» اهـ.

وقال الرازي في كتابه التفسير الكبير ما نصه: «فإن قيل: ما معنى (منه) في قوله: ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾؟ قلنا: معناه: أنها واقعة موقع الحال، والمعنى أنه سخر هذه الأشياء كائنة منه وحاصلة من عنده يعني أنه تعالى مكونها وموجدها بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه» اهـ.

وإن عقيدة التجسيم قد انتشرت بين الغوغاء ممن يدّعون الإسلام والإسلام منهم براء وهذه العقيدة في الأصل أخذت من اليهود وننبه إلى خطر عظيم وبلاء جسيم وحيلة دهماء تشتغل عليها المجسمة الوهابية وهي أنهم بثوا وزرعوا أبواقا لهم بين الناس باسم الأشاعرة ولا يعرفون علنًا بأنهم من الوهابية بل ربما ظنهم الناس أنهم من أئمة الأشاعرة الذين أعلنوا الحرب الشعواء على الوهابية وهذا المقصود من هذه الحيلة ليلتف حولهم الجهال باسم أنهم من مشايخ الأشاعرة ويعملون على نشر فسادهم ويركزون على عدم تكفير المجسمة وهذا إنما هو عين عمل الوهابية وشغلهم الشاغل وهو فتح الباب لهم وتمهيد الطريق أمامهم ليجلبوا الناس إليهم وليجمعوا السفهاء حولهم وبهذا العمل تقوى الوهابية وتنتشر وبعد ذلك يعم الفساد ويعظم الخطر وتنتشر البلايا لأنهم جمعوا الناس للشر والفساد وتكفير الأشاعرة والماتريدية وهؤلاء العميان موقفهم صعب يوم القيامة كيف أنهم غشوا الناس وخدعوا الأمة بقولهم «المجسم ليس كافرًا» وبقولهم «المسألة خلافيه» وبقولهم «الصحيح أن المجسم لا يكفر» وهذا فساد عظيم وهدم للدين والعقيدة.

ومن هؤلاء الذين يمهدون للوهابية في البلاد ويعملون على نشر هذا الفساد المدعو حسن قاطرجي اللبناني والمدعو فريد الباجي التونسي والمدعو سعيد فودة الأردني والمدعو على الجفري اليمني وآخر تركي وآخر مصري، فهؤلاء يتسترون باسم الأشاعرة وهنا الخطر ثم ينشرون بين الناس عدم تكفير المجسمة وبهذا يخربون ويفسدون من داخل مجتمعات الأشاعرة والماتريدية، فليتنبه لهذه الحيلة فإنهم يعملون للوهابية ما لا تقدر عليه الوهابية، فكن أخي المسلم متيقظا حذرا منتبها من هذا الغزو والهجوم على الأشاعرة والماتريدية من الداخل.

وللرد عليهم وبيان أن تكفير المجسمة إجماع والقول بعدم تكفيرهم قول ساقط لا طائل تحته ولا وزن له ولا عبرة به ننقل لك نصوص علماء المذاهب الأربعة في ذلك.

بيان أن الإجماع قائم على تكفير المجسم والجهوي

وقد نقل جمهرة من الأعلام الإجماع على تكفير المجسم والجهوي، وهذا التكفير لمثبت الجهة لله تعالى واضح، لأن معتقد الجهة لا يمكنه إلا أن يعتقد التحيز والجسمية، وإن قال غير ذلك فهو قول متناقض، وممن نقل ذلك:

قال الشيخ ابن حجر الهيتمي: «واعلم أن القرافي وغيره حكوا عن الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة رضي الله عنهم القول بكفر القائلين بالجهة والتجسيم، وهم حقيقون بذلك»[1] أي جديرون بالحكم عليهم بالكفر.

قال الشيخ ابن حجر الهيتمي: عقيدة إمام السنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه وجعل جنان المعارف متقلَّبه ومأواه وأفاض علينا وعليه من سوابغ امتنانه وبوأه الفردوس الأعلى من جنانه، موافقة لعقيدة أهل السنة والجماعة من المبالغة التامة في تنزيه الله تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوًا كبيرًا من الجهة والجسمية وغيرهما من سائر سمات النقص، بل وعن كل وصْف ليس فيه كمال مطلق، وما اشتهر بين جهلة المنسوبين إلى هذا الإمام الأعظم المجتهد من أنه قائل بشيء من الجهة أو نحوها فكذب وبُهتان وافتراء عليه، فلعن الله من نسب ذلك إليه، أو رماه بشيء من هذه المثالب التي برَّأه الله منها، وقد بين الحافظ الحجة القدوة الإمام أبو الفرج بن الجوزي من أئمة مذهبه المبرِّئين من هذه الوصمة القبيحة الشنيعة، أنَّ كل ما نسب إليه من ذلك كذب عليه وافتراء وبهتان وأن نصوصه

---

(١) المنهاج القويم للشيخ ابن حجر الهيتمي (ص/ ٢٢٤)، وشرح الفقه الأكبر لملا على القاري (ص/ ٢١٥).

صريحة في بطلان ذلك وتنزيه الله تعالى عنه فاعلم ذلك فإنه مهم.

وإياك أنْ تصغي إلى ما في كتب ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية وغيرهما ممن اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله، وكيف تجاوز هؤلاء الملحدون الحدودو وتعدوا الرسوم وخرقوا سياج الشريعة والحقيقة، فظنوا بذلك أنهم على هدى من ربهم وليسوا كذلك، بل هم على أسوأ الضلال وأقبح الخصال وأبلغ المقَّتْ والخسران وأنهى الكذب والبهتان فخذل الله متَّبِعهم وطهر الأرض من أمثالهم.

وإياك أن تغتر أيضًا بما وقع في الغُنْية لإمام العارفين وقطب الإسلام والمسلمين الأستاذ عبد القادر الجيلاني، فإنه دسَّه عليه فيها مَنْ سينتقم الله منه وإلا فهو برىء من ذلك وكيف تروج عليه هذه المسألة الواهية مع تضَّلُعه من الكتاب والسنة وفقه الشافعية والحنابلة حتى كان يفتي على المذهبين، هذا مع ما انضَّم لذلك من أن الله منّ عليه من المعارف والخوارق الظاهرة والباطنة وما أنبأ عنه ما ظهر عليه وتواتر من أحواله، ومنه ما حكاه اليافعي رحمه الله وقال: مما علمناه بالسند الصحيح المتصل أن الشيخ عبد القادر الجيلاني أكل دجاجة ثم لما لم يبق غير العظم توجه إلى الله في إحيائها فأحياها الله له وقامت تجري بين يديه كما كانت قبل ذبحها وطبخها، فمن امتنَّ الله عليه ببث هذه الكرامات الباهرة يُتصور أو يُتوهم أنه قائل بتلك القبائح! التي لا يصدر مثلها إلا عن اليهود وأمثالهم ممن استحكم فيهم الجهل بالله وصفاته وما يجب له وما يجوز وما يستحيل: ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [سورة النور].

ومما يقطع به كل عاقل أن الشيخ عبد القادر لم يكن غافلًا عما في (رسالة القشيري) وإذا لم يجهل ذلك فكيف يتوَّهم فيه هذه القبيحة الشنيعة، وفيها عن بعض رجالها أئمة القوم السالمين عن كل محذور ولوم أنه قال: كان في نفسي شيء من حديث الجهة فلما زال ذلك عني كتبتُ إلى أصحابنا إني قد أسلمت الآن، فتأمل ذلك

واعتن به لعلك توفق للحق إن شاء الله تعالى وتجري على سنن الاستقامة»[1] اهـ.

ونقل السيوطي هذا المعنى فقال: «قاعدة: قال الشافعي: لا يكفر أحد من أهل القبلة، واستثنى من ذلك المجسم، ومنكر علم الجزئيات، وقال بعضهم: المبتدعة أقسام:

الأول: ما نكفره قطعا، كقاذف عائشة رضي الله عنها، ومنكر علم الجزئيات، وحشر الأجساد، والمجسمة، والقائل بقدم العالم.

الثاني: ما لا نكفره قطعا، كالقائل بتفضيل الملائكة على الأنبياء، وعلي على أبي بكر.

الثالث والرابع: ما فيه خلاف، والأصح التكفير أو عدمه، كالقائل بخلق القرءان صحح البلقيني التكفير والأكثرون عدمه، وساب الشيخين صحح المحاملي التكفير والأكثرون عدمه»[2] اهـ.

انظر إلى قوله: «ما نكفره قطعا» ثم عد المجسمة فيهم.

ثم ها هو الأصولي أبو جعفر الطحاوي المولود سنة ٢٢٧هـ في عقيدته المشهورة والتي ارتضاها المسلمون ودرسوها في معاهدهم وجامعاتهم، والتي ذكر أنها عقيدة أهل السنة والجماعة حيث قال فيها: «تعالى (الله) عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات »[3] اهـ.

ثم أوضح أن المتحيز في الجهة مشبه لسائر المبتدعات أي المخلوقات، وفي نفس المتن يقول: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر»[4] اهـ.

---

(١) الفتاوى الحديثية (ص/ ١٤٤ – ١٤٥) الشيخ ابن حجر الهيثمي / دار الفكر، لبنان – بيروت.

(٢) الأشباه والنظائر (١/ ٤٨٨).

(٣) العقيدة الطحاوية: ٢٦.

(٤) المصدر نفسه: ٢٣.

وبالنظر إلى أنه قال في أول هذه الرسالة: إنها عقيدة أهل السنة والجماعة، ثم بين تكفير من وصف الله بصفة من صفات الخلق يتبين أنه ينقل إجماع أهل السنة على تكفير القائل بالجسمية والجهة في حق الله.

قال الحافظ البيهقي في شعب الإيمان ناقلًا عن الحليمي: «وأما البراءة من التشبيه بإثبات أنه ليس بجوهر ولا عرض، فلأن قومًا زاغوا عن الحق فوصفوا البارئ جل وعز ببعض صفات المحدثين، فمنهم من قال: إنه جوهر. ومنهم من قال: إنه جسم. ومنهم من أجاز أن يكون على العرش قاعدًا كما يكون الملك على سريره، وكل ذلك في وجوب اسم الكفر لقائله كالتعطيل والتشريك، فإذا أثبت المثبت أنه ليس كمثله شيء. وجماع ذلك أنه ليس بجوهر ولا عرض فقد انتفى التشبيه، لأنه لو كان جوهرًا أو عرضا لجاز عليه ما يجوز على سائر الجواهر والأعراض، وإذا لم يكن جوهرًا ولا عرضا لم يجز عليه ما يجوز على الجواهر من حيث إنها جواهر كالتأليف، والتجسيم وشغل الأمكنة والحركة والسكون، ولا ما يجوز على الأعراض من حيث إنها أعراض كالحدوث، وعدم البقاء»[1] اهـ.

قال القاضي أبو على المحسن بن على بن محمد التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤ للهجرة، ما نصه: «حضرت مجلس أبي محمد المهلبي، وكانت العامة ببغداد قد هاجت في أيام وزارته وعظمت الفتنة وقبض على جماعة من العيارين وحملة السكاكين وجعلهم في زوارق مطبقة وحملهم إلى بيروذ[2] وحبسهم هناك. فاستهانوا بالقصة وكثف أمرهم وكثر كلام القصاص في الجوامع ورؤساء الصوفية فخاف من تجديد الفتنة، فقبض على خلق منهم وحبسهم، وأحضر أبا السائب قاضي القضاة إذ ذاك، وجماعة من القضاة والشهود، والفقهاء وكنت فيهم لمناظرتهم، وأصحاب الشرط لنأمن مضرتهم إذا قامت الحجج عليهم.

---

(١) شعب الإيمان (١/ ١٠٤)، الأول من شعب الإيمان و هو باب في الإيمان بالله عز وجل.

(٢) بيروذ: وهي من نواحي أهواز، يراجع الأنساب (ص/ ٤٢٩).

فاتفق أن بدئ برجل من رؤساء الصوفية يعرف بأبي إسحاق بن ثابت ينزل بباب الشام أحد الربانيين عند أصحابه، فقال له: بلغني أنك تقول في دعائك: «يا واحدي بالتحقيق يا جاري اللصيق» فمن لا يعلم بأن الله لا يجوز أن يوصف بأنه لصيق على الحقيقة فهو كافر لأن الملاصقة من صفات الأجسام، ومن جعل الله جسمًا كفر، فمن يكون محله في العلم هذا يتكلم على الناس»[1] اهـ.

وقال القاضي عبد الحق بن عطية الإشبيلي: «العلي يراد به علو القدر والمنزلة لا علو المكان لأن الله منزه عن التحيز، وحكى الطبري عن قوم أنهم قالوا هو العلي عن خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه، وهذا قول جهلة مجسمين، وكان الوجه أن لا يحكى، وكذا «العظيم» هي صفة بمعنى عظم القدر والخطر لا على معنى عظم الأجرام»[2] اهـ.

ولا فرق بين الذي يقول: الله جسم، ويسكت وبين من يقول: الله جسم كالأجسام، أو الله جسم لا كالأجسام، أليس قال الله جسم؟ أليس الوصف بالجسم من صفات المخلوقات من بشر وجن وملائكة وحجر وجبل وهواء وروح وريح ونار ونور وغير ذلك؟

وقال الفخر الرازي: «بل الأقرب أن المجسمة كفار لأنهم اعتقدوا أن كل ما لا يكون متحيزًا ولا في جهة فليس بموجود، ونحن نعتقد أن كل متحيز فهو محدث وخالقه موجود ليس بمتحيز ولا في جهة، فالمجسمة نفوا ذات الشيء الذي هو الإلٰه فيلزمهم الكفر»[3] اهـ.

وقال القاضي أبو محمد عبد الوهاب البغدادي المالكي: «واعلم أن الوصف له تعالى بالاستواء إتباع للنص، وتسليم للشرع، وتصديق لما وصف نفسه تعالى به، ولا

---

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة (٢/ ١٥٣ - ١٥٤)، دار الكتب العلمية.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٣٣٦).

(٣) معالم أصول الدين (ص/ ١٣٨).

يجوز أن يثبت له كيفية، لأن الشرع لم يرد بذلك، ولا أخبر النبي عليه السلام فيه بشيء، ولا سألته الصحابة عنه، ولأن ذلك يرجع إلى التنقل والتحول وإشغال الحيز والافتقار إلى الأماكن، وذلك يؤول إلى التجسم، وإلى قدم الأجسام، وهذا كفر عند كافة أهل الإسلام، وقد أجمل مالك رحمه الله الجواب عن سؤال من سأله: الرحمٰن على العرش استوى، كيف استوى؟ فقال: الاستواء منه غير مجهول، والكيف منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، ثم أمر بإخراج السائل»[1] اهـ.

وقال ابن الملقن في شرح الجامع الصحيح: «ما ذكره في تفسير: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾[2] هو قول قتادة، وهو معروف في اللغة يقال: صنعت الفرس وصنعته إذا أحسنت القيام عليه، واستدلاله من هذه الآية والحديث على أن لله تعالى (صفة) سماها (عينا) ليست هو ولا غيره، وليست كالجوارح المعقولة بيننا، لقيام الدليل على استحالة وصفه بأنه ذو جوارح وأعضاء تعالى عن ذلك، خلافا لما تقوله المجسمة من أنه تعالى جسم لا كالأجسام، واستدلوا على ذلك بهذه، كما استدلوا بالآيات المتضمنة لمعنى الوجه، واليدين. ووصفه لنفسه بالإتيان والمجيء والهرولة في حديث الرسول، وذلك كله باطل وكفر من متأوله، لقيام الدليل على تساوي الأجسام في دلائل الحدث القائم بها واستحالة كونه من جنس المحدثات، إذ المحدث إنما كان محدثا من حيث متعلق هو متعلق بمحدث أحدثه، وجعله بالوجود أولى منه بالعدم»[3] اهـ.

وقد قال ملا على القاري في أثناء كلامه على مذهب العلماء في المتشابهات ما نصه: «بكلامه -أي النووي- وبكلام الشيخ الرباني أبي إسحاق الشيرازي وإمام

---

(١) شرح عقيدة الإمام مالك الصغير لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني للقاضي أبي محمد عبد الوهاب بن على بن نصر البغدادي المالكي (ص/ ٢٨).

(٢) سورة طه: جزء من الآية ٣٩.

(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (المجلد٣٣/ ٢٥٥ - ٢٥٦): كتاب التوحيد والرد على الجهمية، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية إدارة الشؤون الإسلامية دولة قطر.

الحرمين والغزالي وغيرهم من أئمتنا وغيرهم يعلم أن المذهبين متفقان على صرف تلك الظواهر، كالمجيء والصورة والشخص والرجل والقدم واليد والوجه والغضب والرحمة والاستواء على العرش والكون في السماء وغير ذلك مما يفهمه ظاهرها، لما يلزم عليه من محالات قطعية البطلان تستلزم أشياء يحكم بكفرها بالإجماع، فاضطر ذلك جميع الخلف والسلف إلى صرف اللفظ عن ظاهره»[1] اهـ.

وضبط هذه المسئلة الشيخ محمد بن أحمد ميارة المالكي، فقال: «وأما القسم الثاني وهو الاعتقاد، فينقسم قسمين:

مطابق في نفس الأمر: ويسمى الاعتقاد الصحيح، كاعتقاد عامة المؤمنين المقلدين.

وغير مطابق: ويسمى الاعتقاد الفاسد، والجهل المركب كاعتقاد الكافرين، فالفاسد أجمعوا على كفر صاحبه، وأنه آثم غير معذور مخلد في النار، اجتهد أو قلد، ولا يعتد بخلاف من خالف في ذلك من المبتدعة»[2] اهـ. يلخص هذا كله ما قاله الشيخ تقي الدين الحصني رحمه الله، ونصه: «الكيف من صفات الحدث، وكل ما كان من صفات الحدث فالله عز وجل منزه عنه، فإثباته له سبحانه كفر محقق عند جميع أهل السنة والجماعة»[3] اهـ.

وقال محمد مرتضى الزبيدي: «وقال السبكي في شرح عقيدة ابن الحاجب: اعلم أن حكم الجواهر والأعراض كلها الحدوث، فإذًا العالم كله حادث. وعلى هذا إجماع المسلمين بل كل الملل، ومن خالف في ذلك فهو كافر لمخالفته الإجماع القطعي، وهذا المطلب مما يكفي السمع لعدم توقفه عليه لحصول العلم بوجود

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: (٢/ ١٣٦).

(٢) الدر الثمين والمورد المعين للفقيه الشيخ محمد بن أحمد ميّارة المالكي، شرح المرشد المعين للشيخ ابن عاشر المالكي، (ص/ ٧٠).

(٣) دفع شبه من شبه وتمرد (ص/ ١٨).

الصانع بإمكان العالم وإمكانه ضروري، ثم أقام البرهان على حدوث الجوهر وأن الجوهر لا يخلو عن عرض والعرض حادث، فالجوهر لا يخلو عن الحادث وما لا يخلو عن الحادث لا يسبقه إذ لو سبقه لخلا عنه وما لا يسبق الحادث حادث، فالجوهر حادث. قال: وهو أشهر حجج أهل النظر العقلي. قال: وقد يقال على وجه أخص وأتم وهو أن كل ما سوى الواجب ممكن وكل ممكن حادث، فالعالم حادث. أما المقدمة الأولى فظاهرة، وأما الثانية فلأن الممكن يحتاج في وجوده إلى موجد، والموجد لا يمكن أن يوجد حال وجوده، وإلا لكان إيجادًا للموجد وهو محال. فيلزم أن يوجده حال لا وجوده فيكون وجوده مسبوقا بعدمه وذلك حدوثه وهو المطلوب»[1] اهـ. وقال النسفي في تفسيره المشهور عند تفسير ءاية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[2] ومن الإلحاد تسمية الله بالجسم والجوهر والعقل والعلة»[3] اهـ.

قال الشيخ محمد بن أحمد الفاسي المالكي الشهير بميارة والمتوفى سنة ١٠٧٢هـ «وخرج بوصفه بالمطابق الجزمُ غيرُ المطابق ويسمى الاعتقاد الفاسد والجهل المركب كاعتقاد الكافرين التجسيم أو التثليث أو نحو ذلك والإجماع على كفر صاحبه أيضًا، وأنه ءاثمٌ غيرُ معذور مخلدٌ في النار اجتهد أو قلّد. قال في شرح الكبرى: ولا يُعتدُّ بخلاف من خالف في ذلك من المبتدعة»[4] اهـ.

وهذه نقول عن العلماء في بيان كفر من يعتقد أن الله يسكن السماء أو يتحيَّز فوق العرش أو في غير ذلك من الأماكن، لتأكيد ما نبهنا عليه من أمر الإجماع على

---

(١) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين الجزء الثاني (ص/ ١٥٣): كتاب قواعد العقائد، دار الكتب العلمية.

(٢) سورة الأعراف: ١٨٠.

(٣) تفسير النسفي: الجزء الثاني (ص/ ٨٧).

(٤) مختصر الدر الثمين والمورد المعين (ص/ ١٩ - ٢٠) شركة دار المشاريع / بيروت - لبنان ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

هذه المسألة، وإنما خصصناها بمزيد من العناية والنقول لأن بعض الناس يتهاون فيها ما لا يتهاون في تكفير المجسم.

١- قال الإمام المجتهد أبو حنيفة رضي الله عنه في كتابه الفقه الأبسط ما نصه: «من قال لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض فقد كفر، وكذا من قال إنه على العرش، ولا أدري العرش أفي السماء أو في الأرض»[١] اهـ.

٢- ووافقه على ذلك الشيخ العزّ بن عبد السلام في كتابه حلّ الرموز فقال ما نصه: «لأن هذا القول يوهم أن للحق مكانًا، ومن توهم أن للحق مكانًا فهو مُشَبِّه» اهـ.

٣- وارتضاه الشيخ ملا على القاري الحنفي وقال ما نصه: «ولا شك أن ابن عبد السلام من أجلّ العلماء وأوثقهم، فيجب الاعتماد على نقله»[٢] اهـ.

٤- وحكى القاضي حسين عن نص الشافعي أنه قال: «وهذا منتظم من كفره مجمع عليه، ومن كفرناه من أهل القبلة، كالقائلين بخلق القرءان، وبأنه لا يعلم المعدومات قبل وجودها، ومن لا يؤمن بالقدر، وكذا من يعتقد أن الله جالس على العرش »[٣] اهـ.

٥- وقال أبو القاسم القشيري في رسالته القشيرية ما نصه: «سمعتُ الإمام أبا بكر بن فورك رحمه الله تعالى يقول: سمعتُ أبا عثمان المغربي يقول: كنتُ أعتقدُ شيئًا من حديث الجهة، فلما قدِمتُ بغداد زال ذلك عن قلبي، فكتبتُ إلى أصحابنا بمكة: إني أسلمتُ الآن إسلامًا جديدًا»[٤] اهـ.

---

(١) الفقه الأبسط، ضمن مجموعة رسائل أبي حنيفة بتحقيق الكوثري (ص/ ١٢)، وشرح الفقه الأكبر لملا على القاري (ص/ ١٧١)، والبرهان المؤيد للإمام أحمد الرفاعي (ص/ ١٨)، ودفع شبه من شبه وتمرد لتقي الدين الحصني (ص/ ١٨).

(٢) نقله ملّا على القاري في شرح الفقه الأكبر بعد أن انتهى من شرح رسالة الفقه الأكبر (ص/ ١٩٨).

(٣) نجم المهتدي لابن المعلم القرشي (ص/ ٥٥١) مخطوط، وهو في كفاية النبيه شرح التنبيه في فقه الإمام الشافعي لابن الرفعة المتوفى سنة ٧١٠هـ (٤/ ٢٤).

(٤) الرسالة القشيرية (ص/ ٥).

٦- وقال أبو منصور البغدادي: «إن أصحابنا أكفروا أهل البدع في صفات البارئ عز وجل بإجماع الأمة على إكفار من أنكر النبوات أو شك في عقائد الأنبياء، فما كان شكه في صفة من صفات بعض الناس يورثه الكفر فشكه في صفة لازمة لله تعالى أو جهله بها أولى بأن يوجب تكفيره»[١] اهـ.

٧- وقال رحمه الله تعالى: «وأما مجسمة خراسان من الكرامية فتكفيرهم واجب لقولهم إن الله تعالى له حد ونهاية من جهة السفل ومنها يماس عرشه»[٢] اهـ.

٨- أبو حامد الغزالي يقول: «فعلى العامي أن يتحقق قطعًا ويقينًا أن الرسول ﷺ لم يرد بذلك جسمًا هو عضو مركب من لحم ودم وعظم، وأن ذلك في حق الله تعالى محال وهو عنه مقدس، فإن خطر بباله أن الله جسم مركب من أعضاء فهو عابد صنم، فإن كل جسم فهو مخلوق، وعبادة المخلوق كفر، وعبادة الصنم كانت كفرًا لأنه مخلوق، وكان مخلوقًا لأنه جسم، فمن عبد جسمًا فهو كافر بإجماع الأمة السلف منهم والخلف»[٣] اهـ.

٩- وقال الأسفراييني أبو المظفر: «وأما الهشامية فإنهم أفصحوا عن التشبيه بما هو كفر محض باتفاق جميع المسلمين، وهم الأصل في التشبيه، وإنما أخذوا تشبيههم من اليهود حين نسبوا إليه الولد، وقالوا: عزير ابن الله، وأثبتوا له المكان والحد والنهاية والمجيء والذهاب، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا»[٤] اهـ.

١٠- وقال لسان المتكلمين أبو المعين ميمون بن محمد النسفي الحنفي ما نصه: «والله تعالى نفى المماثلة بين ذاته وبين غيره من الأشياء، فيكون القول بإثبات المكان له ردًّا لهذا النص المحكم -أي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴿١١﴾﴾-

---

(١) تفسير الأسماء والصفات (ق/ ١٨٧).

(٢) أصول الدين المسألة الحادية عشرة من هذا الفصل في حكم المجسمة والمشبهة (ص/).

(٣) إلجام العوام عن علم الكلام (ص/ ٦٢ - ٦٣)، من مجموعة رسائل الغزالي.

(٤) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية (ص/ ٤١).

الذي لا احتمال فيه لوَجْهٍ ما سوى ظاهره، ورادُّ النص كافر، عصمنا الله عن ذلك»[1] اهـ.

١١- وقال الشيخ زين الدين الشهير بابن نُجَيْم الحنفي ما نصه: «ويكفر بإثبات المكان لله تعالى، فإن قال: الله في السماء، فإن قصد حكاية ما جاء في ظاهر الأخبار لا يكفر، وإن أراد المكان كفر»[2] اهـ.

١٢- وقال الشيخ ملا على القاري الحنفي ما نصه: «فمن أظلم ممن كذب على الله، أو ادعى ادعاءً معينًا مشتملًا على إثبات المكان والهيئة والجهة من مقابلة وثبوت مسافة وأمثال تلك الحالة، فيصير كافرًا لا محالة»[3] اهـ.

١٣- وقال: «من اعتقد أن الله لا يعلم الأشياء قبل وقوعها فهو كافر، وإن عُدّ قائله من أهل البدعة، وكذا من قال: بأنه سبحانه جسم وله مكان ويمرّ عليه زمان ونحو ذلك كافر، حيث لم تثبت له حقيقة الإيمان»[4] اهـ.

١٤- وقال أيضًا ما نصه: «بل قال جمع منهم -أي من السلف- ومن الخلف إن معتقد الجهة كافر كما صرح به العراقي، وقال: إنه قول لأبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري والباقلاني»[5] اهـ.

١٥- وقال الشيخ العلامة كمال الدين البَياضي الحنفي في شرح كلام الإمام أبي حنيفة ما نصه: «فقال -أي أبو حنيفة- (فمن قال: لا أعرف ربي أفي السماء أم في الأرض فهو كافر) لكونه قائلا باختصاص البارئ بجهة وحيّز وكل ما هو مختص بالجهة والحيز فإنه محتاج محدَث بالضرورة، فهو قول بالنقص الصريح في حقه تعالى (كذا

---

(١) تبصرة الأدلة (١/ ١٦٩).

(٢) البحر الرائق: باب أحكام المرتدين (٥/ ١٢٩).

(٣) شرح الفقه الأكبر بعد أن انتهى من شرح الرسالة (ص/ ٢١٥).

(٤) المصدر السابق (ص/ ٢٧١ ـ ٢٧٢).

(٥) مرقاة المفاتيح (٣/ ٣٠٠).

من قال إنه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أم في الأرض) لاستلزامه القول باختصاصه تعالى بالجهة والحيز والنقص الصريح في شأنه سيما في القول بالكون في الأرض ونفي العلوّ عنه تعالى بل نفي ذات الإلـه المنزه عن التحيز ومشابهة الأشياء. وفيه إشارات:

الأولى: أن القائل بالجسمية والجهة مُنكِر وجود موجود سوى الأشياء التي يمكن الإشارة إليها حسًّا، فمنهم منكرون لذات الإلـه المنزه عن ذلك، فلزمهم الكفر لا محالة. وإليه أشار بالحكم بالكفر.

الثانية: إكفار من أطلق التشبيه والتحيز، وإليه أشار بالحكم المذكور لمن أطلقه، واختاره الإمام الأشعري فقال في النوادر: من اعتقد أن الله جسم فهو غير عارف بربه وإنه كافر به، كما في شرح الإرشاد لأبي قاسم الأنصاري»[1] اهـ.

١٦- قال الشيخ عبد الغني النابلسي الحنفي ما نصه: «وأما أقسام الكفر فهي بحسب الشرع ثلاثة أقسام ترجع جميع أنواع الكفر إليها، وهي: التشبيه، والتعطيل، والتكذيب... وأما التشبيه: فهو الاعتقاد بأن الله تعالى يشبه شيئًا من خلقه، كالذين يعتقدون أن الله تعالى جسمٌ فوق العرش، أو يعتقدون أن له يدَين بمعنى الجارحتين، وأن له الصورة الفلانية أو على الكيفية الفلانية، أو أنه نور يتصوره العقل، أو أنه في السماء، أو في جهة من الجهات الست، أو أنه في مكان من الأماكن، أو في جميع الأماكن، أو أنه ملأ السموات والأرض، أو أنَّ له الحلول في شيء من الأشياء، أو في جميع الأشياء، أو أنه متحد بشيء من الأشياء، أو في جميع الأشياء، أو أن الأشياء منحلَّةٌ منه، أو شيئًا منها. وجميع ذلك كفر صريح والعياذ بالله تعالى، وسببه الجهل بمعرفة الأمر على ما هو عليه»[2] اهـ.

١٧- وقال الشيخ محمد بن أحمد عليش المالكي عند ذِكر ما يوقع في الكفر والعياذ

---

(١) إشارات المرام (ص/ ٢٠٠).

(٢) الفتح الرباني والفيض الرحماني (ص/ ١٢٤).

بالله ما نصه: «وكاعتقاد جسمية الله وتحيّزه، فإنه يستلزم حدوثه واحتياجه لمحدِث»[1] اهـ.

١٨- وذكر هذا الحكم أيضًا الشيخ العلامة المحدث الفقيه أبو المحاسن محمد القاوقجي الطرابلسي الحنفي في كتابه الاعتماد في الاعتقاد فقد قال: «ومن قال لا أعرِفُ الله في السماء هو أم في الأرض كفَر -لأنه جعل أحدَهما له مكانًا-»[2] اهـ.

١٩- وفي كتاب الفتاوى الهندية لجماعة من علماء الهند ما نصه: «يكفر بإثبات المكان لله تعالى. ولو قال: الله تعالى في السماء، فإن قصد به حكاية ما جاء فيه ظاهر الأخبار لا يكفر، وإن أراد به المكان يكفر»[3] اهـ.

٢٠- وقال تقي الدين الحصني: «إلا أن النووي جزم في صفة الصلاة من شرح المهذب بتكفير المجسمة[4]، قلت (تقي الدين الحصني): وهو الصواب الذي لا محيد عنه، إذ فيه مخالفة صريح القرءان، قاتل الله المجسمة والمعطلة، ما أجرأهم على مخالفة من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[5]، وفي هذه الآية رد على الفرقتين» اهـ.

٢١- وقال الشيخ محمود بن محمد بن أحمد خطاب السبكي المصري ما نصه: «سألني بعض الراغبين في معرفة عقائد الدين والوقوف على مذهب السلف والخلف في المتشابه من الآيات والأحاديث بما نصه: ما قول السادة العلماء حفظهم الله تعالى فيمن يعتقد أن الله عز وجل له جهة، وأنه جالس على العرش في مكان مخصوص، ويقول: ذلك هو عقيدة السلف، ويحمل الناس على أن يعتقدوا هذا

---

(١) منح الجليل شرح مختصر خليل (٩/ ٢٠٦).

(٢) الاعتماد في الاعتقاد (ص/ ٥).

(٣) الفتاوى العالمكيرية وهي الفتاوى الهندية (٢/ ٢٥٩).

(٤) المجموع شرح المهذب (٤/ ٢٥٣)، ونصه:»فممن يكفر من يجسم تجسيما صريحا» اهـ.

(٥) سورة الشورى: ١١.

الاعتقاد، ويقول لهم: من لم يعتقد ذلك يكون كافرًا مستدلا بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[1]، وقوله عز وجل: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ۝١٦﴾[2]، أهذا الاعتقاد صحيح أم باطل؟ وعلى كونه باطلًا أيكفر ذلك القائل باعتقاده المذكور ويبطل كل عمله من صلاة وصيام وغير ذلك من الأعمال الدينية وتبين منه زوجه، وإن مات على هذه الحالة قبل أن يتوب لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، وهل من صدّقه في ذلك الاعتقاد يكون كافرًا مثله؟ فأجبت بعون الله تعالى، فقلت: بسم الله الرحمٰن الرحيم الحمد لله الهادي إلى الصواب، والصلاة والسلام على من أوتي الحكمة وفصل الخطاب، وعلى ءاله وأصحابه الذين هداهم الله ورزقهم التوفيق والسداد. أما بعد: فالحكم أن هذا الاعتقاد باطل ومعتقده كافر بإجماع من يعتد به من علماء المسلمين، والدليل العقلي على ذلك قِدَم الله تعالى ومخالفته للحوادث، والنقلي قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ۝١١﴾، فكل من اعتقد أنه تعالى حلّ في مكان أو اتصل به أو بشيء من الحوادث كالعرش أو الكرسي أو السماء أو الأرض أو غير ذلك فهو كافر قطعًا، ويبطل جميع عمله من صلاة وصيام وحج وغير ذلك، وتبين منه زوجه، ووجب عليه أن يتوب فورًا، وإذا مات على هذا الاعتقاد والعياذ بالله تعالى لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، ومثله في ذلك كله من صدَّقه في اعتقاده أعاذنا الله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. وأما حمله الناس على أن يعتقدوا هذا الاعتقاد المكفر، وقوله لهم: من لم يعتقد ذلك يكون كافرًا، فهو كفر وبهتان عظيم»[3] اهـ.

ثم قال الشيخ محمود محمد خطاب السبكي عقب هذه الفتوى: «هذا وقد

---

(١) سورة طه: ٥.

(٢) سورة الملك: جزء من الآية ١٦

(٣) إتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات (ص/ ٣ - ٤) الطبعة الأولى، مطبعة الاستقامة.

عرضت هذه الإجابة على جمع من أفاضل علماء الأزهر فأقروها، وكتبوا عليها أسمائهم، وهم أصحاب الفضيلة:

الشيخ محمد النجدي شيخ السادة الشافعية.

والشيخ محمد سبيع الذهبي شيخ السادة الحنابلة.

والشيخ محمد العربي رزق المدرس بالقسم العالي.

والشيخ عبد الحميد عمار المدرس بالقسم العالي.

والشيخ على النحراوي المدرس بالقسم العالي.

والشيخ دسوقي عبد الله العربي من هيئة كبار العلماء.

والشيخ على محفوظ المدرس بقسم التخصص بالأزهر.

والشيخ إبراهيم عيارة الدلجموني المدرس بقسم التخصص بالأزهر.

والشيخ محمد عليان من كبار علماء الأزهر.

والشيخ أحمد مكي المدرس بقسم التخصص بالأزهر.

والشيخ محمد حسين حمدان»[1] اهـ.

٢٢- وقال أيضًا: «إن من اعتقد وصفه تعالى بشيء من الجسمية أو الاستقرار على العرش أو الجهة... فهو كافر بإجماع السلف والخلف»[2] اهـ.

٢٣- وقال الشيخ محمد زاهد الكوثري وكيل المشيخة الإسلامية في دار الخلافة العثمانية ما نصه: «إن القول بإثبات الجهة له تعالى كفر عند الأئمة الأربعة هداة الأمة كما نَقل عنهم العراقي على ما في شرح المشكاة لعلي القاري»[3] اهـ.

---

(١) إتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات (ص/ ٨) الطبعة الأولى، مطبعة الاستقامة.

(٢) الدين الخالص للشيخ محمود السبكي (ص/ ٢٤).

(٣) مقالات الكوثري (ص/ ٢٢٢).

٢٤- وقال العلامة الشيخ المحدث الفقيه عبد الله الهرري المعروف بالحبشي رضي الله عنه ما نصه: «وحكم من يقول: (إنّ الله تعالى في كل مكان أو في جميع الأماكن) التكفير إذا كان يفهم من هذه العبارة أنَّ الله بذاته منبثٌّ أو حالٌّ في الأماكن، أما إذا كان يفهم من هذه العبارة أنه تعالى مسيطر على كل شيءٍ وعالمٌ بكل شيء فلا يكفر. وهذا قصدُ كثير ممن يلهج بهاتين الكلمتين، ويجب النهي عنهما في كل حال»[١] اهـ.

٢٥- وقال أيضًا: «ويكفر من يعتقد التحيُّز لله تعالى، أو يعتقد أن الله شيءٌ كالهواء أو كالنور يملأ مكانًا أو غرفة أو مسجدًا، ونسمّي المساجد بيوت الله لا لأن الله يسكنها بل لأنها أماكن يُعْبَدُ الله فيها.

وكذلك يكفر من يقول: (الله يسكن قلوب أوليائه) إن كان يفهم الحلولَ.

وليس المقصود بالمعراج وصول الرسول إلى مكان ينتهي وجود الله تعالى إليه ويكفر من اعتقد ذلك، إنما القصدُ من المعراج هو تشريف الرسول ﷺ باطلاعه على عجائب في العالم العلويّ، وتعظيمُ مكانته ورؤيتُه للذات المقدس بفؤاده من غير أن يكون الذات في مكانٍ»[٢] اهـ.

قال الشيخ تقي الدين الحصني: «فإن الفوقية باعتبار المكان لا تكون بالضرورة إلا في الأجرام والأجسام مركبة كانت أو بسيطة، والرب سبحانه وتعالى منزه عن ذلك إذ هو من صفات الحدث»[٣] اهـ.

وكان قال قبل ذلك: «والعجب من قول هذا ما نحن مجسمة، وهو تشبيه محض، تعالى الله عز وجل عن المحل والحيز لاستغنائه عنهما، ولأن ذلك مستحيل في حقه عز وجل، ولأن المحل والحيز من لوازم الأجرام، ولا نزاع في ذلك، وهو

---

(١) الصراط المستقيم (ص/ ٦٢).

(٢) المصدر نفسه، (ص/ ٦٢).

(٣) دفع شبه من شبه وتمرد (ص/ ١٤).

سبحانه وتعالى منزه عن ذلك لأن الأجرام من صفات الحدث وهو عز وجل منزه عن ذلك شرعا وعقلا، بل هو أزلي لم يسبق بعدم بخلاف الحادث، ومن المعلوم أن الإستواء إذا كان بمعنى الإستقرار والقعود لا بد فيه من المماسة، والمماسة إنما تقع بين جسمين أو جرمين، والقائل بهذا شبه وجسم وما أبقى في التجسيم والتشبيه بقية كما أبطل دلالة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾، ومن المعلوم في قوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴿١٣﴾﴾، أنه الاستقرار على الأنعام والسفن وذلك من صفات الآدميين فمن جعل الإستواء على العرش بمعنى الإستقرار والتمكن فقد ساوى بينه عز وجل وبين خلقه، وذلك من الأمور الواضحة التي لا يقف في تصورها بليد، فضلا عمن هو حسن التصور جيد الفهم والذوق، وحينئذ فلا يقف في تكذيبه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾، وذلك كفر محقق»[1] اهـ.

فبان من هذه النصوص الواضحة عن جملة من علماء الأمة الإسلامية من السلف الصالح والخلف أن معتقد الجهة والمكان في حق الله تعالى مكذب للقرءان الكريم ولنبيه المصطفى ﷺ ومخالف لما اتفقت عليه كلمة هذه الأمة.

قال ابن منده: «ذكر الدليل على أن المجتهد المخطئ في معرفة الله عز وجل ووحدانيته كالمعاند، قال الله تعالى مخبرا عن ضلالتهم ومعاندتهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾[2] وقال على بن أبي طالب، رضي الله عنه لما سئل عن الأخسرين أعمالا فقال: «كفرة أهل الكتاب كان أوائلهم على حق، فأشركوا بربهم عز وجل وابتدعوا في دينهم، وأحدثوا على أنفسهم، فهم يجتمعون في الضلالة، ويحسبون أنهم على هدى، ويجتهدون في الباطل ويحسبون أنهم على حق، ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا». وقال على رضي الله عنه: «منهم أهل

---

(١) دفع شبه من شبه وتمرد (ص/ ٩).

(٢) سورة الكهف: آية رقم ١٠٣.

حروراء»[1] اهـ.

فمن ادعى أن انحرافه في العقيدة من نحو اعتقاد الجسمية والجهة في حق الله اجتهاد منه فقد نادى على نفسه بالجهل والكفر والشذوذ عن إجماع الأمة.

(١) التوحيد لابن منده (ص/ ٨٠).

التمايز بين المسلم المنـزه والمشبه المجسم الجهوي

ذلك أنك لو سئلت من هو المسلم؟ لقلت: هو المنـزه الموحد الذي ينفي عن الله الشبيه والجسمية والكيفية، والأعراض التي هي صفات الخلق من حركة وسكون واجتماع وافتراق واتصال وانفصال إلى غير ذلك مما لا يجوز في حق الخالق سبحانه، إلى غير ذلك مما هو شرط في صحة الإيمان، من نحو الإيمان برسالة النبي محمد ﷺ.

فلا يدخل المشبه بهذا الوصف لأنه يعبد جسمًا سواء تخيله في باله أم لم يتخيله، لكنه في المحصلة يعتقد أنه يعبد حجمًا كثيفًا كالإنسان والحجر وغيرهما مما يمسك باليد، وسواء في ذلك اعتقد أنه كشيء من أعيان الأجسام الكثيفة التي يراها أو يتخيلها أم اعتقد أنه يخالفها في الشكل والكيف والحجم لكنه في النهاية يتصوره جسما، وسواء قال هو مركب أم ليس مركبًا، وكذا لو اعتقد أنه جسم لطيف أي لا يمسك باليد كالضوء والظلام والروح والريح ونحو ذلك، وسواء حدد لمعبوده واحدة من هذه الكيفيات أم لم يحدد، لكنه اعتقده جسمًا لطيفًا فهذا كافر ما شم رائحة الإيمان.

ثم هو لا يختلف عمن اعتقد أن معبوده صنم يراه أمامه ويعبده، لأن هذا العابد للصنم لو جعل صنمه في خزانة أو رفعه على سطح بيته أو برج إيفل أو فوق شاهق جبل أو أرسله في قمر صناعي إما ليبقى فيه أو ليجعل على سطح القمر أو غيره، فإنه يبقى وثني يعبد صنمًا وصورة، هذه حقيقته، وكذلك عابد جسم يتخيل أنه بذاته فوق العرش ساكن أو في السماء السابعة وسواء اعتقده مستقرًّا ثابتًا كالزمن لا يستطيع الحراك أم اعتقده يتحرك ويتحول من حال إلى حال وينتقل فإنه لم يعرف الله ولم يعبده.

وفي هذا قال إمام الحرمين رحمه الله: «فذهبت طوائف إلى وصف الرب بما يتقدس في جلاله عنه، من التحيز في جهة حتى انتهى غلاة إلى التشكيل والتمثيل

تعالى الله عن قول الزائغين. والذي دعاهم إلى ذلك طلبتهم ربهم من المحسوسات، وما يتشكل في الأوهام ويتقدر في مجاري الوساوس، وخواطر الهواجس، وهذا حيد[1] بالكلية عن صفات الإلهية، وأي فرق بين هؤلاء وبين من يعبد بعض الأجرام العلوية»[2] اهـ.

وها هو القرطبي يكشف في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۝٧﴾[3] خطورة ما ذهبت إليه المشبهة فينقل عن شيخه أبي العباس رحمة الله عليه أن «من متبعي المتشابه من يتبعه طلبًا لاعتقاد ظواهر المتشابه، كما فعلته المجسمة الذين جمعوا ما في الكتاب والسنة مما ظاهره الجسمية حتى اعتقدوا أن البارئ تعالى جسم مجسم وصورة مصورة ذات وجه وعين ويد وجنب ورجل وأصبع، تعالى الله عن ذلك، وأن الصحيح القول بتكفيرهم، إذ لا فرق بينهم وبين عباد الأصنام والصور، ويستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا كما يفعل بمن ارتد»[4] اهـ.

وقال الملا على القاري: «وما أحسن المثل المضروب لمثبت الصفات من غير تشبيه ولا تعطيل باللبن الخالص السائغ للشاربين يخرج من بين فرث التعطيل ودم التشبيه، فالمعطل يعبد عدما، والمشبه يعبد صنما»[5] اهـ.

وقال البغدادي: «وإنما تبرؤوا -أي أهل السنة- من أهل الملل الخارجة عن الإسلام، ومن أهل الأهواء الضالة مع انتسابها إلى الإسلام، كالقدرية والمرجئة والرافضة والخوارج والجهمية والنجارية والمجسمة»[6] اهـ.

---

(١) حيد أي ابتعاد.

(٢) العقيدة النظامية (ص/).

(٣) سورة آل عمران: جزء من الآية ٧.

(٤) تفسير القرطبي (٤/ ١٣ - ١٤).

(٥) الرد على القائلين بوحدة الوجود (ص/ ٤٥).

(٦) الفرق بين الفرق (ص/ ٣٥٤).

وقال الحافظ المدقق البحر العلامة ابن الجوزي: «وإنما يقع الإشكال في وصف من له أشكال، وإنما تضرب الأمثال لمن له أمثال، فأما من لم يزل ولا يزال فما للحس معه مجال، عظمته عظمت عن نيل كف الخيال، كيف يقال له كيف، والكيف في حقه محال، أنى تتخايله الأوهام وهي صنعه، كيف تحده العقول وهي فعله، كيف تحويه الأماكن وهي وضعه، انقطع سير الفكر، وقف سلوك الذهن، بطلت إشارة الوهم، عجز لطف الوصف، عشيت عين العقل، خرس لسان الحس، لا طور للقدم في طور القدم، عز المرقى فيأس المرتقى، بحر لا يتمكن منه غايص، ليل لا يبين للعين فيه كوكب.

مـرام شـط مرمى العقل فيه فـدون مـداه بـيـد لا تبيد

جادة التسليم سليمة، وادي النقل بلا نقع، انزل عن علو غلو التشبيه ولا تعل، قلل أباطيل التعطيل، فالوادي بين جبلين. المشبه متلوث بفرث التجسيم، والمعطل نجس بدم الجحود، ونصيب المحق لبن خالص هو التنزيه، تخمر في نفوس الكفار حب الأصنام، فجاء محمد فمحا ذلك بالتوحيد، وتخمر في قلوب المشبهة حب صورة وشكل حييت فمحوتها بالتنزيه، والعلماء ورثة الأنبياء، ما عرفه من كيَّفه، ولا وحَّده من مثَّله، ولا عبده من شبَّهه، المشبه أعشى والمعطل أعمى»[1] اهـ.

وقال أيضًا: «وكل من قاس صفة الخالق على صفات المخلوقين خرج إلى الكفر، فإن المجسمة دخلوا في ذلك لأنهم حملوا أوصافه على ما يعقلون»[2] اهـ.

وقال: «ومن تأمل حال بني إسرائيل رآهم قد أمروا بقول حطة، فقالوا: حنطة، وقيل لهم: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا ١٥٤﴾[3] فدخلوا زحفا، وقالوا عن نبيهم: هو آدر[4].

---

(١) المدهش (ص/ ١٣٧ - ١٣٨).

(٢) صيد الخاطر (ص/ ٢٥٦)، فصل: قياس صفات الخالق على صفات المخلوقين كفر.

(٣) سورة النساء: ١٥٤.

(٤) الأدرة وزان غرفة انتفاخ الخصية، يقال: أدر يأدر من باب تعب فهو آدر، والجمع أدر، مثل=

ومن مذهبهم التشبيه والتجسيم، وهذا من أعظم التغفيل، لأن الجسم مؤلَّف ولا بد للمؤلَّف من مؤلِّف»[1] اهـ.

وقال الشيخ تقي الدين الحصني: «الكيف من صفات الحدث، وكل ما كان من صفات الحدث فالله عز وجل منزه عنه، فإثباته له سبحانه كفر محقق عند جميع أهل السنة والجماعة»[2] اهـ.

فأما أن يقال إن لله كيفا لكن نحن لا نستطيع أن نحدد ذلك الكيف فهو ضلال مبين، وهو تشبيه لله بخلقه من بعض الوجوه لأن الكيف معناه صفات الخلق، وإنما الذي يجب اعتقاده والقطع به أن الله تعالى لا كيف له بالمرة، فهو رب الكيف ورب الصور والهيئات والأشكال والألوان والأحجام.

ويقول أبو المظفر الأسفراييني: «والكرامية من جملة المشبهة لقولهم: بأنه جسم وله حد ونهاية، وأنه محل الحوادث، وأنه مماس للعرش ملاق له، فهؤلاء كلهم مشبهة ذاته بالذوات، وأما مشبهة الصفات فهم المعتزلة البصرية الذين أثبتوا إرادة حادثة كإرادات الإنسان، قالوا: إنها من جنس إرادتهم، وشبهوا كلامه بكلام الخلق، وقالوا: أنه عرض حال في جسم، وكذلك الكرامية شبهوا في الصفات، فقالوا: إن إرادته وقوله عرض حادث من جنس كلام الخلق وإرادتهم.

والزرارية من الروافض أتباع زرارة بن أعين، زعموا أن حياته وعلمه وقدرته وسمعه وبصره كحياة الخلق وعلمهم وقدرتهم وسمعهم وبصرهم، وزعموا أنها كلها حادثة مثل صفات الأجسام.

والشيطانية من الروافض زعموا أن الله تعالى لا يعلم الشيء قبل أن يكون حتى يكون، وأنّ علمه محدث كعلوم العباد، ومن تأمل قول هؤلاء المشبهة علم كفرهم

= أحمر وحمر. المصباح المنير (ص/ ٩).

(١) التبصرة (١/ ٤٩١).

(٢) دفع شبه من شبه وتمرد (ص/ ١٨).

وضلالتهم ولم يبق له في ذلك شبهة فاستغنى بذكرها عن إقامة الحجة عليها»[1] اهـ.

وقال الذهبي في تاريخه: «عبيد الله بن المحدث عبد الله بن الحسين البصري القاضي أبو القاسم المروزي قاضي نسف، قال المستغفري: كان صلب المذهب، لما دخل سبكتكين صاحب غزنة إلى بلخ، دعا فقهاءها إلى مناظرة الكرامية، وكان منهم القاضي عبيد الله، وهو يومئذ على قضاء بلخ، فقال سبكتكين: ما تقولون في هؤلاء الزهاد الأولياء يعني الكرامية؟ فقال القاضي: هؤلاء كفار. فقال: ما تقولون في إن كنت أعتقد مذهبهم؟ فقال: قولنا فيك كقولنا فيهم، فقام وضربهم بطبرزين حتى أدماهم، وشبح القاضي وقيدهم وحبسهم، ثم خاف الملامة فأطلقهم، وتوفي القاضي سنة ثمان وثمانين»[2] اهـ.

وجاء في شرح النووي على صحيح مسلم: «قال القاضي عياض رحمه الله: هذا يدل على أنهم ليسوا بعارفين الله تعالى، وهو مذهب حذاق المتكلمين في اليهود والنصارى أنهم غير عارفين الله تعالى وإن كانوا يعبدونه ويظهرون معرفته، لدلالة السمع عندهم على هذا وإن كان العقل لا يمنع أن يعرف الله تعالى من كذب رسولا.

قال القاضي عياض رحمه الله: ما عرف الله تعالى من شبهه وجسمه من اليهود، أو أجاز عليه البداء أو أضاف إليه الولد منهم أو أضاف إليه الصاحبة والولد، وأجاز الحلول عليه والانتقال والامتزاج من النصارى، أو وصفه مما لا يليق به أو أضاف إليه الشريك والمعاند في خلقه من المجوس والثنوية فمعبودهم الذي عبدوه ليس هو الله وإن سموه به، إذ ليس موصوفا بصفات الإلـه الواجبة له، فإذًا ما عرفوا الله سبحانه»[3] اهـ.

---

(١) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية (ص/ ١٢٠ - ١٢١).

(٢) تاريخ الإسلام (٢٧/ ١٦٨).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١/ ١٩٩ - ٢٠٠).

من نتائج عقيدة المجسمة

١- من نتائج عقيدة المجسمة إنكار وجود الله، لأن الله قال في القرءان الكريم ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ ففي هذه الآية أثبت وجود نفسه وأنه خالق للعالمين وربهم ومالكهم، والجسم من العالمين وأما على مقتضى عقيدة المجسمة، صار الله جسما، والجسم مخلوق وليس خالقا، وبهذا أنكروا وجود الله، وجعلوا هذا الجسم الذي تخيلوه هو خالقا للعالم، فعلى مقتضى قولهم ومن نتائج عقيدتهم أن الله تعالى مخلوق لغيره لأنهم اعتقدوه جسمًا وأن العالم غير موجود، لأن الجسم لا يستطيع أن يخلق جسما، فكيف يخلق هذا العالم بأسره وبما أن العالم موجود، فموجده لا يشبهه بوجه من الوجوه فلا يكون جسما.

٢- من نتائج عقيدة المجسمة تكذيب القرءان الكريم لأن الله تعالى قال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۝١١﴾ وهم يقولون: الله جسم سواءً قالوا «جسم كالأجسام» أو قالوا: «جسم لا كالأجسام» ففي كلا الحالين كذّبوا هذه الآية الكريمة.

٣- من نتائج عقيدة المجسمة أنهم يعبدون جسمًا تخيلوه قاعدا فوق العرش لا وجود له فهم في الحقيقة إنما يعبدون جسمًا تخيلوه وهذا الجسم ليس الله لأن الله ليس جسمًا بالمرة ولا يتخيل في البال، فيا لخيبتهم ويا لحسرتهم.

٤- من نتائج عقيدة المجسمة أنهم جوّزوا عبادة الأجسام فهذا الجسم الذي تخيلوه اعتقدوا أنه الله وفي الحقيقة ليس هو الله إذا هم صاروا عابدين لهذا الجسم، وما الفرق بينهم وبين من يعبد الشمس أو القمر أو النار أو القرد أو الحجر أو الصنم. فكل هؤلاء يعبدون أجساما لا فرق بين من يعبد جسمًا تخيله فوق العرش وبين من يعبد جسمًا تخيله في الطائرة في الجو أو من يعبد جسمًا وضعه في بطن الوادي، فعند هؤلاء المجسمة تجوز عبادة الأجسام وهذا تكذيب للإسلام.

٥- من نتائج عقيدة المجسمة أن الجسم أزلي وأن الأزلي حادث، فعلى مقتضى

عقيدتهم أن الخالق العظيم الذي لا شبيه له ولا مثيل، الأزلي الأبدي، حادث مخلوق له بداية لأنه جسم بزعمهم، وأن الجسم الذي اعتقدوه الله أزليًّا أبديًّا، وهذا جمع بين كفريتين عجيبتين، وهو تكذيب لقول الله تعالى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ﴿٣﴾﴾، قال الإمام تقي الدين على بن عبد الكافي السبكي رضي الله عنه في شرحه على عقيدة ابن الحاجب: «ان الذي يقول بأزلية الأجسام كافر بالإجماع لانه إنكار للإجماع القطعي»...

٦- من نتائج عقيدة المجسمة أن الجسم الحادث المخلوق خالق للكون والعالم، لأنهم اعتقدوا الله جسما، وهذا تكذيب لقول الله عز وجل ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٧٤﴾﴾ ومعارض لقول الله تعالى ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾...

٧- من نتائج عقيدة المجسمة أنهم لا يستطيعون إثبات حدوث العالم والأجسام، لأنهم قالوا: الله جسم، والجسم مخلوق، فعلى هذا لا يستطيعون أن يثبتوا أن الأجسام حادثة ومخلوقة، لأنهم بهذا يقولون الإلـه حادث ومخلوق، لأنهم يعتقدونه جسما، وهذا كفر صريح بإجماع أهل الإسلام قاطبة.

٨- من نتائج عقيدة المجسمة الخبيثة التناقض والتضارب فقولهم: «الله جسم» أي مخلوق، لأنه كل جسم مخلوق، ولا يوجد جسم غير مخلوق، وقولهم: «لا كالأجسام» أي ليس مخلوقا وهذا تناقض مع الأول، فيصير قولهم «الله مخلوق، الله ليس مخلوقا» ولا يقول هذا عاقل، وهذا كفر صريح كما نصّ عليه إمام السنة سيدنا أحمد بن حنبل رضي الله عنه فيما رواه عنه الحافظ بدر الدين الزركشي في كتابه تشنيف المسامع: «من قال الله جسم لا كالأجسام كفر».

٩- من نتائج عقائد المشبهة والمجسمة أنه يجوز على مقتضى دينهم وعقيدتهم أن يقال: «الله عاجز لا كالعاجزين» و«الله ضعيف لا كالضعفاء» و«الله جائع لا كالجائعين» و«الله محتاج لا كالمحتاجين» لأنهم قالوا: «جسم» والجسم مخلوق،

وهكذا العاجز والضعيف والجائع والمحتاج كلهم مخلوقون عاجزون ولا يجوز تشبيه الله بهم، ولو قالوا «جائع لا كالجائعين» لأنهم بعدما قالوا عنه جسم، جعلوه مخلوقا، فلا ينفعهم قولهم بعد ذلك «لا كالمخلوقين» عندما قالوا: «لا كالأجسام».

١٠- ومن نتائج عقائد المشبهة والمجسمة أن الله تعالى كذب حيث قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴿١١﴾﴾ لأنهم قالوا «هو جسم لا كالأجسام» و«كيفية لا كالكيفيات» و«جالس لا كجلوسنا» فعلى هذا صارت الآية كذبًا لأنهم شبهوه ببعض المخلوقات واعتقدوه مخلوقًا، والآية تنفي كل ذلك عن الله ثم مع كل هذا يقولون: «جالس لا كجلوسنا» أو «جسم لا كالأجسام» وهذا شتم وتكذيب له، وتكذيب للإسلام، ولكل الأنبياء، فهل يرضوا أن يقال لأحدهم أنت «جدار لا كالجدران» أو أنت «تيس لا كالتيوس» أو أنت «بهيمة لا كالبهائم» فإنهم لا يرضون بذلك ولو قيل «لا كالبهائم» فكيف أجازوا لأنفسهم أن يكذبوا الله ويصفوه بصفات خلقه ويشبهوه بهم ثم بعد ذلك يقولون «لا كالأجسام لا كجلوسنا» وهذا تناقض مفضوح، فيا لتعاستهم، فأبئس وأسفه بهم من قوم، ناقضوا العقل، وكذّبوا القرءان وخرجوا بالكلية عن المعقول والمنقول.

١١- من فضائح وقبائح نتائج عقيدة المجسمة والمشبهة أنهم أجازوا لأنفسهم أن يسموا الله بما لم يسم به نفسه ولا سماه به نبي من الأنبياء ولا كتاب من الكتب السماوية الصحيحة المنزلة على الأنبياء ولا أجمعت عليه الأمة، فقولهم: «الله جسم» من أين جاؤوا به؟! وما هو دليلهم على زعمهم؟! ومن هو سلفهم في هذا؟! فالباحث والمطلع يعرف أن التشبيه والتجسيم جاء من اليهود ومن الفرق الكافرة وكتب أصحاب الأديان الباطلة، وبتسميتهم لله جسمًا أجازوا أن يسمى جسدا وحجما وكمية وقمرا ولحما وجبلا وعسلا وخبزا وزيدا وبكرا وعمرا، وهذا دين جديد. وقد قال الإمام حجة الإسلام أبو جعفر الوراق الطحاوي في عقيدته المشهورة بين المسلمين سلفا وخلفا وشرقا وغربًا وتلقوها بالقبول ما

نصه: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر» وهذا إجماع قطعي. وقال إمام أهل السنة والجماعة سيدنا الإمام أبو الحسن على بن اسماعيل الأشعري رضي الله عنه: «لا يجوز تسمية الله إلا بما سمى به نفسه أو ثبت في السنة الصحيحة أو أجمعت عليه الأمة». وقال أبو بكر الباقلاني: «ما أطلق الله على نفسه أطلقناه عليه وما لا فلا»، وقال الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي: «أسماء الله توقيفية». فلا تثبت صفة لله تعالى بقول صحابي أو تابعي، فمن أين جاء هؤلاء بتسمية الله جسما؟! إذا هؤلاء اخترعوا لغة جديدة وعقيدة محدثة. نسأل الله السلامة في ديننا ودنيانا.

١٢- ومن نتائج عقائدهم الباطلة ان الله تعالى يجوز عليه التغير والتطور والتبدل فقولهم: «الله جالس على العرش» معناه قبل أن يخلق العرش لم يكن جالسًا عليه ثم بعد ما خلقه جلس، وهذا تغير والتغير أكبر علامات الحدوث، وعلى هذا فيكون الله مخلوقا حادثا بزعمهم، وهذا من أصرح الصريح في الكفر، وخلق الله للخلق لم يغير في صفة الله شيئا، فهو أزلي أبدي والأزلي الأبدي لا يتغير لأن المتغير يحتاج لمن يغيره والاحتياجية تنافي الألوهية. وقد قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه في الوصية: «من قال بحدوث صفة من صفات الله أو شك أو توقف كفر».

١٣- ومن نتائج عقائد المجسمة الخطيرة والخبيثة أنه لا فرق بين المسلم المؤمن المنزه الموحد وبين عابد الصنم والوثن وهذا تكذيب للدين والقرءان، لأن الله تعالى قال: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة القلم].

ومن نتائج عقائدهم أن من يعبد صنما يعبد جسمًا ومن يعبد جسمًا تخيله فوق العرش يعبد جسمًا فالنتيجة واحدة وهذا دين الكفار وليس دين المسلمين لأن دين الإسلام هو «الله ليس جسمًا بالمرة ولا يتصف بصفات الجسم» وهم ساووا بين الإسلام والكفر.

٥٩- **قال تعالى:** ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ ﴾

[سورة الرحمٰن]

الشرح: يخبرنا الله سبحانه وتعالى أن الإنس والجن في موقف القيامة تحيط بهم الملائكة الكرام فلا يغادرون الموقف إلا من أذن الله له وهذا الذي معه الحجة الإذن بالمغادرة من ذلك الموقف بدليل قول الله تعالى ﴿ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ﴿٣٨﴾ ﴾، وليس معنى الآية التي نحن بصدد شرحها ﴿ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾ كما زعم بعض المعاصرين اليوم من الذين يتكلمون بالنظريات والأهواء بغير علم ولا دليل ولا برهان فيفسرونها بالصعود إلى الفضاء بما يسمى المركبات الفضائية والصاروخ، وهذا التفسير لم يقله عالم معتبر لأن الذين يطلعون إلى هذا الفضاء منهم المسلم والكافر وليس في الآية مدح للكافر لأن السلطان في الآية هو عمله الصالح الذي ينجيه يوم القيامة والكافر ليس له عمل صالح بدليل قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾ ﴾ فإذا الآية لا تعني هذه المركبات والآلات الحديثة التي يصعد بها إلى الفضاء.

قال المفسر محمد بن جرير الطبري في تفسيره ما نصه: «قالوا: وإنّما هذا قولٌ يقال لهم يوم القيامة. قالوا: ومعنى الكلام: سنفرغ لكم أيّها الثّقلان، فيقال لهم ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْ ﴿٣٣﴾ ﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدّثني موسى بن عبد الرّحمن المسروقيّ قال: ثنا أبو أسامة، عن الأجلح قال: سمعت الضّحّاك بن مزاحمٍ قال: «إذا كان يوم القيامة أمر الله السّماء

الدّنيا فتشقّقت بأهلها، ونزل من فيها من الملائكة، فأحاطوا بالأرض ومن عليها بالثّانية، ثمّ بالثّالثة، ثمّ بالرّابعة، ثمّ بالخامسة، ثمّ بالسّادسة، ثمّ بالسّابعة، فصفّوا صفًّا دون صفٍّ، ثمّ ينزل الملك الأعلى على مجنّبته اليسرى جهنّم، فإذا رآها أهل الأرض ندّوا، فلا يأتون قطرًا من أقطار الأرض إلّا وجدوا سبعة صفوفٍ من الملائكة، فيرجعون إلى المكان الّذي كانوا فيه، فذلك قول الله ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ وذلك قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴿٢٣﴾﴾ وقوله: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾ وذلك قوله: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ﴿١٧﴾﴾» اهـ.

وقال المفسر التونسي محمد الطاهر ابن عاشور المالكي في كتابه التحرير والتنوير ما نصه: «هذا مقول قول محذوف يدل عليه سياق الكلام السابق واللاحق، وليس خطابًا للإنس والجن في الحياة الدنيا. والتقدير: فنقول لكم كما في قوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس الآية، أي فنقول: يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس.

والمعشر: اسم للجمع الكثير الذي يعد عشرة عشرة دون آحاد.

وهذا إعلان لهم بأنهم تحت مشيئة الله لا يجدون منجى منها، وهو ترويع للضالين والمضلين من الجن والإنس بما يترقبهم من الجزاء السيء لأن مثل هذا لا يقال لجمع مختلط إلا والمقصود أهل الجناية منهم فقوله يا معشر الجن والإنس عام مراد به الخصوص بقرينة قوله بعده يرسل عليكما شواظ إلخ.

والنفوذ والنفاذ: جواز شيء عن شيء وخروجه منه. والشرط مستعمل في التعجيز، وكذلك الأمر الذي هو جواب هذا الشرط من قوله فانفذوا، أي وأنتم لا تستطيعون الهروب.

والمعنى: إن قدرتم على الانفلات من هذا الموقف فافلتوا. وهذا مؤذن بالتعريض بالتخويف مما سيظهر في ذلك الموقف من العقاب لأهل التضليل» اهـ.

٦٠- قال تعالى: ﴿ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [سورة الواقعة]

الشرح: إن من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله تعالى منزه عن الحجم والجثة والكمية فهو سبحانه لا بقدر العرش ولا أوسع ولا بقدر السماوات والأرض ولا أكبر لأنه هو خالق الأحجام والكميات والمقادير، والعظيم في حق الله معناه أعظم من كل شيء قدرًا وليس حجما فقد حصل من بعض الجهال أنه قال «الله أكبر من الجبل»! فتشبيه الله بخلقه كفر وخروج من الإسلام، فمعنى قوله تعالى ﴿ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ أي أن الله عز وجل أقدر من كل قادر وأعلم من كل عالم فهو عظيم القدر جدًا وليس حجما ولا جسمًا ولا جسدا، فالعبرة بعلو الرتبة والشأن والمنزلة والقدر لا بعلو المكان والمسافة ولا بكبر الحجم.

قال أبو القاسم الأنصاري النيسابوري شارح كتاب الإرشاد لإمام الحرمين في كتابه شرح الإرشاد (ق٥٨-٥٩) مخطوط ما نصه:

فصل في معنى العظمة والعلو والكبرياء والفوقية

أجمع المسلمون على أن الله تعالى عظيم وأعظم من كل عظيم، ومعنى العظمة والعلو والعزة والرفعة، والفوقية واحد وهو استحقاق نعوت الجلال وصفات التعالي على وصف الكمال وذلك تقدسه عن مشابهة المخلوقين، وتنزهه عن سمات المحدثين وعن الحاجة والنقص، واتصافُهُ بصفات الإلهية كالقدرة الشاملة للمقدورات، والإرادة النافذة في المراداتِ، والعلم المحيط بجميع المعلومات، والجود البسيط، والرحمة الواسعة، والنعمة السابغة، والسمع والبصر والقول القديم، والطَّوْل العميم والوجه واليد والبقاء والمجد» اهـ.

٦١- قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ [سورة المجادلة]

الشرح: ليعلم أن معنى قوله تعالى في هذه الآية (تجادلك) أي تراجعك لتفهم وتعرف وتتعلم وليس معناه تناقشك وترد كلامك أو تعاندك، بل هنا المجادلة بمعنى المراجعة لتفهم وتستوضح وتستعلم حكم المسألة.

وأما قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ دليل على أن صوت المرأة ليس عورة وإلا ما استمع الرسول إلى قولها ولا وقف معها ولا كلمته ولا كلمها، وفي الآية دليل على جواز الاختلاط المباح وليس كما يزعم بعض الغلاة الذين يتشددون في غير محله فيفسقون المرأة التي تتكلم مع الرجال أو يحرمون الاختلاط مطلقا حتى إن وهابيًا من وهابية مصر من أجلافهم وهو أبو إسحاق الحويني الذي ملأ الدنيا شرًا وفسادًا ومع هذا يدّعي أنه محدث وفقيه وهو من أجهل خلق الله وهو لا في العير ولا نفير وبكل وقاحة على اليوتيوب جعل النساء غبيات وليس لهن أن يتعلمن وهن جاهلات وزعم أن العلم للرجال فقط، وهذه الآية تكذبه، فالنساء الصحابيات كنّ يأتين إلى رسول الله ﷺ ويسألنه ويتعلمن منه ويتفقهن ثم هن يعلمن الرجال والنساء كالسيدة عائشة التي كانت تدرس في مسجد رسول الله ﷺ وكأم الدرداء الكبرى رضي الله عنهما وكم في كتب السنة النبوية الشريفة رواية رجال الصحابة عن الصحابيات ولا سيما أمهات المؤمنين فماذا يفعل وماذا يقول وهابية الجهل الذين خالفوا القرءان والحديث والإجماع ونصوص علماء المذاهب الأربعة؟ وأبو إسحاق هذا الوهابي قال أيضًا في مقطع آخر على اليوتيوب «في العرف القديم أن وجه المرأة كفرجها»، فعجيب وغريب هو دين الوهابية الذين يساوون بين وجه المرأة وفرجها فعلى حد زعمه ماذا يفعل في الشوارع والطرقات والأسواق والمطارات والطائرات وفي مكة والمدينة عندما يرى هو وجوه النساء؟!!!

قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرءان ما نصه: «قال الحاكم أبو عبد

الله في معنى السميع: إنه المدرك للأصوات التي يدركها المخلقون بآذانهم من غير أن يكون له أذن، وذلك راجع إلى أن الأصوات لا تخفى عليه، وإن كان غير موصوف بالحس المركب في الأذن، كالأصم من الناس لما لم تكن له هذه الحاسة لم يكن أهلا لإدراك الصوت. والسمع والبصر صفتان كالعلم والقدرة والحياة والإرادة، فهما من صفات الذات لم يزل الخالق سبحانه وتعالى متصفا بهما. وشكى واشتكى بمعنى واحد.

وقرئ «تحاورك «أي: تراجعك الكلام وتجادلك أي: تسائلك» اهـ.

وقال الحسين بن مسعود البغوي في تفسيره معالم التنزيل ما نصه: «﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ الآية. نزلت في خولة بنت ثعلبة كانت تحت أوس ابن الصّامت، وكانت حسنة الجسم وكان به لممٌ فأرادها فأبت، فقال لها: أنت عليّ كظهر أمّي، ثمّ ندم على ما قال. وكان الظّهار والإيلاء من طلاق أهل الجاهليّة. فقال لها: ما أظنّك إلّا قد حرمت عليّ. فقالت: والله ما ذاك طلاقٌ، وأتت رسول الله ﷺ وعائشة رضي الله عنها تغسل شقّ رأسه – فقالت: يا رسول الله إنّ زوجي أوس بن الصّامت تزوّجني وأنا شابّةٌ غنيّةٌ ذات مالٍ وأهلٍ حتّى إذا أكل مالي وأفنى شبابي وتفرّق أهلي وكبر سنّي ظاهر منّي، وقد ندم، فهل من شيء يجمعني وإيّاه تنعشني به؟ فقال رسول الله ﷺ: **حرمت عليه**، فقالت: يا رسول الله والّذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقًا وإنّه أبو ولدي وأحبّ النّاس إليّ، فقال رسول الله ﷺ: **حرمت عليه**، فقالت: أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي قد طالت صحبتي ونفضت له بطني. فقال رسول الله ﷺ: **ما أراك إلّا قد حرمت عليه، ولم أومر في شأنك بشيءٍ**، فجعلت تراجع رسول الله ﷺ، وإذا قال لها رسول الله ﷺ: **حرمت عليه** هتفت وقالت: أشكو إلى الله فاقتي وشدّة حالي وإنّ لي صبيةً صغارًا إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إليّ جاعوا، وجعلت ترفع رأسها إلى السّماء وتقول: اللهمّ إنّي أشكو إليك، اللهمّ فأنزل على لسان نبيّك، وكان هذا أوّل ظهارٍ في الإسلام.

فقامت عائشة تغسل شقّ رأسه الآخر. فقالت: انظر في أمري جعلني الله فداءك يا نبيّ الله، فقالت عائشة: أقصري حديثك ومجادلتك أما ترين وجه رسول الله ﷺ؟ – وكان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه أخذه مثل السّبات – فلمّا قضي الوحي قال لها: ادعي زوجك فدعته، فتلا عليه رسول الله ﷺ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ﴾ الآيات.

قالت عائشة: تبارك الّذي وسع سمعه الأصوات كلّها –سمع الله أزلي أبدي ليس كسمع المخلوقين ليس بأذن أو آلة أخرى– إنّ المرأة لتحاور رسول الله ﷺ وأنا في ناحية البيت أسمع بعض كلامها ويخفى عليّ بعضه إذ أنزل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ الآيات.

ومعنى قوله: ﴿قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ﴾ وتحاورك وتراجعك في زوجها ﴿وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ مراجعتكما الكلام ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ سميعٌ لما تناجيه وتتضرّع إليه، بصيرٌ بمن يشكو إليه اهـ.

وقال الطبري في تفسيره ما نصه: «إن الله سميع لما يتجاوبانه ويتحاورانه» اهـ.

قال الإمام المجتهد الحافظ الشيخ عبد الله الهرري الحبشي رضي الله عنه في كتابه صريح البيان في الرد على من خالف القرءان ما نصه[1]:

بيان أن صوت المرأة ليس عورة على القول الصحيح

اعلم أن القول المعوّل عليه في المذاهب الأربعة في صوت المرأة أنه ليس بعورة، وكيف يقال إنه عورة وقد ثبت في الحديث أن الرسول رخص لجارية في الغناء عند إهداء العروس إلى زوجها، روى البخاريُّ[2] في الصحيح عن هشام ابن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها أنها زفّت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال نبيّ الله ﷺ: «**يا عائشة ما كان معكم لهوٌ فإنَّ الأنصار يعجبهم اللهو**»، وفي رواية الطبراني[3] عن شريك عن هشام بن عروة، عن أبيه عروة بن الزبير، عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «**فهل بعثتم معها جارية تضرب بالدّف وتغني**»؟ قالت عائشة: تقول ماذا؟ قال رسول الله ﷺ: «**تقول**:

أتيناكم أتيناكم فحيّونا نحيّيكم
ولولا الذهب الأحمر ما حلّت بواديكم
ولولا الحنطة السمراء ما سمنت عذاريكم

ورواية الطبراني هذه صحيحة ففيها زيادة كما هو ظاهر على رواية البخاريّ وهي الضرب بالدّف والغناء بهذه الكلمات، ومعنى الجارية في اللغة الفتاة كما هو مذكور في القاموس المحيط ولسان العرب في مادة (ج ر ي).

---

(١) صريح البيان (ص٥٥٠-٥٦٥).

(٢) صحيح البخاري: كتاب النكاح: باب النسوة اللاتي يهدين المرأة إلى زوجها ودعائهن بالبركة.

(٣) عزاه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢٨٩) للطبراني في المعجم الأوسط، وراجع فتح الباري (٩/ ٢٢٦).

وروى البخاري[1] أيضًا عن عائشة رضي الله عنها قالت: «دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناءِ بعاث، فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرني وقال: مزمارة الشيطان عند النبيّ ﷺ، فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: «**دعهما**» فلما غفل غمزتهما فخرجتا».

قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري[2]: «قوله: «جاريتان» زاد في الباب الذي بعده: «من جواري الأنصار» وللطبراني[3] من حديث أم سلمة أن إحداهما كانت لحسّان بن ثابت، وفي الأربعين للسلميّ أنهما كانتا لعبد الله بن سلام، وفي العيدين لابن أبي الدنيا من طريق فُلَيْح عن هشام بن عروة: «وحمامة وصاحبتها تغنيان» وإسناده صحيح، ولم أقف على تسمية الأخرى ولكن يحتمل أن يكون اسم الثانية زينب، وقد ذكره في كتاب النكاح» اهـ.

وقال أيضًا[4] ما نصه: «لكن عدم إنكاره ﷺ دالٌّ على تسويغ مثل ذلك على الوجه الذي أقرّه»، وقال أيضًا: «واستدلّ به على جواز سماع صوت الجارية بالغناء ولو لم تكن مملوكة لأنه ﷺ لم ينكر على أبي بكر سماعه بل أنكر إنكاره» اهـ.

وكذلك روى البخاري[5] عن خالد بن ذكوان: قالت الرُبَيّعُ بنت معَوّذ بن عفراء: جاء النبيّ ﷺ فدخل حين بُنِي عليَّ فجلس على فراشي كمجلسك منّي، فجعلت جويرياتٌ لنا يضربن بالدّف ويندبن مَن قتل من ءابائي يوم بدر إذ قالت إحداهنّ: «وفينا نبي يعلم ما في غد» فقال: «دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين» اهـ.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب العيدين: باب الحِراب والدَّرَق يوم العيد.

(٢) فتح الباري (٢/ ٤٤٠).

(٣) المعجم الكبير (٢٣/ ٢٦٤ - ٢٦٥).

(٤) فتح الباري (٢/ ٤٤٣).

(٥) صحيح البخاري: كتاب النكاح: باب ضرب الدف في النكاح والوليمة.

قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ما نصه[1]: «وأخرج الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث عائشة أنّ النبيّ ﷺ مَرَّ بنساء من الأنصار في عرس لهنّ وهُنَّ يغنّين:

وأهـدى لها كبشًا تنحنح في المربد وزوجُك في النَادي ويعلم ما في غد

فقال: «لا يعلم ما في غدٍ إلا الله».

قال المُهلَّب: «في هذا الحديث إعلان النكاح بالدّف وبالغناء المباح، وفيه إقبال الإمام إلى العرس وإن كان فيه لهو ما لم يخرج عن حدّ المباح» اهـ، وروى الحديث أيضًا البزار[2].

وروى ابن ماجه وغيره[3] عن أنس بن مالك أنّ النبيَّ ﷺ مرّ ببعضِ المدينة فإذا هو بجوار يضربن بدفّهِنّ ويتغنين ويقلنَ:

نحـن جـوار مـن بـني الـنّـجـارِ يـا حـبَّـذا محـمـدٌ مـن جـارِ

فقال النبي ﷺ: «**الله يعلم إنّي لأحبكنّ**».

قال الحافظ البوصيري: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات»[4].

وقال الحافظ اللغوي محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى في كتابه[5] إتحاف السادة المتّقين ما نصه: «قال القاضي الروياني فلو رفعت صوتها -أي المرأة- بالتلبية لم يحرم لأن صوتها ليس بعورة» اهـ.

---

(١) فتح الباري (٩/ ٢٠٣).

(٢) نظر كشف الأستار (٣/ ٥ - ٦)، وقال الحافظ الهيثمي في المجمع (٨/ ١٢٩): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

(٣) سنن ابن ماجه: كتاب النكاح: باب الغناء والدفّ، المعجم الصغير (١/ ٦٣).

(٤) مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (١/ ٣٣٤).

(٥) إتحاف السادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدين (٤/ ٣٣٨).

وذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني[1] في فتح الباري ما نصّه: «وفي الحديث -يعني حديث مبايعة النساء بالكلام- أنّ كلام الأجنبية مباح سماعُه وأنّ صوتها ليس بعورة» اهـ.

وذكر النووي[2] في شرح صحيح مسلم في شرح حديث كيفية بيعة النساء ما نصّه: «وفيه أنّ كلام الأجنبية يباح سماعه عند الحاجة وأنّ صوتها ليس بعورة» اهـ.

وقال ابن عابدين[3] الحنفي ناقلاً عن كتاب القِنية: «ويجوز الكلام المباح مع امرأة أجنبية، وفي المجتبى رامزًا: وفي الحديث دليلٌ على أنّه لا بأس بأن يُتكلم مع النساء بما لا يُحتاج إليه، وليس هذا من الخوض فيما لا يعنيه» اهـ. وفي كتاب أسنى المطالب شرح روض الطالب[4] للشيخ زكريا الأنصاري الشافعي ما نصّه: «وصوتها ليس بعورة على الأصح[5] في الأصل» اهـ.

فالحكم في صوت المرأة بعد هذا البيان أنه ليس بعورة إلا لمَن كان يتلذذ بسماع صوتها فيحرم عليه الاستماع حينئذٍ.

فإن قيل: أليس في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الأحزاب] تحريم الاستماع إلى صوت المرأة؟

فالجواب: أنّ الأمر ليس كذلك، قال القرطبي[6] في تفسيره: «أمرهنّ الله -يعني نساء النبي- أن يكون قولهنّ جزلا وكلامهنّ فصلًا ولا يكون على وجه يظهر في القلب علاقة بما يظهر عليه من اللّين كما كانت الحال عليه في نساء العرب من مكالمة

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٢٠٤).
(٢) شرح صحيح مسلم (١٣/ ١٠).
(٣) رد المحتار (٥/ ٢٣٦).
(٤) أسنى المطالب (٣/ ١١٠).
(٥) الصواب أن يقال على الصحيح.
(٦) الجامع لأحكام القرءان (١٤/ ١٧٧).

الرجال بترخيم الصوت ولينه مثل كلام المُريبات والمومسات، فنهاهنّ عن مثل هذا» اهـ.

وقال أبو حيان في تفسير البحر المحيط[1] ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ﴿٣٢﴾﴾[سورة الأحزاب]: «قال ابن عباس: «لا ترخصن بالقول». وقال الحسن: «لا تَكَلَّمْنَ بالرَّفَث». وقال الكلبي: «لا تكلّمن بما يَهوى المريب». وقال ابن زيد: «الخضوع بالقول ما يدخل في القلب الغزل» وقيل لا تُلِنَّ للرجال القول. أمر تعالى أن يكون الكلام خيرًا لا على وجه يظهر في القلب علاقة ما يظهر عليه من اللّين كما كان الحال عليه في نساء العرب من مكالمة الرجال برخيم الصوت ولينه مثل كلام المومسات، فنهاهنّ عن ذلك» اهـ.

فيعلم من ذلك أنه ليس المراد بهذه الآية أنه يحرم عليهنّ أن يتكلّمن بحيث يسمع الرجال أصواتهنّ، بل النهي عن أن يتكلمن بكلام رخيم يشبه كلام المريبات المومسات أي الزانيات، فقد صحَّ عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تدرّس الرجال من وراء ستار، ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه التلخيص الحبير[2] في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ما نصّه: «فإنه ثابت في الصحيح أنهم كانوا يسألون عائشة عن الأحكام والأحاديث مشافهة» اهـ.

وروى الحاكم في المستدرك[3] عن الأحنف بن قيس قال: «سمعت خطبة أبي بكر الصدّيق وعمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم والخلفاء هلم جرّا إلى يومي هذا، فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم ولا أحسن منه من فِيْ عائشة رضي الله عنها» اهـ.

---

(١) البحر المحيط (٧/ ٢٢٩).

(٢) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير (٣/ ١٤٠).

(٣) مستدرك الحاكم، كتاب معرفة الصحابة (٤/ ١١).

وفي التفسير الكبير[1] للفخر الرازي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ ﴿٣١﴾ ﴾ [سورة النور] الآية ما نصّه: «وفي صوتها وجهان أصحهما أنّه ليس بعورة لأنّ نساء النبي ﷺ كنّ يروين الأخبار للرجال» اهـ.

قلت: ومنهنَّ عائشة رضي الله عنها كانت تحدث الرجال بحديث رسول الله ﷺ وتفتيهم ولم تكن تُغيّر صوتها، وكذلك كانت تُحدّث بعض النساء من ءال صلاح الدين الأيوبي حديث رسول الله للرجال، ومن راجع كتب طبقات المحدثين والحفاظ والفقهاء لوجدها عامرة بتراجم من أخذ منهم العلم سماعًا وقراءة عن النساء.

والأفضل أن يُعلم النساءَ النساءُ في المكان الذي يوجدُ فيه من النساء من هنَّ أهل للتعليم من حيث الكفاءة والثقة، والله سبحانه وتعالى أعلم» اهـ.

(١) التفسير الكبير (٢٣/ ٢٠٧).

وقال أيضًا رضي الله عنه ما نصه[1]:

بيان حكم اختلاط الرجال بالنساء وفيه تفصيل

اعلم أنه لا ينبغي الغلو في الدين بل يجب الاعتدال، فلا يجوز تحليل ما حرّم الله ولا تحريم ما أحلّ الله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة المائدة]، وقال رسول الله ﷺ لابن عبّاس رضي الله عنه في الحجّ بمزدلفة: «**هات القط لي**»، فالتقط له حصى مثل حصى الخذف، قال له رسول الله: «**بأمثال هؤلاء، وإيّاكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»[2]. ثم إن بعض الناس غلوا بمسألة اجتماع الرجل بالنساء في هذا الزمن في بعض البلاد فحرموا ما لم يحرم الله وهو مجرد اجتماع الرجال بالنساء من غير خلوة ومن غير تلاصق ومن غير كون النساء كاشفات الرءوس، وليس لهم دليل في ذلك إلا اتباع الهوى. ثم اختلاط الرجال بالنساء هو على وجهين، وجه جائز ووجه محرم، والوجه الجائز هو الاختلاط بدون تلاصق بالأجسام ولا خلوة محرمة، والوجه المحرم ما يكون فيه تلاصق وتضام كما بيَّن ذلك الشيخ ابن حجر في فتاويه الكبرى والشيخ أحمد بن يحيى الوانشريسي في كتابه الذي جمع فيه فتاوى فقهاء المغرب المسمى المعيار المعرب[3] وكان من أهل القرن العاشر الهجري. وروى البخاري[4]

---

(١) صريح البيان (ص٥٢٤-٥٣٠).

(٢) أخرجه النسائي في سننه: كتاب المناسك: باب التقاط الحصى.

(٣) المعيار المعرب (١١/ ٢٢٨).

(٤) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾، والتفسير: باب تفسير: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ من سورة الحشر.

ومسلم[1] والترمذي[2] والنسائي[3] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا أتى النبي ﷺ، فبعث إلى نسائه، فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يَضُمُّ**» أو: «**يضيف هذا**»، فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيّئي طعامك وأصبحي سراجك ونوّمي صبيانك إذا أرادوا عشاءً، فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونوّمت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يُريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال: «**ضحك الله الليلة**» أو: «**عجب من فعالكما**» فأنزل الله ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة الحشر]. وضحك هنا بمعنى رضي وليس كضحك البشر، كما قال الحافظ ابن حجر في الفتح[4]. فهذا نص صريح صحيح في أن الصحابي جلس هو وزوجته مع الضيف كما يجتمع الأكَلَةُ على الطعام من التقارب، وقد أقرّ رسول الله ﷺ ذلك. وروى البخاري[5] في صحيحه عن سهل قال: «لما عَرَّسَ أبو أُسَيْدٍ الساعديُّ، دعا النبي ﷺ وأصحابه فما صنع لهم طعامًا ولا قرّبه إليهم إلا امرأته أم أسيد» الحديث. قال الحافظ ابن حجر[6]: «وفي الحديث جواز خدمة المرأة زوجها ومن يدعوه، ولا يخفى أن محل ذلك عند أمن الفتنة، ومراعاة ما يجب عليها من الستر، وجواز استخدام الرجل امرأته في مثل

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الأشربة: باب إكرام الضيف وفضل إيثاره.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب تفسير القرءان: ومن سورة الحشر بنحوه، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) سنن النسائي الكبرى: كتاب التفسير: باب قوله تعالى ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ بنحوه.

(٤) فتح الباري (٧/ ١٢٠).

(٥) صحيح البخاري: كتاب النكاح: باب قيام المرأة على الرجال في العرس وخدمتهم بالنفس.

(٦) فتح الباري (٩/ ٢٥١).

ذلك» اهـ. وروى الإمام المجتهد ابن المنذر[1] في كتابه الأوسط فقال: «حدثنا على بن عبد العزيز قال: ثنا حجاج قال: نا عن ثابت وحميد عن أنس قال: قدمنا مع أبي موسى الأشعري فصلى بنا العصر في المِرْبَد ثم جلسنا إلى مسجد الجامع فإذا المغيرة بن شعبة يصلي بالناس والرجال والنساء مختلطون فصلينا معه» اهـ. وروى ابن حبان[2] عن سهل بن سعد قال: «كن النساء يؤمرن في عهد رسول الله ﷺ أن لا يرفعن رءوسهن حتى يأخذ الرجال مقاعدهم من الأرض من ضيق الثياب» اهـ. فهذان الحديثان فيهما دليل أيضًا على أن اجتماع الرجال والنساء في موضع واحد جائز من غير أن يكون بين الرجال والنساء ستار ممدود، وفيهما أن اختلاط الرجال والنساء بدون تلاصق جائز، وإنما الخلطة المحرمة هي التلاصق بالأبدان. وفي شرح النووي على المهذب[3] ما نصّه: «ولأن اختلاط النساء بالرجال إذا لم يكن خلوة ليس بحرام» اهـ. ويدل لقول النووي حديث ابن عباس أن الرسول قال للنساء عند المبايعة: «إنما أنبئكن عن المعروف الذي لا تعصينني فيه أن لا تخلون بالرجال وُحْدانًا ولا تَنُحْنَ نَوْح الجاهلية»، رواه الحافظ ابن جرير الطبري. ومعنى قوله عليه السلام: «وحدانًا» أي لا تخلو المرأة الواحدة بالرجل الواحد فهذه هي الخلوة التي حرّمها الرسول. ونص فقهاء المالكية على أن المعصية تنتفي بالتعدد أي باختلاء رجلين مع امرأة واحدة أو امرأتين مع رجل واحد، وقد ذكر ذلك الشيخ زكريا الأنصاري الشافعي في شرح روض الطالب ممزوجًا[4] بالمتن: «يجوز لرجل أجنبي أن يخلو بامرأتين ثقتين» اهـ. وكذا ذكر محمد الأمير المالكي[5] أن الخلوة المحرّمة لا تكون مع التعدد أي لا يحرم خلوة امرأتين برجل ولا خلوة رجلين بامرأة. وإنما حرم

---

(١) انظر كتاب الأوسط (٢/ ٤٠١).

(٢) انظر الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان (٣/ ٣١٧).

(٣) المجموع شرح المهذب (٤/ ٤٨٤).

(٤) انظر شرح الروض (٣/ ٤٠٧).

(٥) حاشية الأمير على المجموع (١/ ٢١٥).

رسول الله خلوة رجل أجنبي بامرأة واحدة، وسمح في اجتماع رجلين أو أكثر بامرأة، قال رسول الله ﷺ: «**لا يَخْلُوَنَّ رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان**»، ففي هذا الحديث دليل في قوله عليه السلام: «**بامرأة**» أنه إذا كانت النساء أكثر من واحدة ليس بحرام، وكذلك إذا اجتمع رجلان بامرأة ليس بحرام. هذا معنى حديث رسول الله، وهذا الحديث صحيح رواه الترمذي[١]. وقال رسول الله ﷺ: «**لا يدخلن رجل على مُغيبة إلا ومعه رجل أو رجلان**» رواه مسلم[٢] وغيره[٣]. والمغيبة هي المرأة التي زوجها غائب. فحرم علينا رسول الله أن يدخل الواحد منا على هذه المغيبة وأذن في دخول اثنين فأكثر على هذه الواحدة، وأخذ على النساء عهدًا أن لا يَخْلُون بالرجال وحدانًا أي لا تخلو واحدة بواحد. وفي هذا الحديث أيضًا دليل على أنه إذا خلت واحدة برجلين أو أكثر ليس حرامًا، وكذلك إذا خلا رجل واحد بامرأتين فأكثر. وهذا الحكم مطلق يشمل اجتماع الرجال بالنساء على هذا الوجه الذي دَلّ الحديث على جوازه إن كان الاجتماع لأمر دنيوي لا معصية فيه أو لأمر ديني كتعلّم علم الشرع أو للذكر إن كن مغطيات رءوسهن وما سوى ذلك مما هو عورة. فمن خالف ذلك وحرّم اجتماع النساء عند رجل لتعلّم علم الدين فالويل له لأنه حرّم ما لم يحرّم الله، فكيف يُحرّم هذا وقد ثبت في كتب الحديث أن النساء كن يصلين مع رسول الله صلاة الجماعة ثم ينصرفن، وكن يقفن في الصف الذي بعد صف الرجال ولم يكن يمدّ ستار بين صفّ الرجال وصفّ النساء بل كان مكشوفًا، وكذلك ورد في صحيح البخاري[٤] أن الرسول كان يأمر بخروج النساء لصلاة العيد إلى المصلى وهو مكان بالمدينة قريب من المسجد، كانت الشابات يحضرن ليصلين العيد خلف الرسول

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه: كتاب الرضاع: باب ما جاء في كراهية الدخول على المغيبات.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب السلام: باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها.

(٣) أخرجه ابن حبّان في صحيحه انظر الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان (٧/ ٤٤٢)، وأخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٧١، ١٨٦، ٢١٣).

(٤) صحيح البخاري: كتاب العيدين: باب خروج النساء والحيّض إلى المصلّى.

في ذلك المصلى والحيَّض يعتزلن المصلى ليشهدن الخير، ثم بعض المرّات اعتزل هو وبلال رضي الله عنه إلى النساء فوعظهن. وفي صحيح البخاري أيضًا: «باب موعظة الإمام النساء يوم العيد». ولم يزل من عادات المسلمين في البلاد الكبيرة أن بعض العلماء كان يخصّ النساء بدرس في جانب من المسجد وكان يفعل ذلك الشيخ طاهر الريّس رحمه الله بحمص. فاتّقوا الله أيها المحرّمون لتدريس الرجل النساء علم الدين بغير دليل شرعي، واعلموا أن كلامكم الذي تقولونه يكتب عليكم، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ ﴿١١٦﴾ ﴾ [سورة النحل] واذكروا قوله تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة قَ] فعليكم أن تُحَاسِبوا أنفسكم قبل أن تُحَاسَبوا وإلى الله المرجع والمآب.

فبعد هذا البيان للحكم الشرعي لا يجوز مخالفته من أجل العادة التي ألف الشخص في بلده، ومن أقبح القبيح أن يترك الشخص أحاديث رسول الله الصحيحة ويتعلّق بعادة بلده، وهذا خلاف سيرة الأئمة المجتهدين الشافعي ومالك وغيرهما، قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: «إذا صح الحديث فهو مذهبي». وقد تقدم أنه جاء في صحيح مسلم: «**لا يدخلن أحدكم على مغيبة إلا ومعه رجل أو رجلان**».

فإذا علم هذا علم أنه لا يجوز الإنكار على من يجلس مع نساء أجنبيات لتعليم الدين أو للوعظ، وليتّق الله امرؤ ينكر ذلك أو يحرّمه، كيف يقدم على ذلك بعد هذه النصوص، ومن أين له أن يطلق القول بتحريم خلطة الرجال بالنساء على غير وجهه والرسول عليه السلام يقول: «**لا تخلون بالرجال وحدانًا**» أي واحدةٌ بواحد، والوحدان جمع واحد، وفي صحيح ابن حبّان[1] أنه جاء أُبيّ بن كعب إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنه كان مني الليلة شيء في رمضان قال: «**وما ذاك يا أُبيّ**»، قال: نسوة في داري قلن: إنا لا نقرأ القرءان فنصلي بصلاتك، قال: فصليت بهن ثمان ركعات ثم أوترت، قال: **فكان شبه الرضا ولم يقل شيئًا**. اهـ. وروى يحيى بن يحيى

(١) انظر الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان (٤/ ١١٠ - ١١١).

عن مالك في الموطإ[1] أنه سئل هل تأكل المرأة مع غير ذي محرم أو مع غلامها؟ فقال مالك: «ليس بذلك بأس إذا كان ذلك على وجه ما يعرف للمرأة أن تأكل معه من الرجال، قال: وقد تأكل المرأة مع زوجها ومع غيره ممّن تؤاكله» اهـ. فإن احتج المانعون بالحديث الذي رواه ابن حبان[2]: «**ليس للنساء وسط الطريق**»، فالجواب ما قاله ابن حبان عقبه: «لفظة إخبار مرادها الزجر عن شيء مضر فيه وهو مماسة النساء الرجال في المشي إذ وسط الطريق الغالب على الرجال سلوكه والجوانب على النساء أن يتخللن الجوانب حذر ما يتوقع من مماستهم إياهن» اهـ.

وقال أيضًا في ما نصه[3]:

بيان حكم التعطر والزينة للمرأة وفيه تفصيل

اعلم أن خروج المرأة متزيّنة أو متعطّرة مع ستر العورة مكروه تنزيهًا دون الحرام، ويكون حرامًا إذا قصدت المرأة بذلك التعرّض للرجال، أي إذا قصدت فتنتهم. روى ابن حبّان[4] والحاكم[5]، والنسائي[6] والبيهقي[7] في باب ما يكره للنساء من الطيب، وأبو داود[8] عن أبي موسى الأشعري مرفوعًا: «**أيما امرأةٍ استعطرت فمرّت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية**». وأخرج الترمذي[9] في باب ما جاء في كراهية

---

(١) أخرجه مالك في الموطإ: كتاب الجامع: باب جامع ما جاء في الطعام والشراب (ص/ ٨٠٧).

(٢) انظر الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٧/ ٤٤٧).

(٣) صريح البيان (ص٥٣١-٥٤٩).

(٤) صحيح ابن حبّان: كتاب الحدود: باب ذكر وصف زنى الأذن والرجل وما يعملان مما لا يحل، انظر «الإحسان» (٦/ ٣٠١).

(٥) المستدرك: كتاب التفسير (٢/ ٣٩٦).

(٦) سنن النسائي: كتاب الزينة: باب ما يكره للنساء من الطيب.

(٧) السنن الكبرى (٣/ ٢٤٦).

(٨) سنن أبي داود: كتاب الترجّل: باب ما جاء في المرأة تتطيّب للخروج.

(٩) جامع الترمذي: كتاب الأدب: باب ما جاء في كراهية خروج المرأة متعطرة، وقال الترمذي: هذا

خروج المرأة متعطّرة من حديث أبي موسى الأشعري أيضًا مرفوعًا: «**كل عين زانيةٌ، والمرأة إذا استعطرت فمرّت بالمجلس فهي كذا وكذا**» يعني زانية اهـ. فهذه الرواية الأخيرة مطلقة، ورواية: «**ليجدوا ريحها**» مقيّدة، ومخرج الكل واحد، فيحمل المطلق على المقيّد عملًا بالقاعدة التي جرى عليها الجمهور من حمل المطلق على المقيّد تحاشيًا لما يترتب على العكس من الخروج عن إجماع الأئمة، فإنه لم يقل أحد منهم بحرمة خروج المرأة متطيّبة على الإطلاق، وهذا الحمل موافق لحديث عائشة الذي رواه أبو داود[1] في سننه أنها قالت: «كنّا نخرج مع النبي ﷺ إلى مكة فنضمّخ جباهنا بالمسك المطيب للإحرام، فإذا عرقت إحدانا سالَ على وجهها فيراه النبي ﷺ فلا ينهاها». والرسول ونساؤه كانوا يُحْرِمُونَ بذي الحليفة وَهي على بضعة أميال من المدينة. والحديث الأوّل رواه النسائي، والبيهقي في باب ما يكره للنساء من الطيب لأنه لم يفهما منه تحريم خروج المرأة متعطّرة إلا الكراهة التنزيهية، لأن الكراهة إذا أُطلقت فيُراد بها عند الشافعيين الكراهة التنزيهية كما ذكر ذلك الشيخ أحمد بن رسلان[2] الشافعي قال:

وفاعلُ المكروه لم يُعَذَّبِ بل إن يكُفّ لامتثالٍ يُثَبِ

ومن المعلوم أن البيهقي كان شافعيَّ المذهب، ومثل الشافعية الحنابلة والمالكية فإنهم يريدون بالكراهة عند إطلاقها الكراهة التنزيهية، أمّا الحنفية فيريدون بها غالبًا ما يأثم فاعله. فالقائل بحرمة خروج المرأة متعطّرة على الإطلاق ماذا يفعل بهذا الحديث، وهو صحيح لم يضعّفه أحد من الحفّاظ، ولا عبرة بمَن ليس له مرتبة الحفظ كما هو مقرر في كتب المصطلح. وأمّا حديث أبي هريرة الذي أخرجه ابن

حديث حسن صحيح.

(١) سنن أبي داود: كتاب المناسك: باب ما يلبس المحرم.

(٢) متن الزبد، المقدمة، (ص/ ١٠).

خزيمة[1] وفيه أنّه مرّت بأبي هريرة امرأة وريحها تعصف فقال لها: «أين تريدين يا أمة الجبار؟ قالت: إلى المسجد، قال: تطيبتِ لذلك؟ قالت: نعم، قال: فارجعي فاغتسلي، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يقبل الله من امرأة صلاة خرجت إلى المسجد وريحها تعصف حتى ترجع فتغتسل**» فلم يصحّحه أحد من الحفّاظ، وإن ابن خزيمة الذي أخرجه قال فيه: «إن صح الخبر»، بالمعنى الشامل للصحيح والحسن لأنه لا يفرق بين الحسن والصحيح. أما قول ابن حجر الهيتمي[2] بعد قول ابن خزيمة إن صح الخبر «أي إن صح هذا الحديث وقد صحّ» فلا حجة فيه لأنه لم ينقل هذا التصحيح عن حافظ معتبر كابن حجر العسقلاني وهو أي ابن حجر الهيتمي ليس من الحفاظ فلا عبرة بقوله إذا خالف قول حافظ، فلا يجوز الخروج عن ظواهر تلك الأحاديث أي إلغاء العمل بها كحديث عائشة الذي سبق ذكره والذي هو أقوى إسنادًا من حديث أبي هريرة من أجل هذا الحديث الذي لم يصححه مخَرّجه ابن خزيمة، بل يجمع بينهما فيقال: لو صح هذا الحديث فليس فيه تحريم خروجها متعطّرة، وإنما فيه أن صلاتها في هذه الحال في المسجد لا تكون مقبولة. ومن المعلوم أن كثيرًا من الكراهات تمنع القبول أي الثواب مع كون العمل جائزًا وانتفاء المعصية، مثال ذلك ترك الخشوع في الصلاة فإن الصلاة تصحّ بدون الخشوع مع عدم المعصية والقبول أي لا ثواب فيها؛ ونظير هذا الحديث حديث ابن عباس رفعه: «**من سمع المنادي فلم يمنعه من اتباعه عذر**»، قالوا: وما العذر؟ قال: «**خوف أو مرض، لم تقبل منه الصلاة التي صلى**»، رواه أبو داود[3] والحاكم[4] والبيهقي[5] وغيرهم. ووجه الاستدلال بالحديث أنه كما لا يفهم منه أن كل إنسان

---

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه (٣/ ٩٢).

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/ ٤٥).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة: باب في التشديد في ترك الجماعة.

(٤) المستدرك (١/ ٢٤٦).

(٥) السنن الكبرى (٣/ ٧٥).

يتخلف عن الحضور إلى الجماعة حيث ينادى بالأذان وصلى في بيته يكون عاصيًا، كذلك لا يقصد بحديث أبي هريرة أن التي خرجت متطيبة إلى المسجد تكون عاصية بمجرد خروجها، إنما يُفهم منه أن ذهابها إلى المسجد مكروه كما أن الذي لم يذهب إلى موضع الأذان يكون بترك حضوره الجماعة حيث الأذان ينادى به قد فعل فعلًا مكروهًا. على أن حديث أبي هريرة هذا ليس في مطلق التطيّب بل في شدة رائحة الطيب لأن هذا معنى العصف كما هو معروف في اللغة، ومن ظن أنه لمطلق ريح الطيب فهذا جهل منه باللغة. وأمّا حديث: «**لا تمنعوا إماء الله من مساجد الله ولكن ليخرجن تفلات**»[1]، فلا يفيد إلا الكراهة التنزيهية لمن تذهب إلى المسجد وهي متطيّبة. وأمّا دعوى بعض أنه في النسائي رواية: «فمرّت بقوم فوجدوا ريحها» فهو غير صحيح، إذ لا وجود لهذه الرواية في النسائي. ولينظر إلى ما رواه ابن أبي شيبة[2] عن محمد بن المنكدر قال: «زارت أسماء أختها عائشة والزبير غائب فدخل النبي ﷺ فوجد ريح طيب فقال: «**ما على المرأة أن تطيّب وزوجها غائب**»، فلو كان ذلك حرامًا لبيّن النبي ﷺ. قال ابن مفلح المقدسي الحنبلي في الآداب الشرعية ما نصه[3]: «ويحرم خروج المرأة من بيت زوجها بلا إذنه إلا لضرورة أو واجب شرعي»، إلى أن قال: «ويكره تطيبها لحضور مسجد أو غيره» اهـ. فيعلم مما تقدم أن ما جاء في الحديث لا يحرّم خروج المرأة متعطّرة على الإطلاق، وإنما يحرمه إذا قصدت التعرّض للرجال. فإن قيل: إن اللام التي في حديث رسول الله ﷺ «**فمرّت بقوم ليجدوا ريحها**» هي لام العاقبة وليست لام التعليل. فالجواب: أن هذا لا يصحّ لوجوه منها: الأول: أن لام العاقبة هي التي يكون ما بعدها

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة: باب ما جاء في خروج النساء إلى المسجد، وابن حبّان في صحيحه انظر الإحسان (٣/ ٣١٦).

(٢) مصنف ابن أبي شَيبة، كتاب الأدب (٩/ ٢٧).

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٣/ ٣٩٠).

نقيضًا لمقتضى ما قبلها[1]، كالتي في قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۝٨﴾ [سورة القصص]، أي فكانت العاقبة أن كان سيدنا موسى عليه السلام عدوًّا لهم وحزنًا، فهذه اللام ما بعدها مناقض لمقتضى ما قبلها، لأن ءال فرعون إنما التقطوا سيدنا موسى من اليمّ ليكون لهم عونًا وينصرهم، ولكن العاقبة هي أنه كان عدوًا لهم وحزنًا، وهذا لا يصحّ في هذا الحديث لأن ظهور ريح الطيب ليس مناقضًا لخروج المرأة متعطّرة. الثاني: أن اللام لا تكون للعاقبة إلا بطريق المجاز كما قال الإمام ابن السمعاني أحد مشاهير الأصوليين في كتابه القواطع، والمجاز لا بدّ له من دليل لا يصار إليه إلا لأجله، ولا دليل هنا للمجاز إلا التعصّب للرأي على طريق التحكّم كما قال الإمام ابن السّمعاني أحد مشاهير الأصوليين، نقل ذلك عنه الفقيه الأصولي بدر الدين الزركشي في بحث معاني الحروف في تشنيف المسامع[2]. الثالث: أن هذا فيه إبطال الحديث الذي رواه أبو داود عن عائشة الذي فيه أن نساء النبيّ كنّ يضمخن جباههنّ بالمسك للإحرام، وقد تقدّم ذكره. وَيَرِدُ على كلام المؤولين لحديث «**ليجدوا**» بأنه لام العاقبة أن شم الرجال ريحها قد لا يحصل لكونها تمر بعيدة من الرجال بحيث لا يصل ريحها إليهم فيؤدي كلامهم أن يكون هذا جائزًا، فهل يقولون بذلك أي أنها إذا خرجت بحيث لم يجد الرجال ريحها فهو جائز. فوضح أن هذه اللام هي لام التعليل كما فهم ذلك ابن رشد القرطبي من كلام الإمام مالك كما سيأتي. وروى البيهقي[3] في سننه أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ خرج يوم الفطر فصلّى ركعتين لم يصلّ قبلها ولا بعدها، ثم أتى النساء ومعه بلال فأمرهنّ بالصدقة، فجعلت المرأة تلقي خُرصها وسخابها، قال

---

(١) تشنيف المسامع (١/ ٥٤٠ - ٥٤١).

(٢) انظر الكواكب الدرية للأهدل: باب إعراب الفعل، وشذور الذهب لابن هشام: النواصب.

(٣) السنن الكبرى (٣/ ٢٩٥).

البيهقي: «رواه البخاري في الصحيح[1] عن أبي الوليد وأخرجه مسلم[2] عن شُعبة» اهـ. فهذا الحديث فيه أن هؤلاء النسوة خرجن يوم العيد وهنّ لابسات السخاب وهو نوع من الطيب فلم ينكر عليهنّ، والخُرْصُ هو حلقة الذهب والفضة كما في القاموس في مادة: (خ ر ص)، وهذا من أدلّة جواز خروج المرأة متزينة أيضًا. ومن الأدلة أيضًا ما رواه أحمد وغيره[3] أن فاطمة زوج على رضي الله عنهما اكتحلت ولبست صبيغًا يعني في حجهم مع النبي فقال لها علي: من أمرك بهذا فقالت: رسول الله ﷺ. قال علي: فانطلقت محرشًا على فاطمة مستفتيًا لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**صَدَقَتْ صَدَقَتْ**». يقول القرطبي[4] عند تفسير قوله تعالى: ﴿**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ** ﴿٣١﴾﴾ [سورة النور] مبيّنًا الأقوال التي وردت في تفسيرها ما نصّه: «الثالثة: أَمَر الله سبحانه وتعالى النساء بأن لا يبدين زينتهنّ للناظرين إلا ما استثناه من الناظرين في باقي الآية حِذارًا من الافتتان. ثم استثنى ما يظهر من الزينة، واختلف الناس في قدر ذلك فقال ابن مسعود: ظاهر الزينة هو الثياب، وزاد ابن جبير: الوجه، وقال سعيد بن جبير أيضًا وعطاء والأوزاعي: الوجه والكفّان والثياب، وقال ابن عبّاس وقتادة والمِسوَر بن مَخْرمة: ظاهر الزينة هو الكحل والسّوار والخضاب إلى نصف الذراع والقرطة والفَتَخُ ونحو هذا فمباح أن تبديه المرأة لكل مَن دخل عليها من الناس. الرابعة: الزينة على قسمين: خلقية ومكتسبة، فالخلقية: وجهها فإنه أصل الزينة وجمال الخلقة ومعنى الحيوانية لما فيه من المنافع وطرق العلوم، وأما الزينة المكتسبة: فهي ما تحاوله المرأة في تحسين خلقتها كالثياب والحليّ والكحل والخضاب» اهـ. ثم قال: «الخامسة: من الزينة ظاهر وباطن، فما ظهر

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: في صلاة العيدين: باب الخطبة بعد العيد.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: في صلاة العيدين: باب ترك الصلاة قبل العيد وبعدها في المصلى.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٣٢٠ - ٣٢١)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ٤١٣).

(٤) الجامع لأحكام القرءان (١٢/ ٢٢٨).

فمباح أبدًا لكل الناس من المحارم والأجانب» اهـ. ثم قال[1]: «من فعل ذلك منهن فرحًا بحليهن فهو مكروه، ومن فعل ذلك منهن تبرجًا وتعرضًا للرجال فهو حرام مذموم» اهـ. وفي البحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي[2] عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ ﴿٣١﴾﴾ [سورة النور] إلى ءاخر الآية ما نصّه: «ثم قال: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴿٣١﴾﴾ [سورة النور] واستثنى ما ظهر من الزينة، والزينة ما تتزيّن به المرأة من حليّ أو كحل أو خِضاب، فما كان ظاهرًا منها كالخاتم والفتَخَة والكحل والخضاب فلا بأس بإبدائه للأجانب، وما خفي منها كالسّوار والخلخال والدُّملج والقلادة والإكليل والوشاح والقرط فلا تبديه إلا لمن استثني، وذكر الزينة دون مواضعها مبالغة في الأمر بالتصوّن والتستّر، لأن هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحلّ النظر إليها لغير هؤلاء، وهي الساق والعضد والعنق والرأس والصدر والآذان» اهـ. ثم قال: «وسُومح في الزينة الظاهرة لأن سترها فيه حرج، فإن المرأة لا تجد بدًّا من مزاولة الأشياء بيدها ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصًا في الشهادة والمحاكمة والنكاح، وتضطر إلى المشي في الطرقات وظهور قدميها خاصة الفقيرات منهنّ، وهذا معنى قوله: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [سورة النور] يعني إلا ما جرت العادة والجِبلَّةُ على ظهوره والأصل فيه الظهور» اهـ. وفي كتاب البيان والتحصيل[3] ما نصه: «وسئل مالك عما يكون في أرجُل النساء من الخلاخل، قال: ما هذا الذي جاء فيه الحديث، وتركهُ أَحَبُّ إلي من غير تحريم له، قال محمد ابن رشد: المعنى في هذه المسألة والله أعلمُ أَنَّ مالكًا إنما سُئِل عما يجعله النساءُ في أَرْجُلِهِنَّ من الخلاخل وَهُنَّ إذا مشين بها سُمِعَتْ قَعْقَعَتُهَا فرأى تركَ ذلك أحَبَّ إليه من غير تَحْريم، لأن الذي يحرم عليهِنَّ إنما هو ما جاء النهيُ فيه من أَنْ يَقْصِدن إلى إِسْمَاعِ ذلك وإظهاره من زينتهن لمن يخطرن عليه من الرجال: قال الله عزّ وجلّ:

---

(١) الجامع لأحكام القرءان (١٢/ ٢٣٨).

(٢) البحر المحيط (٦/ ٤٤٧).

(٣) البيان والتحصيل (١٧/ ٦٢٤ - ٦٢٥).

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [سورة النور] ومن هذا المعنى ما رُوِيَ من أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أَيُّما امرأةٍ اسْتَعْطَرَتْ فمرّت بقوم لِيَجِدوا ريحها فهي زانية**» لعدم حرمة خروجها متعطرة إلا إذا كانت نيّتها التعرّض للرجال» اهـ. وقال النووي في المجموع[1] ما نصّه: «فرع: إذا أرادت المرأة حضور المسجد كره لها أن تمسّ طيبًا وكره أيضًا الثياب الفاخرة» اهـ. وفي كتاب نهاية المحتاج[2] لشمس الدين الرملي المشهور بالشافعي الصغير ما نصّه: «أما المرأة فيكره لها الطيب والزينة وفاخر الثياب عند إرادتها حضورها» اهـ. أي الجماعة. وقال زكريا الأنصاري الشافعي في كتاب أسنى المطالب[3] ممزوجًا بالمتن: «(ويستحب) الحضور (للعجائز) والأولى لغير ذوات الهيئات بإذن أزواجهنّ، وعليه يحمل خبر الصحيحين عن أم عطية: كان رسول الله ﷺ يخرج العواتق وذوات الخدور والحيّض في العيد، فأما الحيّض فكنّ يعتزلن المصلّى ويشهدن الخير ودعوة المسلمين، والعواتق جمع عاتق وهي البنت التي بلغت، والخدور جمع خدر وهو الستر، (مبتذلات) أي لابسات ثياب بِذْلة وهي ما يُلبس حال الخدمة لأنها اللائقة بهنّ في هذا المحل، (ويتنظفن بالماء فقط) يعني من غير طيب ولا زينة فيكره لهنّ ذلك لما مرّ في الجمعة، (ويكره لذوات الهيئات والجمال) الحضور كما مرّ في صلاة الجماعة فيصلّين في بيوتهنّ، ولا بأس بجماعتهنّ لكن لا يخطبن فإن وعظتهنّ واحدة فلا بأس» اهـ. وقال زكريا الأنصاري في موضع ءاخر[4] منه ما نصه: «فرع: يستحب للمتزوجة وغيرها عجوزًا أو شابة مسح وجهها بالحناء للإحرام وخضب كفيها به له لتستر به ما يبرز منها، لأنها تؤمر بكشف الوجه وقد ينكشف الكفّان، ولأن الحناء من زينتها فندب قبل الإحرام كالطيب. وروى الدارقطني عن ابن عمر أن ذلك من السنّة

---

(١) المجموع شرح المهذب (٥/ ٩).

(٢) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج (٢/ ٢٩٤).

(٣) أسنى المطالب شرح روض الطالب (١/ ٢٨٢).

(٤) المصدر نفسه، (١/ ٤٧٢).

تعميمًا للكفين لا نقشًا وتسويدًا وتطريفًا فلا يُستحب شيء منها لما فيه من الزينة وإزالة الشعث المأمور به في الإحرام، بل إن كانت خَلية أو لم يأذن لها حليلها حرم وإلا فلا كما مرّ في شروط الصلاة، ويكره لها الخضب بعد الإحرام لما مرّ ءانفًا، وفي باقي الأحوال أي وفي غير الإحرام يستحب للمتزوجة لأنه زينة وهي مطلوبة منها لزوجها كل وقت كما مرّ في شروط الصلاة ويكره لغيرها بلا عذر لخوف الفتنة» اهـ.

وقال الشيخ محمد محفوظ الترمسي في موهبة ذي الفضل على شرح ابن حجر على مقدمة بافضل عند قول ابن حجر: «ويكره بالطيب والزينة كما يكره الحضور لذوات الهيئات ولو عجائز وللشابات» ما نصه[1]: «قوله: «ويكره بالطيب والزينة» أي لخبر مسلم[2]: «**إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيبًا**»، وخبر أبي داود بإسناد صحيح[3]: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ولكن ليخرجن وهن تفلات**» بفتح المثناة وكسر الفاء أي تاركات للطيب والزينة ولخوف المفسدة فإن لم تحترز من الطيب أو الزينة كره لها الحضور كما تقرر» اهـ. وقال المرداوي الحنبلي في الإنصاف[4] ما نصه: «وأباح ابن الجوزي النمص وحده، وحمل النهي على التدليس أو أنه من شعار الفاجرات، وفي الغنية وجه يجوز النمص بطلب الزوج، ولها حلقه -أي للمرأة حلق وجهها- وحفه نصّ عليهما، وتحسينه بتحمير ونحوه» اهـ. وانظر إلى ما قال النووي في كتاب المجموع[5] ففيه ما نصّه: «وأما ذوات الهيئات وهنّ اللاتي يشتهين لجمالهنّ فيكره حضورهنّ - أي إلى محل صلاة العيد، هذا هو المذهب والمنصوص وبه قطع الجمهور، وحكى الرافعي وجهًا أنه لا يستحب لهنّ الخروج بحال والصواب الأول، وإذا خرجن استحبّ خروجهنّ في ثياب بذلة ولا يلبسن ما يشهرهُنّ، ويستحبّ

---

(١) موهبة ذي الفضل (٣/ ٣٢٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة: باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة وأنها لا تخرج مطيبة.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة: باب ما جاء في خروج النساء إلى المسجد.

(٤) الإنصاف (١/ ١٢٦).

(٥) المجموع شرح المهذب (٥/ ٩).

أن يتنظفن بالماء ويُكره لهنّ التطيّب لما ذكرناه في باب صلاة الجماعة، هذا كلّه حكم العجائز اللاتي لا يشتهين ونحوهنّ، فأما الشابة وذات الجمال ومَن تُشتهى فيُكره لهنّ الحضور لما في ذلك من خوف الفتنة عليهنّ وبهنّ» اهـ. وفي الإيضاح للنووي[1] عند ذكر أنه يسنّ التطيّب لِلإحرام ما نصّه: «وسواء فيما ذكرناه من الطيب الرجل والمرأة» اهـ. قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري[2] ما نصه: «قوله (ولبست عائشة الثياب المعصفرة وهي محرمة) وصله سعيد بن منصور من طريق القاسم ابن محمد قال: كانت عائشة تلبس الثياب المعصفرة وهي محرمة» إسناده صحيح. وأخرجه البيهقي من طريق ابن أبي مُليكة: «ان عائشة كانت تلبس الثياب الموردة بالعصفر الخفيف وهي محرمة»، وأجاز الجمهور لبس المعصفر للمحرم. وعن أبي حنيفة: العصفر طيب وفيه الفدية، واحتج بأن عمر كان ينهى عن الثياب المصبغة، وتعقبه ابن المنذر بأن عمر كره ذلك لئلا يقتدي به الجاهل فيظن جواز لبس المورّس والمزعفر، ثم ساق له قصة مع طلحة فيها بيان ذلك. قوله (وقالت) أي عائشة (لا تلثّم) بمثناة واحدة وتشديد المثلثة: وهو على حذف إحدى التاءين، وفي رواية أبي ذر تلتثم بسكون اللام وزيادة مثناة بعدها أي لا تغطي شفتها بثوب، وقد وصله البيهقي، وسقط من رواية الحموي من الأصل، وقال سعيد بن منصور «حدثنا هُشيم، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة قالت: «تسدل المرأة جلبابها من فوق رأسها على وجهها». وفي مصنف ابن أبي شيبة عن عبد الأعلى، عن هشام، عن الحسن وعطاء قالا: «لا تلبس المحرمة القفازين والسراويل ولا تَبَرْقَعُ ولا تَلَثَّمُ، وتلبس ما شاءت من الثياب إلا ثوبًا ينفض عليها ورسًا أو زعفرانًا» وهذا يشبه ما ذكر في الأصل عن عائشة. قوله (وقال جابر) أي ابن عبد الله الصحابي. قوله (لا أرى المعصفر طيبًا) أي تطيبًا، وصله الشافعي ومسدد بلفظ «لا تلبس المرأة ثياب الطيب ولا أرى المعصفر طيبًا» وقد تقدم الخلاف في ذلك. قوله (ولم تر عائشة بأسًا بالحلي

---

(١) الإيضاح في مناسك الحج (ص/ ١٥١).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣/ ٤٠٥ - ٤٠٦).

والثوب الأسود والمورد والخف للمرأة) وصله البيهقي من طريق ابن باباه المكي أن امرأة سألت عائشة: ما تلبس المرأة في إحرامها؟ قالت عائشة: تلبس من خزها وبزها وأصباغها وحليها. وأما المورّد والمراد ما صبغ على لون الورد فسيأتي موصولا في باب طواف النساء في ءاخر حديث عطاء عن عائشة، وأما الخف فوصله ابن أبي شيبة عن ابن عمر والقاسم بن محمد والحسن وغيرهم، وقال ابن المنذر: أجمعوا على أن المرأة تلبس المخيط كله والخِفاف، وأن لها أن تغطي رأسها وتستر شعرها إلا وجهها فتسدل عليه الثوب سدلا خفيفًا تستتر به عن نظر الرجال ولا تخمره إلا ما روي عن فاطمة بنت المنذر قالت: «كنا نخمر وجوهنا ونحن محرمات مع أسماء بنت أبي بكر» تعني جدتها قال: ويحتمل أن يكون ذلك التخمير سدلا كما جاء عن عائشة قالت: «كنا مع رسول الله ﷺ إذا مرّ بنا ركب سدلنا الثوب على وجوهنا ونحن محرمات فإذا جاوزنا رفعناه» انتهى. وهذا الحديث أخرجه هو من طريق مجاهد عنها وفي إسناده ضعف» اهـ. وقال سيف الدين أبو بكر محمّد بن أحمد الشاشي القفّال في كتاب حلية العلماء[1] ما نصّه: «منصوص الشافعي رحمه الله في عامة كتبه أن حكم المرأة في استحباب التطيّب للإِحرام كحكم الرجل» اهـ. ثم قال: «وحكى الداركي أن الشافعي رحمه الله قال في بعض كتبه: «إنه لا يستحب للمرأة أن تتطيّب للإِحرام فإن فعلت ذلك كان جائزًا كحضور الجماعة» والأول أصح. اهـ. ومراده بالأوّل أن استحباب التطيّب للمرأة للإِحرام هو الأصح. ويستدل بكلام الشافعي رضي الله عنه على جواز تطيّب المرأة لحضور الجماعة، ولم يجعل جواز التطيب خاصًّا بالمحرمة بل جعله مطلقًا للمحرمة ولمن تريد حضور الجماعة ولم يقيّد الجواز بالمحرمة، ومن ادّعى التقييد فليأتِ بنص عن مجتهد فيه جواز التطيب للنساء بحال الإِحرام وتحريمه في غيره. وقال الشاشي في الحِلية[2] أيضًا ما نصّه: «ويحرم على المرأة أن تصل شعرها بشعر نجس، فأمّا إن وصلته بشعر طاهر أو

(١) حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء (٣/ ٢٣٥).

(٢) المصدر نفسه، (٢/ ٤٥).

حمّرت وجهها أو سوّدت شعرها أو طرفت أناملها -أي استعملت الحنّاء لأطراف الأصابع- ولها زوج لم يكره وإن لم يكن لها زوج كره لما فيه من الغرور» اهـ.

وقال إمام المالكية في عصره أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن عبد الرَّحمن المغربي المعروف بالحَطاب في كتاب مواهب الجليل[1] ما نصّه: «فرع: قال ابن القطّان: ولها أن تتزين للناظرين -أي للخطبة- بل لو قيل بأنه مندوب ما كان بعيدًا، ولو قيل إنه يجوز لها التعرّض لمن يخطبها إذا سَلِمَت نيّتها في قصد النكاح لم يبعد». انتهى. وقال الشيخ منصورٌ البهُوتي الحنبلي في كتاب كشّاف القناع[2] ممزوجًا بالمتن ما نصّه: «ولها أي المرأة حلق الوجه وحفّه نصًّا، والمحرّم إنما هو نتف شعر وجهها، قاله في الحاشية، ولها تحسينه وتحميره ونحوه من كل ما فيه تزيين له، ويكره حفه أي الوجه لرجل، نص عليه، وكذا التحذيف وهو إرسال الشعر الذي بين العِذار والنَّزَعَة يكره للرجل لأن عليًّا كرهه، رواه الخلال، لا لها أي لا يكره التحذيف لها لأنه من زينتها، ويكره النقش والتكتيب والتطريف وهو الذي يكون في رءوس الأصابع وهو القموع، رواه المروالروذي عن عُمَر، وبمعناه عن عائشة وأنس وغيرهما بل تغمس يدها في الخضاب غمسًا نصًّا» اهـ. وقوله نصًّا يعني نص الإمام أحمدُ على ذلك. وفي الفتاوى البزّازية[3] الحنفية ما نصّه: «له والدة شابة تخرج بالزينة إلى الوليمة والمأتم بلا إذنه ولها زوج، لا يتمكن من منعها ما لم يثبت عنده أنها تخرج للفساد فإن ثبت رفع الأمر إلى القاضي ليمنعها» اهـ. وهذا نص صريح عند الحنفية على جواز خروج الشابة متزيّنة ما لم تخرج للفساد. وهذه نصوص من المذاهب الأربعة فبعد هذا لا وجه للإنكار. فإن قيل: روى البخاري[4] أن عائشة رضي الله عنها قالت: «لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن كما مُنعت

---

(١) مواهب الجليل شرح مختصر خليل (٣/ ٤٠٥).

(٢) كشاف القناع عن متن الإقناع (١/ ٨٢).

(٣) انظر الفتاوى البزازية، في هامش الفتاوى الهندية (٤/ ١٥٧).

(٤) صحيح البخاري: كتاب الأذان: باب انتظار الناس قيام الإمام العالم.

نساء بني إسرائيل قلت لعمرة: أوَمُنعن؟ قالت: نعم». فالجواب: ما قاله الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ونصه[1]: «وتمسَّك بعضهم بقول عائشة في منع النساء مطلقًا وفيه نظر إذ لا يترتب على ذلك تغير الحكم لأنها علّقته على شرط لم يوجد بناء على ظن ظنّته فقالت: لو رأى لمنع، فيقال: عليه لم ير ولم يمنع فاستمر الحكم، حتى إن عائشة لم تصرّح بالمنع وإن كان كلامها يشعر بأنها كانت ترى المنع. وأيضًا فقد علم الله سبحانه ما سيُحدثن فما أوحى إلى نبيه بمنعهن، ولو كان ما أحدثن يستلزم منعهن من المساجد لكان منعهن من غيرها كالأسواق أولى، وأيضًا فالإحداث إنما وقع من بعض النساء لا من جميعهن، فإن تعيّن المنع فليكن لمن أحدثت» اهـ. تتمة: التبس الأمر على بعض الناس فظنوا أن هذه الآية ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴿٣١﴾﴾ [سورة النور] إلى ءاخر الآية، يراد بها تحريمُ الزينة على النساء في غير حضرة الزوج والمحارم النساء، متوهمين أن الزينة هي الزينة الظاهرة باللباس والحليّ فقد وضعوا الآية في غير موضعها، والأمر الصحيح أن المراد بالآية كشف الزينة الباطنة من الجسد وهو ما سوى الوجه والكفين، والقدمين عند بعض الأئمة، بخلاف الزينة المستثناة في ءاية ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ فإن الله تعالى أباح كشف الوجه للحرّة وغيرها لحاجة الخلق إلى ذلك، والحاصل أن الزينة في الموضعين بدن المرأة. فائدة: قد مرّ في هذا المبحث أن ذكرنا أَنّ حديث أبي موسى: «**أيما امرأة خرجت مستعطرة فمرّت بقوم ليجدوا ريحها فهي زانية**» صحيح لم يختلف فيه، وذكرنا حديث أبي هريرة أنه لقي امرأة يعصف ريحها طيبًا فقال: إلى أين تريدين يا أمة الجبار؟ قالت: إلى المسجد، قال: وتطيبت لذلك؟ قالت: نعم، قال: فارجعي فاغتسلي فإني سمعت رسول الله ﷺ قال: «**إذا خرجت المرأة متطيبة إلى المسجد لم تقبل صلاتها**». نقول: لا يصح أن يكون هذا الحديث معارضًا لحديث أبي موسى، فلا يصح أن يكون دليلًا لتحريم خروج المرأة متعطرة مطلقًا من غير تقييد بحالة قصدها التعرّض للرّجال كما هو مُفاد حديث أبي موسى،

(١) فتح الباري (٢/ ٣٥٠).

لأن مخرّجه ابن خزيمة توقف عن تصحيحه لقوله: «إن صح الخبر»، وعلى فرض صحته لا دليل فيه على أنها تكون عاصية بخروجها متطيبة لو لم تقصد التعرض للرجال، لأنه لا يلزم من نفي قبول صلاتها حرمة تطيبها على الإطلاق قصدت بخروجها التعرّض للرجال أو لا، وذلك نظير حديث أبي داود الطيالسي[1] الذي رواه جرير بن عبد الله البَجَلي عن النبي ﷺ: «**العبد الآبق لا تقبل له صلاة حتى يرجع إلى مواليه**» فإنه ليس فيه دلالة على أن عدم قبول صلاته هو دليل حرمة إباقه، وإنما حرمة إباقه أخذ من دليل ءاخر، فعدم قبول صلاة المرأة المتطيبة لذهابها إلى المسجد مثل عدم قبول صلاة هذا العبد الآبق فلا يفهم منه أن عدم قبول صلاتها في هذه الحالة هو مستلزم لحرمة خروجها متطيبة في غير حالة قصدها التعرّض للرجال، فلا يجوز إطلاق القول بأن خروج المرأة متطيبة حرام مطلقًا اعتمادًا على هذا الحديث. وهناك دليل ءاخر من الحديث وهو: «**ثلاثة لا ترفع صلواتهم فوق رءوسهم شبرًا: امرأة باتت وزوجها ساخط عليها، وعبد ءابق، ورجل أمّ قومًا وهم له كارهون**» أخرجه الترمذي وابن حبان بنحوه وصححه[2] فإنه لا دلالة فيه على أن الذي أمّ قومًا وهم له كارهون عاصٍ بإمامته للقوم بل فيه أن إمامته مكروهة لا ثواب فيها كما نص على ذلك الشافعية، فمن أين لهؤلاء أن يتسلموا منصبًا ليس لهم ويجتهدوا وهم أبعد الناس عن منصب الاجتهاد، وغاية أمرهم أن يتعلموا ما قاله الفقهاء ويعملوا به، لكنهم تجاوزوا طورهم وهم يعيشون في فوضى كما قال الأفوه الأودي: لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا ومما يشهد لما ذكرنا حديث: «**من سمع النداءَ فلم يُجِبْ فلا صلاة له إلا من عُذرٍ**» رواه ابن حبان[3] وصححه فإنه لا يفيد العصيان بترك الحضور إلى محل النداء في جميع

---

(١) مسند الطيالسي (ص/ ٩٣).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب الصلاة: باب ما جاء فيمن أمَّ قومًا وهم له كارهون، وابن حبان في صحيحه، انظر الإحسان (٣/ ١٢٦).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، انظر الإحسان (٣/ ٢٥٣).

الحالات، وإنما يكون ذلك فيما إذا كان تخلف عن الجمعة التي هي فرض عين أو عن غير الجمعة إذا كان يحصل بتخلفه فقدان شعار الجماعة. فتبين بهذا أن القول بأن لام: «**ليجدوا ريحها**» المذكورة في حديث أبي موسى لام العاقبة كلامٌ بعيد عن الصواب، كيف يتجرأ طالب الحق بعد أن يعلم أن مذهب الشافعي أن التطيّب للذكر والأنثى للإحرام سنّة وبعد أن سمع حديث عائشة: «كنا نخرج مع رسول الله ﷺ إلى مكة للإحرام فنضمخ جباهنا بالمسك المطيب، فإذا عرقنا سال على وجوهنا فيرى رسول الله ذلك فلا ينهانا» على تحريم خروج المرأة متطيبة على الإطلاق من غير تفصيل يفيده حديث أبي موسى. فنصيحتي لمن سلك هذا المسلك أن ينظر مع التجرد عن التعصّب للرأي فيما ذكر هنا مع ما مرّ قبل من الأدلة» اهـ.

٦٢- قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ﴾ [سورة الحديد]

الشرح: قال المحدث العبدري الهرري رضي الله عنه في كتابه الشرح القويم ما نصه[1]:

تَفْسِيرُ مَعِيَّةِ اللهِ المذْكُورَةِ فِي القُرْءَانِ

وَمَعْنَى قَولِه تَعَالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ﴾ [سورة الحديد] الإحاطةُ بالعِلْمِ.

قال الإمام الحافظ الهرري رضي الله عنه: أي محيطٌ بكم عِلمًا لا يَخفَى عليه شيءٌ أينما كنتم. وقولُهُ تعالى ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝١٦﴾ [سورة ق] معناهُ أنَّ الله تعالى أعلمُ بالعَبدِ من نفسِهِ هُوَ أعلمُ بنا من أنفسِنا، الله تعالى تعظيمًا لنفسِهِ يقولُ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝١٦﴾ أي إلى العبدِ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝١٦﴾ الوريدُ عرقانِ في الإنسانِ من جَانِبَي الرقبةِ ينزلانِ من الرَّأسِ ويتَّصلانِ بعرقِ القلبِ.

وقد قال إسماعيل حقي صاحبُ التَّفسيرِ المعروفِ[2] لا يجوزُ أن نقولَ إنهُ تعالى بكلّ مكانٍ وهذا قولُ جهلةِ المتصوّفةِ، وقال الشيخُ عبد الوهَّابِ الشَّعرانيُّ: «قالَ عليٌّ الخوَّاصُ -يعني شيخهُ في التصوفِ - لا يجوزُ أن يقالَ إنه تعالى بكلّ مكانٍ»، وأوَّلُ من قالَ هذا القول رجلٌ اسمُهُ جهمُ بن صفوانَ.

وتَأْتي المَعِيَّةُ أَيْضًا بمعْنى النُّصْرَةِ والكِلاءَةِ كقَولِه تعَالى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ۝١٢٨﴾ [سورة النحل].

فمعنى الآيةِ أن الله مع الذين يخافونَهُ، أي ينصرُهُم ويحفظُهُم، وليسَ معناهُ يمشي ويَنتَقِلُ مَعهم، فإنَّ الله تعالى نَصَرَ الأولياءَ وحفظَهُم من أن يُغرقَهُم الشّيطانُ في

---

(١) الشرح القويم (ص٢٧٦-٢٨٣).

(٢) روح البيان (٥/ ٣٦٠).

المعاصي، وما أقبح قول ابن تيمية[1] إنّ الله على العرش حقيقة ومعنا حقيقة. هذا مع أنه ثبت عنه أنه قال[2]: «إن الله بقدر العرش لا أصغر ولا أكبر» اهـ. وقد صدق قول الحافظ أبي زرعة العراقي فيه[3] «علمه أكبر من عقله» اهـ. أي محفوظاته أكبر من فهمه أي أنه فاسد الفهم كثير الحفظ.

وأما النَّصرُ إن كانَ بالنّسبةِ للأعداءِ كالكفّارِ فالمؤمنُ منصورٌ معنًى ولو كانَ بحسبِ الظَّاهرِ أصابَهُ من العدوّ تلفُ مالٍ ونفسٍ فهو منصورٌ لأن الحقَّ مَعَهُ، فكم من نبيّ قَتَلَهُ الكفَّارُ، والأنبياءُ ليسوا هَيّنينَ عندَ الله، أما أعداؤهُم فهم المغلوبونَ لأنهم على باطلٍ وفي الآخرةِ ليسَ لهم إلا العذابُ الأليمُ، أما أولياءُ الله فهم في الدنيا منصورون بالحجة وأحيانًا بالحجة والغلبة الظاهرة وفي الآخرة منصورون حجة وظاهرًا وهذا معنى قول الله تعالى ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية [سورة غافر] فمعنَى معيّةِ الكلاءةِ والنُّصرةِ يحفظُهُم من أن يغرقوا في المعاصي فَيَصيروا أُسَرَاءَ للشّيطانِ.

المعيّة الأولى في قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ تشمل جميع الخلق المؤمن والكافر لأن الله عالمٌ بأحوال الجميع، بأحوال المؤمنين وبأحوال الكافرين لا يخفى عليه شيءٌ، أما معيّة الكلاءة والنّصرة فهي خاصّةٌ بالمؤمنين الأتقياء.

تنبيهٌ قوله تعالى ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الروم] أي أننا نتفضّل ونتكرّم عليهم، وليس المعنى أنه فرضٌ على الله لأنه لا يجب شيءٌ على الله، فالله تعالى ليس لأحدٍ حقٌّ لازمٌ عليه أي أمرٌ يلزمه وهو مجبورٌ عليه وإن تركه يكون ظالما، الله منزّهٌ عن ذلك إنما الله متفضّلٌ على عباده المؤمنين بأن يكرمهم إن هم

---

(١) الرسالة الكبرى الحموية.

(٢) انظر ذخائر القصر (ص/ ٦٩)، مخطوط.

(٣) الأجوبة المرضية (ص/ ٩٢ - ٩٣).

أدّوا ما عليهم، ومن هنا كره الإمام أبو حنيفة[1] أن يقول الرّجل: أسألك بحقّ فلانٍ لأنه يرى أن هذه العبارة توهم أن على الله حقًّا لخلقه لازمًا له فمن هذه الحيثية كره ذلك، ثم غير أبي حنيفة يرى أن هذه العبارة لا توهم ذلك إنما معناه أسألك بما لفلانٍ عندك من الفضل والكرامة أن تعطينا كذا وكذا، وهذا هو القول الصّحيح الرّاجح لثبوته في الحديث وهو حديث[2] «**أسألك بحق السائلين عليك**» إلى ءاخره. فإنه حديث حسن كما قال الحافظ ابن حجر وغيره[3].

وليس المعنيّ بها الحلول والاتّصال ويكفر من يعتقد ذلك لأنّه سبحانه وتعالى منزّهٌ عن الاتّصال والانفصال بالمسافة. فلا يقال إنّه متّصلٌ بالعالم ولا منفصلٌ عنه بالمسافة لأنّ هذه الأمور من صفات الحجم والحجم هو الذي يقبل الأمرين والله جلّ وعلا ليس بحادثٍ، نفى ذلك عن نفسه بقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾.

فلا يجوز على الله أن يكون متّصلًا بالعالم ولا منفصلًا عن العالم بالمسافة، وحينما يراه المؤمنون في الآخرة بعدما يدخلون الجنّة يرونه بلا مسافةٍ بينهم وبينه لا يرونه حجمًا لطيفًا ولا حجمًا كثيفًا ولا بمسافةٍ قريبةٍ أو بعيدةٍ.

ولا يوصف الله تعالى بالكبر حجمًا[4] ولا بالصّغر، ولا بالطّول ولا بالقصر، لأنّه مخالفٌ للحوادث، ويجب طرد كلّ فكرةٍ عن الأذهان تفضي إلى تقدير الله تعالى وتحديده.

فكلّ شيءٍ يوهم أن الله له حجمٌ ومساحةٌ وكميّةٌ يجب إخراجه من القلب لأن

---

(١) رد المحتار على الدر المختار (٥/ ٢٧٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب المساجد والجماعات: باب المشي إلى الصلاة.

(٣) نتائج الأفكار (١/ ٢٧٢)، المغني عن حمل الأسفار (١/ ٢٨٩).

(٤) فقولنا: «الله أكبر» معناه أكبر من كلّ كبيرٍ قدرًا ودرجةً وقوّةً وعلمًا لا امتدادًا وهذا مراد السّلف بقولهم في الآيات المتشابهة: «أمرّوها كما جاءت بلا كيفيّةٍ» ليس معناه أن له كيفيّة ليست معلومةً = = لنا. وليس موافقًا للسّلف من يقول بناءً على ذلك استواء الله تعالى على العرش جلوس ولكن لا نعلم كيفيّة ذلك الجلوس.

الله منزّهٌ عن ذلك كلّه. فالحجم حادثٌ مهما كان صغيرًا أو كبيرًا، وأصغر الأشياء يقال له الجوهر الفرد وهو لا ينقسم وأعظم الأجرام هو العرش والله تعالى لا يشبه هذا ولا هذا. كلّ شيءٍ فيه تأليفٌ وتركيبٌ محتاجٌ إلى من ألّفه وركّبه والله منزّه عن أن يكون كذلك، فالمؤمن يريح ضميره باعتقاد أنه مهما تصوّر بباله فالله بخلاف ذلك، فإذا لزم هذا ارتاح ضميره.

فكلّ الخواطر التي تؤدّي إلى جعل الله تعالى ذا مقدارٍ وشكلٍ وهيئةٍ تنبذ وتطرد فالمؤمن يترك هذه الخواطر وينشغل بغيرها، وقد قال رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه عنه أبو القاسم الأنصاريّ[1]: «**لا فكرة في الرّبّ**» معناه أن الله تعالى لا يدركه الوهم لأن الوهم يدرك الأشياء التي ألفها أو هي من جنس ما ألفه كالإنسان والغمام والمطر والشجر والضوء والظلام والريح والظل ونحو ذلك، والأشياء الحادثة لو لم يرها الإنسان كالعرش يستطيع أن يتصوّرها ولو من بعض الوجوه، وكذلك إذا ذكرت لنا الجنة يمكننا أن نتصوّرها في أوهامنا فنصادف الحقيقة في بعض الصفات ونخطئ في بعض الصفات، أما الله تعالى فلا تدركه تصورات العباد وأوهامهم وقد قال أبيّ بن كعبٍ الذي هو من مشاهير الصحابة في تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾: «إليه ينتهي فكر من تفكّر» رواه أبو القاسم الأنصاريّ في شرح الإرشاد[2].

وكان اليهود قد نسبوا إلى الله تعالى التّعب، فقالوا إنّه بعد خلق السّموات والأرض استراح فاستلقى على قفاه، وقولهم هذا كفرٌ. والله تعالى منزّهٌ عن ذلك وعن الانفعال كالإحساس بالتّعب والآلام واللذّات فالذي تلحقه هذه الأحوال يجب أن يكون حادثًا مخلوقًا يلحقه التّغيّر، وهذا يستحيل على الله تعالى. قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن

(١) قال ذلك الفقيه الأصولي بدر الدين الزركشي في شرح جمع الجوامع.

(٢) رواه من حديث ابن عمر أبو داود وغيره.

لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [سورة ق].

فاليهود قالت إن الله خلق السّموات والأرض في ستّة أيّامٍ ثم استراح يوم السّبت فاستلقى على قفاه جعلوه جسمًا له أعضاءٌ، وكذلك المشبهة جعلته جسمًا له أعضاء فقالت إنه جالس على العرش. فالمشبهة إخوة اليهود وإن ظنوا بأنفسهم أنهم موحّدون وقد أخبر الله تعالى أنه خلق السّموات والأرض وما أصابه من لغوبٍ واللغوب معناه التعب لأن الله منزّهٌ عن التّعب وعن كلّ الانفعالات ومنزّهٌ عن الغضب بالانفعال والرّضا بالانفعال.

فائدةٌ خلقت الأرض يوم الأحد والاثنين ثم خلقت السّموات في اليومين التاليين الثلاثاء والأربعاء ثم خلقت البهائم والأشجار الخميس والجمعة ثم دحيت الأرض والدّحو هو البسط بأن خلق فيها الأشجار والأنهار وسائر المرافق وذلك معنى قول الله ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة النازعات] وليس معنى الدّحو جعلها كرويةً وهذا خلاف اللغة، ثم خلق ءادم ءاخر يوم الجمعة وكلّ يومٍ من هذه الأيّام السّتة التي خلقت فيها السّموات والأرض قدر ألف سنةٍ بتقدير أيّامنا هذه. وكلّ شيءٍ ينتفع به ابن ءادم خلق قبل ابن ءادم، البهائم خلقت لننتفع بها وكذلك الطيور قال تعالى ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الجاثية].

والأرض مسطوحةٌ شبيهةٌ بالكرة لا تنافي بين الأمرين بين سطحها وبين شبهها بالكرة لأن معنى مسطوحةٍ موسّعةٌ قال تعالى ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة النازعات] معناه وسّعها، وليس معنى قوله تعالى ﴿ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سورة الغاشية] أنها ليست شبيهةً بالكرة فالأرض لها شبهٌ بالكرة وهي واسعةٌ.

وإنّما يلغب من يعمل بالجوارح والله سبحانه وتعالى منزّهٌ عن الجارحة.

والذي يلغب هو الذي يفعل بالجوارح أما من فعله بلا جارحة ولا حركةٍ ولا ءالةٍ ولا مباشرةٍ بل بالقدرة والإرادة والعلم فلا يلغب أي لا يلحقه تعبٌ.

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سورة غافر]. فالبارئ موصوف

بالبصر أي بالرّؤية وبالسّمع أي أنه يسمع الأصوات لا بسمعٍ حادثٍ عند حدوث الأصوات، ويرى ذاته والمخلوقات برؤية أزلية ليست برؤية تحدث له عند حدوث المرئيات وذلك لأن ذلك شأن العباد يسمعون الأصوات بسمع يحدث لهم عند حدوثها ويرون المبصرات برؤية تحدث لهم عند رؤيتها.

فالله تعالى سميعٌ وبصيرٌ بلا كيفيّةٍ، فالسّمع والبصر هما صفتان أزليّتان بلا جارحةٍ، أي بلا أذنٍ أو حدقةٍ وبلا شرط قربٍ أو بعدٍ أو جهةٍ، وبدون انبعاث شعاعٍ من البصر، أو تموّج هواءٍ.

ومن قال لله أذنٌ فقد كفر ولو قال له أذنٌ ليست كآذاننا، بخلاف من قال له عينٌ ليست كعيوننا ويدٌ ليست كأيدينا بل بمعنى الصّفة فإنّه جائزٌ لورود إطلاق العين واليد في القرءان ولم يرد إطلاق الأذن عليه.

فلا يجوزُ أن يقالَ لله أُذُنٌ ليست كآذانِنَا لأنه لم يَرِد إطلاقُ الأذنِ مُضافًا إلى الله لا في الكتابِ ولا في السنةِ، أما أن يقالَ لله عينٌ ليست كأعيننا أو لله يدٌ ليست كأيدينا أو لله وَجهٌ ليس كوجوهِنا فيجوزُ لأن ذلك وَرَدَ في الشَّرعِ لكن مع تنزيهِ الله عن الجارحةِ، ولا نَقيسُ على اليدِ والوجهِ والعينِ لأن هذا وَرَدَ وذاك لم يَرِد، قالَ أبو الحسن الأشعري[1]: «ما أَطلَقَ الله على نفسِهِ أطلقناهُ عليهِ وما لا فلا».

وأما الحديثُ الذي فيه[2]: «**لله أشدُّ أَذَنًا لقارئ حسن الصوت بالقرءان مِنَ أحدكم يستمع إلى قَينته**» فالأَذَنُ هو الاستماعُ[3] وليس الأُذُنَ. اهـ كلام الحافظ الهرري رضي الله عنه.

---

(١) كما قال الإمام الأوزاعي رضي الله عنه ومعناه أن الله يحب سماع القرءان لقارئ مؤمن يُحسن قراءته أكثرَ مما يحب صاحبُ القينةِ الاستماعَ إلى قينته أي جاريته التي تغني له.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها: باب في حسن الصوت بالقرءان.

(٣) المصباح المنير (ص/ ٤).

٦٣- **قال تعالى:** ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [سورة الجمعة]

الشرح: إن مما أجمع عليه علماء الإسلام ونصّ عليه القرءان أن نبينا محمدًا ﷺ بعث وهو لا يكتب الكتاب ولا يقرأه وظل على ذلك إلى أن مات أما ما يقال من أنه تعلم الكتابة والقراءة قبل الموت فهذا غير صحيح، فالصحيح والمعتمد والمجمع عليه أنه مات وهو لا يكتب ولا يقرأ، ومن الدليل على ذلك قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴿٤٨﴾ ﴾، ومن الأدلة هذه الآية التي نشرحها ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴿٢﴾ ﴾، ومن أدل الدليل على ذلك أنه ﷺ لو كتب كما يزعمون كلمة واحدة أو رسالة واحدة لطار خبرها في الآفاق وانتشر صورها في الخافقين لأنها خط رسول الله ﷺ ولحفظتها الأمة واعتنت بها أشدّ الاعتناء ونحن الآن في سنة ١٤٣٦هـ لا توجد ورقة أو رسالة يقال أنها خط الرسول ﷺ، ورسائله التي أملاها على الصحابة فكتبوها إلى رؤساء وملوك الأرض ما زالت موجودة إلى الآن وتتناقلها الأمة والمتاحف الدولية بعناية بالغة فكيف لو وجد بخط الرسول؟! ولو كانت فأين هي إلى الآن؟! والرسول ﷺ مات ولم يكتب كلمة.

ومن الدليل على ذلك ما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في صحيحه والنسائي في كتاب الخصائص وأحمد في مسنده وغيرهم واللفظ للنسائي عن علقة بن قيس قال: قلت لعلي: «تجعل بينك وبين ابن أكلة الأكباد حكما؟ قال: إني كنت كاتب رسول الله ﷺ يوم الحديبية فكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو فقال سهيل: لو علمنا أنه رسول الله ما قاتلناه امحها، فقلت: هو والله رسول الله وإن رغم أنفك، لا والله لا أمحها، فقال رسول الله ﷺ، أرني مكانها فأريته فمحاها وقال: أما إنّ لك مثلها وأنت مضطر».

فلو كان رسول الله ﷺ يقرأ المكتوب لماذا طلب من سيدنا على رضي الله

عنه أن يدله على كلمة (رسول الله) التي في الصحيفة ثم محاها هو، فلو كان قارئًا للمكتوب فأي معنى أن يقول لعلي (أرني مكانها)؟ فكان هذا من أوضح الدليل وأبينه على أنه ﷺ كما قال الله فيه ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [سورة الأعراف]، وأمية النبي دليل نبوته لأنه ﷺ مع أميته جمع علم الأولين والآخرين ومع أنه أميّ فهو أفصح الناس وأعلم الخلق وإمام الأنبياء وسيد المرسلين ﷺ.

ثم إن بعض من ينكر أمية نبينا محمد ﷺ هم من الملاحدة وبعض الكفار المعلنين ليتوصلوا بقولهم هذا إلى كفرية أخرى وهي أن محمدًا هو الذي ألّف القرءان وكتبه وهذا لن يستطيعوه لأن التاريخ يشهد بأنه ﷺ ما دخل الكُتّاب ولا المدارس العادية وهذا يعرفه حتى كفار قريش ومهما حاول أتباعهم وأحفادهم من كفار ومشركي هذه الأزمنة أن يثبتوا بزعمهم أنه ﷺ هو الذي جاء بالقرءان من عند نفسه وهو الذي كتبه فإننا نتحداهم بما تحداهم به القرءان، يقول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾، فقد أخبرنا الله تعالى أنهم عاجزون عن ذلك في الحال وفي المستقبل فما استطاعوا ولن يستطيعوا أن يأتوا بمثل أقصر سورة من القرءان وهي ثلاث آيات.

وإن ادعى بعض دجاجلة هذا العصر أن قول الله تعالى ﴿ ٱقْرَأْ ﴾ دليل على أنه كان يقرأ المكتوب أو يكتبه يقال له هذا دليل عريض على جهلك، لأن كلمة اقرأ تأتي بمعنى التلاوة والقراءة عن ظهر قلب من غير نظر في الكتاب وهذا يعرفه أجهل الجاهلين وكيف يقال على زعمه في الأعمى الذي يقرأ القرءان عن ظهر قلب (قرأ) وهو لا يرى ولا يستطيع أن يقرأ في كتاب، ومع ذلك يقال «قرأ» و «تلا» و «قارئ» و «يتلو»، ويكذبه أيضًا واقع الحال الذي هو أن النبي ﷺ عند نزول الوحي عليه كان يعيد تلاوته وقراءته بعد قراءة جبريل عليه السلام، وإذا كان المراد بـ﴿ ٱقْرَأْ ﴾ هو النظر في صحيفة أو كتاب أعطاه إياه جبريل ليقرأ فيه بعينه فأين هذا الكتاب وأين

هذه الصحيفة؟ أما كان ينبغي أن يحافظ على ذلك الكتاب أو الصحيفة؟

وإن زعم زاعم أن معنى أميّ أي ليس من اليهود بل من هذه الأمة فالأمي نسبة إلى الأمة بزعمه وليس إلى عدم معرفة القراءة والكتابة في الكتاب فيكذبه قول النبي ﷺ «**نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب**» فقد شرح الرسول هنا معنى الأمية، وهذا معناه أنه يغلب على الأمة أنهم لا يكتبون ولا يحسبون في ذلك الوقت، وليس معناه أنه ليس فيهم من يكتب أو يقرأ بالمرة، فزال الإشكال ببيان الرسول لمعنى الأمية هنا بقوله لا نكتب ولا نحسب، فبفيه الحجر.

قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرءان ما نصه: «وكان أمّيًّا لم يقرأ من كتابٍ ولم يتعلّم ﷺ. قال الماورديّ: فإن قيل ما وجه الامتنان إن بعث نبيًّا أمّيًّا؟ فالجواب عنه من ثلاثة أوجهٍ: أحدها: لموافقته ما تقدّمت به بشارة الأنبياء. الثّاني: لمشاكلة حالٍ لأحوالهم، فيكون أقرب إلى موافقتهم. الثّالث: لينتفي عنه سوء الظّنّ في تعليمه ما دعا إليه من الكتب الّتي قرأها والحكم الّتي تلاها. قلت: وهذا كلّه دليل معجزته وصدق نبوّته» اهـ.

وقال المفسر الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان في إيضاح القرءان بالقرءان ما نصه: «الأميين أي: العرب، والأمي: هو الذي لا يقرأ ولا يكتب، وكذلك كان كثير من العرب اهـ.

وفي الحديث: «**إنا أمة أمية لا نقرأ ولا نكتب ولا نحسب**»، وهذا حكم على المجموع لا على الجميع؛ لأن في العرب من كان يكتب مثل كتبة الوحي، عمر وعليا وغيرهم.

وكونه -ﷺ- أميا بمعنى لا يكتب، بينه قوله تعالى: وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك.

وبين تعالى الحكمة في كونه -ﷺ- أميا مع أنه يتلو عليهم آياته ويزكيهم بنفي الريب عنه كما كانوا يزعمون أن ما جاء به ﷺ: أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى

عليه فقال: إذا لارتاب المبطلون» اهـ.

وقال الإمام الفخر الرازي في كتابه التفسير الكبير ما نصه: «الأمي منسوب إلى أمة العرب، لما أنهم أمة أميون لا كتاب لهم، ولا يقرءون كتابًا ولا يكتبون. وقال ابن عباس: يريد الذين ليس لهم كتاب ولا نبي بعث فيهم اهـ.

٦٤- **قال تعالى:** ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة الملك]

الشرح: إن من أصول اعتقاد أن أهل السنة والجماعة نصرهم الله أن نبينا محمدًا ﷺ آمنٌ من عذاب الله وكذا كل الأنبياء والأولياء لأن الله سبحانه وتعالى قال في القرءان الكريم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴿١٠٢﴾ ﴾ وقال سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ وقال ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ ﴾ وقال ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾، فليس في قوله تعالى ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا ﴾ أنه يخشى عليه من العذاب في الآخرة أو أنه من أهل النار أو أنه يخاف ﷺ على خاتمته أو أنه لا يعرف نفسه أنه من الآمنين فهذا خلاف عصمة النبي وتكذيب لدين الله تعالى.

وأما معنى الآية ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا ﴾ هو ما جاء وورد في كتب السير والحديث والتفاسير أن المشركين كان يدعون على رسول الله ﷺ وصحابته رضي الله عنه بالموت والهلاك فأنزل الله على نبيه أن يقول لهم إن أماتنا الله أو رحمنا بأن أطال في أعمارنا وأخّر في آجالنا فلن ينقذكم هذا من عذاب الله فلا تتمنوا ذلك -أي هلاكنا بالموت- لأنه سواء متنا أو عُمّرنا إن لم تؤمنوا بالله ورسوله فلا نجاة لكم ولا شافع ولا مخلص من عذاب الله في الآخرة.

قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرءان ما نصه: «أي قل لهم يا محمد -يريد مشركي مكة، وكانوا يتمنون موت محمد ﷺ؛ كما قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ ﴾- أرأيتم إن متنا أو رحمنا فأخرت آجالنا فمن يجيركم من عذاب الله؛ فلا حاجة بكم إلى التربص بنا ولا إلى استعجال قيام الساعة» اهـ.

وقال الإمام المفسر السلفي محمد بن جرير الطبري في تفسيره ما نصه: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد للمشركين من قومك، ﴿أَرَءَيْتُمْ ﴾ أيها الناس ﴿إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ ﴾ فأماتني ﴿وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا ﴾فأخر في آجالنا ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ بالله ﴿عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ موجع مؤلم، وذلك عذاب النار. يقول: ليس ينجي الكفار من عذاب الله موتنا وحياتنا، فلا حاجة بكم إلى أن تستعجلوا قيام الساعة، ونزول العذاب، فإن ذلك غير نافعكم، بل ذلك بلاء عليكم عظيم» اهـ.

وقال الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير ما نصه: «اعلم أن هذا الجواب هو من النوع الثاني مما قاله الكفار لمحمد ﷺ حين خوفهم بعذاب الله، يروى أن كفار مكة كانوا يدعون على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين بالهلاك، كما قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة الطور] وقال: ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة الفتح] ثم إنه تعالى أجاب عن ذلك من وجهين:

الوجه الأول: هو هذه الآية، والمعنى قل لهم: إن الله تعالى سواء أهلكني بالإماتة أو رحمني بتأخير الأجل، فأي راحة لكم في ذلك، وأي منفعة لكم فيه، ومن الذي يجيركم من عذاب الله إذا نزل بكم، أتظنون أن الأصنام تجيركم أو غيرها، فإذا علمتم أن لا مجير لكم فهلا تمسكتم بما يخلصكم من العذاب وهو العلم بالتوحيد -أي الإيمان بالله ورسوله- والنبوة والبعث.

الوجه الثاني: في الجواب قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ ﴾.

والمعنى أنه الرحمٰن آمنا به وعليه توكلنا فيعلم أنه لا يقبل دعاءكم وأنتم أهل الكفر والعناد في حقنا، مع أنا آمنا به ولم نكفر به كما كفرتم، ثم قال: ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ لا على غيره كما فعلتم أنتم حيث توكلتم على رجالكم وأموالكم، وقرئ ﴿فَسَتَعْلَمُونَ ﴾ على المخاطبة، وقرئ بالياء ليكون على وفق قوله: ﴿فَمَن يُجِيرُ

ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

واعلم أنه لما ذكر أنه يجب أن يتوكل عليه لا على غيره، وذكر الدليل عليه، فقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾.

والمقصود أن يجعلهم مقرين ببعض نعمه ليريهم قبح ما هم عليه من الكفر، أي أخبروني إن صار ماؤكم ذاهبًا في الأرض فمن يأتيكم بماء معين، فلا بد وأن يقولوا: هو الله، فيقال لهم حينئذ: فلم تجعلون من لا يقدر على شيء أصلا شريكا له في المعبودية؟» اهـ.

تحذير واجب

يجب التحذير مما قاله وادعاه خطيب سوري في شريط له بعنوان «أهل الجنة وأهل النار أين المفر»، زعم هذا الدكتور أن جبريل عليه السلام وآدم وإبراهيم ومحمد عليهم الصلاة والسلام يبكون خوفًا من أن يكونوا من أهل النار أو خوفًا من ذنوبهم، وهذا كفر صريح.

نقول في الرد عليه:

تعاضدت نصوص الشريعة وأجمع المسلمون وتواتر عندهم أنّ الأنبياء ناجون يوم القيامة لا عذاب عليهم ولا عقاب وأنّ الملائكة عباد طائعون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فلا خوف عليهم في الآخرة ولا هم يحزنون، وهذا أمر لا يخفى على الصغير والعامي من المسلمين فكيف بذي علم لكن هذا الدكتور يحيّر اللبيب لتفننه بالكفر فهو مولع بحبّ الظهور لا يبالي بتكذيب الشريعة في سبيل ادعاء أنه يأتي بما لا يأتي به غيره من باب «خالف تُعرف»، ففي شريط له بعنوان «أهل الجنة وأهل النار أين المفر» يقول عن سيدنا جبريل إنه كان يبكي لأنه يخاف أن يكون من أهل النار اهـ.

بل يقول إنّ سيدنا ءادم يبكي يوم القيامة ويكون خائفًا من ذنبه ويبكي جبريل

ويكون أكثر خوفًا منه ومثلهما إبراهيم عليه السلام فإنه يقول بزعمه: إني أخاف هذه الكلمات أن يعاقبني الله عليها اليوم اهـ. قاله في شريط له بعنوان «عالم الحشر والشفاعة». بل يصل إلى حدّ أنه يزعم في شريط «أهل الجنة وأهل النار» أنّ رسول الله محمدًا عليه الصلاة والسلام كان يبكي خوفًا من أن يكون من أهل النار!! اهـ.

قلت: ألم يقرأ هذا الرجل قول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة يونس]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة فصّلت]، ويقرأ قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الحجر]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الفجر]، ألم يقرأ قوله عزّ وجلّ إخبارًا عن الملائكة: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [سورة الصافّات]، وقوله: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ [سورة الأعراف]، وقوله: ﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [سورة عبس].

أفلم تنزل هذه الآيات وما كان في معناها على نبيّ الله ﷺ! ألم ينزل بها جبريل عليه السلام؟! أم يزعم أنّ رسول الله وجبريل لم يكونا يفهمان معناها؟ فكيف تجرّأت يا دكتور أن تقول هذا في حقّ جبريل وفي حقّ سيدنا محمد وجبريل هو المبلّغ عن الله وهو الرسول بينه وبين الملائكة وبينه وبين الأنبياء. وما معنى النبوة أليس معنى النبوة أنّ النبي من الأنبياء يقول لغيره اتبعوني فمن تبعني فهو ءامن من عذاب الله ومن لم يتبعني يستحق عذاب الله في النار فكيف يعتري هذا النبي شكّ وخوف في نجاته من النار، أليس كلّ نبي وظيفته التبشير والإنذار كما قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [سورة البقرة]؟!

بل لو سُئل هذا الدكتور هل الأنبياء ناجون من العذاب يوم القيامة أم لا فبم يجيب؟ إن أجاب بلا كفر إجماعًا وإن أجاب بنعم قيل له أيعرف مثل هذا الدكتور

ويجهله أنبياء الله تعالى أم يزعم أنه أوحي إليه بما لم يوحَ به إليهم؟! وإذا كان العشرة المبشرين بالجنة لا يجوز لهم أن يشكوا في أنهم من أهل الجنة ناجون من النار فكيف يقول هذا المدبر في جبريل وفي رسول الله وغيره من الأنبياء إنهم يخافون من دخول جهنم؟! وما الفرق عنده بين أنبياء الله وملائكته وسائر البشر والجنّ؟!

فيا أيها الدكتور من أين لك هذا الذي افتريته ألا تسمع بأنه افتُريَ على رسول الله أحاديث؟! أما قرع سمعك هذا؟! لكن كأن حالك حال من لم يحضر مجلس العلماء قط.

وبطلان هذه المقالة معروف لأدنى مميز في هذه الأمة وهو أظهر من أن نشتغل بتسويد الأوراق في إبطالها أكثر مما ذكرنا وإلى الله المشتكى وإليه المصير.

فائدة مهمة لها تعلق بما سبق
تضعيف الحفاظ والعلماء

لحديث أن بعض الصحابة كأبي بكر رضي الله عنه أشار على رسول الله ﷺ بالفداء يوم بدر ثم إنه رأى العذاب قد نزل ودنا واقترب منهم فبكى

لا يجوز الاعتقاد بأن النبي ﷺ أخطأ وعصى ربه في مسألة أخذ الفداء وأنه خشي العذاب والهلاك من ذلك فهذا مخالف لعصمة النبي ﷺ، وأما ما سنذكره الآن مما ورد في صحيح مسلم فهو للتحذير منه وهو حديث غير صحيح بل معلول لا يعتمد عليه وإن كان في صحيح مسلم وهو:

روى مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، بَاب الإمداد بالملائكة في غزوة بدرٍ وإباحة الغنائم[1]: حدّثنا هنّاد بن السّريّ حدّثنا ابن المبارك عن عكرمة بن عمّارٍ حدّثني سماكٌ الحنفيّ قال: سمعت ابن عبّاسٍ يقول: حدّثني عمر بن الخطّاب قال: لمّا كان يوم بدرٍ. (ح) وحدّثنا زهير بن حربٍ -واللّفظ له- حدّثنا عمر بن يونس الحنفيّ حدّثنا عكرمة بن عمّارٍ حدّثني أبو زميلٍ هو سماكٌ الحنفيّ حدّثني عبد الله بن عبّاسٍ قال: حدّثني عمر بن الخطّاب قال: لمّا كان يوم بدرٍ نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألفٌ وأصحابه ثلاث مائةٍ وتسعة عشر رجلًا فاستقبل نبيّ الله ﷺ القبلة ثمّ مدّ يديه، فجعل يهتف بربّه: **اللهمّ أنجز لي ما وعدتني، اللهمّ آت ما وعدتني، اللهمّ إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض،** فما زال يهتف بربّه مادًّا يديه مستقبل القبلة حتّى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكرٍ فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثمّ التزمه من ورائه وقال: يا نبيّ الله كفاك مناشدتك ربّك فإنّه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ

(١) كتاب الجهاد والسير: باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدرٍ وإباحة الغنائم (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، ص٧٠٠ رقم الحديث١٧٦٣).

رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ فأمدّه الله بالملائكة، قال أبو زميلٍ: فحدّثني ابن عبّاسٍ قال: بينما رجلٌ من المسلمين يومئذٍ يشتدّ في أثر رجلٍ من المشركين أمامه إذ سمع ضربةً بالسّوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه فخرّ مستلقيًا فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشقّ وجهه كضربة السّوط، فاخضرّ ذلك أجمع، فجاء الأنصاريّ فحدّث بذلك رسول الله ﷺ فقال: **صدقت ذلك من مدد السّماء الثّالثة، فقتلوا يومئذٍ سبعين وأسروا سبعين**، قال أبو زميلٍ: قال ابن عبّاسٍ فلمّا أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكرٍ وعمر: **ما ترون في هؤلاء الأسارى**؟ فقال أبو بكرٍ: يا نبيّ الله هم بنو العمّ والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فديةً فتكون لنا قوّةً على الكفّار فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله ﷺ: **ما ترى يا ابن الخطّاب**؟ قلت: لا والله يا رسول الله ما أرى الّذي رأى أبو بكرٍ ولكنّي أرى أن تمكّنّا فنضرب أعناقهم فتمكّن عليًّا من عقيلٍ فيضرب عنقه، وتمكّنّي من فلانٍ نسيبًا لعمر فأضرب عنقه، فإنّ هؤلاء أئمّة الكفر وصناديدها، فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكرٍ ولم يهو ما قلت، فلمّا كان من الغد جئت، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكرٍ قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله أخبرني من أيّ شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاءً بكيت وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما؟ فقال رسول الله ﷺ: **أبكي للّذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشّجرة شجرةٍ قريبةٍ من نبيّ الله** ﷺ وأنزل الله عزّ وجلّ ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴿٦٧﴾ ﴾ إلى قوله ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا ﴿٦٩﴾ ﴾ فأحلّ الله الغنيمة لهم» اهـ.

هذا الحديث مما انفرد به مسلم، وهي رواية معلولة لا يُحتَج بها، فهي مخالفة للأصول لأن ما وافق عليه الرسول أبا بكر مستحيل شرعًا أن يكون سببًا للعذاب، فهذه الرواية خالفت القاعدة الدينية، والرسول ﷺ خيَّرَهُ جبريلُ بين أن يأخذ الفداء من الكفار وبين أن يقتلهم فاختار الفداء.

فقد ذكر كثير من المفسرين ما لا يجوز، ذكروا ما هو خلاف حديث صحيح

ثابت رواه ابن حبان وغيره أن جبريل عليه السلام خيَّر رسولَ الله ﷺ بين الفداء وبين تركِه، وأخبره أنه إن أخذ الفداء يُصاب من المسلمين العدد الذي أصاب المسلمون من الكفار، فاختار رسول الله الفداء، وذلك ليس حبًّا في المال الذي يأخذونه من الكفار الذين يُطلق سراحهم بعد أن وقعوا في الأسر، إنما غرضه من ذلك رجاء أن يسلم هؤلاء بعد فدائهم كلهم أو بعضهم، كان عنده هذا الاحتمال، فأخذ من كل رأس منهم مالًا فأطلقه، عدل عن إبادتهم إلى هذا الفداء لأجل هذا، ثم تحقق ما أخبر به جبريل إذ حصل للمسلمين في وقعة أحد التي هي بعد بدر إصابة عدد أي قتل سبعين نفسًا من المؤمنين.

الرسول ﷺ فعل ما فعل من أخذ الفداء بإذن الله، ليس كما يقول بعض المفسرين وبعض المحدثين إنه فعل ذلك برأي منه موافقة لآراء بعض الصحابة الذين أشاروا عليه بالفداء كأبي بكر رضي الله عنه، ثم إنه رأى العذاب قد نزل ودنا واقترب منهم فبكى، هذا غير صحيح، مهما كثُر من يروي هذا من المفسرين وغيرهم فهو غير صحيح، فإذا مرَّ عليك - أخي المسلم - قصة الفداء في تفسير أو كتاب من كتب الحديث فلا تعتقد هذا بل احذره، واعتقد أن القول الصحيح أن الرسول ﷺ ما أخذ الفداء إلا بوحي جاء به جبريل، خيَّرَه جبريل بين الفداء على أن يقتل العام المقبل منهم عدتهم، مثل العدد الذي قتل من الكفار في بدر، وبين الإثخان أي إبادتهم.

وقد ورد في صحيح ابن حبان ذكر تخيير الله عز وجل أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر بين الفداء والقتل: عن على ابن أبي طالب رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام هبط عليه ﷺ فقال له: خيِّرهم -يعني أصحابه ﷺ- في الأسارى إن شاؤوا القتل وإن شاؤوا الفداء على أن يقتل العام المقبل منهم عدتهم قالوا: الفداء ويقتل منا عدتهم.

قال القاضي عياض اليحصبي المالكي (٥٤٤هـ) في كتابه «إكمال المعلم

بفوائد مسلم» في شرحه على صحيح مسلم[1]: إذْ ورد في بعض الأخبار أنه أمر ﷺ بتخييرهم على أن يقتلوا الأسرى أو يفادوهم على أن يُقتل من عام قابل مثلهم» اهـ.

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ، ٦/ ٩٦).

٦٥- **قال تعالى:** ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة الحاقة]

الشرح: إن مما أجمعت عليه الأمة أن رسول الله ﷺ معصوم من أن يفتري على الله أو أن يقول ما هو خلاف القرءان ومعصوم من الفتوى بغير علم فمستحيل عليه ﷺ أن يتقول على الله ومن زعم ذلك فهو كافر بالله العظيم ويكفي في الرد عليه من حيث العقل أنه لو كان كذلك لما ظهرت على يديه معجزة واحدة تصدقه بل لظهر ما يكذبه كما حصل لمسيلمة الكذاب لعنه الله ومعجزات نبينا محمد ﷺ بلغت في حياته ألف وخمس مئة وقيل ثلاثة آلاف وقيل غير ذلك كما قال بعض العلماء.

وأما قول الله تعالى ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾ أي مستحيل عليه أن يتقول علينا فلا يحصل منه ذلك البتة ولا بأي وجه من الوجوه.

والأقاويل هنا أي الباطلة، والأقاويل جمع الجمع وهو أقوال وأقوال جمع قول وسميت الأقوال المتوّلة أقاويل تصغيرًا لها وتحقيرًا.

وقال المفسر التونسي المالكي محمد الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير في تفسير هذه الآية ما نصه: «**ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين**» هذه الجملة عطف على جملة «**لا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون**» فهي مشمولة لما أفادته الفاء من التفريع على ما اقتضاه تكذيبهم بالبعث من تكذيبهم القرءان ومن جاء به وقال: إنه وحي من الله تعالى، فمفاد هذه الجملة استدلال ثان على أن القرءان منزل من عند الله تعالى على طريقة المذهب الكلامي، بعد الاستدلال الأول المستند إلى القسم والمؤكدات على طريقة الاستدلال الخطابي. وهو استدلال بما هو مقرر في الأذهان من أن الله واسع القدرة، وأنه عليم فلا يقرر أحدًا على أن يقول عنه كلامًا لم يقله، أي لو لم يكن القرءان منزلًا من عندنا ومحمد ادعى أنه منزل منا، لما أقررناه على ذلك، ولعجلنا بإهلاكه. فعدم هلاكه -ﷺ- دال على أنه لم يتقوله

على الله، فإن (لو) تقتضي انتفاء مضمون شرطها لانتفاء مضمون جوابها.فحصل من هذا الكلام غرضان مهمان:أحدهما: يعود إلى ما تقدم أي زيادة إبطال لمزاعم المشركين أن القرءان شعر أو كهانة إبطالًا جامعًا لإبطال النوعين، أي ويوضح مخالفة القرءان لهذين النوعين من الكلام أن الآتي به ينسبه إلى وحي الله وما علمتم شاعرًا ولا كاهنًا يزعم أن كلامه من عند الله. وثانيهما: إبطال زعم لهم لم يسبق التصريح بإبطاله وهو قول فريق منهم افتراه، أي نسبه إلى الله افتراء وتقوله على الله قال تعالى أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فبين لهم أنه لو افترى على الله لما أقره على ذلك. ثم إن هذا الغرض يستتبع غرضا آخر وهو تأييسهم من أن يأتي بقرءان لا يخالف دينهم ولا يسفه أحلامهم وأصنامهم، قال تعالى ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ ﴿١٥﴾﴾ وهذه الجملة معطوفة عطف اعتراض فلك أن تجعل الواو اعتراضية فإنه لا معنى للواو الاعتراضية إلا ذلك. والتقول: نسبة قول لمن لم يقله، وهو تفعل من القول صيغت هذه الصيغة الدالة على التكلف؛ لأن الذي ينسب إلى غيره قولا لم يقله يتكلف ويختلق ذلك الكلام، ولكونه في معنى كذب عدي ب (على). والمعنى: لو كذب علينا فأخبر أنا قلنا قولًا لم نقله إلخ. و(بعض) اسم يدل على مقدار من نوع ما يضاف هو إليه، وهو هنا منصوب على المفعول به ل (تقول). والأقاويل: جمع أقوال الذي هو جمع قول، أي بعضا من جنس الأقوال التي هي كثيرة فلكثرتها جيء لها بجمع الجمع الدال على الكثرة، أي ولو نسب إلينا قليلًا من أقوال كثيرة صاد» اهـ.

وقال المفسر الفخر الرازي في تفسيره الكبير ما نصه: «اعلم أن حاصل هذه الوجوه أنه لو نسب إلينا قولًا لم نقله لمنعناه عن ذلك. إما بواسطة إقامة الحجة فإنا كنا نقيض له من يعارضه فيه، وحينئذ يظهر للناس كذبه فيه، فيكون ذلك إبطالا لدعواه وهدما لكلامه، وإما بأن نسلب عنده القدرة على التكلم بذلك القول، وهذا هو الواجب في حكمة الله تعالى؛ لئلا يشتبه الصادق بالكاذب. المسألة الثانية: الوتين هو العرق المتصل من القلب بالرأس الذي إذا قطع مات الحيوان، قال أبو

زيد: وجمعه الوتن و[يقال] ثلاثة أوتنة والموتون الذي قطع وتينه، قال ابن قتيبة: ولم يرد أنا نقطعه بعينه بل المراد أنه لو كذب لأمتناه، فكان كمن قطع وتينه، ونظيره قوله عليه السلام: «ما زالت أكلة خيبر تعاودني فهذا أوان انقطاع أبهري «والأبهر عرق يتصل بالقلب، فإذا انقطع مات صاحبه، فكأنه قال: هذا، أو أن يقتلني السم وحينئذ صرت كمن انقطع أبهره» اهـ.

وقال ابن كثير في تفسيره ما نصه: «يقول تعالى: ﴿وَلَوْ نَقَوَّلَ عَلَيْنَا﴾ أي: محمد ﷺ لو كان كما يزعمون مفتريًا علينا، فزاد في الرسالة أو نقص منها، أو قال شيئًا من عنده فنسبه إلينا، وليس كذلك، لعاجلناه بالعقوبة» اهـ.

تنبيه: يجب التحذير مما ذكر في بعض التفاسير كتفسير أبي حيان الأندلسي البحر المحيط وتفسير الفيض المبارك في تفسير جزء تبارك على تفسير قول الله تعالى ﴿وَلَوْ نَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾ ما نصه: «ولا يكون الضمير في تقوّل عائدًا على الرسول ﷺ لاستحالة وقوع ذلك منه»، فهذا القول أي أن الضمير ليس عائدًا على الرسول ﷺ هو قول باطل مردود لأنه خلاف سياق الآيات وقال الإمام المحدث المفسر الشيخ عبد الله الهرري الحبشي رضي الله عنه «إنكار ذلك معصية كبيرة».

٦٦- **قال تعالى:** ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ﴿٣١﴾﴾ [سورة المدثر]

الشرح: اعلم أن أصحاب النار هنا أي ملائكة الله الموكلون بتعذيب الكفار في النار فهم مسؤولون فيها ولهم تصرف بما وكلهم الله به وهم ملائكة وليس المراد بأصحاب النار كفار الجن والإنس فهؤلاء من البشر والشياطين فلا يكونون ملائكة وملائكة الله لا يعذبون في النار بل هم يعذبون الكفار وهم لا يتأذون بل يتلذذون بطاعتهم لربهم.

قال المفسر ابن عاشور في التحرير والتنوير ما نصه: «**وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا**» مثلًا روى الطبري عن ابن عباس وجابر بن زيد أن أبا جهل لما سمع قوله تعالى عليها تسعة عشر قال لقريش: ثكلتكم أمهاتكم إن ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم؟ فقال الله تعالى وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة، أي: ما جعلناهم رجالًا فيأخذ كل رجل رجلًا، فمن ذا يغلب الملائكة اهـ.

وفي تفسير القرطبي عن السدي: أن أبا الأشد بن كلدة الجمحي قال مستهزئا: لا يهولنكم التسعة عشر، أنا أدفع بمنكبي الأيمن عشرة وبمنكبي الأيسر تسعة ثم تمرون إلى الجنة، وقيل: قال الحارث بن كلدة: أنا أكفيكم سبعة عشر واكفوني أنتم اثنين، يريد التهكم مع إظهار فرط قوته بين قومه. فالمراد من أصحاب النار خزنتها، وهم المتقدم ذكرهم بقوله عليها تسعة عشر. والاستثناء من عموم الأنواع، أي: ما جعلنا خزنة النار من نوع إلا من نوع الملائكة» اهـ.

وقال المفسر القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرءان ما نصه: «أي على سقر

تسعة عشر من الملائكة يلقون فيها أهلها. ثم قيل: على جملة النار تسعة عشر من الملائكة هم خزنتها؛ مالك وثمانية عشر ملكًا. ويحتمل أن تكون التسعة عشر نقيبًا، ويحتمل أن يكون تسعة عشر ملكًا بأعيانهم. وعلى هذا أكثر المفسرين. الثعلبي: ولا ينكر هذا، فإذا كان ملك واحد يقبض أرواح جميع الخلائق كان أحرى أن يكون تسعة عشر على عذاب بعض الخلائق» اهـ.

وقال الطبري في تفسيره ما نصه: «وقوله:﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ﴾ يقول تعالى ذكره: وما جعلنا خزنة النار إلا ملائكة يقول لأبي جهل في قوله لقريش: أما يستطيع كل عشرة منكم أن تغلب منها واحدا؟ فمن ذا يغلب خزنة النار وهم الملائكة» اهـ.

٦٧- **قال تعالى:** ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة القيامة]

الشرح: إن من عقيدة أهل السنة والجماعة المنصوص عليها في القرءان والحديث والإجماع:

القول في إثبات رؤية الله عز وجل للمؤمنين في الآخرة بالأبصار

قال الله تعالى في كتابه المبين في سورة القيامة: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ وقال الله تعالى عن الكافرين: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة المطففين].

فلما عاقب الكفار بحجبهم عن رؤيته دلّ على أنه يثيب المؤمنين برفع الحجاب عنهم عن أعينهم حتى يروه ولمّا قال في وجوه المؤمنين ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ﴾ فقيدها بيوم القيامة ووصفها فقال ﴿ نَّاضِرَةٌ ﴾ ثم أثبت لها الرؤية فقال ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ علمنا أن الآية الأخرى في نفيها عنهم في الدنيا دون الآخرة وفي نفيها عن الوجوه الباسرة دون الوجوه الناضرة جمعا بين الآيتين وحملا للمطلق من الكلام على المقيد منه ثم قال بعض أصحابنا إنما نفى عنه الإدراك دون الرؤية والإدراك هو الإحاطة بالمرئي دون الرؤيا.

ومما يدل على أن الله عز وجل يرى بالأبصار قول موسى الكليم عليه السلام: ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [سورة الأعراف]، ولا يجوز أن يكون نبي من الأنبياء قد ألبسه الله جلباب النبيين وعصمه مما عصم منه المرسلين يسأل ربه ما يستحيل عليه، وإذا لم يجز ذلك على موسى عليه السلام فقد علمنا أنه لم يسأل ربه مستحيلًا وأن الرؤية جائزة على ربنا عز وجل.

ومما يدل على ذلك قول الله عز وجل لموسى عليه السلام ﴿ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ

مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ﴿١٤٣﴾ ﴾ [سورة الأعراف]، فلما كان الله قادرًا على أن يجعل الجبل مستقرًا كان قادرًا على الأمر الذي لو فعله لرآه موسى فدل ذلك على أن الله قادر على أن يري نفسه عباده المؤمنين وأنه جائز رؤيته، وقوله ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴿١٤٣﴾ ﴾ أراد به في الدنيا دون الآخرة بدليل ما مضى من الآية، ولأن الله تعالى قال ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [سورة الأحزاب].

واللقاء إذا أطلق على الحي لم يكن إلا رؤية الذات، وأهل هذه التحية لا آفة بهم ولأنه قال ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [سورة ق]، وقال ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة يونس].

وقد فسّر رسول الله ﷺ المبيّن عن الله عز وجل فمن بعده من الصحابة الذين أخذوا عنه والتابعين الذين أخذوا عن الصحابة أن الزيادة في هذه الآية: النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى أي إلى ذات الله والله منزه عن الجارحة، وانتشر عنه وعنهم إثبات رؤية الله عز وجل في الآخرة بالأبصار بلا كيف ولا مكان.

وجاء في تفسير هذه الآية عن جماعة كبيرة من العلماء بالإسناد المتصل ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ أي الجنة، ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ النظر إلى وجه الرب عز وجل أي إلى ذاته، فعن عبد الرحمٰن بن صخر قال: كان رسول الله ﷺ بارزًا للناس فأتاه رجل فقال يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر، وذكر باقي الحديث، قال البيهقي رحمه الله: واللقاء المذكور في هذا الحديث هو لقاء الله عز وجل فقد أفرد البعث بالذكر، وقال في حديث دعاء التهجد: «**ووعدك حق ولقاؤك حق**».

رواه البخاري في دعاء التهجد ومسلم في صلاة المسافرين وفي رواية أبي بكرة عن النبي ﷺ «**وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم**» أخرجه البخاري، وفي حديث أن ابن مالك رضي الله عنه في قصة الأنصار أن النبي ﷺ قال لهم: «**اصبروا حتى تلقوا الله ورسوله**» أخرجه البخاري في صحيح في كتاب التوحيد.

وفي الكتاب قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [سورة الكهف].

وذكر الحافظ عبد الرحمٰن بن الجوزي الحنبلي في تفسيره «زاد المسير في علم التفسير»[1] في قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ ما نصه: أي مشرقة بالنعيم، روى عطاء عن ابن عباس قال: إلى الله ناظرة، قال الحسن: حق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق. ورؤية الله عز وجل حق لا شك فيه والأحاديث فيها صحاح وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله تعالى في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها» اهـ.

وانظر تفسير الخازن[2] في تفسير هذه الآية: «وانظر تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي / وانظر التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي وكل كتب التفسير المعتبرة عند أهل الحق» اهـ.

وفي إحياء علوم الدين[3] للفقيه الشافعي أبي حامد محمد بن محمد الغزالي تحت عنوان بيان العلم بصفات الله عز وجل قال: «الأصل التاسع: العلم بأنه تعالى مع كونه منزها عن الصورة والمقدار مقدسا عن الجهات والأقطار مرئي بالأعين والأبصار في الدار الآخرة دار القرار لقوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ ولا يرى في الدنيا تصديقا لقوله عز وجل ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴿١٠٣﴾﴾ ولقوله تعالى في خطاب موسى عليه السلام ﴿لَن تَرَىٰنِى ﴿١٤٣﴾﴾» اهـ.

وانظر في كتاب لمع الأدلة[4] لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني

---

(١) زاد المسير في علم التفسير (٨/ ٤٢٢-٤٢٣).

(٢) تفسير الخازن (٤/ ٣٣٥).

(٣) انظر الكتاب (١/ ١٠٨).

(٤) انظر الكتاب (ص١٠١).

تحت عنوان رؤية الله، وفي كتابه الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد[1] تحت عنوان كل موجود يجوز أن يرى، وفي ١٦٤ تحت عنوان رؤية الله تعالى وفي ١٦٨ تحت عنوان رؤية الله تعالى ستكون في الجنان بلا كيف ولا جهة ولا مكان كما عرفناه في الدنيا ليس كمثله شيء نراه في الآخرة.

وتأمل كتاب الإنصاف[2] في ما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به لإمام المتكلمين القاضي أبي بكر ابن الطيب الباقلاني البصري قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ الآية.

وإليك كتاب الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد[3] للإمام الحافظ الكبير أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي تحت عنوان القول في إثبات الرؤية لله عز وجل في الآخرة بالأبصار.

وافهم أرشدك الله إلى سبيل أهل الحق ما ذكره الإمام العالم الجليل عمدة المتكلمين أبو جعفر الطحاوي المتوفى سنة ٣٢٩ هـ في كتابه العقيدة الطحاوية[4] ما نصه: «والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾».

وتدبر معنى ما قاله المتكلم النحوي الفقيه محمد بن هبة الله المكي في كتابه حدائق الفصول وجواهر العقول المعروفة بالعقيدة الصلاحية والتي نظمها بأمر من السلطان صلاح الدين الأيوبي رضي الله عنه فأقبل عليها وأمر بتدريسها في الكُتّاب حتى للصبيان[5]:

---

(١) انظر الكتاب (ص١٦٣).

(٢) انظر الكتاب (ص٣٧).

(٣) انظر الكتاب (ص٧٤).

(٤) انظر الكتاب (ص١١).

(٥) انظر الكتاب (ص٥٧).

فصل في رؤية الخالق

وقد أتى في الخبر المنقول ... الثابت النقل عن الرسول
رؤية رب الخلق في القيامة ... كالقمر النائي عن الغمامة
ولم يرد بضربه المثالا ... إلا انتفاء الشك والإجلال
إذ رؤية الخالق لا تكيف ... هذا ما كان عليه السلف
فمنكروها خالفوا الرسولا ... وعاندوا المنقول والمعقول».

وذكر الإمام عمر بن محمد النسفي في كتابه العقيدة النسفية يقول[1]: «ورؤية الله تعالى جائزة في العقل واجبة بالنقل».

وقد ورد الدليل السمعي بإيجاب رؤية المؤمنين لله تعالى في دار الآخرة فيرى لا في مكان ولا في جهة ولا على جهة من مقابلة أو اتصال شعاع أو ثبوت مسافة بين الرائي وبين الله تعالى.

قال الإمام الحافظ ابن فورك[2]: «اعلم أن قوله ترون ربكم كما ترون القمر لم يقصد به إلا تحقيق رؤية العيان لا تشبيه المرئ بالمرئ بل تحصيل ذلك تشبيه الرؤية بالرؤية حتى كأنه قال رؤيتكم الله تعالى يوم القيامة كرؤيتكم القمر ليلة البدر أي كما أنكم لا تشكون ليلة البدر في رؤية القمر أنه هو البدر ولا يتخالجكم فيه ريب وظن كذلك ترون الله جل ذكره يوم القيامة معاينة يحصل معها اليقين بأن ما ترونه هو المعبود الإلـه الذي ليس كمثله شيء وحقق ذلك قوله لا تضامون في رؤيته فأما معنى قوله ﷺ **لا تضامون في رؤيته** أي لا ينضم بعضكم إلى بعض كما تنضمون في رؤية الهلال رأس الشهر بل ترونه جهرة من غير تكلف لطلب رؤيته كما ترون البدر وهو القمر ليلة الرابع عشر إذا عاينه المعاين جهرة لم يحتج إلى تكلف في طلب

(١) العقيدة النسفية (ص٢٦).

(٢) مشكل الحديث وبيانه، (ص/ ٢١٩ – ٢٢٠).

رؤيته ومعاينته وكذلك قوله ﷺ **لا تضارون** أي لا يلحقكم الضرر في رؤيته بتكلف طلب كما يلحق المشقة والتعب في طلب رؤية ما يخفي ويدق ويغمض وكل ذلك المعاينة وأنها صفة تزيد على العلم» اهـ.

وقال الإمام ابن فورك في كتابه مشكل الحديث وبيانه[1]: «اعلم أن قوله ترون ربكم كما ترون القمر لم يقصد به إلا تحقيق رؤية العيان لا تشبيه المرئ بالمرئ بل تحصيل ذلك تشبيه الرؤية بالرؤية حتى كأنه قال رؤيتكم الله تعالى يوم القيامة كرؤيتكم القمر ليلة البدر، أي كما أنكم لا تشكون ليلة البدر في رؤية القمر أنه هو البدر ولا يتخالجكم فيه ريب وظن كذلك ترون الله جل ذكره يوم القيامة معاينة يحصل معها اليقين بأن ما ترونه هو المعبود الإلٰه الذي ليس كمثله شيء وحقق ذلك قوله لا تضامون في رؤيته، فأما معنى قوله ﷺ **لا تضامون في رؤيته** أي لا ينضم بعضكم إلى بعض كما تنضمون في رؤية الهلال رأس الشهر بل ترونه جهرة من غير تكلف لطلب رؤيته كما ترون البدر وهو القمر ليلة الرابع عشر إذا عاينه المعاين جهرة لم يحتج إلى تكلف في طلب رؤيته ومعاينته، وكذلك قوله ﷺ **لا تضارون** أي لا يلحقكم الضرر في رؤيته بتكلف طلب كما يلحق المشقة والتعب في طلب رؤية ما يخفي ويدق ويغمض وكل ذلك المعاينة وأنها صفة تزيد على العلم، وكذلك من روى تضامون مخففا فإنما مراده الضيم أي لا يلحقكم فيه ضيم والضيم والضرر واحد في المعنى» اهـ.

قال الحافظ البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات»[2]: «وأمّا الحديث الّذي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أبو النّضر محمّد بن محمّد بن يوسف الفقيه، حدّثنا عليّ بن محمّد بن عيسى، حدّثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب بن أبي حمزة، عن الزّهريّ، قال: أخبرني سعيد بن المسيّب، وعطاء بن يزيد اللّيثيّ، أنّ أبا هريرة، أخبرهما أنّ النّاس قالوا للنّبيّ ﷺ: يا رسول الله، هل نرى ربّنا يوم

(١) مشكل الحديث وبيانه،الإمام ابن فورك،(ص/ ٢١٩ – ٢٢٠).

(٢) الأسماء والصفات (المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الأولى ص٢٧٨-٢٧٩).

القيامة؟ قال: **هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونها سحابٌ؟** قالوا: لا يا رسول الله قال: **فهل تمارون الشّمس ليس دونها سحابٌ؟** قالوا: لا يا رسول الله قال: **فإنّكم ترونه كذلك، يحشر النّاس يوم القيامة،** فيقال: من كان يعبد شيئًا فليتّبعه فمنهم من يتبع الشّمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطّواغيت، وتبقى هذه الأمّة فيها منافقوها فيأتيهم الله تبارك وتعالى في غير صورته الّتي يعرفون، فيقول: أنا ربّكم فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتّى يأتينا ربّنا، فإذا جاء ربّنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته الّتي يعرفون..». ثم قال[1]: «فهذا حديثٌ قد رواه البخاريّ في الصّحيح عن أبي اليمان دون ذكر الصّورة، ثم أخرجه من حديث معمر عن الزّهريّ، عن عطاء بن يزيد، وفيه ذكر الصّورة وأخرجه أيضًا من حديث إبراهيم بن سعدٍ، عن الزّهريّ، ورواه أيضًا مسلم بن الحجّاج عن عبد الله بن عبد الرّحمن الدّارميّ، عن أبي اليمان نحو حديث إبراهيم بن سعدٍ، عن الزّهريّ، عن عطاء بن يزيد وفيه ذكر الصّورة» اهـ.

وقال المحدِّث محمد زاهد الكوثري في تعليقه على كتاب «الأسماء والصفات»[2] للبيهقي: «اضطربت الروآيات في ذكر الصورة والإتيان كما يظهر من استعراض طرق هذا الحديث ومتونه في الصحيحين وجامع الترمذي، وتوحيد ابن خزيمة وسنن الدارمي وغيرها» اهـ.

ونقل الذهبي في كتابه «سير أعلام النبلاء»[3] إنكار الإمام مالك (٩٣هـ) للفظ الصورة: «أبو أحمد بن عَدي: حدثنا أحمد بن على المدائني، حدثنا إسحاق ابن إبراهيم بن جابر، حدثنا أبو زيد بن أبي الغمر، قال: قال ابن القاسم: سألت مالكًا عمَّن حدَّث بالحديث، الذين قالوا: «إن الله خلق آدم على صورته»، والحديث الذي جاء: «إن الله يكشف عن ساقه»، وأنه «يُدخل يده في جهنم حتى يُخرج من

---

(١) الأسماء والصفات، (ص٢٨١).

(٢) المصدر نفسه، (ص٢٧٩).

(٣) سير أعلام النبلاء (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، ٦/ ٣٢٩).

أراد». فأنكر مالك ذلك إنكارًا شديدًا، ونهى أن يُحدِّثَ بها أحد» اهـ. ولا شك أن مالكًا أوسع اطلاعًا ممَّن أثبت هذا اللفظ من غير تحقيق ومع ذلك مالك يُنكره.

وقال ابن بطَّال أبو الحسن على بن خلف بن عبد الملك (٤٤٩هـ) في كتابه «شرح صحيح البخاري»[١]: «وأما وصفه ﷺ لله تعالى بالإتيان بقوله: «**فيأتيهم الله**». فليس على معنى الإتيان المعهود فيما بيننا الذي هو انتقال وحركة؛ لاستحالة وصفه بما توصف به الأجسام» اهـ.بل هو كقوله تعالى ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴿٢٦﴾﴾

وقال الحافظ ابن الجوزي الحنبلي (٥٩٧هـ) في كتابه «كشف المشكل من حديث الصحيحين»[٢]: «وهذا شيء قد تخبط فيه جماعة، فالمتقدمون من السلف قرأوه وعبروا ولم ينطقوا بشيء مع علمهم واعتقادهم أن الصورة التي هي تخاطيط لا تجوز على الله عز وجل ولا التغير، وهذان أصلان لا بد من اعتقادهما، التخاطيط لا تكون إلا في الأجسام، والتغير لا يصلح أن يطرأ على الإلٰـه، فإن الخليل عليه السلام عاب النجم بالأفول فقال ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة الأنعام]، لأنه علم أن ما يطرقه التغيّر لا يصلح أن يكون معبودًا» اهـ.

وقال محمد بن خليفة الوَشتاني الأُبيّ (٨٢٧ أو ٨٢٨هـ) في شرحه على صحيح مسلم المسمى «إكمالُ إكمالِ المعَلِّم»[٣]: «قلتُ قال في الإرشاد:... وأنت تعرف أن الإتيان حركة وانتقال، والصورة تُشعر بالتركيب، وكلٌّ على الله سبحانه محال» وقال[٤]: «وقد جهل من لم يحصل كلامه ممن تقدم فأثبت صورة لا كالصور وهذا تناقض وتجسيم» اهـ.

---

(١) شرح صحيح البخاري (مكتبة الرشد، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ، ١٠/ ٤٦٢).

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين (دار النشر – دار الوطن–الرياض ١٤١٨هـ، ١/ ٧٦٥).

(٣) إكمال إكمال المعلم، (١/ ٥٥٧).

(٤) المصدر السابق، ص٥٥٩.

وقال بدر الدين العيني الحنفي (٨٥٥هـ) في كتابه «عمدة القاري شرح صحيح البخاري»[١]: «فإن قلتَ: لا بد للرؤية من المواجهة والمقابلة وخروج الشعاع من الحدقة إليه وانطباع صورة المرئي في حدقة الرائي ونحوها، مما هو محال على الله تعالى، قلتُ: هذه شروط عادية لا عقلية يمكن حصولها بدون هذه الشروط عقلًا» ثم قال[٢]: «قال ابن الجوزي: معنى الخبر يأتيهم الله بأهوال يوم القيامة» اهـ. وكذا قال محمد بن يوسف الكرماني (٧٨٦هـ) في كتابه «شرح الكرماني على صحيح البخاري»[٣].

قال القاضي الفقيه ابن جماعة في كتابه إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل[٤]: «اعلم أن الأدلة العقلية والنقلية تحيل الصورة التي هي التخطيط على الله تبارك وتعالى كما تقدم فوجب صرفها على ظاهرها إلى ما يليق بجلاله تبارك وتعالى مما هو مستعمل في لغة العرب وهو الصفة والحالة يقال كيف صورة هذه الواقعة وكيف صورة هذه المسألة وفلان من العلم على صورة كذا وكذا فالمراد بجميع ذلك الصفة لا الصورة التي هي التخطيط، فعلى هذا الصورة هنا بمعنى الصفة وتكون في بمعنى الباء فمعنى الصورة التي أنكروها أولا أنه أظهر لهم شدة البطش والبأس والعظمة والأهوال والجبروت وكان وعدهم في الدنيا يلقاهم في القيامة بصفة الأمن من المخاوف والبشرى والعفو والإحسان واللطف فلما أظهر لهم غير الصفة التي هي مستقرة في نفوسهم أنكروها واستعاذوا منها، وقوله فإذا أتانا ربنا عرفناه أي بما وعده من صفة اللطف والرحمة والإحسان ولذلك قال فيكشف عن ساق أي يكشف عن تلك الشدة المتقدمة وتظهر لهم صفة الرحمٰن فيسجدون شكرا له (تظهر لهم آثار رحمة الله بهم فيرحمهم وينجيهم وليس معنى هذا الكلام المتقدم أن صفة

---

(١) عمدة القاري، (٢٥/ ١٨٥).

(٢) المصدر نفسه، ص٢٠٥.

(٣) شرح الكرماني على صحيح البخاري، (١٢/ ٣١٣).

(٤) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، بدر الدين بن جماعة، (ص١٥٧- ١٥٨- ١٥٩).

الرحمٰن تحل في موقف القيامة حاشا وكلا) وقد تقدم ذلك في قوله يوم يكشف عن ساق ويدل لما قلنا أن المراد بالصورة الصفة دلالة صريحة قوله في الصورة التي يعرفونها، ثانيها يأتيهم في الصورة التي يعرفونها المراد التي يعرفونها في الدنيا لأنهم لم يعرفوه يوم القيامة قبل ذلك بصورة متقدمة ولا رؤية سابقة فدل على أن المراد التي يعرفونها في الدنيا، ولا خلاف بين الخلائق أجمع أن الله تعالى لم تعرف له في الدنيا صورة وإنما عرفت صفاته تعالى وما وعد به الصالحين في القيامة من لطفه وأمنه وبشارتهم بجنته، فإن قيل فلم عدل عن لفظ الصفة إلى لفظ الصورة قلنا لما كانت المتبوعات المتقدمة في الحديث لعابديهم صورا جاء بلفظ الصورة مشاكلة بين المعاني والألفاظ فإنه من أنواع البلاغة، وقوله في الحديث في أدنى صورة فيها أي في أول صفة رأوه فيها لأنهم لم يروا صفة قبلها، ومعنى أدنى أقرب.

وقال قوم (وهذا القول ليس بشيء ولا يلتفت إليه وسيأتي الآن رد القاضي ابن جماعة لهذا القول) معناه أن الله تعالى يبعث لهم ملكا في صورة يمتحن إيمانهم في الآخرة كما امتحنهم في الدنيا بالدَّجال فيقول أنا ربكم ولله تعالى أن يمتحن عباده بما يشاء إذا شاء.

قال وفائدة ذلك ثبات المؤمنين على إيمانهم وظهور ذلك منهم لمن خالفهم تشريفا لهم.

والأول أظهر وأقرب إلى الأصول واللغة وأقرب من أن يقول الملك المقرب أنا ربكم مع عصمته عن ذلك ونحوه، وهذا الحديث مما يستشكل جدا وقد أجبت بحمد الله عن إشكاله» اهـ

فلا يسع المبتدع المعاند الجاهل الذي ينكر رؤية الله تعالى للمؤمنين في الآخرة بعد هذا البيان الشامل الذي أظهرنا فيه الآيات القرءانية والأحاديث النبوية وأقوال التابعين والعلماء العاملين إلا أن يتقي الله سبحانه وتعالى ويرجع عن اعتقاده الذي خالف فيه القرءان والحديث وإجماع الأمة الإسلامية إلى ما ورد فيه القرءان الكريم

بالنص الصريح ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾.

وليعلم أن هذا هو مذهب المعتزلة الذين كذبوا القرءان وحاربوا الرسول وخرجوا عن الإجماع وقد سماهم الرسول ﷺ «**مجوس هذه الأمة**»، وهذا الاعتقاد لا دليل ولا برهان عليه بل هو قائم على الظن والوهم ولن يجدوا لهم من القرءان والحديث دليلًا على هذا المعتقد الفاسد فإن تابوا إلى الله ورجعوا عن هذا فإن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر، فليتذكروا القبر والوزن والحساب وليهيئوا جوابًا وليفكروا بأي لسان سينطقون لمن قال ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾.

٦٨- قال تعالى: ﴿ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ ﴾ [سورة الطارق]

الشرح:

أكذوبة الاستنساخ في ميزان العلم والعقل

إن مما نص عليه القرءان والحديث وأجمعت عليه الأمة وشهد الطبّ بصحته وصدقه أن الجنين يخلق بقدرة الله تعالى من مني المرأة والرجل مجتمعين في رحم المرأة وليس كما زعم دجاجلة هذا العصر من الملاحدة واليهود وما يسمى شهود يهوى وعباد الشيطان أن بإمكان البشر أن يستنسخوا إنسانًا أو خاروفًا بزعمهم بأن يؤخذ شيء من جسم الرجل يسمونه خلية غير المني ووضعه في رحم المرأة فتحمل منه بولد مشابه لهذا الرجل وهذا كذب معارض لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٍ ۝٢ ﴾ ولقول الله تعالى: ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ ﴾.

الدلائل القرءانية على أن الجنين يخلق من مني الرجل والمرأة وليس من مني الرجل وحده كما زعم هؤلاء الجهلاء

١ـ قال الله تعالى في القرءان الكريم: ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ ﴾ [سورة الطارق].

٢ـ قال الله تعالى في القرءان الكريم: ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢ ﴾ [سورة الإنسان].

٣ـ قال الله تعالى في القرءان الكريم: ﴿ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ۝٣٧ ﴾ [سورة الكهف].

٤ـ قال الله تعالى في القرءان الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ

مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ ﴿٥﴾ ﴾ [سورة الحج].

٥ـ قال الله تعالى في القرءان الكريم: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة المؤمنون].

٦ـ قال الله تعالى في القرءان الكريم: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿١١﴾ ﴾ [سورة فاطر].

٧ـ قال الله تعالى في القرءان الكريم: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [سورة يس].

٨ـ قال الله تعالى في القرءان الكريم: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [سورة غافر].

٩ـ قال الله تعالى في القرءان الكريم: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [سورة النجم].

١٠ـ قال الله تعالى في القرءان الكريم: ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة القيامة].

١١ـ قال الله تعالى في القرءان الكريم: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة النحل].

١٢ـ قال الله تعالى في القرءان الكريم: ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة عبس].

أحاديث لرسول الله ﷺ تؤكد وجود المني عند المرأة

١ـ روى البخاري في صحيحه في باب مناقب الأنصار من حديث أنس أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم النبي ﷺ المدينة فأتاه يسأله عن أشياء فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي؛ وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «**أما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد**». الحديث

٢ـ وروى البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها**». الحديث

٣ـ وروى مسلم في صحيحه في كتاب الحيض من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن ماء الرجل غليظ ابيض وماء المرأة رقيق أصفر فمن أيهما علا أو سبق يكون منه الشبه**». الحديث

٤ـ روى مسلم في صحيحه في كتاب الحيض من حديث عائشة رضي الله عنها أن امرأة قالت لرسول الله ﷺ هل تغتسل المرأة إذا هي احتلمت وأبصرت الماء؟ فقال **نعم**». الحديث

٥ـ وروى مسلم في صحيحه من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل على مني المرأة أذكرا بإذن الله وإذا علا مني المرأة مني الرجل آنث بإذن الله**».الحديث

إجماع الأمة الإسلامية على وجوب الغسل على المرأة إن خرج منها المني

١ـ قال على بن خلف بن عبد الملك المشهور بابن بطّال المتوفى سنة ٤٤٩ للهجرة في شرحه على صحيح البخاري الجزء الأول ص٣٩٧ ما نصه: «لا خلاف بين

العلماء أن النساء إذا احتلمن ورأين الماء ـ أي خرج منهن علمن به أو رأينه ـ أن عليهن الغسل وحكمهن حكم الرجال في ذلك». انتهى كلام ابن بطال

٢ـ قال الحافظ يحيى أبو زكريا بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦ للهجرة في شرحه على صحيح مسلم المجلد الثاني الجزء الثالث ص٢٢٠ ما نصه: «اعلم أن المرأة إذا خرج منها المني وجب عليها الغسل كما يجب على الرجل بخروجه،وقد أجمع المسلمون على وجوب الغسل على الرجل والمرأة بخروج المني» ثم قال: «فمن أين يكون الشبه معناه أن الولد متولد من ماء الرجل وماء المرأة فأيهما غلب كان الشبه له وإذا كان للمرأة مني فأنزله فإنزاله وخروجه منها ممكن» ثم قال بعد كلام: «وأما مني المرأة فهو أصفر رقيق وقد يبيض لفضل قوتها وله خاصيتان يعرف بواحدة منهما أحدهما أن رائحته كرائحة مني الرجل والثانية التلذذ بخروجه وفتور شهوتها عقب خروجه، قالوا ويجب الغسل بخروج المني بأي صفة وحال كان والله أعلم».انتهى كلام النووي

٣ـ قال القاضي الحافظ أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي المتوفى سنة ٥٤٤ للهجرة في كتابه إكمال المعلم بفوائد مسلم ما نصه[١]: «والغسل إنما يجب على المحتلم أكان رجلًا أو امرأة إذا رأى الماء كما ذكر في الحديث ليس من مجرد رؤية الفعل وهذا ما لا خلاف فيه». انتهى كلام القاضي عياض.

٤ـ وقال محمد بن خليفة الوشتاني الأبي المتوفى سنة ٨٢٧ للهجرة في كتابه إكمال إكمال المعلم ما نصه[٢]: «إن سبق ماء الرجل وعلا ماءها أذكر وأشبه الولد أعمامه وإن سبق ماء المرأة وعلا آنث وأشبه الولد أخواله. وزعم بعضهم أن الولد إنما هو من ماء المرأة وماء الرجل إنما هو للعقد كالمنفاح للبن والحديث يرد عليه لأن انقسام الشبه يدل على أنه من الماءين قلت هذا الخلاف هو للأطباء

(١) انظر الكتاب (المجلد الثاني ص١٣٠).

(٢) انظر الكتاب (شرح صحيح مسلم ٢/ ١٥١).

وقال جماعة منهم: هو من ماء الرجل فقط. وقيل: لا منهما بل هو من دم الحيض. وقيل: بل من الرغوة والزبد الذي يكون بين ماء الزوجين والصحيح ما دل عليه الحديث أنه منهما». ثم قال: «لو وصل مني المرأة إلى المحل الذي تغسله عند الاستنجاء وهو ما يظهر عند جلوسها لقضاء الحاجة اغتسلت لأنه كحكم الظاهر والبكر لا يلزمها ذلك حتى يبرز عنها لأن داخل فرجها كداخل الإحليل».انتهى كلام الأبي

٥ـ قال الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ للهجرة في كتابه فتح الباري بشرح صحيح البخاري[١] عند شرح الحديث «هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت فقال رسول الله ﷺ: **نعم إذا رأت الماء**» ما نصه: «إذا رأت الماء أي المني بعد الاستيقاظ وفي رواية الحميدي عن سفيان عن هشام «إذا رأت إحداكن الماء فلتغتسل» وزاد «فقالت أم سلمة وهل تحتلم المرأة؟» وكذلك روى هذه الزيادة أصحاب هشام عنه غير مالك فلم يذكرها» ثم قال بعد كلام: «وقال ابن بطال فيه دليل على أن كل النساء يحتلمن» ثم قال: «وفيه دليل على وجوب الغسل على المرأة بالإنزال ونفى ابن بطال الخلاف فيه وقد قدمناه عن النخعي» ثم قال: «وقد روى أحمد من حديث أم سليم في هذه القصة أن أم سلمة قالت: يا رسول الله هل للمرأة ماء؟ فقال: هن شقائق الرجال، وروى عبد الرزاق في هذه القصة «إذا رأت إحداكن الماء كما يراه الرجل» وروى أحمد من حديث خولة بنت حكيم في نحو هذه القصة «ليس عليها غسل حتى تنزل كما ينزل الرجل» وفيه رد على من زعم أن ماء المرأة لا يبرز».انتهى كلام ابن حجر

أقوال علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم على إثبات المني للمرأة

١ـ قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ للهجرة في كتاب

---

(١) انظر الكتاب (المجلد الأول ص٤٦٣).

«الأم» ما نصه[1]: «متى خرج المني من ذكر الرجل أو رأت المرأة الماء الدافق فقد وجب الغسل» اهـ.

٢ـ قال الإمام الفقيه أبو اسحاق الفيروزأبادي الشيرازي الشافعي في كتاب «التنبيه» ما نصه[2]: «يجب الغسل على المرأة من خروج المني» اهـ.

٣ـ قال الإمام المفسر محمد بن جرير الطبري في تفسيره للآية الثانية من سورة الإنسان ما نصه: «وقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ﴿٢﴾﴾. يقول تعالى ذكره: إنّا خلقنا ذرّيّة آدم من نطفةٍ، يعني: من ماء الرّجل وماء المرأة» ثم قال: «حدّثنا أبو هشامٍ الرّفاعيّ، قال: حدّثنا عبيد الله، قال: أخبرنا عثمان بن الأسود، عن مجاهدٍ، قال: خلق الله الولد من ماء الرّجل وماء المرأة، وقد قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴿١٣﴾﴾» ثم قال: «حدّثني محمّد بن سعدٍ، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني عمّي، قال: حدّثني أبي، عن أبيه، عن ابن عبّاسٍ، قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ﴿٢﴾﴾الأمشاج خلقٌ من ألوان، خلقٌ من ترابٍ، ثمّ من ماء الفرج والرّحم، وهي النّطفة، ثمّ علقةٍ، ثمّ مضغةٍ، ثمّ عظمٍ، ثمّ من لحمٍ، ثمّ أنشأه خلقًا آخر، فهو ذلك».انتهى

٤ـ قال الإمام على بن محمد بن حبيب الماوردي الشافعي في كتابه النكت والعيون ما نصه: «في النطفة قولان:

أحدهما: ماء الرجل وماء المرأة إذا اختلطا فهما نطفة، قاله السدي.

الثاني: أن النطفة ماء الرجل، فإذا اختلط في الرحم وماء المرأة صارا أمشاجًا» اهـ.

---

(١) انظر الكتاب (١/ ٥).

(٢) انظر الكتاب (ص١٩).

٥ـ قال الإمام المفسر محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي في تفسيره للآية «ألم يك نطفة من مني يمنى» ما نصه: «من المني. ﴿ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ أي الرجل والمرأة».

وقال في تفسير الآية الثانية من سورة الإنسان ما نصه: «وعن ابن عباس أيضًا قال: يختلط ماء الرجل وهو أبيض غليظ بماء المرأة وهو أصفر رقيق فيخلق منهما الولد، فما كان من عصب وعظم وقوة فهو من ماء الرجل، وما كان من لحم ودم وشعر فهو من ماء المرأة. وقد روى هذا مرفوعا، ذكره البزار. وروى عن ابن مسعود: أمشاجها عروق المضغة. وعنه: ماء الرجل وماء المرأة وهما لونان. وقال مجاهد: نطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وصفراء. وقال ابن عباس: خلق من ألوان، خلق من تراب، ثم من ماء الفرج والرحم، وهي نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظم ثم لحم. ونحوه قال قتادة: هي أطوار الخلق: طور وطور علقة وطور مضغة عظام ثم يكسو العظام لحما، كما قال في سورة المؤمنون ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾﴾ [سورة المؤمنون] الآية. وقال ابن السكيت: الأمشاج الأخلاط، لأنها ممتزجة من أنواع فخلق الإنسان منها ذا طبائع مختلفة. وقال أهل المعاني: الأمشاج ما جمع وهو في معنى الواحد، لأنه نعت للنطفة، كما يقال: برمة أعشار وثوب أخلاق. وروي عن أبي أيوب الأنصاري: قال جاء حبر من اليهود إلى النبي ﷺ فقال: أخبرني عن ماء الرجل وماء المرأة؟ فقال: [ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فإذا علا ماء المرأة أنثت وإذا علا ماء الرجل أذكرت] فقال الحبر: أشهد أن لا إلـه إلا الله وأنك رسول الله. وقد مضى هذا القول مستوفى في سورة البقرة. ﴿نَّبۡتَلِيهِ﴾ أي نختبره. وقيل: نقدر فيه الابتلاء وهو الاختبار» اهـ.

وممن قال من العلماء أن للمرأة منيا، كثير جدا نذكر بعضهم بإذن الله:

١ـ الإمام صفي الدين أحمد بن عمر بن محمد المذحجي السيفي المرادي المشهور بالمزجر اليمني في كتاب «العباب المحيط بمعظم نصوص الشافعي

والأصحاب»[1].

٢ـ الإمام الفقيه أبو العباس نجم الدين أحمد بن محمد بن الرفعة الشافعي في كتاب «كفآية النبيه في شرح التنبيه»[2].

٣ـ الإمام زكريا الأنصاري الشافعي في كتاب «حاشية الجمل على شرح المنهاج»[3].

٤ـ الإمام جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي الشافعي كتاب «المهمات»[4].

٥ـ الإمام أبو المحاسن عبد الواحد اسماعيل الروياني الشافعي في كتاب «بحر المذهب»[5].

٦ـ الإمام عبد الرحمٰن الشربيني الشافعي في كتاب «الغرر البهية»[6].

٧ـ الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي القزويني الشافعي في كتاب «العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير»[7].

٨ـ الإمام عبد الحميد الشرواني الشافعي والإمام أحمد بن قاسم العبادي وشهاب الدين بن حجر الهيتمي في كتاب «حواشي الشرواني وابن قاسم العبادي»[8].

٩ـ الإمام سليمان بن محمد بن أحمد الأنصاري الشافعي في كتاب «حاشية

---

(١) انظر الكتاب (١/ ٥١).

(٢) انظر الكتاب (١/ ٤٧٣).

(٣) انظر الكتاب (١/ ٢٤٢).

(٤) انظر الكتاب (٢/ ٢٣٤).

(٥) انظر الكتاب (١/ ١٨٩).

(٦) انظر الكتاب (١/ ٣٦٢).

(٧) انظر الكتاب (١/ ١٨١).

(٨) انظر الكتاب (١/ ٤٢٩).

البجيرمي على شرح منهج الطلاب»[1].

١٠ـ الإمام يحيى أبو زكريا بن شرف النووي في كتاب «المجموع»[2].

١١ـ الإمام برهان الدين على بن أبي بكر المرغيناني الحنفي في كتاب «فتح القدير» في كتاب الطهارات.

١٢ـ الإمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي ثم السكندري المعروف بابن الهمام الحنفي في كتاب «شرح فتح القدير»[3].

١٣ـ الإمام أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود البابرتي الحنفي في كتاب «العنآية شرح الهدآية»[4].

١٤ـ الإمام المجتهد العالم الحافظ النجم في علم الحديث مالك بن انس رضي الله عنه في كتاب «المدونة الكبرى»[5].

١٥ـ الشيخ محمد عليش المالكي في كتاب «منح الجليل شرح مختصر سيدي خليل»[6].

١٦ـ الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمٰن المغربي المعروف بالحطاب الرعيني المالكي في كتاب «مواهب الجليل لشرح مختصر خليل»[7].

١٧ـ الإمام علاء الدين أبو الحسن على بن سليمان المرداوي الحنبلي في كتاب

---

(١) انظر الكتاب (١/ ١٢٣).

(٢) انظر الكتاب (٢/ ٣٧٥).

(٣) انظر الكتاب (١/ ٦٤).

(٤) انظر الكتاب (١/ ٤٨-٤٩).

(٥) انظر الكتاب (١/ ٣١).

(٦) انظر الكتاب (١/ ١١٩).

(٧) انظر الكتاب (١/ ٤٤٥).

«الإنصاف»[1].

١٨ـ موفق الدين بن قدامة الحنبلي في كتاب «المغني»[2].

وها قد رأيت بأم عينك أيها القارئ المتأني المنصف نقل علماء المذاهب الأربعة ونقل علماء الأمة من الصحابة إلى يومنا هذا وكلهم يؤكدون ويثبتون أن الجنين إنما يُخلق من مني الرجل والمرأة، وبين أيدينا الآن مما يثبت هذه المسألة ويثبت أن المرأة لها مني،أكثر من أربعمائة مصدر ومرجع من كتب كل أصناف علماء الأمة، فلا تلتفت لما خالف ذلك.

وبعد ذكر الأدلة القرءانية والحديثية وإجماع الأمة الإسلامية ونصوص علماء المسلمين من مفسرين ومحدثين وفقهاء وغيرهم كثير ثبت بما لا شك فيه ولا ريب أن المرأة لها مني وأن الولد يخلق من مني الرجل والمرأة فلا يجوز الالتفات إلى قول بعض الأطباء الذين لا يعرفون الحلال من الحرام ولا الحق من الباطل وينكرون أن يكون للمرأة مني ويقولون بويضة، فما معنى البويضة بزعمكم؟ وأين دليلكم من القرءان أو السنة الثابتة أو إجماع الأمة على عدم وجود المني عند المرأة؟ فنحن معنا مصادر التشريع والأدلة الدينية والعقلية القاطعة واليقينية، وأنتم ليس معكم إلا تقليد أوهام الأطباء الكفار لا الحقائق اليقينية.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الإسراء].

مسألة مهمة في أن المني لا روح ولا حياة فيه

شاع عند بعض الأطباء وفي بعض المدارس والجامعات وبين الجهال فرضيات (hypothèses) ونظريات (théories) تقول إن المني فيه روح ويسمونه «حيوانا

(١) انظر الكتاب (١/ ٣٤١).

(٢) انظر الكتاب (١/ ٢٣٥).

منويا»، وبعضهم يعتقد أن فيه ديدانًا صغيرةً ثم هذه الديدان تتطور وتصير إنسانا، وهذا معارض ومخالف لدين الله تعالى ومناقض لما جاء في القرءان والحديث والإجماع، والأصول والحقائق العلمية الصحيحة اليقينية التي في علم الطب وهو -بلا شك- اعتقاد باطل، تسرّب من بعض المفتونين بنظرية دارون الإلحادية، المعروفة بنظرية التطور، أو النشوء والارتقاء.

فيجب الاعتقاد الجازم بأن المني لا حياة فيه ولا روح فيه إنما فيه صفة التموج كما في الزئبق وهذا لا يدل على وجود الحياة فيه، كما أن الشجرة وسائر النباتات فيها صفة النمو وهي جماد لا روح فيها.

١- قال الله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة البقرة]

أ- قال المفسر فخر الدين الرازي المتوفى في سنة ٦٠٤ للهجرة في كتاب «التفسير الكبير» ما نصه[١]: «اتفقوا على أن قوله «وكنتم أمواتا» المراد به وكنتم ترابًا ونطفا». انتهى كلام الرازي

ومعروف لكل عاقل أن التراب لا حياة فيه.

ب- قال الإمام محمد بن أحمد أبو عبد الله القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ للهجرة في كتابه «الجامع لأحكام القرءان»[٢] عند قول الله تعالى «وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم» ما نصه: «قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما: «أي كنتم أمواتا معدومين قبل أن تخلقوا فأحياكم أي خلقكم، ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم ثم يحييكم يوم القيامة»،قال ابن عطية: وهذا القول هو المراد بالآية». انتهى كلام القرطبي

(١) انظر الكتاب (الجزء الثاني من المجلد الأول ص١٣٩).

(٢) انظر الكتاب (المجلد الأول ص٢٤٩).

ولاحظ إلى قولهما «أي كنتم أمواتا معدومين قبل أن تخلقوا فأحياكم» وكيف يقال عن المعدوم إنه حي أو فيه روح؟ ولاحظ إلى قوله «فأحياكم» أي بعد أن كنتم أمواتا، فهذه الآية واضحة صريحة في أن المني لا روح فيه، لأن الله قال: «وكنتم امواتا»، وعلى زعم هؤلاء الجهلاء ينبغي أن تكون الآية بزعمهم «وكنتم أحياء فأحياكم»، وهذا لا يقوله أدنى عاقل.

ج ـ قال المفسر المشهور محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي المتوفى سنة ٧٥٤ للهجرة في تفسيره «البحر المحيط» ما نصه[١]: «وكنتم أمواتا نطفا في أصلاب ءابائكم فجعلكم أحياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم». انتهى كلام الأندلسي

٢ـ قال الله تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾[سورة غافر]

أ ـ قال الإمام محمد بن أحمد أبو عبد الله القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ للهجرة في كتابه «الجامع لأحكام القرءان» ما نصه[٢]: «﴿أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس وقتادة والضحاك: كانوا أمواتًا في أصلاب ءابائهم ثم أحياهم ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها في الدنيا ثم أحياهم للبعث والقيامة فهاتان حياتان وموتتان وهو قوله تعالى ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴿٢٨﴾﴾.انتهى كلام القرطبي

ب ـ وقال القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩ في كتابه المسمى «حاشية الشهاب المسماة عنآية القاضي

(١) انظر الكتاب (١/ ١٣٠).

(٢) انظر الكتاب (المجلد ١٥ ص٢٩٧).

وكفآية الراضي على تفسير البيضاوي» ما نصه[1]: «﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ بأن خلقتنا أمواتًا أولا ثم صيرتنا أمواتًا عند انقضاء آجالنا فإن الإماتة جعل الشيء عادم الحياة ابتداءً».انتهى كلام القاضي

ج ـ قال القاضي عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المتوفى سنة ٥٤٦ للهجرة في كتابه «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» ما نصه[2]: ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ فقال ابن عباس وقتادة والضحاك وابو مالك: أرادوا موته كونهم ماء في الأصلاب ثم أحياهم في الدنيا ثم أماتهم الموت ثم أحياهم يوم القيامة، قالوا وهي كالتي في سورة البقرة ٢٨ ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾.انتهى كلام ابن عطية.

د ـ ومثل ذلك قال الحافظ جلال الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي في تفسيره «الدر المنثور في التفسير المأثور وهو مختصر تفسير ترجمان القرءان» فقال ما نصه[3]: «أخرج الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله ﴿ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ قال: هي مثل التي في البقرة ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ كانوا أمواتا في أصلاب آبائهم ثم أخرجهم فأحياهم ثم يميتهم ثم يحييهم بعد الموت.

هـ ـ وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله «أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين» قال: كنتم أمواتا قبل أن يخلقكم فهذه

---

(١) انظر الكتاب (٨/ ٢٤٤).

(٢) انظر الكتاب (٤/ ٥٤٩).

(٣) انظر الكتاب (٥/ ٦٥٠).

ميتة، ثم أحياكم فهذه حياة، ثم يميتكم فترجعون إلى القبور فهذه ميتة أخرى، ثم يبعثكم يوم القيامة فهذه حياة فهما ميتتان وحياتان. فهو كقوله ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة البقرة]

و ـ وأخرج عبد بن حميد عن أبي مالك رضي الله عنه قال: كانوا أمواتًا فأحياهم الله تعالى فأماتهم ثم يحييهم الله تعالى يوم القيامة.

ذ ـ وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة رضي الله عنه في قوله تعالى ﴿ أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴾ قال: كانوا أمواتا في أصلاب آبائهم فأحياهم الله تعالى في الدنيا ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة فهما حياتان وموتتان». انتهى كلام السيوطي

٣ـ قال الله تعالى في القرءان الكريم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [سورة الأنعام]

قال الله جل شأنه: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [سورة يونس]

قال الله عز من قائل: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة الرُّوم].

قال القاضي عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المتوفى سنة ٥٤٦ للهجرة في كتابه «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» الجزء الرابع ص٣٣٢ ما نصه: «قال الله تعالى: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾، الحي والميت في هذه الآية يستعمل حقيقة ويستعمل مجازا فالحقيقة المني يخرج منه الإنسان والبيضة يخرج منها الطائر وهذه بعينها ميتة تخرج من حي وما جرى هذا المجرى وبهذا المعنى فسر ابن عباس وابن مسعود».

انتهى كلام ابن عطية

الدليل من الحديث على أن المني ليس فيه روح ولا حياة

قال رسول الله ﷺ في ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود: «**إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا أو أربعين ليلةً نطفةً ثم يكون علقةً مثله ثم يكون مضغةً مثله ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح**».الحديث

وهذا بيان واضح من رسول الله ﷺ على أن النطفة لا حياة فيها ولا روح وأن الجنين تنفخ فيه الروح بعد هذه المدة التي ذكرها الرسول ﷺ وقال العلامة الشيخ حسن المدابغي في شرحه لهذا الحديث وهو على حاشية فتح المبين بشرح الأربعين لابن حجر الهيتمي: «لم يختلف أحد في أن نفخ الروح إنما يكون بعد مائة وعشرين يومًا».

٦٩- قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢﴾ [سورة الرعد]

الشرح: يجب الاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى يحاسب العباد يوم القيامة ولا يكون بينهم وبينه مسافة وليس كما تعتقد الوهابية أنه ينزل إلى موقف القيامة ويكون مخالطا للعباد ويقفون أمامه ويكون بينه وبينهم مقابلة فهذه عقيدة الكفار وأما عقيدة المسلمين هي أن الله تعالى الموجود بلا مكان الأزلي الأبدي الذي ليس جسمًا ولا حجما المنزه عن الحركة والسكون والانتقال وعن كل صفات المخلوقين يحاسب العباد يوم القيامة ويسمعهم كلامه الذي ليس ككلام المخلوقين وهم يكونون في وقف القيامة وهو موجود بلا جهة ولا مكان.

الوهابيةُ يقولون الله يأتي من فوق إلى الأرض المبدلة ليُحاسب الخَلق جَعلوا اللهَ سبحانه وتعالى كالملِك الذي يُقابلُ الرعية. اللهُ يُحاسب الخَلقَ بكلامه الذي ليس حرفًا ولا صوتًا ليس مقابلة، اللهُ مُستحيل أن يكونَ بينَهُ وبين شيءٍ من خلقه مُقابلة، مُستحيل أن يكونَ بين الله وبين شيء من خلقه مُقابلة، إنّما يُحاسبهم بكلامه يُسمعُهم كلامَه الذي هو ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً فيَفهمون منه السُّؤال أعطيتك كذا وكذا أنت فعلت كذا وكذا يفهمون، أنت فعلت كذا وكذا يوم كذا أنا أنعمتُ عليك بكذا لم فعلتَ كذا. الوقوفُ بينَ يدي الله ليس مَعناه أنَّ الخَلقَ يكونون في مُقابلة مع الله يومَ القيامة، اللهُ موجودٌ بلا مكان ولا جهة لا هو قريبٌ بالمسافة ولا هو بعيدٌ بالمسافة. الجسمُ إمَّا أن يَكونَ قريبًا منك بالمسافة أو بعيدًا عنك بالمسافة، القُربُ بالمسافة للحجم ليس لله، الذي يَظُنُّ أنَّ الوقوفَ بين يدي الله يوم القيامة القرب منه بالمسافة هذا ما عَرَفَ الله. الوهابيةُ يُفَسّرُون ءايات القرءان على الظاهر وهذا لا يجوز، الذي يُفَسّر كُلّ ءايات القرءان على الظاهر يَكفر كما قالَ سيّدُنا أحمدُ الرّفاعي رَضيَ اللهُ عنه:صونوا عقائدكم من التّمسّك بظواهر ما تشابه من الكتاب والسّنّة فإن ذلك من أصول الكفر اهـ. أي أوقع كثيرا من الناس في الكفر.

كذلك أهلُ السُّنَّة يقولون المؤمنون بعد أن يستَقرّوا في الجنّة يَرَون الله، ليس مَعناه أنَّ الله مُستَقرٌّ في الجَنَّة، وليس مَعناهُ أنَّهم يرونَهُ ذاتًا قريبًا منهم وليس معناه أنَّهم يَرَونَهُ ذاتًا بعيدًا عنهم، يَرَونَهُ بلا كيف ولا جهة لا يَرَونَهُ هكذا إلى فوق ولا يَرَونَهُ هكذا مُتَحَيّزًا إلى يمينهم ولا يَرَونَهُ مُتَحَيّزًا إلى جهة تحت بل بلا كيفٍ ولا جهة يرونَهُ عندما يكونون في الجَنَّة، هُم في الجنَّة أمَّا اللهُ فَهُوَ مَوجُودٌ بلا مكان. الخلقُ تَراهُ وأنت تَنظُرُ إلى فوق أو تحت أو أمام أو إلى خلف ليس هكذا يرى المؤمنون الله. أهلُ السُّنَّة كُلُّ هذا فَهمُوه من حيثُ العقلُ أي أنَّ الخالقَ موجودٌ بلا جهة ولا مكان، القُربُ المسافيُّ والبُعدُ المسافيُّ هذا صفةُ الخَلق، أمَّا من القُرءان فمن قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، نحنُ أَخَذنا من الدَّليل العَقلي ومن هذه الآية أنَّ اللهَ مَوجودٌ بلا مكان ولا جهة.

ثُمَّ أهلُ الجَنَّة حين يَرَونَ اللهَ بعد استقرارهم في الجَنَّة لا يَشُكُّون أنَّهُ الله لأنَّهم رَأَوا شيئًا لا مِثلَ له لذلك لا يَشُكُّون أنَّهُ الله. اهـ

أحمد بن حنبل رضي الله عنه يجوّز التأويل الذي هو موافقٌ لكتاب الله وسنة رسوله ولغة العرب، لذلك أوّل قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾. قال أحمد: «جاء أمره»، وفي رواية: «جاءت قدرته»، أي آثار قدرته، معناه الله يظهر يوم القيامة أهوالًا عظيمةً، رواه الحافظ البيهقي في مناقب أحمد. ولو كان الإمام أحمد مجسمًا كأدعياء السلفية في هذا الزمان لما أوّل الآية ولكان أخذ بظاهرها. أما المجسمة أدعياء السلفية فيقولون: «التأويل تعطيل» اهـ. والتعطيل هو نفي وجود الله تعالى أو صفاته فيكونون بذلك حكموا على أحمد بالكفر لأنهم جعلوه معطّلًا، فكيف بعد ذلك يدّعون الانتساب إليه. أحمد بن حنبل يُنزه الله عن أن يكون متصوَّرًا، فقد ثبت عنه أنه قال: «مهما تصوّرت ببالك فالله بخلاف ذلك»، رواه أبو الحسن التميمي الحنبلي في كتابه المسمّى اعتقاد الإمام المبجّل أحمد بن حنبل، وقوله هذا مأخوذٌ من قول الرسول ﷺ: «**لا فكرة في الرّبِّ**» رواه أبو القاسم الأنصاري.

قال الإمام أبو منصور الماتريدي في تفسيره «تأويلات أهل السنة» ما نصه: «ومنهم من ذكر أن معنى قوله ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾، وقوله ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴿٢١٠﴾﴾ [سورة البقرة]، أي: أمر الله، دليله ما ذكر في سورة النحل قوله ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة النحل]، فذكر مكان قوله ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴿٣٣﴾﴾» اهـ.

أما خالد الجندي فيقول في شريطه المسمى «الإيمان بالملائكة» باللهجة المصرية العامية: «أول ما يعلن إنّو ربنا سبحانه وتعالى جاي، ولله المثل الأعلى هو القرءان قايلك كده في سورة الفجر ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾».

الرد:

هذا الكلام فاسدٌ وهو قوله إنو ربنا جاي فإن الجاهل قد يتوهم أن الله أفرغ مكانًا وملأ ءاخر، يوهم أن الله جسم وكمية وأتى إلى أرض القيامة ويوهم أن الله له مكان في جهة فوق. ثم من يعلن على زعمك أن الله جاي، فإن كنت فهمت ذلك من هذه الآية: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الفجر] فهذه مشكلتك لأنك أسأت فهم الآية ولم تعلم معناها على الوجه الصحيح. فلو رجعت إلى تفسير الإمام المجتهد أحمد بن حنبل وهو من رؤوس السلف الذي أوّل تأويلًا تفصيليًا لفهمت المراد والصحيح ولنفعت الناس بتأويل هذه الآية الشريفة، قال الإمام أحمد رحمه الله: «جاءت قدرته» أي أثر من ءاثار قدرته لأن يوم القيامة يوم الأهوال العظام، ومن ذلك أن سبعين ألف ملك يجرون جزءا من جهنم من غير أن ينفصل عنها كل ملك معه سلسلة الله أعلم بضخامتها يقربونها من أرض الموقف يبقى بينها وبين أرض الموقف مسيرة أربعين سنة فيراها الكفار فيزدادون رعبًا وخوفًا وقلقًا واضطرابًا. وكل ملك من هؤلاء الملائكة في القوة يزيد على قوة البشر، ثم يُردُ ذلك الجزء إلى مكانه، هذا شيءٌ من واحدٍ من كثيرٍ من أهوال القيامة، كذلك بقدرة الله حين يحضر

الملائكة في سبعة صفوف لعظم ذلك اليوم حتى يحيطوا بالإنس والجن، ولا أحد يستطيع أن يخرج من هذا المكان ذلك اليوم تظهر أمورٌ عظيمةٌ. فحذار أن تفهم من أي ءآية متشابهة معنى فاسدًا يكذب ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

٧٠- قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [سورة الذاريات]

آيات يحتج بها الوهابيون لتحريم التوسل وتكفير المسلمين المتوسلين

يحتج الوهابي عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ حفيد مؤسس الحركة الوهابية محمد بن عبد الوهاب النجدي في كتابه المسمى فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (فأصل المتن لمحمد بن عبد الوهاب والشرح لحفيده عبد الرحمٰن آل الشيخ) بتعليق مفتي الوهابية وشيخ ضلالهم عبد العزيز بن باز فقال[1]: من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره.

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[سورة يونس].

الشرح: إن الوهابية وإمامهم محمد بن عبد الوهاب وقدوتهم ابن تيمية والتابعين لهم كابن باز وابن عثيمين والفوزان وعبد العزيز آل الشيخ وعبد الرحمٰن السعدي وعائض القرني ومحمد العريفي ومحمد حسان وعبد الرحمٰن دمشقية والبشير بن حسن التونسي وأبو بكر الجزائري وعبد الهادي بن حسن وهبي اللبناني وأضرابهم حرفوا تفسير ومعاني هذه الآيات الكريمة التي نزلت في المشركين عباد الأوثان والأصنام فحملوها على المسلمين فكفروا المتوسلين والمستغيثين بالأنبياء والأولياء والصالحين. فكان حالهم تمامًا كحال الخوارج الذين قال فيهم الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: «انطلقوا إلى آيات نزلت في المشركين فحملوها على المؤمنين»، وهذا هو حال الوهابية خوارج العصر. وبتفسير علماء أهل السنة والجماعة لهذه الآيات ينكشف لك ويتضح وينفضح حال الوهابية الذين يكذبون على الناس ويحرفون شريعة الله ويقلبون الحقائق ويضعون الآيات

(١) انظر الكتاب (طبعة مؤسسة الريان سنة ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م في ص١٤٤).

في غير موضعها محرفين الكلام عن مواضعه نصرة لمذهبهم الرديء وعقيدتهم الكاسدة الفاسدة، فتنبه وكن حذرًا منهم ومن مؤلفاتهم ومن فتاويهم وإليك نصوص علماء التفسير.

قال الطبري في تفسيره ما نصه: «قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ولا تدع، يا محمد، من دون معبودك وخالقك شيئًا لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يضرك في دينٍ ولا دنيًا، يعني بذلك الآلهة -بزعمهم- والأصنام. يقول: لا تعبدها راجيًا نفعها أو خائفًا ضرها، فإنها لا تنفع ولا تضر «فإن فعلت»، ذلك، فدعوتها من دون الله ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، يقول: من المشركين بالله، الظالمي أنفسهم» اهـ.

وقال المفسر القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرءان ما نصه: «ولا تدع أي لا تعبد من دون الله ما لا ينفعك إن عبدته ولا يضرك إن عصيته.

فإن فعلت أي عبدت غير الله فإنك إذًا من الظالمين أي الواضعين العبادة في غير موضعها» اهـ.

وقال المفسر الحسين بن مسعود البغوي في تفسيره ما نصه: «﴿وَلَا تَدْعُ﴾ ولا تعبد، ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ﴾ إن أطعته، ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾ إن عصيته، ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ فعبدت غير الله، ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الضارين لأنفسهم الواضعين للعبادة في غير موضعها» اهـ.

واستشهد أيضًا بقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [سورة يونس].

الشرح: قال الطبري في تفسيره ما نصه: «قال أبو جعفر : يقول تعالى في ذكره لنبيه: وإن يصبك الله، يا محمد بشدةٍ أو بلاءٍ، فلا كاشف لذلك إلا ربك الذي أصابك به، دون ما يعبده هؤلاء المشركون من الآلهة -بزعمهم- والأنداد ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾، يقول: وإن يردك ربك برخاءٍ أو نعمةٍ وعافيةٍ

وسرورٍ ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦ﴾، يقول: فلا يقدر أحد أن يحول بينك وبين ذلك، ولا يردك عنه ولا يحرمكه لأنه الذي بيده السراء والضراء، دون الآلهة -بزعمهم- والأوثان، ودون ما سواه ﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾، يقول: يصيب ربك، يا محمد بالرخاء والبلاء والسراء والضراء، من يشاء ويريد ﴿مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ﴾، لذنوب من تاب وأناب من عباده من كفره وشركه إلى الإيمان به وطاعته ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بمن آمن به منهم وأطاعه، أن يعذبه بعد التوبة والإنابة» اهـ.

وقال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرءان ما نصه: «قوله تعالى وإن يمسسك الله بضرٍّ أي يصيبك به فلا كاشف أي لا دافع له إلا هو وإن يردك بخير أي يصبك برخاءٍ ونعمةٍ فلا راد لفضله يصيب به أي بكل ما أراد من الخير والشر من يشاء من عباده وهو الغفور لذنوب عباده وخطاياهم الرحيم بأوليائه في الآخرة» اهـ.

واستشهدوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١٧﴾ [سورة العنكبوت].

الشرح: قال المفسر محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان ما نصه: «قوله تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٧٣﴾، ذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة: أن الكفار يعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقًا من السماوات بإنزال المطر، ولا من الأرض بإنبات النبات. وأكد عجز معبوداتهم عن ذلك بأنهم لا يستطيعون، أي: لا يملكون أن يرزقوا، والاستطاعة منفيةٌ عنهم أصلًا لأنهم جماد ليس فيه قابلية استطاعة شيء.

ويفهم من الآية الكريمة: أنه لا يصح أن يعبد إلا من يرزق الخلق لأن أكلهم رزقه، وعبادتهم غيره كفر ظاهر لكل عاقل. وهذا المعنى المفهوم من هذه الآية الكريمة بينه الله في مواضع أخر، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ

﴿١٧﴾ ﴾، وقوله: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ ﴾، وقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾، وقوله: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴿١٤﴾ ﴾ وقوله: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾، وقوله: ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴿٣﴾ ﴾ الآية، وقوله: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الآية، إلى غير ذلك من الآيات» اهـ.

وقال المفسر الطبري السلفي في تفسيره ما نصه: «يقول تعالى ذكره: ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه أوثانًا لا تملك لهم رزقًا من السماوات لأنها لا تقدر على إنزال قطر منها لإحياء موتان الأرضين، ﴿ وَٱلْأَرْضِ ﴾: يقول: ولا تملك لهم أيضًا رزقًا من الأرض لأنها لا تقدر على إخراج شيءٍ من نباتها وثمارها لهم، ولا شيئًا مما عدد تعالى في هذه الآية أنه أنعم بها عليهم ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ يقول: ولا تملك أوثانهم شيئًا من السماوات والأرض، بل هي وجميع ما في السماوات والأرض لله ملك، ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ يقول: ولا تقدر على شيء» اهـ.

ويستشهد الوهابي أيضًا بقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾.

الشرح: قال المفسر الطبري السلفي في تفسيره ما نصه: «يقول -تعالى ذكره-: وأي عبد أضل من عبد يدعو من دون الله آلهة لا تستجيب له إلى يوم القيامة: يقول: لا تجيب دعاءه أبدًا لأنها حجر أو خشب أو نحو ذلك.

وقوله: ﴿ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ يقول -تعالى ذكره-: وآلهتهم التي يدعونهم عن دعائهم إياهم في غفلة لأنها لا تسمع ولا تنطق، ولا تعقل، وإنما عنى بوصفها بالغفلة تمثيلها بالإنسان الساهي عما يقال له، إذ كانت لا تفهم مما يقال لها شيئا، كما لا يفهم الغافل عن الشيء ما غفل عنه، وإنما هذا توبيخٌ من الله لهؤلاء

المشركين لسوء رأيهم، وقبح اختيارهم في عبادتهم من لا يعقل شيئًا ولا يفهم، وتركهم عبادة من جميع ما بهم من نعمته، ومن به استغاثتهم عند ما ينزل بهم من الحوائج والمصائب. وقيل: من لا يستجيب له، فأخرج ذكر الآلهة وهي جماد مخرج ذكر بني آدم، ومن له الاختيار والتمييز، إذ كانت قد مثلتها عبدتها بالملوك والأمراء التي تخدم في خدمتهم إياها، فأجرى الكلام في ذلك على نحو ما كان جاريًا فيه عندهم» اهـ.

وقال المفسر القرطبي في تفسيره ما نصه: «قوله تعالى: ومن أضل أي لا أحد أضل وأجهل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهي الأوثان» اهـ.

ويستشهد الوهابي بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾.

الشرح: قال المفسر القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرءان ما نصه: «قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ﴾ يريد يوم القيامة. ﴿كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾ أي هؤلاء المعبودون أعداء الكفار يوم القيامة. فالملائكة أعداء الكفار، والجن والشياطين يتبرؤون غدًا من عبدتهم، ويلعن بعضهم بعضًا. ويجوز أن تكون الأصنام للكفار الذين عبدوها أعداء على تقدير خلق الحياة لها، دليله قوله تعالى: تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون وقيل: عادوا معبوداتهم لأنهم كانوا سبب هلاكهم، وجحد المعبودون عبادتهم، وهو قوله: ﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾» اهـ.

وقال محمد بن جرير الطبري السلفي في تفسيره ما نصه: «يقول -تعالى ذكره-: وإذا جمع الناس يوم القيامة لموقف الحساب، كانت هذه الآلهة-بزعمهم- التي يدعونها في الدنيا لهم أعداء لأنهم يتبرؤون منهم ﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ يقول -تعالى ذكره-: وكانت آلهتهم -بزعمهم- التي يعبدونها في الدنيا بعبادتهم جاحدين لأنهم يقولون يوم القيامة: ما أمرناهم بعبادتنا، ولا شعرنا بعبادتهم إيانا، تبرأنا إليك منهم يا ربنا» اهـ.

واستشهد الوهابي بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا ﴿١٢﴾ ﴾.

الشرح: قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرءان ما نصه: «قوله تعالى ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ ﴾ قيل: المراد بالإنسان هنا الكافر، قيل: هو أبو حذيفة بن المغيرة المشرك، تصيبه البأساء والشدة والجهد. دعانا لجنبه أي على جنبه مضطجعا.

﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا ﴾وإنما أراد جميع حالاته لأن الإنسان لا يعدو إحدى هذه الحالات الثلاث. قال بعضهم: إنما بدأ بالمضطجع لأنه بالضر أشد في غالب الأمر، فهو يدعو أكثر، واجتهاده أشد، ثم القاعد ثم القائم.

فلما كشفنا عنه ضره مر أي استمر على كفره ولم يشكر ولم يتعظ» اهـ.

وقال المفسر الطبري في تفسيره ما نصه: «قال أبو جعفر: يقول، تعالى ذكره: وإذا أصاب الإنسان الشدة والجهد ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ ﴾، يقول: استغاث بنا في كشف ذلك عنه ﴿لِجَنۢبِهِۦٓ ﴾، يعني مضطجعًا لجنبه. ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا ﴾ بالحال التي يكون بها عند نزول ذلك الضر به ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ ﴾، يقول: فلما فرجنا عنه الجهد الذي أصابه ﴿مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ﴾، يقول: استمر على طريقته الأولى قبل أن يصيبه الضر، ونسي ما كان فيه من الجهد والبلاء أو تناساه، وترك الشكر لربه الذي فرج عنه ما كان قد نزل به من البلاء حين استعاذ به، وعاد للشرك ودعوى الآلهة والأوثان أربابًا معه. يقول، تعالى ذكره: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾، يقول: كما زين لهذا الإنسان الذي وصفنا صفته، استمراره على كفره بعد كشف الله عنه ما كان فيه من الضر، كذلك زين للذين أسرفوا في الكذب على الله وعلى أنبيائه، فتجاوزوا في القول فيهم إلى غير ما أذن الله لهم به، ما كانوا يعملون من معاصي الله والشرك به» اهـ.

ويستشهد الوهابي بقوله سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴿٩﴾ ﴾.

الشرح: قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرءان ما نصه: «قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴿٩﴾﴾ الاستغاثة: طلب الغوث والنصر. غوث الرجل قال: واغوثاه. والاسم الغوث والغواث والغواث. واستغاثني فلان فأغثته والاسم الغياث عن الجوهري. وروى مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وسبعة عشر رجلًا، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني. اللهم ائتني ما وعدتني. اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض. فما زال يهتف بربه مادًّا يديه مستقبلٌ القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه. فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله تعالى: إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين فأمده الله بالملائكة» اهـ.

وقال المفسر الطبري في تفسيره ما نصه: «ومعنى قوله: ﴿تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾، تستجيرون به من عدوكم، وتدعونه للنصر عليهم ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ فأجاب دعاءكم، بأني ممدكم بألف من الملائكة يردف بعضهم بعضًا، ويتلو بعضهم بعضًا» اهـ.

ويستشهد الوهابي بقوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

الشرح: قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرءان ما نصه: «ضمن الله تعالى إجابة المضطر إذا دعاه، وأخبر بذلك عن نفسه، والسبب في ذلك أن الضرورة إليه باللجاء ينشأ عن الإخلاص وقطع القلب عما سواه، وللإخلاص عنده سبحانه موقع وذمة، أإله مع الله على جهة التوبيخ، كأنه قال أمع الله ويلكم إله؛ ف (إله) مرفوع بـ (مع). ويجوز أن يكون مرفوعًا بإضمار (إله مع الله يفعل ذلك فتعبدوه)

والوقف على ﴿مَّعَ ٱللَّهِ﴾ حسن» اهـ.

وقال الإمام المفسر محمد بن جرير الطبري في تفسيره ما نصه: «يقول تعالى ذكره: أم ما تشركون بالله خير، أم الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء النازل به عنه؟ كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ قال: الضر .

وقوله: ﴿وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ يقول: ويستخلف بعد أمرائكم في الأرض منكم خلفاء أحياء يخلفونهم. وقوله: ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يقول: أإله مع الله سواه يفعل هذه الأشياء بكم، وينعم عليكم هذه النعم؟ وقوله: ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾ يقول: تذكرًا قليلًا من عظمة الله وأياديه عندكم تذكرون، وتعتبرون حجج الله عليكم يسيرًا، فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته» اهـ.

واستشهد الوهابي الجويهل بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡ﴾.

الشرح: قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرءان ما نصه: «ذلكم الله ربكم له الملك أي هذا الذي من صنعه ما تقرر هو الخالق المدبر، والقادر المقتدر فهو الذي يُعبَد. والذين تدعون من دونه يعني الأصنام. ما يملكون من قطمير أي لا يقدرون عليه ولا على خلقه. والقطمير القشرة الرقيقة البيضاء التي بين التمرة والنواة، قاله أكثر المفسرين. وقال ابن عباس : هو شق النواة، وهو اختيار المبرد، وقاله قتادة. وعن قتادة أيضًا: القطمير القمع الذي على رأس النواة. الجوهري.

ويقال: هي النكتة البيضاء التي في ظهر النواة، تنبت منها النخلة» اهـ.

وقال ابن كثير في تفسيره ما نصه: «﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي: من الأنداد والأصنام التي هي على صورة من تزعمون من الملائكة المقربين، ﴿مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾» اهـ.

ابن تيمية يحرم التوسل بالأنبياء والصالحين والتبرك بهم وآثارهم والرد عليه

قال الإمام المجتهد المجدد شيخ الإسلام والمسلمين عبد الله بن محمد الهرري الحبشي رضي الله عنه في كتابه المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية ما نصه[1]: «ومن أشهر ما صحّ عن ابن تيمية بنقل العلماء المعاصرين له وغيرهم ممن جاؤوا بعدهم، تحريمه التوسل بالأنبياء والصالحين بعد موتهم وفي حياتهم في غير حضورهم والتبرك بهم وبآثارهم، وتحريمه زيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام للتبرّك فيقول في كتابه التوسل ما نصه[2]: «وأما الزيارة البدعية فهي التي يقصد بها أن يطلب من الميت الحوائج، أو يطلب منه الدعاء والشفاعة، أو يقصد الدعاء عند قبره لظن القاصد أن ذلك أجوب للدعاء، فالزيارة على هذه الوجوه كلها مبتدعة لم يشرعها النبي ﷺ ولا فعلها الصحابة لا عند قبر النبي ﷺ ولا عند غيره، وهي من جنس الشرك وأسباب الشرك» اهـ.

وقال في كتاب ءاخر ما نصه[3]: «وأما الزيارة المبتدعة التي هي من جنس زيارة المشركين فمقصودهم بها طلب الحوائج من الميت أو الغائب» اهـ.

وقال في كتابه التوسل والوسيلة ما نصه[4]: «ولهذا لما ذكر العلماء الدعاء في الاستسقاء وغيره ذكروا الصلاة عليه ولم يذكروا فيما شرع للمسلمين في هذه الحال التوسل به، كما لم يذكر أحد من العلماء دعاء غير الله والاستعانة المطلقة بغيره في حال من الأحوال» اهـ.

---

(١) انظر الكتاب (ص٢١٦).

(٢) التوسل والوسيلة (ص/ ٢٤).

(٣) الرد على المنطقيين (ص/ ٥٣٦).

(٤) التوسل والوسيلة (ص/ ١٥٠).

ثم ناقض ابن تيمية نفسه فذكر في فتاويه ما يخالف ما ادَّعاه من أن العلماء لم يذكروا فيما شرع للمسلمين في الاستسقاء وغيره التوسل به، فقال ما نصه[1]: «ولذلك قال أحمد في منسكه الذي كتبه للمروزي صاحبه: إنه يتوسل بالنبي ﷺ في دعائه، ولكن غير أحمد قال: إن هذا إقسام على الله به ولا يقسم على الله بمخلوق، وأحمد في إحدى الروايتين قد جوَّز القسم به فلذلك جوَّز التوسل به» اهـ.

فهو كما تبين يتقوّل على الأئمة وذلك عادة له، فقد خالف الإمام أحمد والإمام إبراهيم بن إسحاق الحربي، وهو كما قال فيه الحافظ السبكي: ولم يسبق ابن تيمية في إنكاره التوسل أحد من السلف ولا من الخلف، بل قال قولا لم يقله عالمٌ قط قبله، وقال في شفاء السقام[2] ما نصه: «اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستعانة والتشفّع بالنبي ﷺ إلى ربّه سبحانه وتعالى، وجواز ذلك وحسنُهُ من الأمور المعلومة لكل ذي دين المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين وسير السلف الصالحين والعلماء والعوام من المسلمين ولم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان ولا سمع به في زمن من الأزمان حتى جاء ابن تيمية فتكلم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء الأغمار، وابتدع ما لم يسبق إليه في سائر الأعصار» اهـ.

وقال الشيخ ابن حجر الهيتمي المتوفى في القرن العاشر الهجري في مبحث سن زيارة قبر الرسول ﷺ[3] ما نصه: «ولا يغترّ بإنكار ابن تيمية لسنّ زيارته ﷺ فإنه عبد أضلّه الله كما قاله العزّ بن جماعة، وأطال في الرد عليه التقي السبكي في تصنيفٍ مستقلٍ، ووقوعه في حق رسول الله ﷺ ليس بعجبٍ فإنه وقع في حق الله، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوّا كبيرًا، فنسب إليه العظائم كقوله إن لله تعالى جهةً ويدًا ورجلًا وعينًا[4] وغير ذلك من القبائح الشنيعة، ولقد

(١) الفتاوى الكبرى (١/ ٣٥١).

(٢) انظر شفاء السقام في زيارة خير الأنام (ص/ ١٦٠).

(٣) انظر حاشية ابن حجر على شرح الإيضاح (ص/ ٤٨٩).

(٤) أي بالجارحة والجزء.

كفّره كثير من العلماء، عامله الله بعدله وخذل متبعيه الذين نصروا ما افتراه على الشريعة الغرّاء» اهـ.

وهو أي ابن تيمية يحرّم التوسل والاستغاثة برسول الله وغيره من الأنبياء والأولياء، وأخذ منه ذلك محمد بن عبد الوهاب وأتباعه، وزادوا التكفير بما فهموه من تعبيراته، والذي أدّى بهم إلى ذلك هو جهلهم بمعنى العبادة الواردة في نحو قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [سورة الفاتحة]، وقوله تعالى حكاية عن المشركين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ۝٣﴾ [سورة الزمر]. نقول لهم: العبادة في لغة العرب هي ما عَرّفها به اللغويون، فقد عرّفها الإمام اللغوي الشهير الزجاج بقوله: «العبادة في لغة العرب الطاعة مع الخضوع»، وقال الإمام اللغوي أبو القاسم الراغب الأصبهاني في مفردات القرءان: «العبادة غاية التذلل»، وقال الإمام الحافظ الفقيه اللغوي المفسّر على بن عبد الكافي السبكي[1] في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [سورة الفاتحة] «أي نخصك بالعبادة التي هي أقصى غاية الخشوع والخضوع»، وقال النحوي اللغوي المفسّر أبو حيان الأندلسي في تفسيره[2] عند قول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [سورة الفاتحة]: «العبادة عند جمهور اللغويين التذلل، وقال ابن السّكّيت: التجريد» اهـ. وقال الفيومي اللغوي في المصباح المنير[3]: «عَبَدْتُ الله أعبُدُهُ عِبادةً، وهي الانقيادُ والخضوعُ، والفاعِلُ عابدٌ، والجمع عُبّاد وعَبَدةٌ مثل كافر وكفّار وكفرة، ثم استُعمل فيمن اتخذ إلهًا غيرَ الله وتقرّب إليه فقيل: عابد الوثن والشمس وغير ذلك» اهـ. وكذلك جهل هؤلاء بمعنى الدعاء الوارد في القرءان في مواضع كقوله تعالى: ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۝١٣﴾ [سورة الحج] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥ ۝٥﴾ [سورة

(١) وقد مرَّ ما قاله الصفدي فيه من تشبيهِه له في اللغة بالجوهري والأزهري اللذين هما أشهر أئمة اللغة.

(٢) البحر المحيط (١/ ٢٣).

(٣) المصباح المنير (ص/ ٣٨٩).

الأحقاف]، ظنوا أن هذا الدعاء هو مجرد النداء، ولم يعلموا أن معناه العبادة التي هي غاية التذلل، فإن المفسرين قد أطبقوا على أن ذلك الدعاء هو عبادتهم لغير الله على هذا الوجه، ولم يفسره أحد من اللغويين والمفسرين بالنداء، لذلك صار هؤلاء يكفّرون من يقول: يا رسول الله، أو: يا أبا بكر، أو: يا علي، أو: يا جيلاني، أو نحو هذا في غير حالة حضورهم في حياتهم وبعد وفاتهم، ظنًّا منهم أن هذا النداء هو عبادة لغير الله، هيهات هيهات، ألم يعلم هؤلاء أن القرءان والحديث لا يجوز تفسيرهما بما لا يوافق اللغة، وماذا يقول هؤلاء فيما رواه البخاري في الأدب المفرد عن ابن عمر أنه خدرت[1] رجله فقيل له: اذكر أحبّ الناس إليك، فقال: يا محمد، فهل يكفّرونه لهذا النداء أم ماذا يفعلون؟ وماذا يقولون في إيراد البخاري لهذا هل يحكمون عليه أنه وضع في كتابه الشرك ليعمل به؟.

ومن شبه هؤلاء إيرادهم لحديث ابن حبان[2] وغيره: «الدعاء هو العبادة»، يريدون بذلك أن يوهموا الناس أن التوسل بالأنبياء والأولياء بعد موتهم أو في غير حضرتهم ولو كانوا أحياءً شركٌ عبادة لغير الله. فالجواب: أن معنى الحديث أن الدعاء الذي هو الرغبة إلى الله كما عرّف بذلك علماء اللغة الدعاءَ من أعظم أنواع العبادة، بمعنى ما يُتَقَربُ به إلى الله، لأن الصلاة التي هي أفضل ما يتقرب به إلى الله بعد الإيمان مشتملةٌ على الدعاء، فهذا من العبادة التي هي أحد إطلاقي لفظ العبادة في عرف أهل الشرع كإطلاقها على انتظار الفرج، وهذا الإطلاق راجع إلى تعريف العبادة العام الذي هو غاية التذلل لأن العبد لما يدعو الله تعالى راغبًا إليه حيث إنه خالق المنفعة والمضرّة، فقد تذلل له غاية التذلل. وبالله التوفيق والعصمة.

ثم من المعلوم أن العبادة تطلق من باب الحقيقة الشرعية المتعارفة عند حملة الشريعة على فعل ما يتقرب به إلى الله، وقد وردت فيما صح عن رسول الله بمعنى

---

(١) الخدر مرض شبه التشنج وليس ما يُسمى عند العامة التنميل.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب تفسير القرءان: باب ومن سورة المؤمن، وابن حبان في صحيحه، انظر الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٢/ ١٢٤).

الحسنة كقوله ﷺ: «**انتظار الفرج عبادة**»[1] أي حسنة يتقرب بها إلى الله، وبهذا المعنى الصدقة والصيام وعمل المعروف والإحسان إلى الناس، وهذا شائع كثيرًا.

قال الكوثري في تعليقه على السيف الصقيل ما نصه[2]: «وقد بلغ بالناظم وشيخه الغلو في هذا الصدد إلى حد تحريم شد الرحل لزيارة النبي ﷺ، وعدّ السفر لأجل ذلك سفر معصية لا تقصر فيه الصلاة، فأصدر الشاميون فتيا في ابن تيمية وكتب عليها البرهان بن الفركاح الفزاري نحو أربعين سطرًا بأشياء إلى أن قال بتكفيره ووافقه على ذلك الشهاب بن جهبل، وكتب تحت خطه كذلك المالكي، ثم عرضت الفتيا على قاضي قضاة الشافعية بمصر البدر بن جماعة فكتب على ظاهر الفتوى الحمد لله هذا المنقول باطنها جواب عن السؤال عن قوله: إن زيارة الأنبياء والصالحين بدعة وما ذكره من نحو ذلك، وإنه لا يرخص بالسفر لزيارة الأنبياء باطل مردود عليه، وقد نقل جماعة من العلماء أن زيارة النبي ﷺ فضيلة وسنّة مجمع عليها، وهذا المفتي المذكور -يعني ابن تيمية - ينبغي أن يزجر عن مثل هذه الفتاوى الباطلة عند الأئمة والعلماء، ويمنع من الفتاوى الغريبة، ويحبس إذا لم يمتنع من ذلك ويشهر أمره ليتحفظ الناس من الاقتداء به. وكتبه محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الشافعي» اهـ.

ثم قال ما نصه[3]: «والأحاديث في زيارته ﷺ في غاية من الكثرة وقد جمع طرقها الحافظ صلاح الدين العلائي في جزء، قال على القاري في شرح الشفاء: «وقد فرط ابن تيمية من الحنابلة حيث حرّم السفر لزيارة النبي ﷺ، كما أفرط غيره حيث قال كون الزيارة قربة معلوم من الدين بالضرورة وجاحده محكومٌ عليه بالكفر ولعل

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه بنحوه: كتاب الدعوات: باب في انتظار الفرج وغير ذلك، والطبراني في معجمه الكبير (١٠/ ١٢٥)، وقال العجلوني في كشف الخفا (١/ ٢٣٩): «وحسّن إسناده الحافظ ابن حجر في بعض حواشيه» اهـ.

(٢) انظر الكتاب (ص/ ١٥٦).

(٣) انظر الكتاب (ص/ ١٥٨).

الثاني أقرب إلى الصواب لأن تحريم ما أجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفرًا لأنه فوق تحريم المباح المتفق عليه..».[1]. اهـ.

ثم قال: «فسعيه في منع الناس من زيارته ﷺ يدل على ضغينة كامنة فيه نحو الرسول ﷺ، وكيف يتصور الإشراك بسبب الزيارة والتوسل في المسلمين الذين يعتقدون في حقه عليه السلام أنه عبْده ورسوله وينطقون بذلك في صلواتهم نحو عشرين مرة في كل يومٍ على أقل تقدير إدامة لذكرى ذلك. ولم يزل أهل العلم ينهون العوام عن البدع في كل شؤونهم ويرشدونهم إلى السنّة في الزيارة وغيرها إذا صدرت منهم بدعةٌ في شيءٍ، ولم يعدُّوهم في يوم من الأيام مشركين بسبب الزيارة أو التوسل، كيف وقد أنقذهم الله من الشرك وأدخل في قلوبهم الإيمان، وأول من رماهم بالإشراك بتلك الوسيلة هو ابن تيمية وجرى خلفه من أراد استباحة أموال المسلمين ودمائهم لحاجة في النفس، ولم يخف ابن تيمية من الله في رواية عدّ السفر لزيارة النبي ﷺ سفر معصيةٍ لا تقصر فيه الصلاة عن الإمام أبي الوفاء بن عقيل الحنبلي، وحاشاه عن ذلك، راجع كتاب التذكرة له تجدْ فيه مبلغ عنايته بزيارة المصطفى ﷺ والتوسل به كما هو مذهب الحنابلة، وإنما قوله بذلك في السفر إلى المشاهد المعروفة في العراق لما قارن ذلك من البدع في عهده وفي نظره. وإليك نص عبارته في التذكرة المحفوظة بظاهرية دمشق تحت رقم «٨٧» في الفقه الحنبلي: «فصل: ويستحب له قدوم مدينة الرسول صلوات الله عليه، فيأتي مسجده فيقول عند دخوله: بسم الله اللهم صلّ على محمد وءال محمد وافتح لي أبواب رحمتك وكفّ عني أبواب عذابك، الحمد لله الذي بلغ بنا هذا المشهد وجعلنا لذلك أهلًا، الحمد لله ربّ العالمين». إلى أن قال: «واجعل القبر تلقاء وجهك، وقم مما يلي المنبر وقل السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته اللهم صلّ على محمد وعلى ءال محمد إلى ءاخر ما تقوله في التشهّد الأخير، ثم تقول: اللهم أعط

(١) لا معنى للتردد الذي في ضمن كلام القاري لأنَّ أحدًا من المسلمين خواصهم وعوامهم لا يشكُّ في كون زيارة قبر الرسول في السفر وفي غير السفر قربة إلى الله، فالصواب الجزم.

محمدًا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود الذي وعدته اللهم صلّ على روحه في الأرواح وجسده في الأجساد كما بلّغ رسالاتك وتلا ءاياتك وصدع بأمرك حتى أتاه اليقين، اللهم إنك قلت في كتابك لنبيك ﷺ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [سورة النساء] وإني قد أتيت نبيك تائبًا مستغفرًا فأسألك أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حياته، اللهم إني أتوجه إليك بنبيك ﷺ نبي الرحمة، يا رسول الله إني أتوجه بك إلى ربي ليغفر لي ذنوبي، اللهم إني أسألك بحقه أن تغفر لي ذنوبي». إلى أن قال: «وإن أحببت تمسح بالمنبر وبالحنَّانة وهو الجذع الذي كان يخطب عليه ﷺ فلما اعتزل عنه حنّ إليه كحنين الناقة» اهـ.

ففي هذا التوسل الذي أورده ابن عقيل دليل على أن عمل المسلمين كان على التوسل بالنبي بعد موته من غير نكيرٍ، إنما هذا التحريم من ابن تيمية ومن أتباعه فيما بعده، وابن عقيل توفي قبل ابن تيمية[1] وهو من أساطين الحنابلة من أهل التخريج. وليكن منك على ذكر حديث: «**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلُّون**» فقد رواه أبو يعلى المَوْصِلي والبزار[2] في مسنديهما، وأورده البيهقي في الجزء الذي ألّفه في حياة الأنبياء وهو مطبوعٌ، وأورده أيضًا الحافظ ابن حجر في شرح البخاري وسيأتي مفصلًا.

وأما أدلة أهل الحق على جواز التوسل بالرسول في حياته وبعد مماته فمن ذلك ما أخرجه الطبراني في معجميه الكبير والصغير[3] عن عثمان ابن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفّان، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حنيف فشكى إليه ذلك، وقال: ائت الميضأة فتوضأ ثم صلّ ركعتين، ثم

---

(١) توفي ابن عقيل سنة ٥٠٣ هـ. وتوفي ابن تيمية سنة ٧٢٨هـ.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦/ ١٤٧)، وانظر كشف الأستار (٣/ ١٠٠)، وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢١١): «ورجال أبي يعلى ثقات».

(٣) انظر المعجم الكبير (٩/ ١٧)، والمعجم الصغير (٢٠١).

قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى لي، ثم رح حتى أروح معك. فانطلق الرجل ففعل ما قال، ثم أتى باب عثمان فجاء البواب فأخذ بيده فأدخله على عثمان ابن عفان فأجلسه على طنْفِسَتِه، فقال: ما حاجتك؟ فذكر له حاجته، فقضى له حاجته وقال: ما ذكرتُ حاجتك حتى كانت هذه الساعة، ثم خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال: جزاك الله خيرًا ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليّ حتى كلّمته فيّ، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلّمته، ولكن شهدت رسول الله ﷺ وقد أتاه ضرير فشكى إليه ذهاب بصره، فقال: «إن شئت صبرت وإن شئت دعوت لك»، قال: يا رسول الله إنه شقّ عليّ ذهاب بصري وإنه ليس لي قائد، فقال له: «**ائت الميضأة فتوضأ وصلّ ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك..**». إلى ءاخر الدعاء. قال عثمان بن حنيف: ففعل الرجل ما قال، فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا المجلس حتى دخل علينا الرجل وقد أبصر كأنه لم يكن به ضُرٌّ قط.

قال الطبراني في معجمه: «والحديث صحيح» اهـ. ولفظ الحديث عند علماء الحديث يطلق على ما يرفع إلى النبي وما يوقف على الصحابي كما هو مقرر في كتب الاصطلاح، وقد أطلق الإمام أحمد لفظ الحديث على أثر لعمر في الجُبن الذي يأتي به المجوس، وكان من عاداتهم أن يستعملوا في الجبن أنفحة الميتة.

فهذا الحديث حجة في جواز التوسل بالرسول في حياته وبعد مماته، في حضرته وفي غير حضرته، وليس الأمر كما يقول ابن تيمية فإنه قال: لا يجوز التوسّل إلا بالحيّ الحاضر، وبما أن الألباني يتبعه فقد طعن في القَدْر الموقوف من الحديث بقوله: إن الموقوف منكرٌ، ومنشأ هذا الخبط للألباني هو مجاوزته حدّه حيث لم يقف عند نصوص علماء الحديث أنّ من لم يبلغ مرتبة الحافظ ليس له التصحيح والتضعيف، وكذا الحكم بالوضع. وروى هذا الحديث أيضًا الحافظ السبكي والبيهقي.

ومما يدل على ما قدمنا ما ذكره ابن حجر في شرح البخاري ونصه[1]: «وقد تقدم في كتاب الزكاة[2] من طريق حمزة بن عبد الله بن عمر عن أبيه بلفظ: «**إن الشمس تدنو حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينا هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد، فيشفع ليقضى بين الخلق**» اهـ.

ولنزد على ما مضى أن توسل الأعمى بالنبي ﷺ بالصيغة التي علمه رسول الله لم يكن بحضور الرسول، بل ذهب إلى الميضأة فتوضأ وصلى ودعا باللفظ الذي علّمه رسول الله، ثم دخل على النبي ﷺ والنبي لم يفارق مجلسه لقول راوي الحديث عثمان بن حنيف: فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا المجلس حتى دخل علينا الرجل وقد أبصر.

ومما يدل أيضًا على أن توسل هذا الأعمى كان في غير حضرة النبي ﷺ وأنه قال يا محمد في غير حضرته، أنه قد ثبت النهي عن نداء الرسول باسمه في وجهه لقوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴿٦٣﴾﴾ [سورة النُّور] الآية.

ومن ذلك حديث: «**من قال إذا خرج إلى المسجد: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا، فإني لم أخرج أشَرًا ولا بطرًا ولا رياءً ولا سمعةً، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تنقذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك**» ـرواه ابن ماجه وغيره[3] وحسّنه الحافظ ابن حجر العسقلاني[4]

---

(١) فتح الباري (١١/ ٤٣٨).

(٢) فتح الباري (٣/ ٣٣٨).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب المساجد والجماعات: باب المشي إلى الصلاة، وأحمد في مسنده (٣/ ٢١)، والطبراني في الدعاء (٢/ ٩٩٠)، والبيهقي في الدعاء (١/ ٤٧).

(٤) نتائج الأفكار (١/ ٢٧٢).

والحافظ الدمياطي[1] والحافظ أبو الحسن المقدسي[2] والحافظ العراقي[3]- ولا التفات بعد تحسين هؤلاء الحفاظ له إلى قول الألباني بتضعيفه، لأن الألباني ليس من أهل مرتبة الحفظ بل بعيدٌ منها بُعد الأرض من السماء، وقد اعترف هو في بعض ما كتب بعدم بلوغه مرتبة الحفظ. والشرط في تصحيح الحديث أو تضعيفه وكذا الحكم بالوضع أن لا يؤخذ إلا من كلام حافظ كما نص عليه السيوطي في تدريب الراوي، وهل تجرّؤ الألباني على التصحيح والتضعيف والحكم بالوضع عن عدم اطلاع على كلام أهل الحديث في المصطلح؟ أم يكون اطّلع لكن الهوى جرّه وحبّ الظهور ودعوى ما ليس له ظنًّا منه أن الناس يروج عليهم كلامه إذا صحح أو حسّن أو ضعّف؟.

ولنذكر هنا نص الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار لما في ذلك من إزالة لبس توهمه بعض الناس من عدم الفرق بين الحديثين الحديث الفعلي والحديث القولي، لأن الحديث الفعلي هو الضعيف وأما الحديث القولي فإنه ثابتٌ، قال: «قوله -يعني النووي- وروينا في كتاب ابن السني عن بلال، وبالسند الماضي إلى أبي بكر بن السني مرارًا، ثنا عبد الله بن محمد البغوي، ثنا الحسن بن عرفة، ثنا على بن ثابت الجزري، عن الوازع بن نافع، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن بلال رضي الله عنه مؤذن النبي صلى الله عليه وعلى ءاله وسلّم قال: «كان النبي صلى الله عليه وعلى ءاله وسلّم إذا خرج إلى الصلاة قال: «**بسم الله ءامنت بالله توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق مخرجي هذا، فإني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا رياء ولا سمعة، خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك، أسألك أن تعيذني من النار وتدخلني الجنّة**»، هذا حديثٌ واهٍ جدًّا أخرجه الدارقطني في الأفراد من هذا الوجه، وقال: تفرد الوازع به، وقد

(١) المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح (ص/ ٤٧١ - ٤٧٢).

(٢) الترغيب والترهيب (٢/ ٢٧٣).

(٣) المغني عن حمل الأسفار (١/ ٢٨٩).

نقل المصنف أنه متفقٌ على ضعفه وأنه منكر الحديث، قلت: والقول فيه أشد من ذلك، قال يحيى ابن مَعين والنسائي: ليس بثقة، وقال أبو حاتم وجماعة: متروك، وقال الحاكم: روى أحاديث موضوعة، وقال ابن عدي: أحاديثه كلها غير محفوظة. قلت: وقد اضطرب في هذا الحديث، وأخرجه أبو نعيم في اليوم والليلة من وجه ءاخر عنه فقال: عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن بلال ولم يُتابَعْ عليه أيضًا.

قوله: -يعني النووي- وروينا في كتاب ابن السني معناه من رواية عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وعلى ءاله وسلّم، وعطية أيضًا ضعيف، قلت: ضعفه إنما جاء من قبل التشيُّعِ ومن قبل التدليس، وهو في نفسه صدوق. وقد أخرج له البخاري في الأدب المفرد وأخرج له أبو داود عدة أحاديث ساكتًا عليها، وحسّن له الترمذي عدة أحاديث بعضها من أفراده، فلا تظن أنه مثل الوازع.

قرأت على فاطمة بنت محمد بن أحمد بن محمد بن عثمان الدمشقية بها، عن أبي الفضل بن أبي طاهر قال: أنا إسمعيل بن ظفر، أنا محمد ابن أبي زيد، أنا محمود ابن إسمعيل، أنا أبو الحسين بن فاذشاه، أنا الطبراني في كتاب الدعاء، ثنا بشر بن موسى، ثنا عبد الله بن صالح هو العجلي، ثنا فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى ءاله وسلّم: «**إذا خرج الرجل من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا، فإني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا رياء ولا سمعة، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تنقذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وكّل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له، وأقبل**[1] **الله عليه بوجهه حتى يقضي صلاته**»، هذا حديث حسن أخرجه أحمد عن زيد ابن هارون، عن فضيل بن مرزوق، وأخرجه ابن ماجه عن محمد بن يزيد، عن إبراهيم التستري، عن الفضل ابن

(١) الإقبال بالوجه من الله تعالى ليس على ظاهره بل يؤول بمعنى الرضا عنه.

موفق، وأخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد من رواية محمد بن فضيل بن غزوان، ومن رواية أبي خالد الأحمر، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني من رواية أبي نعيم الكوفي، كلهم عن فضيل بن مرزوق. وقد رويناه في كتاب الصلاة لأبي نعيم وقال في روايته عن فضيل عن عطية قال حدثني أبو سعيد فذكره لكن لم يرفعه، وقد أُمن بذلك تدليس عطية.

وعجبت للشيخ كيف اقتصر على سوق رواية بلال دون أبي سعيد وعلى عزو رواية أبي سعيد لابن السني دون ابن ماجه وغيره. والله الموفق[1] اهـ. ففي هذا الحديث دليلٌ على جواز التوسل بالأحياء والأموات لأن لفظ السائلين جمع يشمل الأحياء والأموات من كان حيًّا ومن كان غائبًا، فظهر بطلان تلبيس ابن تيمية، وفي الحديث دليلٌ على جواز التوسل بالعمل الصالح وهو مَمْشَى الرجل إلى المسجد لوجه الله، فالشرع لم يفرّق بين التوسّل بالذوات الفاضلة وبين التوسل بالعمل الصالح، بل لقائل أن يقول: كيف لا يجوز التوسل بذات رسول الله الذي هو أشرف خلق الله ويجوز التوسل بصلاة العبد وصيامه وصدقته، وكلا الأمرين خلق الله، الذوات الفاضلة خلق الله، والأعمال الصالحة التي يعملها العباد خلق الله، فأي معنى للتفريق؟.

قال الحافظ اللغوي محمد مرتضى الزبيدي في شرح الإحياء عقب إيراده لهذا الحديث وإيراد تحسين الحافظ العراقي له ما نصه[2]: «والمراد بالحق في الموضعين: الجاه والحرمة» اهـ.

---

(١) أي أن حديث بلال مضمونه أن الرسول كان إذا خرج يقول ذلك فهو حكاية عن فعله عليه السلام أي عن خروجه إلى المسجد، وأما حديث أبي سعيد فهو إخبار بفضل من يقول هذا الذكر إذا خرج إلى المسجد، وليس فيه نسبة الخروج إلى الرسول، فالأول الذي هو إسناده تالف، وأما الثاني فإسناده حسن كما فهم ذلك من قول الحافظ.

(٢) إتحاف السادة المتقين (٥/ ٨٩).

قال الحافظ التقي السبكي في شفاء السقام[1] ما نصه: «وأقول إن التوسل بالنبي ﷺ جائز في كل حال: قبل خلقه، وبعد خلقه في مدة حياته في الدنيا، وبعد موته في مدة البرزخ، وبعد البعث في عرصات القيامة والجنة. وهو على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: أن يتوسل به بمعنى أن طالب الحاجة يسأل الله تعالى به أو بجاهه أو ببركته فيجوز ذلك في الأحوال الثلاثة، وقد ورد في كل منها خبرٌ صحيحٌ، أما الحالة الأولى قبل خلقه فيدل على ذلك ءاثار عن الأنبياء الماضين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين اقتصرنا منها على ما تبين لنا صحته وهو ما رواه الحاكم أبو عبد الله بن البَيّع في المستدرك على الصحيحين أو أحدهما، قال ثنا أبو سعيد عمرو بن محمد بن منصور المُعَدّل، ثنا أبو الحسن محمد بن إسحق بن إبراهيم الحنظلي، ثنا أبو الحارث عبد الله بن مسلم الفهري، ثنا إسماعيل بن مسلمة، أنا عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما اعترف ءادم عليه السلام بالخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله يا ءادم، وكيف عرفت محمدًا ولم أخلقه، قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا: «لا إلٰـه إلا الله محمد رسول الله» فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا ءادم، إنه لأحب الخلق إليّ، إذ سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك**». قال الحاكم: هذا حديثٌ صحيح الإسناد وهو أوّل حديثٍ ذكرته لعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب. ورواه البيهقي أيضًا في دلائل النبوة وقال تفرد به عبد الرحمٰن وذكره الطبراني وزاد فيه «**وهو ءاخر الأنبياء من ذريتك**».

وذكر الحاكم مع هذا الحديث أيضًا عن على بن حمشاذ العدل، ثنا هارون ابن

---

(١) شفاء السقام (ص/ ١٦١).

العباس الهاشمي، ثنا جندل بن والق، ثنا عمرو بن أوس الأنصاري، ثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عباس قال: «أوحى الله إلى عيسى عليه السلام، يا عيسى ءامن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به، فلولا محمد ما خلقت ءادم، ولولاه ما خلقت الجنة والنار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه «لا إلـه إلا الله فسكن». قال الحاكم: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحُ الإسناد ولم يخرجاه. انتهى ما قاله الحاكم.

والحديث المذكور لم يقف عليه ابن تيمية بهذا الإسناد ولا بلغه أن الحاكم صححه فإنه قال -أعني ابن تيمية-: «أما ما ذكره في قصة ءادم من توسّله فليس له أصلٌ ولا نقله أحد عن النبي ﷺ بإسناد يصلح للاعتماد عليه ولا للاعتبار ولا للاستشهاد، ثم ادعى ابن تيمية أنه كذِب وأطال الكلام في ذلك جدًّا بما لا حاصل تحته بالوهم والتخرص ولو بلغه أن الحاكم صححه لما قال ذلك أو لتعرض للجواب عنه، وكأني به إن بلغه بعد ذلك يطعن في عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم راوي الحديث، ونحن نقول: قد اعتمدنا في تصحيحه على الحاكم، وأيضًا عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم لا يبلغ في الضعف إلى الحد الذي ادعاه، وكيف يحل لمسلم أن يتجاسر على منع هذا الأمر العظيم الذي لا يرده عقلٌ ولا شرعٌ وقد ورد فيه هذا الحديث، وسنزيد هذا المعنى صحةً وتثبيتًا بعد استيفاء الأقسام». انتهى كلام السبكي.

قلت: والبيهقي التزم في كتابه أن لا يذكرحديثًا يعلمه موضوعًا، فالعجب من جرأة ابن تيمية على إطلاق أن أحدًا ممن يعتدُّ به من المحدثين لم يذكره ومن قول الذهبي في هذا الحديث أظنه موضوعًا، وليس هناك أدنى متمسك، وليس فيه ركاكة من حيث المعنى، فعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم ليس ممن اتهم بالكذب، فما الداعي للذهبي إلى أن يقول هذه المقالة، اللهم إلا أن يكون من الذين هم قلوبهم منحرفة عن التوسل بالنبي.

ثم قال: «وأما ما ورد من توسل نوح وإبراهيم وغيرهما من الأنبياء فذكره المفسرون واكتفينا عنه بهذا الحديث لجودته وتصحيح الحاكم له، ولا فرق في هذا المعنى بين أن يعبر عنه بلفظ التوسل أو الاستعانة أو التشفّع أو التجوه، والداعي بالدعاء المذكور وما في معناه متوسل بالنبي ﷺ لأنه جعله وسيلة لإجابة الله دعاءه ومستغيث به –والمعنى أنه استغاث الله به على ما يقصده، فالباء ههنا للسببية وقد ترد للتعدية كما تقول: من استغاث بك فأغثه– ومستشفع به ومتجوه به ومتوجه فإن التجوه والتوجه راجعان إلى معنًى واحد». انتهى كلام السبكي.

ومما يدل أيضًا على جواز التوسل ما رواه الطبراني[1] بإسناد حسن عن عبد الله بن حسان العنبري، أن جدتيه أخبرتاه أن قيلة بنت مخرمة كانت إذا أخذت حظها من المضجع بعد العتمة قالت: بسم الله وأتوكل على الله، وضعت جنبي لربي وأستغفره لذنبي حتى تقولها مرارًا، ثم تقول: أعوذ بالله وبكلماته التامات التي لا يجاوزهن بَرٌّ ولا فاجر، من شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وشر ما ينزل في الأرض وشر ما يخرج منها، وشر فتن النهار، وشر طوارق الليل إلا طارقًا يطرق بخير، ءامنت بالله واعتصمت به، الحمد لله الذي استسلم لقدرته كل شيء، والحمد لله الذي ذل لعزته كل شيء، والحمد لله الذي تواضع لعظمته كل شيء، والحمد لله الذي خشع لملكه كل شيء، اللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابك، وجدك الأعلى، واسمك الأكبر، وكلماتك التامات التي لا يجاوزهن بَرٌّ ولا فاجر، أن تنظر إلينا نظرة مرحومة، لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته، ولا فقرًا إلا جبرته، ولا عدوًّا إلا أهلكته، ولا عريًّا إلا كسوته، ولا دَينًا إلا قضيته، ولا أمرًا لنا فيه صلاح في الدنيا والآخرة إلا أنطيتناه، يا أرحم الراحمين، ءامنت بالله واعتصمت به»، الحديث بطوله، وفيه التوسل بالجماد، فإذا كان يجوز التوسل بالعرش بمعاقد العز وهو جماد فكيف التوسل بسيد الأنبياء وإخوانه وأولياء الله الكرام.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٥/ ١٢)، وكتاب الدعاء (٢/ ٨٩٩)، وأورده الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٢٥) وعزاه للطبراني وقال: «وإسناده حسن».

وأكثر ما يوردونه من الشبه لتحريم التوسل وتحريم زيارة قبر الرسول أمور ليس فيها ما يدّعون، كحديث عبد الله بن عباس مرفوعًا وفيه: «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله» [1]، ويجاب عن ذلك بأن الحديث ليس فيه لا تسأل غير الله ولا تستعن بغير الله، وإنما مراد النبي بذلك أن الأولى بأن يُسأل ويُستعان به هو الله، فكيف يفترون على رسول الله وابن عباس لإثبات دعواهم بتكفير المتوسل والمستغيث برسول الله، وإنما هذا كقول رسول الله في حديث ابن حبان[2]: «لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي»، فهل في هذا الحديث أن مصاحبة غير المسلم حرام؟ وهل يفهم منه أن إطعام غير التقي حرام؟! وقد رخّص الله في كتابه في إطعام الأسير الكافر، بل مدح ذلك بقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [سورة الإنسان].

ومن شبههم حديث عمر أنه استسقى بالعباس، فادّعَوا أن عمر إنما توسل بالعباس لأن الرسول كان قد توفي. والجواب أن يقال: هل قال لكم عمر أو العباس إن هذا التوسل لأن الرسول كان قد توفي، فعمر لم يقل ذلك ولا أشار إليه، ولا قال العباس ذلك ولا أشار إليه، إنما هو من افتراءاتكم عليهما لتؤيدوا به هواكم هو تكفير المتوسل بالنبي، وأن توسل عمر بالعباس بعد موت النبي ليس لأن الرسول قد مات بل كان لأجل رعاية حق قرابته من النبي ﷺ، بدليل قول العباس حين قدَّمه عمر: «اللهم إن القوم توجّهوا بي إليك لمكاني من نبيك»، روى هذا الأثر الزبير بن بكار.

وروى الحاكم[3] أيضًا أن عمر رضي الله عنه خطب الناس فقال: «أيُّها الناس

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (٥٩).

(٢) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (١/ ٣٨٣).

(٣) مستدرك الحاكم، كتاب معرفة الصحابة (٣/ ٣٣٤) من حديث داود بن عطاء المدني عن زيد ابن أسلم عن ابن عمر. قال الذهبي في التلخيص: هو في جزء البانياسي بعلو، وصح نحوه من حديث أنس، فأما داود فمتروك. قلت: تابعه عليه هشام بن سعد أخرجه البلاذري من طريقه=

إنَّ رسول الله ﷺ كان يرى للعباس ما يرى الولد لوالده، يعظّمه ويفخّمه ويبرّ قسمه، فاقتدوا أيّها الناس برسول الله ﷺ في عمّه العباس واتخذوه وسيلة إلى الله فيما نزل بكم»، وهذا يوضّح سبب توسّل عمر بالعبّاس.

وأيضًا فإن ترك الشيء لا يدل على منعه كما هو مقرّر في كتب الأصول، فترك عمر للتوسّل بالنبي ﷺ لا دلالة فيه أصلًا على منع التوسّل إلا بالحيّ الحاضر، وقد ترك النبيُّ ﷺ كثيرًا من المباحات فهل دلّ تركه لها على حرمتها؟ وقد أراد سيّدنا عمر بفعله ذلك أن يبيّن جواز التوسّل بغير النبي ﷺ من أهل الصلاح ممّن ترجى بركته، ولذا قال الحافظ في الفتح[1] عقب هذه القصة ما نصّه: «ويستفاد من قصة العبّاس استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوّة» اهـ.

وقد يذكرون حديثًا متفقًا على ضعفه وهو من شبههم أيضًا أن أبا بكر قال: قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق، فقال رسول الله: إنه لا يستغاث بي، إنما يُستغاث بالله. والجواب عن هذه الشبهة أن يقال: هذا الحديث فيه ابن لَهيعة وهو ضعيف، وهو معارض للحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر مرفوعًا وفيه أن الشمس تدنو من رؤوس الناس يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينا هم كذلك استغاثوا بآدم، فكيف يتعلقون بحديثٍ غير ثابتٍ وقد عارضه الحديث الصحيح.

وقد نص الحنابلة في كتبهم على جواز التوسل بالصالحين، قال ابن مفلح الحنبلي في الفروع ما نصه[2]: «ويجوز التوسل بصالحٍ، وقيل: يستحب» اهـ. وقال البهوتي الحنبلي في كتاب كشاف القناع[3] ما نصه: «وقال السامرّي وصاحب التلخيص: لا

= عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر، انظر الفتح (٢/ ٤٩٧).

(١) فتح الباري (٢/ ٤٩٧).

(٢) انظر الكتاب (١/ ٥٩٥).

(٣) انظر الكتاب (٢/ ٦٩).

بأس بالتوسل للاستسقاء بالشيوخ والعلماء المتقين، وقال في المذهَّب: يجوز أن يستشفع إلى الله برجل صالح، وقيل يستحب.

وقال أحمد في مَنْسِكه الذي كتبه للمرّوذي: إنه يَتَوَسَّل بالنبي في دعائه -يعني أن المستسقي يسن له في استسقائه أن يتوسل بالنبي-، وجزم به في المستوعَب وغيره، ثم قال: قال إبراهيم الحربي: الدعاء عند قبر معروف الكرخي الترياق المجرب» اهـ. وإبراهيم الحربي من معاصري أحمد بن حنبل، توفي بعده بنحو أربعين سنة، وكان من جلّة المحدثين الثقات بل ومن المجتهدين، وقد ذكر في ترجمته أنه كان يشبه بأحمد بن حنبل، فقول ابن تيمية إن ذلك بدعة قبيحة باتفاق الأئمة كلام مردود، يشهد بِرَدّه نص كلام الإمام أحمد وكلام إبراهيم الحربي الذي هو من جلة الأئمة من السلف فأين الاتفاق الذي يدّعيه ابن تيمية؟

قال الشيخ علاء الدين على المرداوي الحنبلي وهو من مشاهير علماء الحنابلة في كتابه الإنصاف[1] ما نصه: «ومنها يجوز التوسل بالرجل الصالح على الصحيح من المذهب، وقيل: يستحب، قال الإمام أحمد للمروذي: يتوسل بالنبي ﷺ في دعائه، وجزم به في المستوعب وغيره، وجعله الشيخ تقي الدين كمسألة اليمين به، قال: والتوسل بالإيمان به وطاعته ومحبته والصلاة والسلام عليه وبدعائه وشفاعته ونحوه مما هو من فعله أو أفعال العباد المأمور بها في حقّه مشروع إجماعًا» اهـ.، فتبين بهذا أن ابن تيمية خالف برأيه الفاسد حتى أهل مذهبه نسأل الله السلامة.

قال الحافظ اللغوي مرتضى الزبيدي في شرح الإحياء[2] ما نصه: «وكان صفوان بن سُليم المدني أبو عبد الله، وقيل أبو الحرث القرشي الزهري الفقيه العابد، وأبوه سليم مولى حميد بن عبد الرحمٰن بن عوف، قال أحمد: هو يستسقى بحديثه وينزل القَطْر من السماء بذكره، وقال مرة: هو ثقة من خيار عباد الله الصالحين. قال الواقدي

(١) انظر الكتاب (٢/ ٤٥٦).

(٢) انظر الكتاب (١٠/ ١٣٠).

وغيره: مات سنة ١٣٢ عن اثنتين وسبعين سنة روى له الجماعة[١]» اهـ. ونقل ذلك أيضًا السيوطي في طبقات الحفاظ فقال: «وذكر -أي صفوان بن سليم- عند أحمد فقال[٢]: هذا رجل يستشفى بحديثه وينزل القطر من السماء بذكره. مات سنة أربع

---

(١) قال الزبيدي: «قد تعقدت ساقاه من طول القيام في الصلاة، وبلغ من الاجتهاد ما لو قيل له القيامة غدًا ما وجد متزايدًا، رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا الحسن بن على الوراق حدثنا عبد الله بن محمَّد بن عبد العزيز حدثنا محمَّد بن يزيد الآدمي حدثنا أبو ضمرة أنس بن عياض قال رأيت صفوان بن سليم ولو قيل له غدًا القيامة ما كان عنده مزيد على ما هو عليه من العبادة. وكان إذا جاء الشتاء اضطجع على السطح ليضربه البرد وإذا كان في الصيف اضطجع داخل البيوت ليجد الحر والغمّ فلا ينام. رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا عبد الله بن محمَّد ابن جعفر حدثنا جعفر الفريابي حدثنا أمية حدثنا يعقوب بن محمَّد حدثنا سليمان بن سالم قال: كان صفوان بن سليم في الصيف يصلي بالليل في البيت فإذا كان في الشتاء صلى في السطح لئلا ينام، حدثنا أبو محمَّد بن حيان حدثنا عبد الرحمٰن بن محمد بن إدريس حدثنا على بن الحسن السنجاني حدثنا إسحق بن محمّد الفردي حدثنا مالك بن أنس قال: كان صفوان بن سليم يصلي في الشتاء في السطح وفي الصيف في بطن البيت يستيقظ بالحر والبرد حتى يصبح ثم يقول: هذا الجهد من صفوان وأنت أعلم به، وإنه لَتَرِم رجلاه حتى يعود مثل السقط من قيام الليل وتظهر فيها عروق خضر وإنه مات وهو ساجد، رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا عبد الله بن محمَّد حدثنا محمَّد بن أحمد بن أيوب المقري حدثنا أبو بكر بن صدقة حدثنا أحمد بن يحيى الصوفي حدثنا أبو غسان مالك بن إسمعيل قال سمعت سفيان بن عيينة يقول وأعانه على بعض الحديث أخوه محمَّد قال: أبي صفوان بن سليم أن لا يضع جنبه على الأرض حتى يلقى الله عز وجل، فلما حضره الموت وهو منتصب قالت له ابنته: يا أبت في هذه الحالة لو ألقيت نفسك قال: إذًا يا بنية ما وفيت له بالقول، وزاد المزي في التهذيب من طريق سفيان أنه مكث على ذلك أكثر من ثلاثين سنة ومن طريق غيره أربعين سنة قال فلما حضرته الوفاة واشتد به النزع والعجز قالت ابنته: يا أبت لو وضعت جنبك فقال: يا بنية إذًا ما وفيت لله عزّ وجلّ بالنذر والحلف فمات وإنه لجالس، قال سفيان فأخبرني الحفار الذي يحفر قبور أهل المدينة= = قال: حفرت قبر رجل فإذا أنا قد وقعت على قبر فوافيت جمجمةً فإذا السجود قد أثر في عظام الجمجمة، فقلت لإنسان: قبر من هذا؟ فقال: أوَمَا تدري، هذا قبر صفوان بن سليم، وكان يقول في دعائه: اللهم إني أحب لقاءك فأحب لقائي ينزع بذلك إلى ما ورد في الخبر: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه» اهـ.

(٢) انظر طبقات الحفّاظ (ص/ ٦١).

وعشرين ومائة» اهـ. وروى عبد الله بن أحمد ابن حنبل[1] عن أبيه أحمد بن حنبل قال: «قال ابن عيينة: رجلان صالحان يُستسقى بهما ابن عجلان ويزيد بن يزيد بن جابر» اهـ.

وذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة[2] في ترجمة الصحابي عبد الرحمٰن بن أبي ربيعة الباهلي أنه استشهد ببلنجر من أرض الترك ودفن هناك فهم يستسقون به إلى الآن.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني ما نصه[3]: «قال -يعني الحاكم في تاريخ نيسابور: وسمعت أبا بكر محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى يقول: خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر بن خزيمة وعديله أبي على الثقفي مع جماعة من مشائخنا وهم إذ ذاك متوافرون إلى زيارة قبر على بن موسى الرضى بطوس قال: فرأيت من تعظيمه يعني ابن خزيمة لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرعه عندها ما تحيرنا» اهـ.

أما ما يذكر عن أبي حنيفة أنه كره أن يقال أسألك بحق أنبيائك، فليس معناه تحريم التوسل على الإطلاق في جميع صوره وألفاظه، إنما كره أبو حنيفة هذه العبارة: بحق أنبيائك، كما قال أهل مذهبه[4]، لأنها توهم أن للعباد حقًا على الله لازمًا، وأهل مذهبه أدرى بكلامه، فالحنفية ما زالوا يتوسلون بأنبياء الله ويرون ذلك قربة إلى الله. والظاهر أن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه ما بلغه هذا الحديث الذي فيه التوسل بلفظ بحق، ولو بلغه لم يقل ذلك، فالعمل على جوازه بلا كراهة، لأن الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة الهدى لا يقدمون كلامهم على كلام رسول الله ﷺ، ولذلك عمل أهل مذهبه على استعمال هذا اللفظ في التوسل، ما رأينا أحدًا منهم

---

(١) العلل ومعرفة الرجال (١/ ١٦٣ - ١٦٤).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٣٩٨).

(٣) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٣٩).

(٤) رد المحتار على الدر المختار (٥/ ٢٧٤).

يستنكر استعمال لفظ بحق في التوسل، والذي يعتقده كل الأئمة هذه القاعدة: إذا صح الحديث فهو مذهبي.

وأما ما يذكر أنه قال: لا يُدْعَى الله بغيره، فهو بعيدٌ من الصحة، كيف وقد ثبت في الصحيح أن ثلاثة أواهم المطر إلى الغار، فانطبقت صخرة نزلت من أعلى الجبل على فم الغار، فدعا كل من الثلاثة الله بصالح عمله، وهذا أخرجه البخاري وغيره[1]، فكيف يُلتفت إلى هذا النقل عن أبي حنيفة المصادم للصحيح، فقد ذكر الألباني في بعض المجالس في الكلام على التوسل هذه العبارة: أما التوسل فقد كفانا أبو حنيفة المؤنة، يريد بذلك أن أبا حنيفة يحرم التوسل مطلقًا كما يحرمونه، فليثبت هؤلاء إن استطاعوا أن أبا حنيفة قال يحرم التوسل بالنبي بعد موته أو في حياته في غير حضرته كما يدعي أتباع ابن تيمية في قوله: لا يجوز التوسل إلا بالحي الحاضر.

قال ابن عابدين الحنفي في حاشيته[2]: «ذكر العلامة المناوي في حديث: «**اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة**» عن العز بن عبد السلام أنه ينبغي كونه مقصورًا على النبي ﷺ، وأن لا يقسم على الله بغيره، وأن يكون من خصائصه، قال: قال السبكي: يحسن التوسل بالنبي إلى ربّه ولم ينكره أحد من السلف ولا الخلف إلا ابن تيمية فابتدع ما لم يقله عالم قبله» اهـ.

فائدة: إن قال مانعو التوسل بالأموات والحيّ الغائب لا معنى للتوسل بهم بأن يقال: يا رسول الله أغثني أو: أتوجه بك إلى الله ليقضي لي حاجتي لأنه لا يسمع، وأما الحي الحاضر فيسمع. قلنا: لا مانع شرعًا ولا عقلًا من أن يسمع النبي أو الولي كلام من يتوسل به وهو في القبر، أما النبي فلأنه حي أحياه الله بعد موته كما

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب البيوع: باب إذا اشترى شيئًا لغيره بغير إذنه فرضي، ومسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار: باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال.

(٢) رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين (١/ ٢٥٤).

ثبت من حديث أنس عن رسول الله أنه قال: «**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون**» صححه البيهقي في جزء حياة الأنبياء[١]، وأورده الحافظ ابن حجر على أنه ثابت في فتح الباري[٢]، وذلك لما التزمه أن ما يذكره من الأحاديث شرحًا أو تتمة لحديث في متن البخاري فهو صحيحٌ أو حسنٌ، ذكر ذلك في مقدمة الفتح[٣]. ولأنه ثبت حديث: «**ما من رجل مسلم يمرّ بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلّم عليه إلا عرفه وردّ عليه السلام**»[٤]، صححه الحافظ عبد الحق الإشبيلي[٥].

قال المناوي[٦] في شرح الجامع الصغير تعليقًا على هذا الحديث ما نصه: «قال ابن الجوزي: حديثٌ لا يصح، وقد أجمعوا على تضعيف عبد الرحمٰن بن زيد أي أحد رواته، وقال ابن حبان: يقلب الأخبار ولا يعلم حتى كثر ذلك في روايته واستحق الترك، وأفاد الحافظ العراقي أن ابن عبد البر خرّجه في التمهيد والاستذكار بإسنادٍ صحيحٍ من حديث ابن عباس، وممن صححه عبد الحق بلفظ: «**ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام**»، قلت: بل قال الحافظ في تهذيب التهذيب عن عبد الرحمٰن بن زيد العدوي: «قال ابن عدي: له أحاديث حسان وهو ممن احتمله الناس وصدّقه بعضهم، وهو ممن يكتب حديث» اهـ.

وعبارة الحافظ في شرح البخاري[٧] في باب أحاديث الأنبياء ما نصه: «وقد

---

(١) حياة الأنبياء بعد وفاتهم رقم/ ١٥ .

(٢) فتح الباري (٦/ ٤٨٧).

(٣) مقدمة فتح الباري (ص/ ٤).

(٤) عزاه السيوطي في الجامع الصغير (٢/ ٥١٨) لابن عساكر والخطيب في تاريخه، انظر تاريخ بغداد (٦/ ١٣٧).

(٥) إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٣٦٥)، العاقبة (ص/ ١١٨)، فيض القدير (٥/ ٤٨٧).

(٦) فيض القدير (٥/ ٤٨٧).

(٧) فتح الباري (٦/ ٤٨٧).

جمع البيهقي كتابًا لطيفًا في «حياة الأنبياء في قبورهم»، أورد فيه حديث أنس: «**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلّون**»، أخرجه من طريق يحيى بن أبي كثير وهو من رجال الصحيح عن المستلم بن سعيد، وقد وثقه أحمد وابن حبان عن الحجاج الأسود وهو ابن أبي زياد البصري، وقد وثّقه أحمد وابن معين عن ثابت عنه، وأخرجه أيضًا أبو يعلى في مسنده من هذا الوجه وأخرجه البزار لكن وقع عنده عن حجاج الصوَّاف وهو وهم، والصواب الحجاج الأسود كما وقع التصريح به في رواية البيهقي وصححه البيهقي» اهـ.

ثم قال البيهقي[1]: «وشاهد الحديث الأول ما ثبت في صحيح مسلم[2] من رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رفعه: «**مررت بموسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائمٌ يصلي في قبره**»، وأخرجه أيضًا من وجه ءاخر عن أنس. فإن قيل هذا خاصٌّ بموسى، قلنا: قد وجدنا له شاهدًا من حديث أبي هريرة أخرجه مسلم[3] أيضًا من طريق عبد الله بن الفضل، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رفعه: «لقد رأيتني في الحِجر وقريش تسألني عن مسراي» الحديث، وفيه: «**وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شَنُوءَةَ**» وفيه: «**وإذا عيسى ابن مريم قائم يصلي أقرب الناس به شبهًا عروة ابن مسعود، وإذا إبراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم، فحانت الصلاة فأممتهم**». قال البيهقي: وفي حديث سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أنه لقيهم ببيت المقدس فحضرت الصلاة فأمّهم نبينا ﷺ ثم اجتمعوا في بيت المقدس. وفي حديث أبي ذر ومالك بن صعصعة في قصة الإسراء أنه لقيهم بالسموات، وطرق ذلك صحيحة، فيحمل على أنه رأى موسى قائمًا يصلي في قبره، ثم عرج به هو ومن ذكر من الأنبياء إلى السموات فلقيهم النبي ﷺ، ثم اجتمعوا في بيت المقدس

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل: باب من فضائل موسى عليه السلام.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال.

فحضرت الصلاة فأمّهم نبينا ﷺ. قال: وصلاتهم في أوقات مختلفة وفي أماكن مختلفة لا يرده العقل، وقد ثبت به النقل فدلّ ذلك على حياتهم. قلت: وإذا ثبت أنهم أحياء من حيث النقل فإنه يقويه من حيث النظر كون الشهداء أحياء بنص القرءان، والأنبياء أفضل من الشهداء. ومن شواهد الحديث ما أخرجه أبو داود[1] من حديث أبي هريرة رفعه وقال فيه: «**وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**» سنده صحيح. وأخرجه أبو الشيخ في «كتاب الثواب» بسند جيد بلفظ: «من صلّى عليّ عند قبري سمعته، ومن صلّى عليّ نائيًا بلغته»، وعند أبي داود[2] والنسائي وصححه ابن خزيمة وغيره عن أوس بن أوس رفعه في فضل يوم الجمعة: «**فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ**»، قالوا: يا رسول الله وكيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أَرَمْتَ؟ قال: «**إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**».

ومما يشكل على ما تقدم ما أخرجه أبو داود من وجه ءاخر عن أبي هريرة رفعه[3]: «**ما من أحد يسلّم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام**» ورواته ثقات. ووجه الإشكال فيه أن ظاهره أن عود الروح إلى الجسد يقتضي انفصالها عنه وهو الموت، وقد أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة: أحدها أن المراد بقوله: «**ردّ الله عليّ روحي**» أن ردّ روحه كانت سابقة عقب دفنه لا أنها تعاد ثم تنزع ثم تعاد. الثاني: سلمنا، لكن ليس هو نزع موت بل لا مشقة فيه، الثالث: أن المراد بالروح الملك الموكل بذلك، الرابع: المراد بالروح النطق فَتَجَوَّزَ فيه من جهة خطابنا بما نفهمه، الخامس: أنه يستغرق في أمور الملإ الأعلى، فإذا سُلّمَ عليه رجع إليه فهمه ليجيب من

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب المناسك: باب زيارة القبور.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة: باب في فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، والنسائي في سننه: كتاب الجمعة: باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، وابن خزيمة في صحيحه (٣/ ١١٨).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب المناسك: باب زيارة القبور.

سلم عليه. وقد استشكل ذلك من جهة أخرى، وهو أنه يستلزم استغراق الزمان كله في ذلك لاتصال الصلاة والسلام عليه في أقطار الأرض ممن لا يحصى كثرة، وأجيب بأن أمور الآخرة لا تدرك بالعقل، وأحوال البرزخ أشبه بأحوال الآخرة، والله أعلم». انتهى كلام الحافظ بحروفه.

وروى البزار[1] في مسنده قال: «حدثنا يوسف بن موسى، ثنا عبد المجيد ابن عبد العزيز بن أبي رواد، عن سفيان، عن عبد الله بن السائب، عن زاذان، عن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «**إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمّتي السلام**». قال: وقال رسول الله ﷺ: «**حياتي خير لكم تُحْدِثُون ويُحْدَث لكم ووفاتي خير لكم يُعرض عليّ أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله عليه وما رأيت من شرّ استغفرت الله لكم**». قال البزار: لا نعلمه يروى عن عبد الله إلا بهذا الإسناد» اهـ.

وفي الألفاظ الواردة في السلام على أهل القبور دلالة على ذلك، وذلك في نحو قول الزائر «**السلام عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر**»، أخرجه الترمذي وحسنه[2]، وفي صحيح مسلم بلفظ[3]: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين**» الحديث، فلولا صحة سماع الميت لم يكن لهذا الخطاب معنى. ولا حجة في استدلال نفاة التوسل بقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة فاطر]. فإنه مؤوّلٌ لا يحمل على الظاهر، والمراد به تشبيهُ الكفار بمن في القبور في عدم انتفاعهم بكلامه وهم أحياء، وليس المعنى أنه لا يحصل لأهل القبور سماع شيءٍ من كلام الأحياء على الإطلاق للأخبار الصحيحة. منها ما رواه البخاري[4] أن

---

(١) انظر كشف الأستار (١/ ٣٩٧)، وقال الحافظ الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٤): «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح».

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الجنائز: باب ما يقول الرجل إذا دخل المقابر.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز: باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي: باب قتل أبي جهل.

رسول الله قام على القَلِيبِ قليب بدرٍ وفيه قتلى المشركين فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماءِ ءابائهم: يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان قال: «فإنا وجدنا ما وَعَدَنا ربُّنا حقًّا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا»، فقال عمر: ما تُكَلّمُ مِن أجسادٍ لا أرواح لها، فقال رسول الله: «**والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمعَ لما أقولُ منهم**»، وكذلك حديث البخاري ومسلم[1] عن أنس عن النبي: «**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم**».

ثم مما يؤيد صحة سماع الموتى ما رواه الترمذي أن رجلًا ضرب خِباءه[2] ليلاً على قبر فسمع من القبر قراءة ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴿١﴾﴾ [سورة الملك] إلى ءاخرها، فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**هي المانعة هي المنجية**». حسّنه السيوطي[3]. فإذا كان من على وجه الأرض عند القبر يسمع قراءة صاحب القبر، فأي مانع من أن يسمع صاحب القبر كلام من على وجه الأرض ولو كان في مسافة بعيدة من صاحب القبر بالنسبة لعباد الله الذين منحهم الله الكرامات كما سمع الجيش الذي كان مع سارية في نهاوند صوت عمر وهو على المنبر في المدينة.

وكذلك يؤيد صحة سماع الموتى للأحياء ما قاله الحافظ اللغوي محمد مرتضى الزبيدي في شرح الإحياء[4] ونصه: «وقال سعيد بن عبد الله الأودي من بني أود بن سعد العشيرة وفي بعض النسخ الأزدي، فإن كان كذلك فهو سعيد بن عبد الله بن ضرار بن الأزور، وضرار بن الأزور أسدي، ويقال في الأزدي الأسدي، وسعيد ضعيف كما تقدم: شهدت أبا أمامة صدي بن عجلان الباهلي رضي الله عنه وهو في النزع

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز: باب ما جاء في عذاب القبر، ومسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر، والتعوذ منه.

(٢) رواه الترمذي في سننه: كتاب فضائل القرءان: باب ما جاء في فضل سورة الملك.

(٣) أورده السيوطي في الجامع الصغير (٢/ ٥٦) بنحوه وحسنه.

(٤) إتحاف السادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدين (١٠/ ٣٦٨).

فقال: يا سعيد إذا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله ﷺ فقال: «**إذا ما مات أحدكم فسوّيتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلانُ ابن فلانةَ فإنه يسمع ولا يجيب**» -أي لا يستطيع الجواب- «**ثم ليقل يا فلان ابن فلانة المرة الثانية فإنه يستوي قاعدًا، ثم ليقل يا فلان ابن فلانة المرة الثالثة فإنه يقول: أرشدنا يرحمك الله ولكن لا تسمعون**»، وفي لفظ: «**لا تشعرون، فيقول**» وفي لفظ: «**فليقل له: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إلـٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأنك رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا وبالقرءان إمامًا، فإن منكرًا ونكيرًا يتأخر كل واحدٍ منهما**»، وفي لفظ: «**يأخذ كل واحدٍ منهما بيد صاحبه فيقول: انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لُقّن حجته ويكون الله عزّ وجلّ حجيجه دونهما**»، وفي لفظ: «**ولكن الله حجته دونهم**»، فقال رجل: يا رسول الله فإن لم يعرف اسم أمه قال: «**فلينسبه إلى حواء**» أي فليقل: يا فلان ابن حواء. قال العراقي رواه الطبراني بسندٍ ضعيفٍ اهـ. قلت: لعله لمكان سعيد بن عبد الله إن كان هو ابن ضرار فقد قال أبو حاتم إنه ليس بقوي نقله الذهبي، هكذا رواه الطبراني في الكبير وفي كتاب الدعاء وابن منده في كتاب الروح وابن عساكر والديلمي، ورواه ابن منده من وجه ءاخر عن أبي أمامة قال: إذا مت فدفنتموني فليقم إنسان عند رأسي فليقل يا صُدَيّ بن عجلان اذكر ما كنت عليه في الدنيا شهادة أن لا إلـٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ورواه ابن عساكر من وجه ءاخر عن أبي أمامة رفعه: «**إذا مات الرجل منكم فدفنتموه فليقم أحدكم عند رأسه فليقل: يا فلان ابن فلانة فإنه يسمع، فليقل يا فلان ابن فلانة فإنه يستوي قاعدًا، فليقل يا فلان ابن فلانة فإنه سيقول له: أرشدني يرحمك الله، فليقل: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إلـٰه إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله وأن الساعة ءاتية لا ريب فيها وأن الله باعث من في القبور، فإن منكرًا ونكيرًا عند ذلك يأخذ كل واحد بيد صاحبه ويقول قم ما تصنع عند رجل لُقّن حجته فيكون الله تعالى حجيجهما دونه**». انتهى كلام الزبيدي.

وقال الحافظ الزبيدي في موضع ءاخر[1] ما نصه: «فصل: اتفق أهل السّنة على أن الأموات ينتفعون من سعي الأحياء بأمرين أحدهما: ما تسبب إليه الميت في حياته، والثاني: دعاء المسلمين واستغفارهم له والصّدقة والحج على نزاع فيما يصل من ثواب الحج، فعن محمد بن الحسن أنه إنّما يصل للميت ثواب النفقة والحج للحاج، وعند عامة أصحابنا ثواب الحج للمحجوج عنه وهو الصّحيح، واختلف في العبادات البدنية كالصّوم والصّلاة وقراءة القرءان والذكر فذهب أبو حنيفة وأحمد وجمهور السلف إلى وصولها، والمشهور من مذهب الشافعي ومالك عدم وصولها، وذهب بعض أهل البدع من أهل الكلام إلى عدم وصول شيء ألبتة لا الدعاء ولا غيره، وقوله مردود بالكتاب والسّنة، واستدلاله بقوله تعالى ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سورة النجم] مدفوع بأنه لم ينف انتفاع الرجل بسعي غيره وإنّما نفى ملك غير سعيه، وأمّا سعي غيره فهو ملك لساعيه فإن شاء أن يبذله لغيره وإن شاء أن يبقيه لنفسه، وهو سبحانه وتعالى لم يقل أنه لا ينتفع إلا بما سعى، ثم قراءة القرءان وإهداؤه له تطوّعًا بغير أجرة يصل إليه، أما لو أوصى بأن يعطى شيء من ماله لمن يقرأ القرءان على قبره فالوصية باطلةٌ لأنه في معنى الأجرة كذا في الاختيار، والعمل الآن على خلافه فالأولى أن يوصي بنية التعلم والتعليم ليكون معونة لأهل القرءان فيكون من جنس الصّدقة عنه فيجوز. ثم القراءة عند القبور مكروهةٌ عند أبي حنيفة ومالك وأحمد في رواية لأنه لم ترد به السنة، وقال محمد بن الحسن وأحمد في رواية لا تكره لما روي عن ابن عمر أنه أوصى أن يقرأ على قبره وقت الدّفن بفواتح سورة البقرة وخواتمها» اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير[2] ما نصه: «قوله: ويستحب أن يلقّن الميت بعد الدفن، فيقال: يا عبد الله يا ابن أمة الله، اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأن الجنّة حقٌّ وأن النار

(١) إتحاف السادة المتقين (٢/ ٢٨٤).

(٢) انظر الكتاب (٢/ ١٣٥).

حقٌّ وأن البعث حقٌّ، وأن الساعة ءاتيةٌ لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأنك رضيت بالله ربّا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًّا وبالقرءان إمامًا وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين إخوانًا، ورد به الخبر عن النبي ﷺ. الطبراني عن أبي أمامة: إذا أنا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله ﷺ أن نصنع بموتانا، أمرنا رسول الله ﷺ فقال: **«إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم التراب على قبره، فليقم أحدكم على رأس قبره، ثم ليقل: يا فلان ابن فلانة، فإنه يسمعه ولا يجيب، ثم يقول يا فلان ابن فلانة، فإنه يستوي قاعدًا، ثم يقول: يا فلان ابن فلانة، فإنه يقول: أرشدنا يرحمك الله، ولكن لا تشعرون، فليقل: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إلٰـه إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وأنك رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيّا، وبالقرءان إمامًا، فإن منكرًا ونكيرًا يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول: انطلق بنا ما يقعدنا عند من لُقّن حجته»**، قال: فقال رجل: يا رسول الله فإن لم يعرف أمه؟ قال: «**ينسبه إلى أمّه حواء، يا فلان ابن حواء**»، وإسناده صالح، وقد قوّاه الضياء في أحكامه» اهـ.

وأما الحي الغائب فإنه يدل على صحة سماعه خطاب من يناديه من بعيد قصة عمر رضي الله عنه في ندائه جيشه الذي كان بأرض العجم بقوله: «يا سارية الجبل الجبل»، فسمعه سارية بن زنيم وكان سارية قائد الجيش، فانحاز بجيشه إلى الجبل فانتصروا. صححه الحافظ الدمياطي في جزء ألّفه لهذه القصة، ووافقه الحافظ السيوطي على ذلك. وأوردها الحافظ الزبيدي فقال في شرح القاموس[1] في فصل السين من باب الواو والياء ما نصه: «وسارية بن زنيم بن عمرو بن عبد الله بن جابر بن محمية بن عبد بن عدي بن الديل الخلجي الكناني الذي ناداه عمر رضي الله عنه على المنبر وسارية بنهاوند، فقال يا سارية الجبل الجبل، فسمع صوته وكان يقاتل العدوّ فانحاز بهم إلى الجبل، فسلم من مكيدتهم، وهذه الكرامة ذكرها غير واحدٍ

(١) تاج العروس شرح القاموس (١٠/ ١٧٣ - ١٧٤).

من أصحاب السير، وقد ذكره ابن سعد وأبو موسى ولم يذكرا ما يدل له على صحبته لكنه أدرك، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين. ومن الدليل على صحة سماع الغائب النداء من بعيد ما ثبت أن ابن عباس قال: قام إبراهيم على الحجر فقال: يا أيها الناس كتب عليكم الحج، فأسمع من في أصلاب الآباء وأرحام النساء فأجابه من ءامن ومن كان سبق في علم الله أنه يحج إلى يوم القيامة: لبيك اللهم لبيك. صححه الحافظ ابن حجر» اهـ.

فإن قيل: إن كثيرًا من الناس يزورون على عقيدةٍ فاسدةٍ كاعتقاد أن أصحاب الضرائح لهم خصوصيةٌ بجلب المنفعة لمن يزورها ودفع المضرة عنهم، وعلى اعتقاد أنهم يستحقون بهذا غاية التذلل.

قلنا: لأجل ظن حصول من نيتُهم هكذا هل يحرم على الجميع بمن فيهم من نيّاتهم صحيحة ولا يعتقدون هذا، إنما يعتقدون أن الله جعلها سببًا لحصول بعض المنافع عند الدعاء عندهم، فمثل هذا كمثل السوق فإن الرسول سمّاها شر البلاد ومع ذلك لا يحرم على جميع الناس دخولها إنما يحرم على من يذهب ليغشّ الناس أو يسرق أو ليرابي أو لمقصد محرم غير ذلك، فلم يحرم الرسول دخولها على الإطلاق والإجمال بل جعل دخولها حرامًا بحالاتٍ مخصوصةٍ، والكعبة حين كان حولها ثلاثمائة وستون صنمًا والمشركون يذهبون إليها ليقدسوها كان الرسول يذهب للصلاة عند الكعبة، ولم يحرّم الذهاب إليها على المؤمنين لأجل وجود الأصنام ومن يعبدها، وهكذا قصد قبور الأولياء للتبرك وقصدها رجاء الإجابة عندها من الله تعالى لا يحكم على كل من دخلها بأنه يعتقد ذلك الاعتقاد الفاسد وأنه يعبد هذه الضرائح.

والعبادة في اللغة غاية التذلل كما قال الراغب الأصبهاني الذي يكثر النقل عنه خاتمة اللغويين مرتضى الزبيدي، وقال أبو حيان الأندلسي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ ۝٥﴾ [سورة الفاتحة] إن العبادة التذلل عند جمهور اللغويين، وقال ابن السكيت إنها التجريد وقد تقدم ذلك. ومصيبة جماعتكم جهل معنى العبادة التي

يكون بها الإنسان إذا فعلها لغير الله مشركًا، فإذا كان صورة السجود بغير نية غاية التذلل لا يكون إشراكًا في شرعنا إنما يكون حرامًا، فكيف يجعلون مجرد زيارة الشخص قبر ولي أو نبي للتبرك شركًا، وقد ثبت عن معاذ بن جبل أنه سجد لرسول الله فلم يزده على أن قال: «لا تفعل» ولم يقل له أشركت.

والحديث المارّ ذكره الوارد في السوق حديث حسن كما قال الحافظ ابن حجر في الأمالي، ورواه مسلم أتمّ من هذا اللفظ مع مغايرة في اللفظ.

ثم إن التوسل والتوجه والاستغاثة مؤدّاها واحدٌ كما قال الحافظ تقي الدين السبكي وهو من اللغويين كما قال السيوطي، وذلك ظاهر، فإن الصحابي الذي ذهب إلى قبر رسول الله في عام الرمادة فقال: يا رسول الله استسق لأمّتك فإنهم قد هلكوا، يصح أن يطلق على فعله التوسل والاستغاثة، فإنه ذهب إلى قبر الرسول لقصد أن يطلب من الرسول إنقاذهم من الشدّة التي أهلكتهم بطلب السقيا من الله.

وهذا الحديث رواه البيهقي بإسناد صحيح[1] عن مالك الدار -وكان خازن عمر- قال: «أصاب الناس قحطٌ في زمان عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسقِ لأمّتك فإنهم قد هلكوا، فأُتي الرجل في المنام فقيل له: أقرئ عمر السلام وأخبره أنهم يسقون وقل له: عليك الكيس الكيس، فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى عمر وقال: «يا ربّ ما ءالو إلا ما عجزت». وهذا الرجل هو بلال بن الحـٰرث المزني الصحابي، فهذا الصحابيُّ قد قصد قبر الرسول للتبرّك والاستغاثة فلم ينكر عليه عمر ولا غيره.

وفي فتح الباري[2] ما نصه: «وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الدار ـ وكان خازن عمر ـ قال: أصاب الناس قحطٌ في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٩١).

(٢) فتح الباري (٢/ ٤٩٥).

هلكوا، فأُتي الرجل في المنام فقيل له: ائتِ عمر... الحديث. وقد روى سيف في الفتوح أن الذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحـٰرث المزني أحدُّ الصحابة» اهـ.

وفي البداية والنهاية لابن كثير[1] ما نصه: «وقد روينا أن عمر عسَّ المدينة ذات ليلة[2] عام الرمادة فلم يجد أحدًا يضحكُ، ولا يتحدثُ الناسُ في منازلهم على العادة، ولم يرَ سائلًا يسأل، فسأل عن سبب ذلك فقيل له: يا أمير المؤمنين إنَّ السؤّال سألوا فلم يعطوا فقطعوا السؤال، والنّاس في همّ وضيق فهم لا يتحدثون ولا يضحكون. فكتب عمر إلى أبي موسى بالبصرة أن يا غوثاه لأمة محمدٍ، وكتب إلى عمرو ابن العاص بمصر أن يا غوثاه لأمّة محمد، فبعث إليه كل واحدٍ منهما بقافلة عظيمة تحمل البُرّ وسائر الأطعمات، ووصلت ميرة عمرو في البحر إلى جدّة ومن جدّة إلى مكة. وهذا الأثر جيّد الإسناد» اهـ. وهذا فيه الردُّ على ابن تيمية لقوله إنه لا يجوز التوسّل إلا بالحيّ الحاضر، فهذا عمر بن الخطّاب استغاث بأبي موسى وعمرو ابن العاص وهما غائبان.

ثمَّ يقولُ في الصحيفة التي تليها: «وقال سيفُ بن عمر: عن سهل بن يوسف السُّلَمي، عن عبد الرحمـٰن بن كعب بن مالك قال: كان عام الرمادة في ءاخر سنة سبع عشرة وأول سنة ثماني عشرة أصاب أهل المدينة وما حولها جوع فهلك كثير من النّاس حتى جعلت الوحش تأوي إلى الإنس، فكان الناس بذلك وعمرُ كالمحصور[3] عن أهل الأمصار حتى أقبل بلال بن الحـٰرث المزني فاستأذن على عمر فقال: أنا رسولُ رسول الله إليك، يقول لك رسول الله ﷺ: «**لقد عهدتك كيّسًا، وما زلتَ على ذلك فما شأنك**». قال: متى رأيت هذا؟ قال: البارحة، فخرج فنادى في النّاس: الصلاة جامعة، فصلّى بهم ركعتين ثمّ قامَ فقالَ: أيُّها النّاس أنشدكم الله هل تعلمون

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٩٠).

(٢) أي تجول في البلد ليلاً ليفتش أحوال البلد.

(٣) الذي عليه الحزن.

منّي أمرًا غيره خير منه فقالوا: اللهمّ لا، فقال: إنّ بلال بن الحـٰرث يزعم ذَيْتَ وذَيْتَ[1] قالوا: صدق بلال فاستغث بالله ثمَّ بالمسلمين، فبعث إليهم وكان عمرُ عن ذلك محصورًا، فقال عمر: الله أكبر، بلغ البلاءُ مدَّتَه فانكشف، ما أُذن لقوم في الطلب إلا وقد رفع عنهم الأذى والبلاء. وكتب إلى أمراء الأمصار أن أغيثوا أهل المدينةِ ومَن حَولها فإنه قد بلغ جهدهم، وأخرج النّاس إلى الاستسقاء، فخرج وخرج معه العباس بن عبد المطّلب ماشيًا، فخطب وأوجز وصلّى ثم جثى لركبتيه وقال: اللهمّ إيّاك نعبُدُ وإيّاك نستعين، اللهمّ اغفر لنا وارحمنا وارضَ عنّا. ثم انصرف، فما بلغوا المنازل راجعين حتّى خاضوا الغدران.

ثمَّ روى سيفٌ عن مبشر بن الفضيل عن جبير بن صخر عن عاصم بن عمر ابن الخطاب أن رجلًا من مزينة عام الرمادة سأله أهلُه أن يذبح لهم شاةً فقال: ليسَ فيهنّ شيء، فألحّوا عليه فذبح شاةً فإذا عظامها حمْرٌ فقال: يا محمداه، فلمّا أمسى أُريَ في المنام أنَّ رسولَ الله ﷺ يقولُ له: «أبشر بالحياة، إيت عمر فَأقرئه منّي السلام وقل له: إنّ عهدي بك وفيّ العهدِ شديدَ العقدِ فالكيس الكيس يا عمر». فجاء حتى أتى بابَ عمر فقال لغلامه: استأذن لرسول رسول الله ﷺ، فأتى عمر فأخبرَهُ، ففزع ثمّ صعدَ عمر المنبر فقال للناس: أنشدكم الله الذي هداكم للإسلام هل رأيتم منّي شيئًا تكرهونه؟ فقالوا: اللهمّ لا، وعمّ ذاك؟ فأخبرهم بقول المزني ـ وهو بلال بن الحـٰرث ـ ففطنوا ولم يفطن، فقالوا: إنما استبطأك في الاستسقاءِ فاستسقِ بنا، فنادى في الناس فخطب فأوجز ثمَّ صلّى ركعتين فأوجز ثمَّ قال: اللهمّ عَجَزَتْ عنّا أنصارُنا وعجز عنّا حولنا وقوتنا، وعجزت عنّا أنفسنا ولا حول ولا قوّة إلا بك، اللهمّ اسقنا وأحيِ العبادَ والبلادَ.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو نصر بن قتادة وأبو بكر الفارسي قالا: حدّثنا أبو عمر بن مطر، حدّثنا إبراهيم بن على الذهلي، حدّثنا يحيى بن يحيى،

---

(١) معناه كيتَ وكيت.

حدّثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن مالك الدار قال: أصابَ الناسَ قحطٌ في زمن عمر بن الخطاب فجاء رجلٌ إلى قبر النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله استسقِ الله لأمّتك فإنهم قد هلكوا، فأتاهُ رسول الله ﷺ في المنام فقال: «إيت عمر فأقرئهُ منّي السلام وأخبرهم أنهم مُسقون وقل له: عليك بالكيس الكيس»، فأتى الرجل فأخبر عمر فقال: «يا رب ما ءالو إلا ما عجزت عنه». هذا إسناد صحيح» اهـ. وهذا إقرار بصحة هذا الحديث من الحافظ ابن كثير.

ومنكرو التوسل أتباع ابن تيمية يقولون لماذا تجعلون واسطة بقولكم: اللهم إني أسألك بعبدك فلان؟ الله لا يحتاج إلى واسطة، يقال لهم: الواسطة قد تأتي بمعنى المعين والمساعد وهو محال بالنسبة إلى الله تعالى، أما الواسطة بمعنى السبب فالشرع والعقل لا ينفيانه، فالله تعالى هو خالق الأسباب ومسبباتها، جعل الأدوية أسبابًا للشفاء، وهو خالق الأدوية وخالق الشفاء بها، كذلك جعل الله تعالى التوسل بالأنبياء والأولياء سببًا لنفع المتوسلين، ولولا أن التوسل سببٌ من أسباب الانتفاع ما علّم رسول الله ﷺ الأعمى التوسل به، ثم الله تعالى هو خالق التوسل وخالق النفع الذي يحصل به بإذن الله، فالتوسل بالأنبياء والأولياء من باب الأخذ بالأسباب، لأن الأسباب إما ضروريةٌ كالأكل والشرب، وإما غير ضروريةٍ كالتوسل، وكلٌّ من جملة الأسباب. والمؤمن الذي يتوسل بالأنبياء والأولياء لا يعتقد أن كونهم وسطاء بينه وبين الله بمعنى أن الله يستعين بهم في إيصال النفع للمتوسل أو أنه لا يستقلّ بذلك، بل يراهم أسبابًا جعلها الله لحصول النفع بإذنه.

ثم إن مقصود المتوسل قد يحصل وقد لا يحصل كما أن الذي يتداوى بالأدوية قد يحصل له الشفاء بها وقد لا يحصل، كذلك زيارة قبور الأنبياء والأولياء للتبرّك رجاء إجابة الدعاء عندها جعلها الله سببًا لحصول المنفعة، وذلك معلومٌ بين المسلمين عوامهم وخواصّهم، ما كان ينكره أحد قبل ابن تيمية، ومن ذلك قصة الصحابي الذي زار قبر النبي عام الرمادة، وقد مرّ ذكرها قبل قليل وثبوت صحتها كما قال الحافظ البيهقي وابن كثير.

فقول هؤلاء المنكرين لِمَ تجعلون وسائط بينكم وبين الله، ولمَ لا تطلبون حاجاتكم من الله من غير واسطةٍ، كلامٌ لا معنى له، لأن الشرع رخّص للمؤمن بين أن يطلب من الله حاجته بدون توسّل وبين أن يطلب حاجته مع التوسّل، فالذي يقول: اللهم إني أسألك بنبيّك، أو: بجاه نبيك، أو نحو ذلك، فقد سأل الله، كما أن الذي يقول: اللهم إني أسألك كذا وكذا قد سأل الله، فكلا الأمرين سؤال من العبد ربّه، وكلاهما داخل تحت حديث: «**إذا سألت فاسأل الله**».

فالأمر ليس كما تزعمون أيها التيميون، وكل ما يحصل منكم منذ أن نشر ابن تيمية في الناس هذا الاعتقاد الفاسد فيما يتعلّق بالتوسّل وزيارة القبور للتبرّك من تضليل وتكفير فوباله عليكم وعلى إمامكم، لأن ذلك داخل تحت حديث: «**ومن سنّ في الإسلام سنّةً سيئةً كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده**».

هذا وقد صرّح ابن تيمية في غير موضعٍ بأن قصد القبر للدعاء عنده بدعة قبيحة. قال البُهوتي صاحبُ كشاف القناع[1] نقلاً عن صاحب الفروع ما نصه: «وقال شيخنا -يعني ابن تيمية-: قصده -يعني القبر- للدعاء عنده رجاء الإجابة بدعة لا قربة باتفاق الأئمة» اهـ. وصاحب الفروع هو شمس الدين بنُ مُفْلح الحنبلي وهو من تلامذة ابن تيمية، وقال في موضع ءاخر في كشاف القناع: «قال الشيخ -يعني ابن تيمية-: ويحرم طوافه بغير البيت العتيق اتفاقًا، ثم قال: واتفقوا على أنه لا يقبّله ولا يتمسّح به، فإنه من الشرك، وقال: والشرك لا يغفره الله ولو كان أصغر» اهـ. هذه عبارته التي نقلها عنه البهوتي، وفي طيّ هذا الكلام تكفير أبي أيوب الأنصاري الذي ثبت أنه وضع جبهته على قبر الرسول، فرءاه مروان بن الحكم فأخذ برقبته فالتفت إليه أبو أيوب فمضى مروان، فقال أبو أيوب: إني لم ءات الحجر وإنما أتيت رسول الله، إني سمعت رسول الله يقول: «**لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله**

(١) كشاف القناع (٢/ ٦٨).

ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله». رواه الحاكم في المستدرك وصحّحه[1] ووافقه الذهبي على تصحيحه. فإذا كان وضع الوجه على القبر من أبي أيوب لم يستنكره أحد من الصحابة، فماذا يقول ابن تيمية؟ هل يكفّر أبا أيوب أم ماذا يفعل؟ ثم ماذا يفعل بنص الإمام أحمد الذي نقله عنه ابنه عبد الله في كتابه العلل ومعرفة الرجال[2] قال: «سألته -يعني سأل أباه الإمام أحمد- عن الرجل يَمسّ منبر النبي ﷺ ويتبرّك بمسّه ويقبّلُه ويفعل بالقبر مثل ذلك أو نحو هذا يريد بذلك التقرّب إلى الله جلّ وعزّ فقال: لا بأس بذلك» اهـ.

قال البهوتي[3]: «ولا بأس بلمسه -أي القبر- باليد وأما التمسّح به والصلاة عنده أو قصده لأجل الدعاء عنده معتقدًا أن الدعاء هناك أفضل من الدعاء في غيره، أو النذر له أو نحو ذلك، فقال الشيخ -يعني ابن تيمية - فليس هذا من دين المسلمين بل هو مما أُحدث من البدع القبيحة التي هي من شعب الشرك، قال -يعني ابن تيمية- في الاختيارات: اتّفق السلف والأئمة على أن من سلّم على النبيّ أو غيره من الأنبياء والصالحين فإنه لا يتمسّح بالقبر ولا يقبّله، بل اتّفقوا على أنه لا يستلم ولا يقبّل إلا الحجر الأسود، والركن اليماني يُستلم ولا يقبّل على الصحيح. ثم قال البهوتي ردًّا على ابن تيمية: قلت: بل قال إبراهيم الحربي: يستحب تقبيل حجرة النبي» اهـ. والبهوتي حنبلي لكنه لما علم أن كلام ابن تيمية غير صحيح ردّه عليه، فأبطل بذلك دعواه اتفاق السلف على منع تقبيل القبر، وهو لم يدرك ابن تيمية، وقد توفي البهوتي بعد الألف.

قال صاحب غاية المنتهى الشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي[4] ما نصه: «ولا بأس بلمس قبر بيد لا سيما من ترجى بركته» اهـ.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥١٥).

(٢) انظر الكتاب (٢/ ٣٥).

(٣) كشاف القناع (٢/ ١٥٠).

(٤) انظر الكتاب (ص/ ٢٥٩).

وقال المرداوي الحنبلي في الإنصاف[1] ما نصه: «يجوز لمس القبر من غير كراهة، قدمه في الرعايتين والفروع، وعنه يكره، وأطلقهما في الحاويين والفائق وابن تميم، وعنه يستحب قال أبو الحسين في تمامه: وهي أصح» اهـ. فبهذا تبين أن ابن تيمية شذّ عن الإمام أحمد الذي كان ينتسب إليه وأهل مذهبه الذين قبله كما شذّ عن سائر أئمة المسلمين.

وقال السمهودي في وفاء الوفا[2] ما نصه: «لما قدم بلال رضي الله عنه من الشام لزيارة النبي ﷺ أتى القبر فجعل يبكي عنده ويُمَرّغُ وجهه عليه، وإسناده جيدٌ كما سبق. وفي تحفة ابن عساكر من طريق طاهر بن يحيى الحسيني قال: حدّثني أبي عن جدي عن جعفر بن محمَّد عن أبيه عن على رضي الله عنه قال: لما رُمِسَ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلّم جاءت فاطمة رضي الله تعالى عنها فوقفت على قبره ﷺ وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعت على عينها وبكت، وأنشأت تقول:

مــاذا عـلى مَــنْ شَــمَّ تُـربـةَ أحمـدٍ ... أَنْ لا يَـشَـمَّ مـدى الـزمـانِ غَوالِيا

صُـبَّـتْ عـليَّ مـصـائـبٌ لـو أنّهـا ... صـبـت عـلى الأيـام عُــدْنَ لياليا

ذكر الخطيب بن حملة أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يضع يده اليمنى على القبر الشريف، وأن بلالًا رضي الله عنه وضع خديه عليه أيضًا، ثم قال: ورأيت في كتاب السؤالات لعبد الله ابن الإمام أحمد وذكر ما تقدّم عن ابن جماعة نقله عنه، ثم قال: ولا شكّ أن الاستغراق في المحبة يحمل على الإذن في ذلك.

وقال الحافظ ابن حجر: «استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الحجر الأسود جواز تقبيل كل من يستحقّ التعظيم من ءادمي وغيره، فأما تقبيل يد الآدمي فسبق في الأدب، وأما غيره فنقل عن أحمد أنه سئل عن تقبيل منبر النبي ﷺ وقبره فلم

(١) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٢/ ٥٦٢).

(٢) انظر الكتاب (٤/ ١٤٠٥).

يرَ به بأسًا، واستبعد بعض أتباعه صحته عنه ونقل عن ابن أبي الصيف اليماني أحد علماء مكة من الشافعية جواز تقبيل المصحف وأجزاء الحديث وقبور الصالحين، ونقل الطيب الناشري عن المحبّ الطبري أنّه يجوز تقبيل القبر ومسّه قال: وعليه عمل العلماء الصالحين» اهـ. كلام السمهودي.

وفي عمدة القاري بشرح صحيح البخاري للعيني[1] ما نصّه: «وقال -يعني شيخه زين الدين- أيضًا: وأخبرني الحافظ أبو سعيد بن العلائي قال: رأيت في كلام أحمد بن حنبل في جزءٍ قديمٍ عليه خط ابن ناصر وغيره من الحفّاظ أن الإمام أحمد سُئل عن تقبيل قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتقبيل منبره فقال: لا بأس بذلك، قال فأريناه للشيخ تقي الدين بن تيمية فصار يتعجب من ذلك ويقول عجبت أحمد عندي جليل يقوله[2]؟ هذا كلامه أو معنى كلامه، وقال: وأيّ عجب في ذلك وقد روينا عن الإمام أحمد أنه غسل قميصًا للشافعي وشرب الماء الذي غسله به وإذا كان هذا تعظيمه لأهل العلم فكيف بمقادير الصحابة وكيف بآثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وقال المحب الطبري: ويمكن أن يستنبط من تقبيل الحجر واستلام الأركان جواز تقبيل ما في تقبيله تعظيم الله تعالى فإنه إن لم يرد فيه خبر بالندب لم يرد بالكراهة، قال: وقد رأيت في بعض تعاليق جدي محمَّد بن أبي بكر عن الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي الصيف أن بعضهم كان إذا رأى المصاحف قبّلها وإذا رأى أجزاء الحديث قبّلها وإذا رأى قبور الصالحين قبّلها، قال: ولا يبعد هذا والله أعلم في كل ما فيه تعظيم لله تعالى» اهـ.

وفي مصنف ابن أبي شيبة[3]: «حدّثنا أبو بكر -يعني ابن أبي شيبة- قال: حدثنا زيد بن الحباب قال: حدثني أبو مودودة قال: حدثني يزيد بن عبد الملك ابن

---

(١) انظر الكتاب (٩/ ٢٤١).

(٢) وهذا استفهام إنكاري أي أيقوله؟.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٤٥٠).

قسيط قال: رأيت نفرًا من أصحاب النبي ﷺ إذا خلا لهم المسجد قاموا إلى رمّانة المنبر[1] القرعاء[2] فمسحوها ودعوا، قال: ورأيت يزيدًا يفعل ذلك» اهـ.

وفي كتاب سؤالات عبد الله بن أحمد بن حنبل لأحمد[3] قال: «سألت أبي عن مسّ الرجل رمّانة المنبر يقصد التبرّك، وكذلك عن مسّ القبر»، فقال: «لا بأس بذلك». وفي كتاب العلل ومعرفة الرجال ما نصّه[4]: «سألته عن الرجل يمسّ منبر النبي ﷺ ويتبرّك بمسّه ويقبّله ويفعل بالقبر مثل ذلك أو نحو هذا يريد بذلك التقرّب إلى الله جلّ وعزّ فقال: لا بأس بذلك».

قال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم[5]: «فقد رخص أحمد وغيره في التمسّح بالمنبر والرمّانة التي هي موضع مقعد النبي ﷺ ويده» اهـ.

وفي «مناقب الإمام أحمد»[6] لابن الجوزي: «عن أبي طالب عليّ بن أحمد: قال: «دخلت يومًا على أبي عبد الله وهو يملي عليّ وأنا أكتب، فاندق قلمي فأخذ قلمًا فأعطانيه، فجئت بالقلم إلى أبي عليّ الجعفري فقلت: هذا قلم أبي عبد الله أعطانيه، فقال لغلامه: خذ القلم فضعه في النخلة عسى تحمل، فوضعه في النخلة فحملت النخلة».

وفيه أيضًا[7]: عن فاطمة بنت أحمد بن حنبل قالت: «وقع الحريق في بيت أخي صالح، وكان قد تزوج إلى قوم مياسير، فحملوا إليه جهازًا شبيهًا بأربعة ءالاف دينار، فأكلته النار، فجعل صالح يقول يا غمتي ما ذهب مني إلا ثوب لأبي كان

(١) قطعة من المنبر مدورة على شكل رمانة.

(٢) أي الملساء.

(٣) كشاف القناع (٢/ ١٥٠).

(٤) العلل لأحمد بن حنبل (٢/ ٤٩٢).

(٥) انظر الكتاب (ص/ ٣٦٧).

(٦) مناقب الإمام أحمد بن حنبل (ص/ ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨).

(٧) المصدر نفسه، (ص/ ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨).

يصلي فيه أتبرك به وأصلي فيه».

وفيه أيضًا[1]: «عن عبد الله بن موسى قال: خرجت أنا وأبي في ليلةٍ مظلمةٍ نزور أحمد، فاشتدت الظلمة فقال أبي: يا بني تعال حتى نتوسل إلى الله تعالى بهذا العبد الصالح حتى يضيء لنا الطريق، فإني منذ ثلاثين سنة ما توسلت به إلا قضيت حاجتي، فدعا أبي وأمّنت على دعائه، فأضاءت السماء كأنها ليلة مقمرة حتى وصلنا إليه» اهـ.

فماذا تقول الوهابية بعد هذا، هل توافق زعيمها الأول أم لا تتبعه، فيا لها من فضيحة عليهم.

التبرّك بآثار النبيّ ﷺ

اعلم أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتبرّكون بآثار النبي ﷺ في حياته وبعد مماته، ولا زال المسلمون بعدهم إلى يومنا هذا على ذلك، وجواز هذا الأمر يعرف من فعل النبي ﷺ وذلك أنه ﷺ قسّم شعره حين حلق في حجة الوداع وأظفاره.

أما اقتسام الشعر فأخرجه البخاري[2] ومسلم[3] من حديث أنس وأحمد[4] من حديث عبد الله بن زيد، ففي لفظ مسلم عنه قال: لما رمى ﷺ الجمرة ونحر نسكه وحلق، ناول الحالق شقّه الأيمن فحلق، ثم دعا أبا طلحة الأنصاري فأعطاه، ثم ناوله الشقّ الأيسر فقال: «**احلق**»، فحلق فأعطاه أبا طلحة فقال: «**اقسمه بين الناس**».

---

(١) مناقب الإمام أحمد بن حنبل (ص/ ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الوضوء: باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحج: باب بيان أن السُّنّة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق والابتداء في الحلق بالجانب الأيمن من رأس المحلوق.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٤٢)، وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١٩): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

وفي روايةٍ: فبدأ بالشقّ الأيمن فوزّعه الشعرة والشعرتين بين الناس ثم قال بالأيسر -أي فَعَلَ- فصنع مثل ذلك، ثم قال: «هـهنا أبو طلحة»، فدفعه إلى أبي طلحة.

وفي روايةٍ أنه عليه الصلاة والسلام قال للحلاّق: «ها» وأشار بيده إلى الجانب الأيمن فقسّم شعره بين من يليه، ثم أشار إلى الحلاق إلى الجانب الأيسر فحلقه فأعطاه أم سليم اهـ.

فمعنى الحديث أنه وزّع بنفسه بعضًا بين الناس الذين يلونه، وأعطى بعضًا لأبي طلحة ليوزعه في سائرهم، وأعطى بعضًا أم سليم. ففيه التبرّك بآثار رسول الله ﷺ لأن الشعر لا يؤكل إنما يستعمل في غير الأكل، فأرشد الرسول أمّته إلى التبرّك بآثاره كلها حتى بُصاقه، وكان أحدهم أخذ شعرةً والآخر أخذ شعرتين، وما قسمه إلا ليتبرّكوا به فكانوا يتبرّكون به في حياته وبعد وفاته، حتى إنهم كانوا يغمسونه في الماء فيسقون هذا الماء بعض المرضى تبرّكًا بأثر رسول الله ﷺ، وهذا الحديث في البخاري[1] ومسلم[2] وأبي داود[3]. وقد صحّ أنه ﷺ بصق في فِي الطفل المعتوه، وكان يعتريه الشيطان كل يوم مرتين وقال: «**اخرج عدو الله أنا رسول الله**» رواه الحاكم[4].

فقسّم ﷺ شعره ليتبرّكوا به، وليستشفعوا إلى الله بما هو منه، ويتقرّبوا بذلك إليه، وليكون بركةً باقيةً بينهم وتذكرة لهم، ثم تبع الصحابة في خطتهم في التبرّك بآثاره ﷺ مَن أسعده الله، وتوارد ذلك الخلف عن السلف. فلو كان التبرّك به في

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الوضوء: باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الحج: باب بيان أن السُّنّة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق، والابتداء في الحلق في الجانب الأيمن من رأس المحلوق.

(٣) سنن أبي داود، كتاب المناسك: باب الحلق والتقصير.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب التاريخ: باب اجتماع الشجرتين بأمر رسول الله ﷺ (٢/ ٦١٨). وصححه وأقرّه الذهبي في تلخيصه.

حال الحياة فقط لبيّن ذلك.

وخالد بن الوليد رضي الله عنه كانت له قلنسوة وضع في طيّها شعرًا من ناصية رسول الله أي مقدّم رأسه لما حلق في عمرة الجِعرانة، وهي أرضٌ بعد مكة إلى جهة الطائف، فكان يلبسها يتبرّك بها في غزواته. روى ذلك الحافظ ابن حجر في المطالب العالية[1] عن خالد بن الوليد أنه قال: «اعتمرنا مع رسول الله ﷺ في عمرة اعتمرها فحلق شعره، فسبقت إلى الناصية، فاتخذت قلنسوة فجعلتها في مقدمة القلنسوة، فما وجهت في وجه إلا فتح لي» اهـ. وعزاه الحافظ لأبي يعلى.

وقال ابن كثير في البداية والنهاية عند ذكره محنة الإمام أحمد ما نصه[2]: «قال أحمد: فعند ذلك قال -يعني المعتصم- لي: لعنك الله، طمعت فيك أن تجيبني فلم تجبني، ثم قال: خذوه واخلعوه واسحبوه. قال أحمد: فأخذت وسحبت وخلعت وجيء بالعاقبين والسياط وأنا أنظر، وكان معي شعرات من شعر النبي ﷺ مصرورة في ثوبي، فجردوني منه وصرت بين العقابين» اهـ.

وأمّا الأظفار فأخرج الإمام أحمد في مسنده[3] أن النبي ﷺ قلّم أظفاره وقسمها بين الناس.

---

(١) انظر المطالب العالية (٤/ ٩٠). قال الشيخ المحدّث حبيب الرحمٰن الأعظمي في تعليقه على الحديث: كذا في الأصلين وفي الإتحاف: فما وجهته في وجه إلا فتح له، وفي الزوائد: فلم أشهد قتالًا وهي معي إلا رزقت النصرة. قال البوصيري: رواه أبو يعلى بسند صحيح، وقال الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني وأبو يعلى بنحوه ورجالهما رجال الصحيح (٩/ ٣٤٩)، انظر مسند أبي يعلى (١٣/ ١٣٩).

(٢) انظر البداية والنهاية (١٠/ ٣٣٤).

(٣) أخرجه الإمام في مسنده (٤/ ٤٢) من حديث عبد الله بن زيد بن عبد ربه صاحب الأذان، عن النبي ﷺ، وقال الحافظ الهيثمي في المجمع (٣/ ١٩) بعد عزوه لأحمد: «ورجاله رجال الصحيح».

أما جبّته ﷺ فقد أخرج مسلم في الصحيح[1] عن عبد الله بن كيسان مولى أسماء بنت أبي بكر قال: «أخرجت إلينا جبّة طيالسة كسرَوَانية لها لبنةُ ديباج وفرجيها مكفوفين[2] بالديباج، وقالت: هذه جبّة رسول الله ﷺ كانت عند عائشة، فلما قبضت قبضتها، وكان النبي ﷺ يلبسها، فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها». وفي رواية «نغسلها للمريض منّا».

وعن حنظلة بن حذيم قال: وفدت مع جدّي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن لي بنين ذوي لحى وغيرهم هذا أصغرهم، فأدناني رسول الله ﷺ ومسح رأسي وقال: «**بارك الله فيك**»، قال الذّيال: فلقد رأيت حنظلة يؤتى بالرجل الوارم وجهه أو الشاة الوارم ضرعها فيقول: «بسم الله على موضع كفّ رسول الله ﷺ فيمسحه فيذهب الورم». رواه الطبراني في الأوسط والكبير وأحمد في المسند[3]، وقال الحافظ الهيثمي[4]: «ورجال أحمد ثقات» اهـ.

وعن ثابت قال: كنت إذا أتيت أنسًا يُخْبَرُ بمكاني فأدخل عليه فآخذ بيديه فأقبّلهما وأقول: بأبي هاتان اليدان اللتان مسّتا رسول الله ﷺ، وأقبّل عينيه وأقول: بأبي هاتان العينان اللتان رأتا رسول الله ﷺ. رواه أبو يعلى[5].

وهذا سيّدنا أبو أيّوب الأنصاري رضي الله عنه الذي هو أحد مشاهير الصحابة

---

(١) صحيح مسلم: كتاب اللباس والزينة: باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء وخاتم الذهب والحرير على الرجال، وإباحته للنساء، وإباحة العلم ونحوه للرجل ما لم يزد على أربع أصابع.

(٢) قال النووي في شرح مسلم (١٤/ ٤٥): «وأما قولها: وفرجيها مكفوفين فكذا وقع في جميع النسخ وهما منصوبان بفعل محذوف أي ورأيت فرجيها مكفوفين».

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ١٦) بنحوه، وأحمد في مسنده (٥/ ٦٧ - ٦٨) في حديث طويل.

(٤) مجمع الزوائد (٩/ ٤٠٨).

(٥) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦/ ٢١١). وقال الحافظ الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٢٥): «رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح، غير عبد الله بن أبي بكر المقدمي وهو ثقة».

والذي هو أول من نزل الرسول عنده لما هاجر من مكّة إلى المدينة، جاء ذات يوم إلى قبر رسول الله ﷺ فوضع وجهه على قبر النبيّ تبرّكًا وشوقًا، روى ذلك الإمام أحمد عن داود بن أبي صالح قال: أقبل مروان يومًا فوجد رجلًا واضعًا وجهه على القبر فقال: أتدري ما تصنع؟ فأقبل عليه أبو أيّوب فقال: نعم جئت رسول الله ﷺ ولم ءات الحجر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله**». رواه أحمد[1] والطبراني في الكبير[2] والأوسط[3]. وعن حليمة بنت أميمة، عن أمها قالت: «كان للنبي ﷺ قدح من عَيْدان يبول فيه ويضعه تحت سريره، فقام فطلبه فلم يجده فسأل: «**أين القدح**»؟ قالوا: شربته سرة خادم أم سلمة التي قدمت معها من أرض الحبشة، فقال النبي ﷺ: «**فقد احتظرت من النار بحظار**» رواه الطبراني[4] ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل وحكيمة وهما ثقتان.

وأخرج البخاري[5] من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: جاءت امرأة ببردة، قال: أتدرون ما البردة؟ فقيل له: نعم هي الشملة منسوج في حاشيتها قالت: يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي أكسوكها، فأخذها النبي ﷺ محتاجًا إليها فخرج إلينا وإنها إزارُه، فقال رجلٌ من القوم: يا رسول الله أُكْسُنِيها، فقال: «نعم»، فجلس ثم رجع فطواها ثم أرسل بها إليه، فقال له القوم: ما أحسنت، سألتها إياه لقد علمت أنه لا يرد سائلًا، فقال الرجل: والله ما سألته إلا لتكون كفني يوم أموت، قال سهل: فكانت كفنه.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٤٢٢).

(٢) المعجم الكبير (٤/ ١٨٩)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥١٥).

(٣) مجمع الزوائد (٥/ ٢٤٥).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤/ ٢٠٥ - ٢٠٦).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب البيوع: باب ذكر النساج.

وأخرج[1] أيضًا في صحيحه عن عون بن أبي جحيفة، عن أبيه قال: أتيت النبي ﷺ وهو في قبة حمراء من أدم ورأيت بلالًا أخذ وَضوء النبي ﷺ والناس يبتدرون الوضوء فمن أصاب منه شيئًا تمسح به ومن لم يصب منه شيئًا أخذ من بلل يد صاحبه.

وروى ابن الجوزي في مناقب أحمد[2] بالإسناد المتصل إلى عبد الله ابن أحمد بن حنبل قال: «رأيت أبي -يعني أحمد بن حنبل- يأخذ شعرةً من شعر النبي ﷺ فيضعها على فيه ويقبّلها، وأحسب أني رأيته يضعها على عينيه، ويغمسها في الماء ثم يشربه يستشفي به، ورأيته قد أخذ قصعة النبي ﷺ فغسلها في جبّ الماء ثم شرب فيها..» اهـ.

وروى ابن حبان في صحيحه[3] تحت باب: «ذكر إباحة التبرّك بوضوء الصالحين من أهل العلم إذا كانوا متّبعين لسنن المصطفى ﷺ، عن ابن أبي جُحَيْفَةَ، عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ في قبّة حمراء ورأيت بلالًا أخرج وَضوءه فرأيت الناس يبتدرون وضوءه يتمسّحون» اهـ.

وفي كتاب السير للذهبي[4] ما نصه: «قال عبد الله بن أحمد: رأيت أبي يأخذ شعرة من شعر النبي ﷺ فيضعها على فيه يُقبّلها. وأحسب أني رأيته يضعها على عينه، ويغمسها في الماء ويشربه يستشفي به. ورأيته أخذ قصعة النبي ﷺ فغسلها في جُبّ الماء ثم شرب فيها، ورأيته يشرب من ماء زمزم يستشفي به، ويمسح به يديه ووجهه. قلت: أين المتنطّع المنكِر على أحمد، وقد ثبت أن عبد الله سأل أباه عمن يلمس رمانة منبر النبي ﷺ ويمس الحجرة النبوية، فقال: لا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب اللباس: باب القبة الحمراء من أدم.

(٢) مناقب الإمام أحمد بن حنبل (ص/ ١٨٦ - ١٨٧).

(٣) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان: (٢/ ٢٨٢).

(٤) انظر الكتاب (١١/ ٢١٢).

أرى بذلك بأسًا. أعاذنا الله وإيّاكم من رأي الخوارج ومن البدع» اهـ.

وفي شرح الإحياء للحافظ الزبيدي[1] ما نصه: «قال محمود بن محمَّد حدثنا الميمون حدثنا سريج بن يونس حدثنا إسمعيل بن مجالد عن أبيه عن الشعبي قال: حضرت عائشة رضي الله عنها فقالت: إني قد أحدثت بعد رسول الله ﷺ حدثًا ولا أدري ما حالي عنده فلا تدفنوني معه، فإني أكره أن أُجاور رسول الله ﷺ ولا أدري ما حالي عنده، ثم دعت بخرقة من قميص رسول الله ﷺ فقالت: ضعوا هذه على صدري وادفنوها معي لعلي أنجو بها من عذاب القبر» اهـ. وفي البداية والنهاية لابن كثير[2] ما نصه: «قال أحمد: فعند ذلك قال لي -يعني قال له المعتصم حين طالبه بالقول بخلق القرءان فامتنع أحمد-: لعنك الله، طمعت فيك أن تجيبني فلم تجبني، ثم قال: خذوه واخلعوه واسحبوه، قال أحمد: فأخذت وسحبت وخلعت وجيء بالعاقبين والسياط وأنا أنظر، وكان معي شعرات من شعر النبي ﷺ مصرورةٌ في ثوبي، فجردوني منه وصرت بين العقابين» اهـ.

قال صلاح الدين الصفدي ما نصه[3]: «وحبسه المعتصم عنده -أي للإمام أحمد- ثم ناظروه ثاني يوم وجرى ما جرى في اليوم الأول وضجروا وقاموا، فلما كان في اليوم الثالث أخرجوه فإذا الدار غاصة وقوم معهم السيوف وقوم معهم السياط وغير ذلك فأقعده المعتصم وقال: ناظروه، فلما ضجروا وطال الأمر قرَّبه المعتصم وقال له ما قال في اليوم الأول، فردَّ عليه أيضًا كذلك، فقال عليك وذكر اللعن، ثم قال: خذوه واسحبوه وخلّعوه، فسحب ثم خلّع وسعى بعضهم إلى القميص ليخرقه فنهاه المعتصم فنزعه، قال أحمد بن حنبل: فظننت أنه إنما ذرئ عن القميص لئلا يخرق ما كان في كمّي من الشعر الذي وصل إليَّ من شعر النبي ﷺ» اهـ.

---

(١) انظر الكتاب (١٠/ ٣٣٣).

(٢) انظر الكتاب (١٠/ ٣٣٤).

(٣) الوافي بالوفيات (٦/ ٣٦٦ - ٣٦٧).

وفي كشف الأستار عن زوائد البزّار[1] ما نصهُ: «باب دفن الآثار الصالحة مع الميت: حدّثنا أبو شيبة إبراهيم بن عبد الله بن محمد، ثنا مخول بن إبراهيم، ثنا إسرائيل عن عاصم عن محمد بن سيرين، عن أنس أنه كانت عندَه عُصيَّة لرسول الله ﷺ فماتَ فدُفنتْ معه بين جنبه وقميصه. قال الحافظ الزبيدي في الإتحاف[2] ما نصه: «ويروى أن ءاخر خطبة خطبها معاوية إذ قال: أيها الناس إني من زرع قد استحصد وإني قد وليتكم ولن يليكم أحد من بعدي إلا وهو شرّ مني كما كان من قبلي خيرًا مني، ويا يزيد -يعني ولده - إذا وفى أجلي فولّ غسلي رجلًا لبيبًا فإن اللبيب من الله بمكان، فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير، ثم اعمد -أي اقصد- إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب النبي ﷺ وقراضة من شعره وأظفاره، فاستودع القراضة أنفي وفمي وأذني وعيني، واجعل الثوب على جلدي دون أكفاني» اهـ.

هذا وقد صرّح بعض الحنابلة كأبي الفرج بن الجوزي وشيخه ابن عقيل بأنه يكره قصد القبور للدعاء، لكنهما لم يحرّما، ولم يحرّم أحد من السلف ولا الخلف ذلك، إنما الذي ورد عن بعض العلماء هو الكراهة وليس التحريم. أما ابن تيمية فقد طغى قلمه فزاغ عن الصواب إلى تكفير المسلمين بذلك. ومن تتبع تراجم المحدثين والعلماء يجد الكثير منها فيه أن فلانًا من المحدثين أو الصالحين دفن ببلد كذا وأنه يُزار قبره وتستجاب الدعوة عنده، ومن ذلك ما ذكره الحافظ ابن عساكر في ترجمة الحافظ عبد الغافر بن إسمعيل الفارسي، يقول ابن عساكر: «ودفن بنيسابور وقبره يُزار وتُجاب الدعوة عنده». وقد تقدم أن إبراهيم الحربي قال: «وقبر معروفٍ الترياق المجرّب».

وذكر المحدّث الحافظ شيخ القرّاء شمس الدين بن الجزري في كتابه الحصن الحصين ومختصره عُدّة الحصن الحصين أن من مواضع إجابة الدعاء قبور الصالحين،

---

(١) انظر كشف الأستار (١/ ٣٩٥) وقال في المجمع (٣/ ٤٨): «ورجاله موثقون».

(٢) انظر الإتحاف (١٠/ ٣٢١).

وهو بعد ابن تيمية من أقران الحافظ ابن حجر العسقلاني.

قال الحافظ ولي الدين العراقي في حديث: «**أن موسى قال: ربّ ادنني من الأرض المقدسة رمية بحجر**»، وأن النبي ﷺ قال: «**والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جنب الطريق عند الكثيب الأحمر**» [1] ما نصه[2]: «فيه استحباب معرفة قبور الصالحين لزيارتها والقيام بحقها، وقد ذكر النبي ﷺ لقبر السيد موسى عليه السلام علامة هي موجودة في قبر مشهور عند الناس اليوم بأنه قبره، والظاهر أن الموضع المذكور هو الذي أشار إليه النبي عليه الصلاة والسلام، وقد دلَّ على ذلك حكايات ومنامات، وقال الحافظ الضياء: حدثني الشيخ سالم التل، قال: ما رأيت استجابة الدعاء أسرع منها عند هذا القبر، وأنه نام فرأى في منامه قبة عنده وفيها شخص أسمر فسلم عليه وقال له: أنت موسى كليم الله، أو قال: نبي الله، فقال: نعم، فقلت: قل لي شيئًا، فأومأ إليَّ بأربع أصابع، ووصف طولهن، فانتبهت ولم أدر ما قال، فأخبرت الشيخ ذيَّالًا بذلك فقال: يولد لك أربعة أولاد، فقلت: أنا قد تزوجت امرأة فلم أقربها، فقال: تكون غير هذه، فتزوجت أخرى فولدت لي أربعة أولاد» اهـ.

فأنّى لابن تيمية أن يحكم على هذا الأمر المتواتر بين المسلمين خواصهم وعوامهم بأنه شركٌ، سبحانك هذا بهتانٌ عظيم.

فبهذا يتبيّن أن ابن تيمية قد نسب رأيه الذي يهواه إلى الأئمة، وادّعى الاتّفاق على ذلك بغير حجةٍ، فليعلم ذلك من أخذ من الناس بقول ابن تيمية فحكم على من يقصد قبر الرسول وغيره للدعاء عنده بأن زيارة القبر بهذه النية شركٌ وكفرٌ، فليحذر ذلك وليدع التقليد الأعمى، إنما الأمر ما قاله الحافظ السبكي: «ويستحسن التوسّل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ.

(٢) طرح التثريب في شرح التقريب (٣/ ٣٠٣).

بالنبي ولم ينكره أحدٌ من السلف ولا من الخلف غير ابن تيمية، فقال ما لم يقله عالم قبله».

وأما احتجاجهم بقطع عمر رضي الله عنه شجرة بيعة الرضوان لتحريمهم التبرّك بقبور الأنبياء والصالحين فليس في ذلك دليلٌ لهم، فإنه محمولٌ على أنه تخوّف أن يأتي زمان قد يعبد الناس فيه تلك الشجرة، وليس مقصوده تحريم التبرّك بآثار الرسول، ولو كان الأمر كما ظنّوا ما كان ابنه عبد الله يأتي إلى شجرة سَمُرَة التي كان الرسول ينزل تحتها، فكان عبد الله ينزل تحتها أي تبرّكًا، وكان يسقيها الماء كي لا تيبس -رواه ابن حبان وصحّحه[1]- ولا شك أن عبد الله بن عمر أفهم بسيرة أبيه من ابن تيمية وأتباعه.

وروى البخاري في صحيحه[2] في باب المساجد التي على طرق المدينة والمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ قال: حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، حدثنا فضيل بن سليمان، حدثنا موسى بن عقبة قال: رأيت سالم بن عبد الله يتحرى أماكن من الطريق فيصلي فيها ويحدث أن أباه كان يصلي فيها، وأنه رأى النبي ﷺ يصلي في تلك الأمكنة. وحدثني نافع عن ابن عمر أنه كان يصلي في تلك الأمكنة، وسألت سالمًا فلا أعلمه إلا وافق نافعًا في الأمكنة كلها، إلا أنهما اختلفا في مسجد بشرف الروحاء. حدثنا إبراهيم بن المنذر قال: حدثنا أنس ابن عياض قال: حدثنا موسى بن عقبة عن نافع أن عبد الله أخبره أن رسول الله ﷺ كان ينزل بذي الحُليفة حين يعتمر وفي حجته حين حج تحت سَمُرَة في موضع المسجد الذي بذي الحليفة، وكان إذا رجع من غزو كان في تلك الطريق أو حج أو عمرة هبط من بطن وادٍ، فإذا ظهر من بطن وادٍ أناخ بالبطحاء التي على شفير الوادي الشرقية فعَرَّس ثمَّ حتى يصبح، ليس عند المسجد الذي بحجارة ولا على الأكمة التي عليها المسجد

(١) انظر الاحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٩/ ١٠٤).

(٢) انظر صحيح البخاري: كتاب الصلاة: باب المساجد التي على طرق المدينة.

كان ثم خليج يصلي عبد الله عنده في بطنه كثب كان رسول الله ﷺ ثم يصلي، فدحا السيل فيه بالبطحاء حتى دفن ذلك المكان الذي كان عبد الله يصلي فيه، وأن عبد الله بن عمر حدثه أن النبي ﷺ صلى حيث المسجد الصغير الذي دون المسجد الذي بشرف الروحاء، وقد كان عبد الله يعلم المكان الذي كان صلى فيه النبي ﷺ يقول: ثم عن يمينك حين تقوم في المسجد تصلي، وذلك المسجد على حافة الطريق اليمنى وأنت ذاهبٌ إلى مكة بينه وبين المسجد الأكبر رمية بحجرٍ أو نحو ذلك، وأن ابن عمر كان يصلي إلى العرق الذي عند منصرف الروحاء وذلك العرق انتهاء طرفه على حافة الطريق دون المسجد الذي بينه وبين المنصرف وأنت ذاهب إلى مكة، وقد ابتُني ثم مسجد فلم يكن عبد الله يصلي في ذلك المسجد كان يتركه على يساره ووراءه ويصلي أمامه إلى العرق نفسه، وكان عبد الله يروح من الروحاء فلا يصلي الظهر حتى يأتي ذلك المكان فيصلي فيه الظهر، وإذا أقبل من مكة فإن مرَّ به قبل الصبح بساعة أو من ءاخر السحر عرس حتى يصلي بها الصبح، وأن عبد الله حدثه أن النبي ﷺ كان ينزل تحت سرحة ضخمة دون الرويثة عن يمين الطريق ووجاه الطريق في مكان بطح سهل حتى يفضي من أكمة دوين بريد الرويثة بميلين، وقد انكسر أعلاها فانثنى في جوفها وهي قائمة على ساق، وفي ساقها كثب كثيرة، وأن عبد الله بن عمر حدثه أن النبي ﷺ صلى في طرف تلعة من وراء العرج، وأنت ذاهب إلى هضبة عند ذلك المسجد قبران أو ثلاثة على القبور رَضمٌ من حجارة عن يمين الطريق عند سَلَمَات الطريق، بين أولئك السلمات كان عبد الله يروح من العرج بعد أن تميل الشمس بالهاجرة فيصلي الظهر في ذلك المسجد، وأن عبد الله بن عمر حدثه أنّ رسول الله ﷺ نزل عند سرحات عن يسار الطريق في مسيل دون هرشى ذلك المسيل لاصق بكراع هرشى بينه وبين الطريق قريب من غلوة، وكان عبد الله يصلي إلى سرحة هي أقرب السرحات إلى الطريق وهي أطولهن، وأن عبد الله بن عمر حدثه أن النبي ﷺ كان ينزل في المسيل الذي في أدنى مرّ الظهران قبل المدينة حين يهبط من الصفراوات ينزل في بطن ذلك المسيل

عن يسار الطريق وأنت ذاهب إلى مكة، ليس بين منزل رسول الله ﷺ وبين الطريق إلا رمية بحجر، وأن عبد الله بن عمر حدثه أن النبي ﷺ كان ينزل بذي طُوى ويبيت بها حتى يصبح يصلي الصبح حين يقدم مكة ومصلى رسول الله ﷺ ذلك على أكمة غليظة ليس في المسجد الذي بني ثم ولكن أسفل من ذلك على أكمة غليظة، وأن عبد الله حدثه أن النبي ﷺ استقبل فرضتي الجبل الذي بينه وبين الجبل الطويل نحو الكعبة، فجعل المسجد الذي بني ثم يسار المسجد بطرف الأكمة، ومصلى النبي ﷺ أسفل منه على الأكمة السوداء تدع من الأكمة عشرة أذرعٍ أو نحوها ثم تصلي مستقبل الفرضتين من الجبل الذي بينك وبين الكعبة» اهـ. انتهى نص البخاري رحمه الله تعالى. قال الحافظ الزبيدي[1]: «وإنما كان ابن عمر يصلي في هذه المواضع للتبرك» اهـ.

قال الحافظ ابن حجر[2]: «ومحصل ذلك أن ابن عمر كان يتبرك بتلك الأماكن، وتشدده في الاتباع مشهورٌ، ولا يعارض ذلك ما ثبت عن أبيه أنه رأى الناس في سفر يتبادرون إلى مكان فسأل عن ذلك فقالوا: قد صلى فيه النبي ﷺ فقال: من عرضت له الصلاة فليصل وإلا فليمض، فإنما هلك أهل الكتاب لأنهم تتبعوا ءاثار أنبيائهم فاتخذوها كنائس وبيعًا، لأن ذلك من عمر محمولٌ على أنه كره زيارتهم لمثل ذلك بغير صلاةٍ أو خشي أن يشكل ذلك على من لا يعرف حقيقة الأمر فيظنه واجبًا، وكلا الأمرين مأمون من ابن عمر، وقد تقدم حديث عتبان وسؤاله النبي ﷺ أن يصلي في بيته ليتخذه مصلى وإجابة النبي ﷺ إلى ذلك، فهو حجةٌ في التبرك بآثار الصالحين» اهـ.

وإننا نتحدى من يتعصّب لكلام ابن تيمية على الإتيان بنقل صحيح من إمام من السلف أو الخلف حرّم زيارة قبر النبي ﷺ للتبرّك أو التوسّل به في حياته أو بعد

---

(١) انظر إتحاف السادة (٤/ ٤٢٩).

(٢) فتح الباري (١/ ٥٦٩).

مماته، ولن يجدوا ذلك، ولهذا خالف ابن كثير شيخه ابن تيمية في مسألة التوسل، وكان يتبعه في مسائل الطلاق فعذّب لذلك، فصرح في تفسيره باستحسان التوسّل بالنبي بعد موته والاستغاثة به، كما ذكر ذلك في تاريخه البداية والنهاية في ترجمة عمر بن الخطاب.

قال الحافظ ولي الدين العراقي قاضي القضاة في فتاويه ما نصه[1]: «مسألة سئلت عمن يزور الصالحين من الموتى فيقول عند قبر الواحد منهم: يا سيدي فلان أنا مستجير أو متوسل بك أن يحصل لي كذا وكذا، أو أطلب منك أن يحصل لي كذا وكذا، أو يقول: يا رب أسألك بمنزلة هذا الرجل أو بسره أو بعمله أن يفعل لي كذا وكذا، هل هذه العبارات حسنة أو غير حسنة أو بعضها حسن وبعضها قبيح، وما كانت السلف تقول عند زيارة قبور الصالحين، وهل إذا قال الشخص عند قبر الصالح: يا سيدي متى حصل لي كذا وكذا أجيء إليك بكذا وكذا هل يلزم الوفاء به أم لا؟

فأجبت: زيارة الرجال للقبور مندوبٌ إليها، فقبور الصالحين ءاكد في الاستحباب وينبغي الدعاء عندها لأن لتلك البقع فضلًا وشرفًا بوجود ذلك الصالح فيها، والدعاء في البقاع الشريفة أقرب إلى الإجابة، وقد اشتهر عند أهل بغداد إجابة الدعاء عند قبر معروف الكرخي وانه الترياق المجرب، واشتهر ذلك في قبور كثيرٍ من الصالحين، وأيضًا فإن الداعي عقب عبادةٍ وهو زيارته ذلك القبر وعقب قراءة إن كان قد قرأ شيئًا من القرءان كما هو الغالب وذلك أقرب إلى الإجابة، ولا امتناع في التوسل بالصالحين فإنه ورد التوسل بالنبي ﷺ، ولصلحاء أمته حظ مما لم يعد من خصائصه أمته لمن شاء منهم، وهي بركةٌ نمت عليهم، وقد توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما. ولا يمنع من ذلك موت ذلك الصالح لأن الموت إنما طرأ على الجسد وأما الروح فحية، وقد ورد ما يدل على اتصالها به في بعض الأحيان كيف

(١) فتاوي ولي الدين العراقي (ق/ ١٠٥)، مخطوط.

يشاؤه الله تعالى. وأما قوله: وأنا أطلب منك أن يحصل لي كذا فأمر منكر، فالطلب إنما هو من الله تعالى والتوسل إليه بالأعمال الصالحة أو بأصحابها أحياءً وأمواتًا لا ينكر فإن المنح الإلهية لم تنقطع عن الأولياء بموتهم، والذي كانت السلف تقوله عند زيارة القبور ما علمهم إياه رسول الله ﷺ وهو «**سلام عليكم دار قوم مؤمنين**» إلى ءاخره، ولا بأس بالدعاء بغير ذلك. وقوله: متى حصل لي كذا أجيء إليك بكذا إن لم يقترن به لفظ التزام ولا نذر لم يلزم به شيء، وإن اقترن بذلك فإن أراد التصدق على الفقراء المجاورين من... أو عمارة مشهد حيث احتيج لذلك لزم الوفاء به، وإن أراد تمليكه لنفس الميت فهو لاغ لا يجب له شيء والله أعلم» اهـ.

وفي فتاوى شمس الدين الرملي[1] ما نصّه: «سئل عمّا يقع من العامّة من قولهم عند الشدائد: يا شيخ فلان، يا رسول الله، ونحو ذلك من الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين فهل ذلك جائزٌ أم لا؟ وهل للرّسل والأنبياء والأولياء والصالحين والمشايخ إغاثةٌ بعد موتهم؟ وماذا يرجّح ذلك؟

فأجاب: بأن الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين جائزةٌ، وللرّسل والأنبياء والأولياء والصالحين إغاثةٌ بعد موتهم، لأن معجزة الأنبياء وكرامات الأولياء لا تنقطع بموتهم، أما الأنبياء فلأنهم أحياء في قبورهم يصلّون ويحجّون كما وردت به الأخبار، وتكون الإغاثة منهم معجزةٌ لهم، وأمّا الأولياء فهي كرامةٌ لهم فإن أهل الحق على أنه يقع من الأولياء بقصد وبغير قصد أمورٍ خارقةٍ للعادة يجريها الله تعالى بسببهم» اهـ. قوله: «ويحجون» لم يثبت في السنة. فيعلم مما مرّ أن مصيبة هؤلاء المكفرين للمتوسلين والمستغيثين بالأنبياء والأولياء بعد موتهم وفي حياتهم في غير حضورهم، سوء فهمهم للآيات والأحاديث التي يستدلون بها على ذلك، ظنّوا أن معنى العبادة هو النداء والاستعانة والخوف والرجاء والاستغاثة، فهذه في ظنهم هي العبادة التي من صرفها لغير الله يكون مشركًا، وكذلك ظنوا أن من طلب

(١) فتاوى الرملي بهامش الفتاوى الكبرى لابن حجر الهيتمي (٤/ ٣٨٢).

من غير الله ما لم تجرِ به العادة صار مشركًا.

كيف ساغ لهم ذلك وقد ثبت أن الحرث بن حسان البكري رضي الله عنه قال: «أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد»، الحديث المشهور الذي رواه الإمام أحمد[1] في مسنده وحسّنه الحافظ ابن حجر، وتمامه كما في مسند أحمد عن الحرث بن يزيد البكري قال: «خرجت أشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ، فمررت بالربذة فإذا عجوز من بني تميم منقطع[2] بها، فقالت لي: يا عبد الله إن لي إلى رسول الله ﷺ حاجة فهل أنت مبلغي إليه، قال: فحملتها فأتيت المدينة فإذا المسجد غاصّ بأهله، وإذا راية سوداء تخفق وبلال متقلد السيف بين يدي رسول الله ﷺ، فقلت: ما شأن الناس، قالوا: يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجهًا[3]، قال: فجلست، قال: فدخل منزله أو قال رحله، فاستأذنت عليه، فأذن لي، فدخلت فسلّمت فقال: هل كان بينكم وبين بني تميم شيء، قال فقلت: نعم، قال: وكانت لنا الدّبرة عليهم، ومررت بعجوز من بني تميم منقطع بها فسألتني أن أحملها إليك وها هي بالباب، فأذن لها فدخلت فقلت: يا رسول الله إن رأيت أن تجعل بيننا وبين بني تميم حاجزًا فاجعل الدّهناء، فحميت العجوز واستوفزت قالت: يا رسول الله فإلى أين تضطر مضرك، قال قلت: إنما مثلي ما قال الأول: معزاء حملت حتفها، حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لي خصمًا، أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد، قال: هِيه وما وافد عاد وهو أعلم بالحديث منه ولكن يستطعمه، قلت: إنّ عادًا قحطوا فبعثوا وافدًا لهم يقال له قيل، فمرَّ بمعاوية بن بكر فأقام عنده شهرًا يسقيه خمرًا وتغنيه جاريتان يقال لهما الجرادتان، فلما مضى الشهر خرج إلى جبال تهامة فنادى: اللهم إنك تعلم أني لم أجئ إلى مريض فأداويه ولا إلى أسير فأفاديه، اللهم اسق عادًا ما كنت تسقيه، فمرت به سحابات سود فنودي منها: اختر، فأومأ إلى سحابة منها

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٨٢).

(٢) أي عاجزة عن السفر إلى مقصدها.

(٣) أي إلى جهة.

سوداء فنودي منها خذها رمادًا رمددًا لا تبقي من عاد أحدًا، قال: فما بلغني أنه بعث عليهم من الريح إلا قدر ما يجري في خاتمي هذا حتى هلكوا، قال ابن وائل: وصدق، قال: فكانت المرأة والرجل إذا بعثوا وافدًا لهم قالوا: لا تكن كوافد عاد» اهـ.

والدليل فيه أن الرسول لم يقل للحرث أشركت لقولك «ورسوله»، حيث استعذت بي[1].

وثبت أيضًا[2] أن ابن عباس روى عن النبي أنه قال: «**إنّ لله ملائكة سوى الحفظة سياحين يكتبون ما يسقط من ورق الشجر، فإذا أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد: أعينوا عباد الله**»، حسّنه الحافظ ابن حجر في الأمالي مرفوعًا، وقال الحافظ الهيثمي: ورجاله ثقات، وأخرجه البيهقي في الشعب موقوفًا.

وروى البيهقي أيضًا في الشعب[3] أن الإمام أحمد قال: «حججت خمس حجج اثنتين راكبًا وثلاث ماشيًا، أو ثلاث راكبًا واثنتين ماشيًا، فضللت الطريق في حجة وكنت ماشيًا فجعلت أقول: يا عباد الله دلوني على الطريق، قال: فلم أزل أقول ذلك حتى وقفت على الطريق» اهـ. فهل يقول منصفٌ ذو لُبٍّ ان فعل الإمام أحمد هذا ظاهرةٌ شركيةٌ لأنه طلب من غير الله تعالى!

فلما ساء فهمهم جعلوا هذه الأشياء عبادةً لغير الله لمجرد ألفاظها، فكفّروا المسلمين من أجل أمرٍ اتفق السلف والخلف على جوازه، وذلك دليل على أنهم لم يفهموا معنى العبادة الواردة في القرءان على حسب مفهوم اللغة العربية، وقد بيَّنها علماء اللغة بيانًا لا يبقى معه لَبس، وقد مرّ تعريفهم للعبادة بأنها غاية التذلّل، وكيف حكموا بأن طلب ما لم تجر به العادة شرك وجعلوا ذلك قاعدة وقد طلب بعض

---

(١) جمع الحرث الاستعاذة بالرسول مع الاستعاذة بالله وذلك لأن الله هو المستعاذ الحقيقي، وأمّا الرسول فمستعاذ به على معنى أنه سبب.

(٢) كشف الأستار (٤/ ٣٤)، شعب الإيمان (١/ ٤٤٥)، مجمع الزوائد (١٠/ ١٣٢).

(٣) شعب الإيمان (٦/ ١٢٨).

الصحابة وهو ربيعة بن كعب الأسلمي من رسول الله أن يكون رفيقه في الجنة، فلم ينكر عليه بل قال له من باب التواضع: «أو غير ذلك»، فقال الصحابي: هو ذاك، فقال له: «فأعنّي على نفسك بكثرة السجود»، رواه مسلم[1].

وقد صحح ابن حبان والحاكم والحافظ الهيثمي[2] أن امرأة من بني إسرائيل سألت موسى أن يعطيها حكمها فقال: ما حكمك؟ قالت: أن أكون معك في الجنة، فأوحى الله إليه أن أعطها حكمها.

ولفظ الحديث كما في المطالب العالية[3] عن أبي موسى قال: «أتى النبي ﷺ أعرابيٌّ، فأكرمه فقال له: «**ائتنا**»، فأتاه فقال: «**سل حاجتك**»، فقال: ناقة نركبها وأعنز يحلبها أهلي، فقال رسول الله ﷺ: «**أعجزتم أن تكونوا مثل عجوز بني إسرائيل؟**» فسألوه فقال: «**إن موسى لما سار ببني إسرائيل من مصر ضلّوا الطريق، فقال: ما هذا؟ فقال علماؤهم: إن يوسف لما حضره الموت أخذ علينا موثقًا من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا، قال: فمن يعلم موضع قبره؟ قالوا: عجوز من بني إسرائيل، فبعث إليها، فأتته، فقال: دُلّوني على قبر يوسف، قالت: حتى تعطيني حكمي، قال: ما حكمك؟ قالت: أن أكون معك في الجنة، فكره أن يعطيها ذلك، فأوحى الله إليه أن أعطها حكمها، فانطلقت بهم إلى بحيرة موضع مستنقع ماء، فقالت: أنضِبوا هذا الماء، فأنضبوه قالت: احتفروا، فحفروا واستخرجوا عظام يوسف، فلما أقلّوها إلى الأرض إذا الطريق مثل ضوء النهار**» (لأبي يعلى)[4]» اهـ.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة: باب فضل السجود والحث عليه.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه انظر الإحسان (٢/ ٥٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٧١ - ٥٧٢)، وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٧٠ - ١٧١) وقال: «رواه الطبراني، ورواه أبو يعلى ورجال أبي يعلى رجال الصحيح».

(٣) انظر المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر العسقلاني (٣/ ٢٧٣ - ٢٧٤).

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٣/ ٢٣٦ - ٢٣٧).

ولا ينافي هذا حياة الأنبياء في قبورهم، لأن هذا من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل وهو من أنواع المجاز المشهورة كما قال ابن قيس الرقيات في طلحة الطَّلَحات قال:

رحـم اللَّه أعـظـمًـا دفـنـوهـا بسجستان طلحة الطلحات

بسجستان طلحة الطلحات[1] ومعلوم أن ابن قيس لا يقصد أنهم دفنوا الأعظم المتجرد عن الجلد واللحم، ومن الشائع المشهور عند العرب قولهم وجه فلان وجه خير وهم يقصدون بالوجه ذاته، فتبين أن ذكر العظام في قصة يوسف المراد به جملة الجسد فلا ينافي معناه حديث: «**الأنبياء أحياء في قبورهم**».

وإنما يكون شركًا طلب ما انفرد به الله تعالى كطلب خلق شيء أي إحداثه من العدم، وطلب مغفرة الذنوب، قال تعالى: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ ﴿٣﴾﴾

(١) في شرح القاموس (٢/ ١٩٢) ما نصه: طَلْحَةُ الطَّلَحاتِ «في بعض حواشي نسخ الصحاح بخط من يوثق به الصواب طلحة بن عبد الله قال ابن بري ذكر ابن الأعرابي في طلحة الطلحات لأن أمه صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة زاد الأزهري: ابن عبد مناف قال: وأخوها أيضًا طلحة بن الحارث فقد تكنفه هؤلاء الطلحات كما ترى ومثله في شرح أبيات الإيضاح وفي تاريخ ولاة خراسان لأبي الحسين على بن أحمد السلامي سمي به لأن أمه طلحة بنت أبي طلحة وفي الرياض النضرة أن أمه صفية بنت عبد الله بن عباد بن مالك بن ربيعة الحضرمي أخت العلاء بن الحضرمي أسلمت وقال ابن الأثير قيل أنه جمع بين مائة عربي وعربية بالمهر والعطاء الواسعين فولد لكل منهم ولد فسمي طلحة فأضيف إليهم وفي شواهد الرضي لأنه فاق في الجود خمسة أجواد اسم كل واحد منهم طلحة وهم طلحة الفياض، وطلحة الجود، وطلحة الدراهم، وطلحة الندى، وقيل كان في أجداده جماعة اسم كلّ طلحة كذا في شرح المفصل لابن الحاجب وفي كتاب الغرر لإبراهيم الوطواط الطلحات خمسة وهم طلحة بن عبيد الله التيمي وهو طلحة الفياض وطلحة بن عمر بن عبد الله بن معمر التيمي وهو طلحة الجود وطلحة بن عبد الله بن عوف الزهري ابن اخي عبد الرحمٰن بن عوف وهو طلحة الندى وطلحة بن الحسن بن على بن أبي طالب وهو طلحة الخير وطلحة بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر ويسمى طلحة الدراهم وطلحة ابن عبد الله بن خلف الخزاعي وهو سادسهم المشهور بطلحة الطلحات ومثله كلام ابن بري وقبر طلحة الندى بالمدينة وقبر طلحة الطلحات بسجستان وفيه يقول ابن قيس الرقيات:
رحم الله أعظمًا دفنوها بسجستان طلحة الطلحات» اهـ.

[سورة فاطر] وقال ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴿١٣٥﴾﴾ [سورة ءال عمران]. وقد قال جبريل لمريم: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ [سورة مريم] فواهب الغلام الذي هو عيسى لمريم في الحقيقة هو الله، ولكن الله جعل جبريل سببًا، فأضاف جبريل هذه الهبة إلى نفسه. وقصة جبريل هذه يعلم منها عظم شطط هؤلاء في تكفير المتوسلين والمستغيثين لمجرد قول أحدهم: يا رسول الله ضاقت حيلتي أغثني يا رسول الله، وما شابه ذلك من العبارات التي يطلقونها ولا يعنون بها أن رسول الله يخلق أو أنه يستحق العبادة التي هي غاية التذلّل، بل يعنون أنه سبب لنيل المقصود والبركة من الله، ولا يفهمون من الواسطة إلا معنى السببيّة، وإن أطلق بعضهم في ذلك لفظ الواسطة فهذا ما يعنونه. وقد أجرى الله العادة بربط المسبَّبَات بالأسباب، فالله تبارك وتعالى كان قادرًا على أن يعطي مريم ذلك الغلام الزكيّ من دون أن يكون لجبريل سببيّة في ذلك.

فكيف يسوغ تكفير المسلم لمجرد أنه قال: إن النبي والولي واسطة بمعنى السبب، إنما الشرك هو إثبات الواسطة بمعنى أن شيئًا يعين الله أو أن الله سبحانه لا يستطيع أن يحصّل ذاك الشيء استقلالا إلا بواسطة النبي أو الولي، فهذا هو الشرك لو كانوا يفهمون.

فائدة فيها تأكيد ما سبق ذكره أن علماء المسلمين كانوا يرون التوسل والاستغاثة بالنبي بعد موته أمرًا جائزًا لا بأس به:

ذكر الحافظ عبد الرحمٰن بن الجوزي في كتاب «الوفا بأحوال المصطفى»[1] -وذكره الحافظ الضياء المقدسي- ما نصه: «عن أبي بكر المِنقَرِي قال: كنت أنا والطبراني وأبو الشيخ في حرم رسول الله وكنا على حالة فأثر فينا الجوع وواصلنا ذلك اليوم -أي ما أكلنا-، فلما كان وقت العشاء حضرت قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت: يا رسول الله الجوع الجوع، وانصرفت. فقال لي أبو القاسم:

(١) انظر الكتاب (ص/ ٨١٨).

اجلس فإما أن يكون الرزق أو الموت. قال أبو بكر: فقمت أنا وأبو الشيخ والطبراني جالس ينظر في شيء، فحضر بالباب عَلَوي[1] فدقّ ففتحنا له فإذا معه غلامان مع كل واحد زنبيل[2] فيه شيء كثير فجلسنا وأكلنا وظننّا أن الباقي يأخذه الغلام، فولى وترك عندنا الباقي، فلما فرغنا من الطعام قال العلوي: يا قوم أَشَكَوتم إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم؟ فإني رأيت رسول الله ﷺ في المنام فأمرني أن أحمل بشيء إليكم» اهـ.

ففي هذه القصة أن هؤلاء الأكابر رأوا الاستغاثة بالرسول أمرًا جائزًا حسنًا ثم نقلها عدد من العلماء في مؤلفاتهم منهم الحنابلة وغيرهم، فهؤلاء في نظر المسلمين موحدون بل من أجلَّاء الموحدين، وأما في نظر نفاة التوسل الذين اتّبعوا ابن تيمية قد أشركوا، لأن من استحسن الشرك يكفر، فما جواب هؤلاء عن أمثال هذه الحادثة التي لو تتبعت وجمعت لجاءت مجلدًا واسعًا، فليعدوا جوابًا إذا سئلوا يوم العرض. ومن ذلك ما أورده الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي، وهو الذي قيل فيه: إن المؤلفين في كتب الحديث دراية عيال على كتبه، قال ما نصه[3]: «أخبرنا القاضي أبو محمد الحسن بن الحسين بن محمَّد بن رامين الإسترابادي، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي قال: سمعت الحسن بن إبراهيم أبا على الخلاّل يقول: ما همّني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به إلا سهل الله تعالى لي ما أحبّ».

ثم قال[4]: «أخبرنا إسماعيل بن أحمد الحِيري قال: أنبأنا محمَّد بن الحسين السُّلَمي قال: سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول: سمعت أبا على الصفّار يقول: سمعت إبراهيم الحربي يقول: قبر معروف الترياق المجَرَّب -أي أنه يقصد للدعاء عنده فتقضى الحاجات-.

---

(١) أي واحد من الأشراف من ذرية سيدنا على رضي الله عنه.

(٢) الزنبيل هو وعاء يعمل من قصب يوضع فيه الخضرة (وهو السَّلَّة).

(٣) تاريخ بغداد (١/ ١٢٠).

(٤) تاريخ بغداد (١/ ١٢٢ - ١٢٥).

أخبرني أبو إسحاق إبراهيم بن عمر البرمكي قال: أنبأنا أبو الفضل عبيد الله ابن عبد الرحمٰن بن محمَّد الزهري قال: سمعت أبي يقول: قبر معروف الكرخي مجرّب لقضاء الحوائج، ويقال: إنه من قرأ عنده مائة مرة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص] وسأل الله تعالى ما يريد قضى الله له حاجته.

حدثنا أبو عبد الله محمد بن على بن عبد الله الصُّوري قال: سمعت أبا الحسين محمّد بن أحمد بن جَميع يقول: سمعت أبا عبد الله بن المحاملي يقول: أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة، ما قصده مهموم إلا فرّج الله همه.

أخبرنا القاضي أبو عبد الله الحسين بن على بن محمَّد الصيمري قال: أنبأنا عمر بن إبراهيم المقري قال: نبأنا مكرم بن أحمد قال: نبأنا عمر بن إسحق بن إبراهيم قال: نبأنا على بن ميمون قال: سمعت الشافعي يقول: إني لأتبرّك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره في كل يوم -يعني زائرًا- فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده، فما تبعد عني حتى تقضى.

ومقبرة باب البَردان فيها أيضًا جماعة من أهل الفضل، وعند المصلى المرسوم بصلاة العيد كان قبر يعرف بقبر النذور، ويقال: إن المدفون فيه رجل من ولد على بن أبي طالب رضي الله عنه يتبرّك الناس بزيارته، ويقصده ذو الحاجة منهم لقضاء حاجته.

حدثني القاضي أبو القاسم على بن المحسن التنوخي قال: حدثني أبي قال: كنت جالسًا بحضرة عضد الدولة ونحن مخيمون بالقرب من مصلى الأعياد في الجانب الشرقي من مدينة السلام نريد الخروج معه إلى همذان في أول يوم نزل المعسكر، فوقع طرفه على البناء الذي على قبرِ النذور فقال لي: ما هذا البناء؟ فقلت: هذا مشهد النذور، ولم أقل قبر لعلمي بطيرَته من دون هذا، واستحسن اللفظة وقال: قد علمت أنه قبر النذور، وإنما أردت شرح أمره، فقلت: هذا يقال إنه قبر عبيد الله بن

محمَّد بن عمر بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب، ويقال: إنه قبر عبيد الله ابن محمَّد بن عمر بن على بن أبي طالب، وإن بعض الخلفاء أراد قتله خفيًا، فجعلت له هناك زُبية وسيّر عليها وهو لا يعلم، فوقع فيها وهيل عليه التراب حيًّا، وإنما شهر بقبر النذور لأنه ما يكاد ينذر له نذر إلا صحّ وبلغ الناذر ما يريد ولزمه الوفاء بالنذر، وأنا أحد من نذر له مرارًا لا أحصيها كثرة نذورًا على أمور متعذرة، فبلغتها ولزمني النذر فوفيت به، فلم يتقبل هذا القول وتكلم بما دلّ أن هذا إنما يقع منه اليسير اتفاقًا، فيتسوق العوام بأضعافه، ويسيرون الأحاديث الباطلة فيه، فأمسكت، فلما كان بعد أيام يسيرة ونحن معسكرون في موضعنا استدعاني في غدوة يوم وقال: اركب معي إلى مشهد النذور، فركبت وركب في نفر من حاشيته إلى أن جئت به إلى الموضع، فدخله وزار القبر وصلى عنده ركعتين سجد بعدهما سجدة أطال فيها المناجاة بما لم يسمعه أحد، ثم ركبنا معه إلى خيمته وأقمنا أيامًا، ثم رحل ورحلنا معه يريد همذان، فبلغناها وأقمنا فيها معه شهورًا، فلما كان بعد ذلك استدعاني وقال لي: ألست تذكر ما حدثتني به في أمر مشهد النذور ببغداد، فقلت: بلى، فقال: إني خاطبتك في معناه بدون ما كان في نفسي اعتمادًا لإحسان عشرتك، والذي كان في نفسي في الحقيقة أن جميع ما يقال فيه كذبٌ، فلما كان بعد ذلك بمديدةٍ طرقني أمر خشيت أن يقع ويتمّ، وأعملت فكري في الاحتيال لزواله ولو بجميع ما في بيوت أموالي وسائر عساكري، فلم أجد لذلك فيه مذهبًا، فذكرت ما أخبرتني به في النذر لمقبرة النذور، فقلت: لم لا أجرب ذلك، فنذرت إن كفاني الله تعالى ذلك الأمر أن أحمل إلى صندوق هذا المشهد عشرة ءالاف درهم صحاحًا، فلما كان اليوم جاءتني الأخبار بكفايتي ذلك الأمر، فتقدمت إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف -يعني كاتبه- أن يكتب إلى أبي الريان وكان خليفته ببغداد يحملها إلى المشهد، ثم التفت إلى عبد العزيز وكان حاضرًا، فقال له عبد العزيز: قد كتبتُ بذلك ونُفذَ الكتاب» اهـ.

وليعلم أننا لا نقول بتصحيح ما يكون من النذور لقبور الأولياء والمشايخ على

اعتقاد أن تلك الأماكن لها خصوصية في جلب منفعةٍ أو دفع مضرةٍ من غير أن يكون القصد التقرّب إلى الله بالتصدق عن أصحابها ليقضي الله لهم حاجاتهم، بل نقول كما قال الأذرعي رحمه الله: إن كثيرًا من نذور العوام للمشاهد باطلةٌ محرمةٌ لأنهم يقصدون أن تلك الأماكن بخصوصية لها تجلب المنافع وتدفع المضار. والله سبحانه وتعالى أعلم.

وقال نور الدين على القاري في شرح المشكاة ما نصّه: «قال شيخ مشايخنا علاّمة العلماء المتبحّرين شمس الدين الجزري في مقدمة شرحه للمصابيح المسمى بتصحيح المصابيح: إني زرت قبره بنيسابور «يعني مسلم بن الحجاج القشيري» وقرأت بعض صحيحه على سبيل التيمّن والتبرّك عند قبره، ورأيت ءاثار البركة ورجاء الإجابة في تربته» اهـ.

هذا وغيره مما نقل عن حفّاظ المحدثين من التوسّل بالنبي بعد وفاته يدل على أنهم كانوا لا يعبئون بإنكار ابن تيمية التوسّل بالنبي، وأنه شذّ عن علماء الأمّة المحدثين والفقهاء ممن كانوا قبله وممن عاصروه، فأمّا من عاصره فمنهم المحدّث الحافظ تقي الدين السبكي وغيره، وأما من قبل ابن تيمية فالحافظ عبد الغافر الفارسي والحافظ الخطيب البغدادي الذي ذكر المحدثون في كتب المصطلح التنويه به وعدّ أحد المشاهير البارزين في الحديث، ولم يسبق ابن تيمية بذلك من المحدّثين أحدٌ حتى من المجسّمة أمثاله، فلا سند له فيما ارتكبه، وكذلك من جاؤوا بعده من الحفَّاظ كالحافظ محمد مرتضى الزبيدي، فعلى قوله وقول أتباعه أتباع محمد بن عبد الوهاب يلزم أن يكون جمهور الأمة الذين هم مئات الملايين على ضلال ويكون هو والشرذمة التي اتبعته على هدى، وقد ثبت أن جمهور الأمة لا يضلّون، دلَّ على ذلك حديث أبي داود[1] في افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة حيث قال: «**ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة**» أي الجمهور، فمما

(١) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب السنة: باب شرح السنة.

لا شك فيه أن بعض الأمة ضلّوا وهؤلاء البعض لو تعددت أسامي فرقهم إلى هذا العدد الاثنتين والسبعين فهم شرذمة بالنسبة للذين هم محفوظون من الضلال في العقيدة، وهذا الذي عناه الرسول لم يعن كثرة التقصير في الأعمال والانغمار في الغفلة، وقد صحّ موقوفًا على أبي مسعود الصحابي الجليل: «**إن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة**» اهـ. صحّحه الحافظ ابن حجر في الأمالي. وفي عصرنا هذا مئات الملايين من المسلمين أشاعرة وإن كان يوجد فيهم اليوم جزءٌ قليلٌ من الماتريدية، والأشاعرة والماتريدية فرقةٌ واحدةٌ باعتبار أصول العقيدة ولا خلاف بينهم يؤدي إلى التضليل والتبديع، فعلماء الأمة في كل النواحي في المشرق والمغرب أشاعرةٌ، هذا الحاصل في مصر والشام والعراق واليمن والمغرب والجزائر وتونس وتركيا وأندونيسيا والباكستان والهند وأهل أفريقيا السوداء ودول جنوب أفريقيا، وأما المشبّهة والوهّابية الذين جمعوا بين التشبيه والبدعة التي نشرها ابن تيمية بدعة تكفير زوّار القبور للتبرّك والتكفير الذي يصدر من بعضهم للمتوسلين والمستغيثين بالرسول وغيره من أصفياء الله فليس عددهم بالنسبة لمخالفيهم إلا كنسبة الوشل[1] إلى البحر، فيا سخافة عقول الذين يعتقدون أن جمهور علماء الأمة وأتباعهم منذ أربعة عشر قرنًا كانوا على ضلال، وقد صرّح بعض هؤلاء بهذه المقالة الشنيعة: إن الناس فارقوا التوحيد منذ ستمائة سنة، كما نقل ذلك الشيخ أحمد زيني دحلان مفتي مكة في أواخر الدولة العثمانية كما تقدم.

وفي كتاب المعيار لأبي العباس أحمد بن يحيى الوانشريسي المالكي ما نصه[2]: «وسئل بعض القَرويين عمّن نذر زيارة قبر رجل صالح أو حي فأجاب: يلزمه ما نذر وإن أعمل فيه المطي. قال ابن عبد البر: كل عبادة أو زيارة أو رباط أو غير

---

(١) الوشل: بفتح الواو والشين الماء القليل يتحلّب من جبل أو صخرة ولا يتصل قطره، ويطلق على القليل من الدمع.

(٢) انظر المعيار المعرب (٢/ ٨١ - ٨٢).

ذلك من الطاعة غير الصلاة فيلزمه الإتيان إليه، وحديث: «لا تُعْمَل المطي» [1] مخصوصٌ بالصلاة، وأمّا زيارة الأحياء من الإخوان والمشيخة ونذر ذلك والرباط ونحوه فلا خلاف في ذلك، والسنّة تَهدي إليه من زيارة الأخ في الله والرباط في الأماكن التي يرابط بها. وتوقف بعض الناس في زيارة القبور وءاثار الصالحين، ولا يتوقف في ذلك لأنه من العبادات غير الصلاة، ولأنه من باب الزيارة والتذكير لقوله ﷺ: «**زوروا القبور فإنها تذكّركم الموت**»[2]، وكان ﷺ يأتي حراء وهو بمكة ويأتي قُباء وهو بالمدينة، والخير في اتّباعه ﷺ واقتفاء ءاثاره قولا وفعلًا لا سيما فيمن ظهرت الطاعة فيه» اهـ.

وفي ضمن كلام الوانشريسي أن عمل المسلمين جرى على التبرّك بزيارة القبور المباركة عكس عقيدة التيميّين، فتبين بذلك أنهم شاذون عن الأمة في نحلتهم المعروفة وهي محاربة التوسّل بالرسول وغيره من الأنبياء والأولياء ومحاربة زيارة القبور بقصد التبرّك، وقد أسفر الصبح لذي عينين.

ومن العبر التي يعتبر بها من فتح الله قلبه ما ذكره تقي الدين الحصني ونصه[3]: «وذكر ابن عساكر في تاريخه أن أبا القاسم بن ثابت البغدادي رأى رجلًا بمدينة النبي ﷺ أذَّن الصبح عند قبر رسول الله ﷺ فقال فيه: الصلاة خير من النوم، فجاءه خادم من خدم المسجد فلطمه حين سمع ذلك منه، فبكى واستغاث بالنبي ﷺ وقال: يا رسول الله في حضرتك يفعل بي هذا الفعل، قال: فضربه الفالج في الحال -أي الخادم- وحمل إلى داره فمكث ثلاثة أيام ثم مات» اهـ.

فإن قيل: أليس في حديث: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث**» دلالةٌ على أن الميت لا ينفع غيره.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٧).

(٢) رواه البيهقي في السنن (٤/ ٧٠).

(٣) دفع شبه من شبه وتمرد (ص/ ٨٩).

فالجواب: أنه ليس في الحديث الذي رواه ابن حبّان[1]: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفعُ به أو ولد صالح يدعو له**» دلالة على أن الميت لا ينفع غيره، إذ إن الحديث نفى استمرار العمل التكليفي الذي يتجدّد به للميت ثواب، أما أن ينفع غيره فغير ممنوعٍ بدليل أن سيّدنا موسى ﷺ قال لمحمّد عليه الصلاة والسلام في حديث المعراج: «ارجع فسَلْ ربك التخفيف»[2]، وهذا نفع كبير لأمّة محمّد كان بعد موت موسى بسنين عديدة.

وأجاب الحافظ ابن الصلاح[3] عن سؤال ورده «في قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سورة النجم]. وقد ثبت أن أعمال الأبدان لا تنتقل، وقد ورد عن النبي ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**». وقد اختلف في القرءان هل يصل إلى الميت أم لا؟ كيف يكون الدعاء يصل إليه والقرءان أفضل؟.

فأجاب ما نصه: «هذا قد اختلف فيه، وأهل الخير وجدوا البركة في مواصلة الأموات بالقرءان، وليس الاختلاف في هذه المسألة كالاختلاف في الأصول بل هي من مسائل الفروع، وليس نص الآية المذكورة دالًّا على بطلان قول من قال: إنه يصل، فإن المراد أنه لا حق له ولا جزاء إلا فيما سعى، فلا يدخل فيما يتبرع عليه الغير من قراءة أو دعاء فإنه لا حق له في ذلك ولا مجازاة وإنما أعطاه إياه الغير تبرعًا، وكذلك الحديث لا يدل على بطلان قوله فإنه في عمله وهذا من عمل غيره» اهـ.

---

(١) صحيح ابن حبان، فصل في الموت وما يتعلق به من راحة المؤمن وبشراه وروحه وعمله والثناء عليه، انظر الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٥/ ٩).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات.

(٣) فتاوى ابن الصلاح (١/ ١٤٩).

فائدة
في بيان جواز نداء النبي ﷺ بعد وفاته

تقدم أن البخاري ذكر في كتابه الأدب المفرد جواز نداء النبي ﷺ بعد موته بيا محمّد، وذلك خلاف معتقد الوهابية فإنه عندهم شرك، وأورده أيضًا ابن السني في كتابه عمل اليوم والليلة[1]، ونص البخاري في كتابه المذكور:

«باب ما يقول الرجل إذا خدرت رجله: حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا سفيان، عن أبي إسحق، عن عبد الرحمٰن بن سعد قال: خدرت رجل ابن عمر فقال له رجل: اذكر أحب الناس إليك؟ فقال: يا محمد» اهـ. وأورده ابن تيمية في كتابه المشهور الكلم الطيّب[2] ونص عبارته:

فصل في الرجل إذا خدرت رجله

عن الهيثم بن حنش قال: كنا عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فخدرت رجله فقال له رجل: اذكر أحب الناس إليك، فقال: يا محمّد فكأنما نشط من عقال» اهـ.

وذكره الحافظ شيخ القرّاء ابن الجزري في كتابيه: الحصن الحصين وعدة الحصن الحصين، وذكره الشوكاني أيضًا في كتابه «تحفة الذاكرين»[3] وهو غير مطعونٍ به عندهم، ورواه أيضًا ابن الجعد[4].

وهذا الذي حصل من عبد الله بن عمر استغاثة برسول الله بلفظ يا محمّد، وذلك عند الوهابية كفر أي الاستغاثة به ﷺ بعد موته، فماذا تفعل الوهابية أيرجعون عن رأيهم

---

(١) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (ص/ ٧٢ – ٧٣).

(٢) الكلم الطيب (ص/ ٧٣).

(٣) تحفة الذاكرين (ص/ ٢٦٧).

(٤) مسند ابن الجعد (ص/ ٣٦٩).

من تكفير من ينادي يا محمّد أَم يتبرءون من ابن تيمية في هذه القضية وهو الملقب عندهم شيخ الإسلام، فيا لها من فضيحة عليهم وهو إمامهم الذي أخذ منه ابن عبد الوهّاب بعض أفكاره التي خالف بها المسلمين، وهم في هذه المسئلة على موجب عقيدتهم يكونون كفّروا ابن تيمية لأنه استحسن ما هو شرك عندهم.

ولو قال أحدهم: ابن تيمية رواه من طريق راوٍ مختلف فيه، يقال لهم: مجرد إيراده لهذا في هذا الكتاب دليل على أنه استحسنه إن فُرِضَ أنه يراه صحيحًا وإن فُرِضَ أنه يراه غير ذلك، لأن الذي يورد الباطل في كتابه ولا يحذّر منه فهو داعٍ إلى ذلك الشيء، ومحاولة الألباني لتضعيف هذا الأثر لا عبرة بها، لأن الألباني محرومٌ من الحفظ الذي هو شرط التصحيح والتضعيف عند أهل الحديث وقد اعترف في بعض المجالس بأنه ليس محدّث حفظ بل قال: أنا محدّث كتاب، وذلك بعد أن سأله محام سوري: يا أستاذ أنت محدث، فقال: نعم، فقال له: أتسرد لي عشرة أحاديث بأسانيدها، فأجابه الألباني: لا، أنا محدث كتاب، فأجابه المحامي: إذن أنا أستطيع أن أفعل ذلك. فخجّله، فليعلم هو ومقلدوه أن تصحيحهم وتضعيفهم لغوٌ في قانون أهل الحديث ولا اعتبار له، فليتوبوا إلى الله، فإن كان الرياء ساقهم إلى ذلك فالرياء من الكبائر.

ومما يثبت أن العلماء من أهل الحديث وغيرهم لم يكترثوا بشذوذ ابن تيمية من تحريم التوسّل بالرسول بعد وفاته أن الحافظ ابن حجر العسقلاني توسّل بالنبي في قصائده المسماة بالنيرات السبع، وكذلك شيخه زين الدين العراقي في ءاخر منظومته في تفسير مفردات القرءان، ولم يزل ذلك دأب العلماء السلف والخلف، ولم يتحاشَ ذلك إلا من فتن ببدعة ابن تيمية تلك البدعة الكبرى تحريمه التوسّل بالنبي الذي ليس في حياته ولا في حضوره.

وإليك أيها المطالع مقتطفات من قصائد الحافظ التي سماها النيرات السبع وهي تتضمن التوسّل بالنبي ويرى فيها قصده عند الشدة وسؤال الله به قال:

يَـا سَـيّـدَ الـرُّسْـلِ الـذي منهاجُهُ حَـاوٍ كَـمَـالَ الفَضْـلِ والتهذيبِ

إلى أن قال:

فاشفعْ لمادِحِكَ الذي بِكَ يتَّقي أهـــوالَ يـومِ الـديـنِ والـتـعـذيـبِ
فـلأَحـمـدَ بـنِ عـلـيّ الأثَـــريّ في مَـأهـولِ مَـدحِـكَ نظمُ كـلّ غريبِ
قـدْ صَـحَّ أنَّ ضَـنـاهُ زادَ وذنـبَـهُ أصـلُ السَّـقـامِ وأنـتَ خـيرُ طبيبِ

ثم قال في قصيدة أخرى:

يا سيّدي يا رسولَ اللَّه قدْ شَرُفَتْ قصائدي بمديحٍ فيكَ قد رُصِفَا

إلى أن قال:

بِبَـابِ جـودِكَ عبدٌ مـذنِـبٌ كَلِفٌ يا أحْسَنَ الناسِ وجهًا مُشْرِقًا وَقَفا
بِكُم تَـوَسَّـلَ يَرجُو العفوَ عن زَلَـلٍ مِـن خوفِهِ جَفْنُهُ الهامي لقدْ ذَرَفَـا
وإنْ يـكُـنْ نسبةً يُـعـزَى إلى حَجَرٍ فَطَالَمَا فَـاضَ عَـذْبًـا طيبًا وَصَفَا

ثم قال في قصيدة أخرى:

إصْدَحْ بمدح المصطفى واصدَعْ بهِ قَـلْـبَ الحَـسـودِ ولا تَخَـفْ تَفنيدا
واقـصِـدْ لَـهُ واسـألْ بِـهِ تُـعْـطَ المُنَى وتعيشُ مهما عِـشْـتَ فيه سَعيدا
وتعيشُ مهما عِـشْـتَ فيه سَعيدا لا بِـــدْعَ أن أضْـحَـى بـهِ مَـسْـعـودا

ثم قال في قصيدة أخرى:

فما تـبـلُـغُ الأشـعـارُ فـيـهِ ومـدحُـهُ بـهِ نَـاطـقٌ نَـصُّ الـكـتـابِ ونـاقِـلُ

إلى أن قال:

ولي إنْ توسَّلْتُ الهناءُ بمدحِهِ لأنّيَ مُسْتَجْدٍ هناكَ وسَائِلُ

ثم قال في قصيدة أخرى:

فإنْ أحْزَنْ فمدحُكَ لي سُروري وإنْ أَقْنَطْ فَحَمْدُكَ لي رَجائي

ثم قال في قصيدة أخرى:

نبيٌّ بَراهُ اللهُ أشْرَفَ خَلْقِهِ وأَسْماهُ إذْ سمّاهُ في الذّكرِ أحْمَدا
فرَجّ نداهُ إنَّه الغَيْثُ في النَّدى وخَف مِن سَطاهُ إنّهُ اللَّيثُ في العِدا

إلى أن قال:

حليمٌ فَقَيْسٌ في النَّدِيّ مجهَّلٌ كريمٌ وَدَعْ ذكرَ ابنِ مَامَةَ في النَّدى
فَكَمْ حَمَدَتْ منهُ الفوارسُ صَوْلَةً وعادَ فكانَ العَودُ أحْمَى وأحمدا

ثم قال في قصيدة أخرى:

وإن قَنَطَتْ مِنَ العِصْيَانِ نَفْسٌ فبابُ محمدٍ بابُ الرَّجاءِ

وقال الحافظ أبو الفتح محمد بن سيد الناس المتوفى سنة ٧٣٤ الذي يقول الحافظ ابن حجر عنه: «شيخ شيوخنا» في قصيدة أولها:

سر بالظلام بجذوة من أضلعي وإذا عدمت الورد حسبك أدمعي
وسر السرى بالسير لا متوانيا واجف الكرى من بعد لين المضجع
وإذا حللت بطَيبة فلك الهنا فيما حللت من الجناب الممرع
واد يهيم به الفؤاد مقدس كم لي لبعدي عنه أنَّةُ مُوْجَع
فانشر به نشر الربيع تحيتي كما بث السَّقَامُ تفجُّعي

واقـرا الـسلام عـلى الـنبي فطالما حملـتـه نـسـمـات بـان الأجـرع

إلى أن قال:

لله قـوم نـورهـم قـبـسـوه مـن مشكاة أحمد ذي السنا المتضوع

فـازوا برؤية خير من وطىء الثرى شرفًـا فـلـذ بـضريحـه وتَـضَرَّع

وقـل الأسـير بـمـا جـنى متشفع مـن أحمـد الهـادي بخـير مشفع

وذكر الحافظ السخاوي في الذيل على دول الإسلام قصيدة قرأها أمام قبر سيد الأولين والآخرين ﷺ جاء فيها ما نصه[1]:

أُكـرّرُ تسليمي مـدى الـدهـر إنـه شـفـاءٌ لـقـلـبي مـن ألـيـم فـراقـه

وأهـدي إلى الـقـبر الـشريـف تحيةً على قَـدرِ حـالي في عظيم اشتياقه

عـسى تـبـلُـغُ الآمـالُ مـنـه بنظرة إليَّ فـإنْ يـفـعـل بـفـوزٍ ألاقِـهِ

وقال ابن الحاج المالكي المعروف بإنكاره للبدع في كتابه المدخل[2] ما نصه: «فالتوسل به عليه الصلاة والسلام هو محلّ حطّ أحمال الأوزار وأثقال الذنوب والخطايا لأن بركة شفاعته عليه الصلاة والسلام وعظمها عند ربه لا يتعاظمها ذنب، إذ إنها أعظم من الجميع، فليستبشر من زاره ويلجأ إلى الله تعالى بشفاعة نبيه عليه الصلاة والسلام من لم يزره، اللهم لا تحرمنا من شفاعته بحرمته عندك ءامين يا رب العالمين ومن اعتقد خلاف هذا فهو المحروم، ألم يسمع قول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [سورة النساء]. فمن جاءه ووقف ببابه وتوسّل به وجد الله توابًا رحيمًا، لأن الله عز وجل منزه عن خُلف الميعاد وقد وعد سبحانه

(١) وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام (٢/ ٧٧٧).

(٢) انظر الكتاب (١/ ٢٥٣).

وتعالى بالتوبة لمن جاءه ووقف ببابه وسأله واستغفر ربه، فهذا لا يشك فيه ولا يرتاب إلا جاحد للدين معاند لله ولرسوله ﷺ، نعوذ بالله من الحرمان» اهـ.

فائدة: والدليل على جواز مدح الرسول الإفرادي[1] قول العباس: يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك، فقال ﷺ: «**قل لا يفضض الله فاك**» فقال:

مِـن قبلِها طِـبـتَ في الـظـلالِ وفي مُـسـتَـودَعٍ حـين يُخـصَـفُ الـوَرَقُ

قال الحافظ ابن حجر في الأمالي: «حديث حسن».

قال ابن الأثير ما نصه[2]: «أراد ظلال الجنة أي كنتَ طيبًا في صلب ءادم حيث كان في الجنة. وقوله: من قبلها أي من قبل نزولك إلى الأرض فكنى عنها ولم يتقدم لها ذكر لبيان المعنى» اهـ. أما الجماعي فدليله حديث النسائي في السنن الكبرى[3] من حديث أبي سلمة، عن عائشة قال: قالت عائشة: «دخل الحبشة المسجد يلعبون فقال رسول الله: «**يا حميراء**[4] **أتحبين أن تنظري إليهم**» فقلت: نعم، فقام بالباب وجئته فوضعت ذقني على عاتقه فأسندت وجهي إلى خده قالت: ومن قولهم يومئذ: أبا القاسم طَيّبًا، فقال رسول الله ﷺ: «**حسبك**»، فقلت: يا رسول الله لا تعجل، فقام لي ثم قال: «**حسبك**»، قلت: لا تعجل يا رسول الله، قالت: ومالي حب النظر إليهم ولكن أحببت أن يبلغ النساءَ مقامُه لي ومكاني منه»، ذكره النسائي وهو حديث صحيح كما قال الحافظ أبو الحسن بن القطان في كتاب النظر[5]، وفي مسند أحمد حديث قريب من هذا أخرجه من حديث أنس[6].

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٢٦٨)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٢٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٤/ ٢١٣).

(٢) النهاية في غريب الحديث (٣/ ١٦٠)، لسان العرب (١١/ ٤١٦).

(٣) السنن الكبرى (٥/ ٣٠٧ - ٣٠٨).

(٤) أي شديدة بياض الوجه مع حمرةٍ فيه من شدة جماله.

(٥) النظر في أحكام النظر (ص/ ٣٦٠).

(٦) مسند أحمد (٣/ ١٥٢).

وروى ابن ماجه[1] عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ مرّ ببعض المدينة فإذا هو بجوار يضربن بدفّهنّ ويتغنين ويقلن:

نحن جوار من بني النجّار يا حبَّذا محمدٌ من جار

فقال النبي ﷺ: «**الله يعلم إني لأحبكنّ**» قال الحافظ البوصيري[2]: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات».

كذلك حديث الأشعريين[3]:

غدًا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه». انتهى كلام الإمام الحبشي.

---

(١) سنن ابن ماجه: كتاب النكاح: باب الغناء والدفّ.

(٢) مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (١/ ٣٣٤).

(٣) مسند أحمد (٣/ ١٠٥ و١٥٥).

حَقِّيَّة وَسُنِّيَّة وَمَشْرُوعيَّة التَّوَسُّلِ وَالاسْتِغاثَةَ بالأنْبياءِ والأوْلِياءِ والصالحين أَحياءً أَومَيِّتين

١- إذا قال الوهابي منكر التوسل إن الاستغاثة بالأنبياء والصالحين شركٌ وكفرٌ أي عبادة لغير الله، يقال له اتهامك باطل لأن العبادة معناها غير معنى التوسل، والآيات التي نزلت في عبادة الكفار أصنامَهم لاترِدُ علينا وكتب التفسير والأصول واللغة تشهد بما نقول.

٢- فإذا قال الوهابي كيف تخاطبون موتى لا يسمعون ولا يتصرفون بنفع أو ضُرّ، يقال له بل الموتى يسمعون والأنبياء أحياءٌ ولهم تصرفٌ وأرواحهم وأرواح الصالحين مرسلة وينفعون النفع العظيم وهذه السنّة تشهد وكلام العلماء يشهد.

٣- فإذا قال لا نتوسل لأنه معارض للسنة، يقال له بل إنكار التوسل معارضٌ للسنة النبوية وهذه الأحاديث الصحيحة القوية الأسانيد من مصادرها صريحةٌ بِحَقّيّة التوسل وسُنّيّته؛ وفيها نداء الميت والغائب والاستغاثةُ به والانتفاعُ ببركته وطلبُ ما لم تجر به العادة من غير الله إلى ءاخر ذلك.

٤- فإذا قال لا نتوسل لأن الصحابة ما فعلوه، قلنا له بل فعلوه وما أكثر ذلك فيهم وهذه كتب السنة طافحةٌ بالآثار عن توسلهم وتبركهم.

٥- فإذا قال إنما أنكرنا ذلك سدًا لباب السفر إلى القبور وعبادتِها وعبادةِ المقبورين ولكي لا يُتَّخَذ قبرُ النبي عيدًا، قلنا له إن السفرَ وشدَّ الرحال لزيارة نبينا من أجلّ القُرَبِ إلى الله وهذه السُّنَّةُ الصحيحةُ شاهدةٌ وكلام الأئمة الأبرار شاهد.

٦- فإذا قال انعقد إجماع العلماء على النهي عن التوسل والتبرك، قيل له بل كتبهم طافحةٌ باستحباب التوسل والاستغاثة بالأنبياء والصالحين والندب إليه.

٧- فإذا قال لم يريدوا ما ذهبت إليه أفهامُكم وإلاّ لفعلوه، قلنا هاك أمثلةَ تبرُّكِهم وتوسُّلِهم واستغاثتهم بالأنبياء والصالحين.

٨- فإذا استدل بتسويد مشايخه الصحائف، بالتبجح المخالف، في تشديد النكير على السُّنِّيّينَ المشاهير ووصمهم ظلمًا بما الرامي به أحق، قلنا له هاك بحوثَ علماء أهل السنة هي لنا سيفٌ مُهَنَّد وجُنَّة.

٩- فإذا قال التوسل باب للبدع ومن نتائجه التصوف وهو غلوٌّ مذمومٌ، قلنا له بل التصوف الصافي من مفاخر أهل السنة بشهادة علماء الأصول وليس فيه بدعٌ، بل أئمته من أكابر علماء أهل السنة، وأقوالُهم من مظانّها شاهدٌ عدلٌ، ولا اعتبار بكلام جهلة الصوفية في شطحهم لأن التصوف بريءٌ منهم براءة السلف والسُّنّة من منكري التوسل والمشبهة.

١٠- ثم نقول له: سلفكم ابن تيمية وابن القيم مع خلفهما ابنِ عبد الوهاب ثم مع خلفهم وهابيةِ زماننا اختلفت وتخبطت أقوالهم وتناقضت وتباينت في مسائل التوسل والاستغاثة ونفع الموتى للأحياء وانتفاعهم بهم، حتى ظهر لكل ناظرٍ متجردٍ عن الهوى أن كلام سلفكم حرب على خلفكم وأقوالَ سلفكم شِركٌ على مُقتضى ما يحكم به خلفكم من حيث لا يشعرون، وهذه نخبةٌ من تخبطهم لسد الأبواب عليكم بكلام مشايخ مذهبكم.

١- معنى العبادة:

إذا قال الوهابي منكر التوسل إن الاستغاثة بالأنبياء والصالحين شركٌ وكفرٌ أي عبادة لغير الله، يقال له اتهامك باطل لأن العبادة معناها غير معنى التوسل، والآيات التي نزلت في عبادة الكفار أصنامَهم لاترِدُ علينا وهذه كتب التفسير والأصول واللغة تشهد بما نقول.

١- التفسير الكبير للفخر الرازي[١]:

• تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ ﴿١٨﴾﴾.

قال: الثالث: إن العبادة أعظم أنواع التعظيم، فهي لا تليق إلا بمن صدر عنه أعظم أنواع الإنعام.

٢- معجم مفردات ألفاظ القرءان للراغب الأصفهاني[٢]:

• معنى العبادة.

قال: عبد: العبودية إظهار التذلّل، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلّل ولا يستحقّها إلا من له غاية الإفضال وهو الله تعالى ولهذا قال: ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاه.

٣- مختار الصحاح للرازي[٣]:

• معنى العبادة.

قال: وأصل العبودية الخضوع والذلّ.

٤- المصباح المنير للفيومي[٤]:

• معنى العبادة.

قال: عبَدتُ اللهَ (أعبُدُه) (عِبادَة) وهي الانقياد والخضوع. والفاعل (عابِد) والجمع (عُبادّ) و(عَبَدَة) مثل كافِر وكُفارّ وكَفَرَة ثمّ استعمل فيمن اتخذ إلها غير الله وتقرَّب إليه فقيل (عابِدُ) الوَثَنِ والشمسِ وغيرِ ذلك.

---

(١) التفسير الكبير (الطبعة ٢، الناشر: دار الكتب العلمية؛ طهران ١٧/ ٥٩-٦٠).

(٢) مفردات ألفاظ القرءان (تحقيق نديم مرعشلي، الناشر: دار الفكر، باب العين ص٣٣٠).

(٣) مختار الصحاح (طبعة حديثة، الناشر: دار الجيل: بيروت-لبنان، باب العين ص٤٠٨).

(٤) المصباح المنير (للفيومي، كتاب العين ١/ ٣٨٩).

٥- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي[١]:

• تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

قال: (عبُد) العبادة: التذلّل، قاله الجمهور.

٦- نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي[٢]:

• معنى العبادة.

قال: الأصل في العبادة: الذلّ. يقال طريق معبّد، أي مذلّل. وعبادة الله تعالى: الذلّ له بالانقياد لما أمر والانتهاء عما نهى. وحدّ بعضهم العبادة فقال: هي الأفعال الواقعة على نهاية ما يمكن من التذلّل والخضوع، والمجاوزة لتذلّل بعض العباد لبعض.

٧- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لملا على القاري[٣]:

• معنى العبادة.

قال: والعبادة أقصى غاية الخضوع والمراد به التوحيد لقوله (ولا تشرك به شيئا) أو الأعمُّ منه لِيَعُمَّ امتثالَ كلِّ مأمور واجتنابَ كل محظور.

٢- إثبات سماع الموتى وتصرف أرواح الصالحين:

فإذا قال الوهابي كيف تخاطبون موتى لا يسمعون ولا يتصرفون بنفع أو ضُرّ، يقال له بل الموتى يسمعون والأنبياء أحياء ولهم تصرف وأرواحهم وأرواح الصالحين مرسلة وينفعون النفع العظيم وهذه السنّة تشهد وكلام العلماء يشهد.

---

(١) البحر المحيط (طبعة جديدة بعناية صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر ١/ ٤١).

(٢) نزهة الأعين النواظر (تحقيق محمد عبد الكريم الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة، كتاب العين، باب العبادة ص٤٣١).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (وبهامشه مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي، ١/ ٩٨).

١- كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل[١]:

- قصة دفن أويس القرني وكيف وجدوا القبر محفورًا والماء والكفن والحنوط فجهزوه ودفنوه ثم رجعوا إليه فإذا لا قبر ولا أثر.

٢- تفسير الخازن وبهامشه تفسير البغوي[٢]:

- تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة فاطر].

قال الخازن: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ﴿٢٢﴾ ﴾ يعني المؤمنين والكفار وقيل العلماء والجهال. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ﴿٢٢﴾ ﴾ حتى يَتَّعِظَ ويُجيب. ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ يعني الكفارَ، شَبَّهَهُم بالأموات في القبور حين لا يجيبون إذا دُعُوا.

وقال البغوي مثلَه.

٣- تفسير النسفي[٣]:

- تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٥٢﴾ ﴾ [سورة الروم].

قال: ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٥٢﴾ ﴾ أي موتى القلوب. أو هؤلاء في حكم الموتى فلا تَطمَعْ أن يقبلوا منك:

- تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾[٤] [سورة فاطر].

قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ يعني أنه قد علم من يدخل في الإسلام ممن لا يدخل فيه فيهدي مَن يشاء هدايتَه وأما أنت فخفي عليك أمرهم فلذلك تحرص على إسلام قوم مخذولين. شبَّه الكفّارَ بالموتى حيث

---

(١) زهد أويس القرني (دار الكتب العلمية؛ بيروت-لبنان ص٣٤٦-٣٤٧).

(٢) تفسير الخازن (دار الفكر ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ر ٥/ ٣٠٠-٣٠١).

(٣) تفسير النسفي (دار الفكر ٣/ ٢٧٦).

(٤) تفسير النسفي (ص٣٣٩).

لا ينتفعون بمسموعهم.

٤- تفسير الجلالين[١]:

• تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ﴿٢٢﴾ ﴾.

قال: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ﴿٢٢﴾ ﴾ المؤمنون والكفار، وزيادة لا في الثلاثة تأكيد. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ﴿٢٢﴾ ﴾ هدايته فيُجيبُه بالإيمان. ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ أي الكفّارَ، شبّههم بالموتى.

٥- تفسير ابن كثير[٢]:

• تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٥٢﴾ ﴾.

قال له عمر: «يا رسولَ الله، ما تخاطب من قوم قد جُيِّفوا». فقال: «**والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون**»... والصحيح عند العلماء رواية عبد الله بن عمر لما لها من شواهد على صحّتها من وجوه كثيرة، من أشهر ذلك ما رواه ابن عبد البرّ مصححًا له عن ابن عباس مرفوعًا: «**ما من أحد يمرّ بقبر أخيه المسلم كان يعرفه في الدنيا فيسلّم عليه إلاّ ردّ الله عليه روحه حتى يردّ عليه السلام**».

٦- كتاب التذكرة للقرطبي:

• باب ما جاء أن الميت يسمع ما يقال[٣].

قال: مسلم عن أنس بن مالك: أن عمر بن الخطاب حدث عن أهل بدر فقال: إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول هذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله. قال: فقال عمر فوالذي بعثه بالحقّ نبيًا ما أخطؤوا

---

(١) تفسير الجلالين (سورة الروم، الآية ، دار الفكر؛ بيروت-لبنان، ٣/ ٥٧٧).

(٢) تفسير ابن كثير (سورة الروم، ٣/ ٤٣٨-٤٣٩).

(٣) التذكرة (للقرطبي ص١٤٤-١٤٥).

الحدود التي حدّ رسول الله ﷺ. قال: فجُعِلوا في بئر بعضُهم على بعض فانطلق رسول الله ﷺ حتى انتهى إليهم فقال: «يا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقًا فإني وجدت ما وعدني ربي حقا». فقال عمر: «يا رسول الله كيف تكلّم أجسادا لا أرواح فيها؟» قال: «**ما أنت بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا عليَّ شيئًا**». وعنه أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثًا فقام عليهم فناداهم. فقال: «**يا أبا جهل بنَ هشام، يا أميةُ بنَ خلف، يا عُتبةُ بنَ ربيعةَ، يا شيبةُ بنَ ربيعةَ، أليس قد وجدتم ما وعدكم ربّكم حقا فإني وجدت ما وعدني ربي حقًا**». فسمع عمرُ قولَ النبي ﷺ فقال: «يا رسولَ الله، كيف يسمعون وأنّى يجيبون وقد جيفوا؟»، قال: «**والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا**». ثمّ أمر بهم فسحبوا فأُلقوا في قليب بدر.

٧- فتح الباري على البخاري[١]:

- خطاب النبي ﷺ لقتلى الكفار في بدر وإثباته سماعهم.

قال: نافع أنّ ابن عمر رضي الله عنهما أخبره قال: اطّلع النبي ﷺ على أهل القليب فقال: «**وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟**». فقيل له: تدعو أمواتا؟ فقال: «**ما أنتم بأسمع منهم، ولكن لا يجيبون**».

- حديث: «**وإنه ليسمع قرع نعالهم**»[٢].

قال: عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه حدّثهم أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إنّ العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه-وإنه ليسمع قرع نعالهم-أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ لمحمّد ﷺ. فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك**

(١) فتح الباري على البخاري (الجنائز٢٣، ح١٣٧٠، ٣/ ٢٣٢).

(٢) المصدر نفسه، (ح١٣٧٤، ص٢٣٢).

الله به مقعدًا من الجنّة، فيراهما جميعًا».

• نداء إبراهيم الخليل عليه السلام بالحج وسماع من بين السماء والأرض لذلك[1].

٨- فتح الباري على البخاري[2]:

• خطاب النبي لقتلى الكفار في بدر وقوله: «**ما أنتم بأسمع منهم**».

أنّ النبيّ ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلًا من صناديد قريش فقذفوا في طويّ من أطواء بدر خبيث مخبث، فجعل ينادي بأسمائهم وأسماء ءابائهم: «**يا فلانُ بنَ فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ما وعد ربّكم حقا**». قال فقال عمر: يا رسول الله، ما تُكَلِّم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمّد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**». قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله، توبيخًا وتصغيرًا ونقيمةً وحسرةً وندمًا.

• خطاب النبي عليه السلام لقتلى بدر من الكفار وإثباته سماعهم[3].

قال: رسول الله ﷺ وهو يلقيهم: «**هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقا؟**» قال موسى قال نافع قال عبد الله قال ناس من أصحابه: يا رسول الله، تنادي ناسًا أمواتًا؟ قال رسول الله ﷺ: «**ما أنتم بأسمع لما قلت منهم**».

٩- الاستيعاب لابن عبد البر على حاشية الإصابة للعسقلاني[4]:

• زيد بن خارجة وأخو ربعي بن خراش تكلما بعد الموت.

(زيد) بن خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك من بني الحرث بن الخزرج

---

(١) فتح الباري (ح١٥٤٩-١٥٥٠).

(٢) الصدر نفسه، (المغازي ٦٤، ح٣٩٧٦، ٧/ ٣٠٠-٣٠١).

(٣) المصدر نفسه، (المغازي ٦٤، ح٤٠٢٦، ص٣٢٣-٣٢٤).

(٤) الاستيعاب (١/ ٥٦١-٥٦٣).

روى عن النبي ﷺ في الصلاة عليه ﷺ وهو الذي تكلّم بعد الموت لا يختلفون في ذلك وذلك أنّه غشي عليه قبل موته وأُسرِي بروحه فسُجّيَ عليه بثوبه ثم راجعته نفسُه فتكلّم بكلام حُفظ عنه في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ثمّ مات من حينه. روى حديثَه هذا ثقات الشاميين عن النعمان بن بشير ورواه ثقات الكوفيين عن يزيد بن النعمان بن بشير عن أبيه رواه يحيى ابن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب أن زيد بن خارجه الأنصاري ثمّ من بني الحرث بن الخزرج توفي في زمن عثمان بن عفان فسجى بثوب ثمّ إتهم سمعوا جلجلة في صدره ثمّ تكلّم فقال: «أحمد أجمد في الكتاب الأول صدق صدق أبوبكر الصدّيق الضعيف في نفسه القوي في أمر الله في الكتاب الأول صدق صدق عمر بن الخطاب القوي الأمين في الكتاب الأول صدق صدق عثمان بن عفان على منهاجهم مضت أربع وبقيت ثنتان أتت الفتن وأكل الشديد الضعيف وقامت الساعة وسيأتيكم خبر بئر أريس وما بئر أريس» قال يحي بن سعيد قال سعيد بن المسيب ثمّ هلك رجل من بني خطمة فسجى بثوب فسمعوا جلجلة في صدره ثمّ تكلّم فقال إنّ أخا بني الحرث بن الخزرج صدق صدق». وكانت وفاته في خلافة عثمان وقد عرض مثل قصته لأخي ربعي بن خراش أيضا. قال على بن المديني قال نا سفيان بن عيينة قال سمعت عبد الملك بن عمير يقول حدّثني ربعي بن خراش قال مات أخ لي كان أطولنا صلاة وأصومنا في اليوم الحار فسجيناه وجلسنا عنده فبينما نحن كذلك إذ كشف عن وجهه ثمّ قال السلام عليكم قلت سبحان الله أبعد الموت قال: «إني لقيت ربي فتلقاني برَوْح وريحان وربّ غير غضبان وكساني ثيابًا خضرا من سندس واستبرق أسرعوا بي إلى رسول الله ﷺ فإنّه قد أقسم أن لا يبرح حتى أدركه أو ءاتيه وأن الأمر أهون مما تذهبون إليه فلا تغتروا» ثمّ والله كأنما كانت نفسه حصاة فأُلقيتْ في طَست قال على وقد روى هذا الحديث عن عبد الملك ابن عمير غير واحد منهم جرير بن عبد الحميد وزكريا بن يحي بن عمارة قال على ورواه ربعي بن خراش حميد بن هلال كما رواه عبد الملك بن عمير ورواه عن حميد بن هلال أيوب السختياني وعبد الله

ابن عون وذكر على الأحاديث عنهم كلّهم.

١٠- حاشية الصفتي على شرح ابن تركي على العشماوية في الفقه المالكي:

• الأولياء الذين اجتمعوا به ﷺ بعد موته[١].

قال: خرج من اجتمعوا به بعد موتهم ولو قبل دفنه ولو شاهده فلا يسمى صحابيًا كخويلد بن خالد الهذلي، فإنه حضر الصلاة عليه ورءاه مسجى وشهد دفنه وخرج به أيضًا الأولياء الذين اجتمعوا بعد موتهم فليسوا بصحابة.

• إذا نادى النبيُّ ﷺ المصليَ ولو بعد الموت يجيب ولا تبطل صلاته.

قال: وأما إن وجب لإجابته عليه الصلاة والسلام فلا تبطل على المعتمد سواء كان حيًا أو بعد موته كما وقع للعباس المرسي.

١١- طرح التثريب في شرح التقريب للولي العراقي[٢]:

• كونه عليه الصلاة والسلام قائمًا بأمر الأمة في الدارين، في حالتي الحياة والموت[٣] وقوله: «**وأنا شهيد عليكم**»[٤].

• حديث: «**حياتي خير لكم ووفاتي خير لكم**» قال وهو جيد الإسناد[٥].

وقد أخبر عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث بأمرين كونه فَرَطا لهم لم يتقدمهم بعمل مصلحتهم وشهيدا عليهم بأعمالهم فكأنه باق معهم لم يتقدّمهم بل يبقى بعدهم حتى يشهد بأعمال ءاخرهم، فجمع الله تعالى له ما بين هاتين الصفتين اللتين تتنافيان في حقّ غيره، فهو عليه الصلاة والسلام قائمٌ بأمرهم في

---

(١) حاشية الصفتي (ص/ ١٣٠).

(٢) طرح التثريب في شرح التقريب (٣/ ٢٩٤-٢٩٧).

(٣) الفائدة ٥ من شرح حديث الصلاة على أهل أحد.

(٤) طرح التثريب في شرح التقريب (ص٢٩٧).

(٥) المصدر السابق (ص٢٩٧).

الدارين في حالتي حياته وموته. وروى أبو بكر البزار في مسنده بإسنادٍ جيّدٍ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**حياتي خيرٌ لكم تحدثون ويحدث لكم ووفاتي خيرٌ لكم تُعرض على أعمالكم، فما رأيت من خيرٍ حمدت الله عليه وما رأيت من شرٍّ استغفرت الله لكم**».

١٢- طرح التثريب للعراقي[١]:

- قال العراقي: فيه استحباب معرفة قبور الصالحين لزيارتها والقيام بحقها.
- رؤيا الشيخ سالم التل بعد توسله بسيدنا موسى عليه السلام عند مقامه.

١٣- التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي[٢]:

- ذكر عجائبَ لِطائِفَةٍ من الصادقين بعد الموت منها تَكَلُّمُ بعضِهم ومنهم الربيع بن خراش وذكر حكاية موته والحديث النبوي فيه بشهادة عائشة.
- ذكر عجائب لبعض الصالحين مع البهائم ونطق بعضها أمامهم بذكر الله[٣].

١٤- الحاوي للفتاوي للسيوطي[٤]:

- حديث: «**فسيراني في اليقظة**» وأن ذلك يكون في الدنيا[٥].
- النقل عن ابن أبي جمرة الأندلسي بخصوص رؤيته في اليقظة؛ مثال البقرة والعزير...[٦].

---

(١) طرح التثريب (للعراقي، باب الدفن في الأرض المقدسة، الفائدة ٨ من شرح الحديث الذي فيه ذكر حكاية وفاة سيدنا موسى ٣/ ٢٩٨-٣٠٣).

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف (الباب ٧٤ من لطائف ما جرى عليهم ص١٧٥-١٧٦).

(٣) المصدر نفسه، (ص١٧٧).

(٤) الحاوي للفتاوي (٢/ ٧٠، تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك، ص٣٠٧-٣١٩).

(٥) المصدر نفسه، (٣٠٧-٣٠٨).

(٦) االمصدر نفسه، (ص٣٠٨).

- تسليم الملائكة على عمران بن الحصين[١].
- كلام الغزالي وابن العربي وابن الحاجب وابن عبد السلام في رؤية النبي وسماعه يقظة[٢].
- البيهقي في الاعتقاد؛ لقاء القرشي الخليلَ يقظة ودعاؤه لأهل مصر؛ وقولُ اليافعي[٣].
- ابن الملقن يروي عن الكيلاني لقاءه الرسول وتفله في فيه سبعًا والمرسي صافح النبي...[٤].
- رؤية أبي العباس الطنجي النبيَّ وأبي العباس الحرار للقرطبي والعسقلاني صاحبي القرشي[٥].
- قصة تقبيل السيد الرفاعي يدَ المصطفى ﷺ[٦].
- قصة العتبي وشرب عثمان في المنام من يد المصطفى فرَوِيَ في الحقيقة[٧].
- رأى ابنُ سمعونَ النبيَّ لما جاء أبا الفتح القواس في المنام[٨].
- كلام ابن العربي في الرؤية يقظةً وفي تصرفه بعد وفاته وحديث «**الأنبياء أحياء**»[٩].
- أرواح الصالحين مرسلة؛ وحديث حج موسى ويونس، رءاهما نبينا عليهم السلام[١٠].

---

(١) الحاوي للفتاوي (ص٣٠٩-٣١٠).
(٢) المصدر نفسه، (ص٣١٠).
(٣) المصدر نفسه، (ص٣١١).
(٤) المصدر نفسه، (ص٣١٢).
(٥) المصدر نفسه، (ص٣١٣).
(٦) المصدر نفسه، (ص٣١٤).
(٧) المصدر نفسه، (ص٣١٥).
(٨) المصدر نفسه، (ص٣١٦).
(٩) المصدر نفسه، (ص٣١٧).
(١٠) المصدر نفسه، (ص٣١٨).

• دليل ذلك من العقل؛ وابن عطاء مع أحد تلامذته الأولياء[١].

٣- أحاديث فيها إثبات التوسل:

فإذا قال لا نتوسل لأنه معارضٌ للسنة، يقال له بل إنكار التوسل معارضٌ للسنة النبوية وهاك الأحاديثَ الصحيحة القوية الأسانيد من مصادرها صريحةً بِحَقّيّة التوسل وسُنّيّته؛ وفيها نداء الميت والغائب والاستغاثةُ به والانتفاعُ ببركته وطلبُ ما لم تجر به العادة من غير الله إلى ءاخر ذلك.

١- مسند أحمد[٢] حديث الأعمى عن عثمان بن حنيف.

٢- الأدب المفرد للبخاري[٣].

٣- المعجم الصغير للطبراني[٤].

• المعجم الصغير للطبراني[٥].

٤- المعجم الصغير للطبراني[٦].

٥- المعجم الكبير للطبراني[٧].

---

(١) الحاوي للفتاوي (ص٣١٩).

(٢) مسند أحمد (ص١٣٨).

(٣) الأدب المفرد (حديث ابن عمر في خدر الرجل وقوله: «يا محمد»،الباب ٤٣٨ ما يقول إذا خدرت رجله، الحديث ٩٩٣، ص٢٠٧).

(٤) المعجم الصغير (حديث الأعمى بطوله مع أثر عثمان بن حنيف زمن عثمان بن عفان، قال والحديث صحيح، باب من اسمه طاهر، ١/ ١٨٣-١٨٤).

(٥) المعجم الصغير (مخطوط، حديث الأعمى بطوله).

(٦) المصدر السابق (حديث توسل ءادم عليه السلام بنبينا عليه الصلاة والسلام، حديث محمد بن أسلم الصدفي، ٢/ ٨٢-٨٣).

(٧) المعجم الكبير (حديث الأعمى بطوله مع أثر عثمان بن حنيف، الحديث٨٣١١، حديث طاهر ابن عيسى، ٩/ ١٧-١٨).

٦- عمل اليوم والليلة للنسائي[١].

٧- سنن الترمذي[٢].

٨- سنن ابن ماجه[٣].

٩- المستدرك للحاكم[٤].

١٠- كتاب الأذكار للنووي[٥].

١١- الفتوحات لابن علاّن على أذكار النووي[٦].

١٢- فتوحات ابن علان على أذكار النووي[٧].

١٣- فتوحات ابن علان على أذكار النووي[٨].

١٤- الترغيب والترهيب للمنذري[٩].

---

(١) عمل اليوم والليلة (حديث الأعمى، الأحاديث٦٦٣-٦٦٤-٦٦٥، ص٢٠٤-٢٠٥).

(٢) سنن الترمذي (حديث الأعمى، قال والحديث حسن صحيح غريب، كتاب الدعوات ٤٩، الباب١١٩، الحديث ٣٥٧٨، ص٥٣١).

(٣) سنن ابن ماجه (حديث: «**اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك**»، صحيح عند ابن خزيمة، كتاب المساجد والجماعات ٤، الباب١٤، الحديث٧٧٨، ١/ ٢٥٦).

(٤) المستدرك (التلخيص للذهبي، حديث الأعمى، وهو عندهما صحيح، كتاب الدعاء، ١/ ٥١٩، ٥٢٦-٥٢٧).

(٥) كتاب الأذكار (حديث: «**يا عباد الله احبسوا**»، باب ما يقول إذا انفلتت دابته، ١٩١-١٩٢).

(٦) الفتوحات (حديث الأعمى وصححه الترمذي وشرح ابن علان، ٤/ ٣٠٢-٣٠٣).

(٧) فتوحات (دعاء ابن عمر بقوله: «**يا محمد**»، باب إذا خدرت رجله، ٦/ ١٩٨-٢٠٠).

(٨) المصدر نفسه، (حديث: «**فليناد يا عباد الله احبسوا**»، باب إذا انفلتت دابته، ٥/ ١٥١-١٥٢).

(٩) الترغيب والترهيب (حديث الأعمى بطوله مع أثر عثمان بن حنيف وتصحيح المنذري، باب صلاة الحاجة، ١/ ٤٧٣-٤٧٦).

١٥- كنز العمال[١].

١٦- مجمع الزوائد لنور الدين الهيثمي[٢].

١٧- فيض القدير للمُناوي[٣].

١٨- تحفة الذاكرين للشوكاني على عدة الحصن الحصين لابن الجزري[٤].

١٩- الحاوي للفتاوي للسيوطي[٥]:

- الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال[٦].
- يُنزل اللَّهُ الغيثَ ببركة السابقين من كل قرن وأنَّ مَن أنكرَ وجود الأبدال والنقباء والأقطاب... فهو ممن لاعلم عنده[٧].
- كون الأحاديث في ذلك كثيرة ومنها ما أخرج ابن عساكر عن عمر سؤاله عن الأبدال[٨].
- أحمد عن على حديث «**الأبدال بالشام وأن اللَّهَ يسقي بهم وينصر على الأعداء ويصرف العذاب**»[٩].

---

(١) كنز العمال (حديث صلاة الحاجة، الحديث٣٦٤٠).

(٢) مجمع الزوائد حديث الأعمى مع أثر عثمان بن حنيف وتصحيحه/ باب صلاة الحاجة ٢/ ص٢٧٨-٢٧٩.

(٣) فيض القدير (حديث الأعمى وشرح المِناوي وقوله الباء للاستعانة، ٢/ ١٣٤).

(٤) تحفة الذاكرين (حديث الأعمى وأين رُوِيَ وتصحيحه، ثم أثر عثمان بن حنيف، ص٤٧، ١٧٤-١٧٥).

(٥) الحاوي للفتاوي (٢/ ٢٩١-٣٠٧).

(٦) المصدر نفسه، (الباب ٦٩، ص٢٩١).

(٧) المصدر نفسه، (ص٢٩١).

(٨) المصدر نفسه، (ص٢٩٢).

(٩) المصدر نفسه، (ص٢٩٢).

- رواية ابن عساكر عن علي[١].
- ابن أبي الدنيا عن على «أن الأبدال ٦٠ رجلًا» ووصفهم[٢].
- الطبراني وابن عساكر والحاكم وصححه وأقره الذهبي عن علي: «لاتسبوا أهل الشام لأن فيهم الأبدال»[٣].
- الرواية عن على الموقوفة عند ابن أبي الدنيا وابن عساكر من أكثر من طريق[٤].
- رواية الخلال عن على والترمذي عن أنس عن الأبدال[٥].
- رواية الخلال عن عطاء عن أنس عن الأبدال ورواية الديلمي عن ابن الوليد[٦].
- رواية وصف الأبدال عند ابن لال والخلال وابن عدي[٧].
- ابن عساكر عن أنس من أكثر من طريق عن خُلُقِ الأبدال وأنهم دعامة الأمة[٨].
- الطبراني والهيثمي وحسنه عن أنس: «**بهم يُسْقَوْنَ وَيُنْصَرُونَ**»[٩].
- الترمذي عن حذيفة وأن ٢٠ منهم على منهاج عيسى[١٠].
- أحمد والترمذي والخلال عن عبادة بن الصامت ورجاله رجال الصحيح[١١].

---

(١) الحاوي للفتاوي (ص٢٩٢-٢٩٣).
(٢) المصدر نفسه، (ص٢٩٣).
(٣) المصدر نفسه، (ص٢٩٣).
(٤) المصدر نفسه، (ص٢٩٤-٢٩٥).
(٥) المصدر نفسه، (ص٢٩٥).
(٦) المصدر نفسه، (ص٢٩٥).
(٧) المصدر نفسه، (ص٢٩٦).
(٨) المصدر نفسه، (ص٢٩٦).
(٩) المصدر نفسه، (ص٢٩٦).
(١٠) المصدر نفسه، (ص٢٩٦).
(١١) المصدر نفسه، (ص٢٩٧).

- الطبراني عن عبادة بن الصامت: «**بهم تَقُومُ الأرضُ وبهم تُمْطَرُون وبِهِمْ تُنْصَرُون**» قال قتادة إني أرجو أن يكون الحسن منهم[١].
- أحمد في الزهد والخلال عن ابن عباس عن السبعة الذين يدفع اللَّهُ بهم عن أهل الأرض[٢].
- الطبراني عن ابن عمر: الخمسمائة والأبدال وأخلاقهم؛ عند أبي نعيم وتمام وابن عساكر[٣].
- أبو نعيم عن ابن مسعود وأخرجه ابن عساكر[٤].
- طريق الطبراني عن ابن مسعود في إدراكهم الولاية بالسخاء والنصيحة[٥].
- الطبراني عن عوف بن مالك: «**فيهم الأبدال بهم تنصرون وبهم ترزقون**»[٦].
- أبو عبد الرحمٰن السلمي والديلمي عن معاذ؛ وابن عساكر عن واثلة؛ والبيهقي عن الخدري[٧].
- ابن حبان في التاريخ عن أبي هريرة؛ والخلال عنه؛ والترمذي عن أبي الدرداء[٨].
- أبو داود عن أم سلمة عن المهدي ونصرة أبدال الشام له؛ وهو عند أحمد والحاكم والبيهقي...[٩].

---

(١) الحاوي للفتاوي (ص٢٩٧).
(٢) المصدر نفسه، (ص٢٩٧).
(٣) المصدر نفسه، (ص٢٩٧).
(٤) المصدر نفسه، (ص٢٩٨).
(٥) المصدر نفسه، (ص٢٩٨).
(٦) المصدر نفسه، (ص٢٩٩).
(٧) المصدر نفسه، (ص٢٩٩).
(٨) المصدر نفسه، (ص٣٠٠).
(٩) المصدر نفسه، (ص٣٠٠).

- حديث الأبدال المرسل عن الحسن عند ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب[١].
- رواية الترمذي للحديث؛ ومرسل عطاء عند الحاكم؛ ومرسل بكر بن خنيس؛ وأثر الحسن عند ابن عساكر؛ ومرسل قتادة عند ابن عساكر؛ والخلال عن ابن معدان؛ وابن جرير عن ابن حوشب؛ وابن عساكر عن أبي الزاهرية[٢].
- أماكن الأبدال والنجباء والنقباء وغيرهم ومكان الغوث[٣].
- ابن أبي الدنيا عن أبي الزناد عن الأوتاد والأبدال؛ والخلال عن النخعي[٤].
- أحمد في الزهد عن كعب؛ وابن المنادي عن النصيبي عن خبر إلياس والأوتاد وأين هم[٥].
- المرابط بعسقلان وخبر إلياس عن الأبدال وأماكنهم ونصر الله بهم[٦].
- كفاية المعتقد لليافعي عن الأبدال والنجباء وأماكنهم وعددهم[٧].
- القشيري في الرسالة عن الخواص وذكر الشافعي وأحمد؛ وأحمد وغيره وذكر ابن دينار وغيره فيهم[٨].
- كفاية المعتقد لليافعي عن كرامة للجيلاني ولقائه بعض الأبدال وذِكْرُ أماكنهم[٩].

---

(١) الحاوي للفتاوي (ص٣٠٠).
(٢) المصدر نفسه، (ص٣٠١).
(٣) المصدر نفسه، (ص٣٠٢).
(٤) المصدر نفسه، (ص٣٠٢).
(٥) المصدر نفسه، (ص٣٠٣).
(٦) المصدر نفسه، (ص٣٠٣).
(٧) المصدر نفسه، (ص٣٠٣-٣٠٤).
(٨) المصدر نفسه، (ص٣٠٤).
(٩) المصدر نفسه، (ص٣٠٥).

• نصر المقدسي عن أحمد أن أهل الحديث هم الأبدال[1].

• بم صاروا أبدالًا عن سهل بن عبد الله؛ وعند اليافعي في كفاية المعتقد[2].

٤- ءاثار عن تبرك الصحابة:

فإذا قال لا نتوسل لأن الصحابة ما فعلوه، قلنا له بل فعلوه وما أكثر ذلك فيهم، وهذه كتب السنة طافحة بالآثار عن توسلهم وتبركهم.

١- صحيح مسلم بشرح النووي[3].

٢- صحيح مسلم بشرح النووي[4].

٣- تفسير ابن كثير[5].

٤- البداية والنهاية لابن كثير[6]:

• وكان شعارهم يومئذ: يا محمداه[7].

٥- البداية والنهاية[8]:

---

(١) الحاوي للفتاوي (ص٣٠٥).

(٢) المصدر نفسه، (ص٣٠٦).

(٣) صحيح مسلم (حديث أسماء «والتبرك بجبة النبي ﷺ»، باب تحريم الذهب والحرير على الرجال، ١٤/ ٤٢-٤٣).

(٤) المصدر نفسه، (حديث سلت أم سليم عرق النبي ﷺ للطيب والبركة، باب طيب عرقه والتبرك به، ١٥/ ٨٦-٨٧).

(٥) تفسير ابن كثير (ج١، سورة النساء، الآية ٦٤، قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ ﴿٦٤﴾﴾ قصة العتبي المشهورة وفيها خطابه للنبي ﷺ وطلبه منه الاستغفار له وقوله: يا خير من دفنت بالقاع أعظمه..).

(٦) البداية والنهاية (ج٦).

(٧) المصدر نفسه، (حرب مسيلمة، ص٣٢٤).

(٨) المصدر نفسه، (ج٧، سنة ١٧).

• فأشار أبو عبيدة لِيُقَبِّلَ يَدَ عُمَرَ، فَهَمَّ عُمَرُ بتقبيل رجل أبي عبيدة[١].

٦- البداية والنهاية[٢]:

• كتب عمر لأبي موسى ولعمرو أن يا غوثاه لأمة محمد[٣].

• استغاثة بلال بن الحارث المزني بالنبي ﷺ وقصده قبره الشريف لذلك عامَ الرمادة وقوله: يا محمداه، وقول عمر: صدق بلال، فاستغث بالله ثم بالمسلمين. تمام القصة وقوله: وهذا إسناد صحيح[٤].

٧- تفسير النسفي[٥] الآية ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ ﴿٦٤﴾﴾.

٨- تفسير الخازن[٦] الآية ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴿١٩٥﴾﴾.

٩- تفسير البغوي المطبوع على حاشية الخازن[٧].

١٠- الخازن والبغوي[٨] ﴿وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٩].

١١- الجلالين[١٠].

---

(١) البداية والنهاية (فتح بيت المقدس، ص٥٥).

(٢) المصدر نفسه، (ج٧، سنة ١٨).

(٣) المصدر نفسه، (ص٩٠).

(٤) المصدر نفسه، (ص٩١-٩٢).

(٥) تفسير النسفي (قصة العتبي، ١/ ٢٣٤).

(٦) تفسير الخازن (يتبركون بقبر أبي أيوب الأنصاري ويستسقون به، ١/ ١٧١).

(٧) تفسير البغوي (يستسقون بأبي أيوب عند قبره، ١/ ١٧٢).

(٨) الخازن والبغوي (ج٣، الآية ١٠٢).

(٩) سورة يوسف، تنازع الناس في موضع دفن سيدنا يوسف عليه السلام لأجل بركته فدفنوه في وسط النيل فأخصب الجانبان، ص٣١٩.

(١٠) سورة يوسف، الآية١٠٢، تنازع الناس في موضع دفن سيدنا يوسف عليه السلام.

١٢- العسقلاني على البخاري[١]:

- من فوائد الحديث التبرك بأهل الفضل.
- قال بعض الشيوخ إن الحكمة من اختيار موسى تكرار الرؤية ليرى من رأى -أي تبركًا به-[٢].
- وفيه التبرك بالمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ والتبرك بالصالحين[٣].
- ومحصل ذلك أن ابن عمر كان يتبرك بتلك المواضع وإجابة النبي ﷺ عتبان للصلاة عنده فهو حجة في التبرك بآثار الصالحين[٤].

١٣- العسقلاني على البخاري[٥]:

- طلبوا السقيا من الله مستشفعين به.
- استنشاد النبي عليًا شعر أبي طالب: وأبيض يستسقى الغمام بوجهه.
- كانوا إذا قحطوا استسقوا به ﷺ[٦].
- رواية مالك الدار عن بلال بن الحارث المزني واستغاثته بالنبي وقصده قبرَه لذلك والحديث صحيح[٧].
- صفة دعاء العباس يوم استسقي به واستحباب الاستشفاع بأهل الخير[٨].

---

(١) العسقلاني على البخاري (الحديث ٢٢٣، ١/ ٣٢٧).
(٢) المصدر نفسه، (الحديث٣٤٩، ص٤٦٣).
(٣) المصدر نفسه، (كتاب الصلاة، ص٥٢٢).
(٤) المصدر نفسه، (الحديث٤٩٢، ص٥٦٩).
(٥) المصدر نفسه، (٢/ ٤٩٥).
(٦) العسقلاني على البخاري (ص٤٩٥).
(٧) المصدر نفسه، (الحديث ١٠٠٨-١٠١٠، ص٤٩٥-٤٩٦).
(٨) المصدر نفسه، (الحديث ١٠١٢، ص٤٩٧).

١٤- العسقلاني على البخاري[١]:

- تقبيل الميت تعظيمًا وتبركًا[٢].
- حتى لايكون بين انتقاله من جسده إلى جسدها فاصل وهو أصل في التبرك[٣].

١٥- العسقلاني على البخاري[٤]:

- احتفاظ الصحابة بشعرات النبي ﷺ.
- كانت أم سلمة تسقي المريض الماء الذي غسلت به شعرات النبي ﷺ استشفاءً بها للبركة[٥].

١٦- الإصابة للعسقلاني[٦]:

- قصة سارية بن زنيم في غزوة الفرس ونداء عمر له من المدينة وانجاده مع جيشه؛ قال العسقلاني وإسناده حسن[٧].
- ودفن عبد الرحمٰن في بلاد الترك فهم يستسقون به[٨].

١٧- الزبيدي على الإحياء للغزالي[٩]:

---

(١) العسقلاني على البخاري (ج٣).

(٢) المصدر نفسه، (الحديث ١٢٤١-١٢٤٤، ص١١٥).

(٣) المصدر نفسه، (الحديث ١٢٥٣، ص١٢٩-١٣٠).

(٤) المصدر نفسه، (الأحاديث ٥٨٩٦-٥٨٩٧-٥٨٩٨، كتاب اللباس٧٧، ١٠/ ٣٥٢).

(٥) المصدر نفسه، (الأحاديث٥٨٩٤-٥٨٩٨، ص٣٥٣).

(٦) الإصابة (ج٢).

(٧) المصدر نفسه، (حرف السين-القسم الأول، الترجمة ٣٠٣٤، ص٢).

(٨) المصدر نفسه، (حرف العين-القسم الأول، عبد الرحمٰن بن أبي ربيعة الباهلي، الترجمة ٥١١٩، ٢/ ٣٩٨).

(٩) الزبيدي على الإحياء (ج٣، كتاب أسرار الصلاة، الباب٧).

- استحباب الاستسقاء بالأكابر وأهل الصلاح لا سيما أقارب الرسول[١].
- قول العباس في استسقائه زمن عمر وقد توجه القوم بي لمكاني من نبيك، رواية الزبير بن بكار[٢].
- يقول بعد الفراغ من صلاة الحاجة دعاءً فيه «وبنبيك محمد»[٣].
- قصة عثمان بن حنيف[٤].

١٨- الإحياء مع شرح الزبيدي[٥]:

- قول الغزالي: اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك[٦].
- تقبيل النبي تبركًا[٧].
- أمر معاوية ابنه بجعل شيء من ثياب النبي وءاثاره على جسده دون الأكفان[٨].
- تبرك عائشة بآثار النبي[٩].

١٩- بهجة النفوس شرح مختصر البخاري لابن أبي جمرة الأندلسي[١٠]:

- سبب توسل عمر بالعباس[١١].

---

(١) الزبيدي على الإحياء (الفائدة ٤، ص٧٣٤).
(٢) المصدر نفسه، (الفائدة ٤، ص٧٣٥).
(٣) المصدر نفسه، (الفائدة ٥، ص٧٨٠).
(٤) المصدر نفسه، (ص٧٨١).
(٥) المصدر نفسه، (ج١٤، كتاب ذكر الموت، الشطر الأول).
(٦) المصدر نفسه، (الباب ٤، ص١٥٢).
(٧) المصدر نفسه، (ص١٥٣).
(٨) المصدر نفسه، (الباب ٥، ص١٩٢-١٩٣).
(٩) المصدر نفسه، (ص٢١٢).
(١٠) بهجة النفوس شرح مختصر البخاري (ج٢).
(١١) المصدر نفسه، (٢/ ٦٠).

- حكمة تشريف ما بين القبر والمنبر[١].
- الجماد يشرف به[٢].

٢٠- الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية:

- على كان يحسو الماء الذي مس جفون النبي تبركًا[٣].
- تبرك السيدة فاطمة بتراب القبر الشريف وإنشادها: ماذا على مَن شَمَّ تُرْبَةَ أحمد[٤].
- هيئة القبور الثلاثة في الحجرة الشريفة[٥].

٥- الزيارة:

فإذا قال إنما أنكرنا ذلك سدًا لباب السفر إلى القبور وعبادتِها وعبادةِ المقبورين ولكي لا يُتَّخَذ قبرُ النبي عيدًا، قلنا له إن السفرَ وشدَّ الرحال لزيارة نبينا من أجلّ القُرَبِ إلى الله وهاك السُّنَّةَ الصحيحةَ شاهدةً وكلامَ الأئمة الأبرار شاهدًا.

١- الشفا للقاضي عياض المالكي[٦]:

- فصل في حكم زيارة قبره عليه السلام وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو.
- كونها مجمع على مشروعيتها.
- الأحاديث في ذلك[٧].

---

(١) بهجة النفوس شرح مختصر البخاري (٢/ ٩٣).
(٢) المصدر نفسه، (٢/ ٩٤).
(٣) الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية (ص٥٩٢).
(٤) المصدر نفسه، (ص٥٩٣).
(٥) الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية (ص٥٩٤-٥٩٥).
(٦) الشفا (٢/ ٨٣).
(٧) المصدر نفسه، (ص٨٣-٨٤).

- تفسيره كراهة مالك قولَ زرنا قبر النبي لإضافته إلى القبر وأنه لو قال زرنا النبي لم يكرهه[١].
- نقل المحشي عن ابن عبد البر مثله وتأكيد شد الْمَطِيّ إلى قبره ﷺ.
- قوله ومما لم يزل مرور الحجاج بالمدينة وقصدهم التبرك بزيارته وءاثاره[٢].
- عمر بن عبد العزيز كان يُبْرِد إليه البريد[٣].
- أنس بن مالك أتى القبر فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة.
- قال مالك في رواية ابن وهب إذا سلم على النبي ودعا، يقف ووجهه إلى القبر لا القبلة.
- تبرك ابن عمر والأصحاب يتبركون بموضع جلوس النبي على المنبر[٤].
- قال ولا تدع أن تأتي مسجد قباء وقبور الشهداء[٥].
- قال الباجي وذلك أن الغرباء قصدوا لذلك -أي جاؤوا مسافرين بقصد الزيارة-[٦].

٢- النووي على مسلم[٧]:

- ما يقال عند دخول القبور.
- قال النووي وفي هذا دليل لاستحباب زيارة القبور.
- وزيارة النساء للقبور.

---

(١) الشفا (ص٨٤).
(٢) المصدر نفسه، (ص٨٥).
(٣) المصدر نفسه، (ص٨٥).
(٤) المصدر نفسه، (ص٨٦).
(٥) المصدر نفسه، (ص٨٧).
(٦) المصدر نفسه، (ص٨٨).
(٧) النووي على مسلم (٧/ ٤٠-٤٥).

٣- متن الإيضاح للنووي[١]:

- إذا انصرف الحجاج والمعتمرون من مكة فليتوجهوا إلى مدينة رسول الله لزيارة تربته[٢].
- كون الزيارة من أهم القرب وأنجح المساعي.
- كيف التأدب في الزيارة[٣].
- كيف يسلم عليه[٤].
- السلام عليه وعلى ضجيعيه، وصفة القبور الثلاثة الكريمة، ثم يرجع ويتوسل به[٥].
- ومن أحسن ذلك المحكي عن العتبي...[٦].
- يستقبل القبلة بعد ذلك ويدعو[٧].
- كراهته المسح باليد والتقبيل للأدب معه كما لو كان حيًا[٨].
- الخروج إلى البقيع وزيارة قبور الشهداء بِأُحُد.
- كان رسول الله يأتي مسجد قباء راكبًا وماشيًا[٩].
- يأتي بئر أريس فيتوضأ ويشرب منها وهي التي تفل فيها النبي.

---

(١) متن الإيضاح (الباب ٦ في الزيارة).
(٢) المصدر نفسه، (ص١٥٦).
(٣) المصدر نفسه، (ص١٥٧).
(٤) المصدر نفسه، (ص١٥٨).
(٥) المصدر نفسه، (ص١٥٩).
(٦) المصدر نفسه، (ص١٥٩-١٦٠).
(٧) المصدر نفسه، (ص١٦٠).
(٨) المصدر نفسه، (ص١٦١).
(٩) المصدر نفسه، (ص١٦٢).

- شرح الباجي تفريق مالك بين أهل المدينة والغرباء بشأن الزيارة[١].
- صفة المسجد النبوي على عهد رسول الله والخلفاء بعده[٢].
- الفقهاء السبعة إذا علقت أسماؤهم على رأس المصروع عوفي[٣].
- لو نذر الذهاب إلى مسجد الرسول وإلى الأقصى ففيه قولان أحدهما الإستحباب والثاني الوجوب[٤].

٤- فضائل الأعمال للضياء المقدسي:

- فضل زيارة قبر المصطفى[٥].

٥- العسقلاني على البخاري[٦]:

- والصحيح عند إمام الحرمين وغيره من الشافعية لا يحرم شد الرحال للزيارة[٧].
- ألزَموا ابنَ تيمية بتحريم شد الرحل للزيارة، وهي من أبشع المسائل المنقولة عن ابن تيمية، واحتجاجه بكراهة مالك وبيان أهل مذهبه مرادَه[٨].

٦- المواهب اللدنية للقسطلاني[٩]:

- كون الزيارة من أعظم القربات وأن من اعتقد غير ذلك فقد انخلع من رِبقة

---

(١) متن الإيضاح (ص١٦٢).
(٢) المصدر نفسه، (ص١٦٤).
(٣) المصدر نفسه، (من كلام الْمُحشي، ص١٦٤-١٦٥).
(٤) المصدر نفسه، (ص١٦٦).
(٥) فضائل الأعمال (الأحاديث٣٩٠-٣٩٣، ص١٠٨).
(٦) المواهب اللدنية (العسقلاني على البخاري، ج٣، الكتاب٢٠ فضل الصلاة في مكة).
(٧) المصدر نفسه، (وحديث: «لا ينبغي للمَطي..». ظاهر في غير التحريم، ص٦٥).
(٨) المصدر نفسه، (ص٦٦).
(٩) المواهب اللدنية (للقسطلاني، ج٢، الفصل٢، في الزيارة).

الإسلام[١].

- ولابن تيمية هنا كلام شنيع عجيب يتضمن منع شد الرحال للزيارة النبوية ورد عليه الشيخ السبكي في شفاء السقام فشفى صدور المؤمنين[٢].

٧- دفع شبه من شبه وتمرد للتقي الحصني[٣]:

- ومن الأمور المنتقدة على ابن تيمية قوله: «زيارة قبر النبي وقبور الأنبياء معصية بالإجماع» اهـ. وكون ذلك ثابت عنه بشهادة القضاة[٤].
- إجماع العلماء على فضيلة الزيارة، ونقله عن القاضي عياض وغيره[٥].
- تفنيد دعواه وفيها توهين الدارقطني وابن ماجه، وذكره من روى أحاديث الزيارة[٦].
- تفنيد تمويهه في النقل عن أبي محمد المقدسي[٧].
- قال ابن قدامة في المغني -يبين كلام ابن عقيل ومعنى الحديث-[٨].
- خيانة ابن تيمية في النقل عن العلماء[٩].
- ألفاظ حديث: «**لا تشد الرحال..**». وشرح الحديث[١٠].

---

(١) المواهب اللدنية (للقسطلاني، ص٥٠٤).
(٢) المصدر نفسه، (ص٥٠٥).
(٣) دفع شبه من شبه وتمرد (ص٩٤-١٢٥).
(٤) المصدر نفسه، (ص٩٤).
(٥) المصدر نفسه، (ص٩٥).
(٦) المصدر نفسه، (ص٩٦).
(٧) المصدر نفسه، (ص٩٧-٩٨).
(٨) المصدر نفسه، (ص٩٨-٩٩).
(٩) المصدر نفسه، (ص٩٩).
(١٠) دفع شبه من شبه وتمرد (ص١٠٠-١٠١).

- لو نذر أن يأتي أحد هذه المساجد؛ وخيانة ابن تيمية في النقل عن أئمة المذاهب[١].
- تفنيد دعواه أن السفر للزيارة بدعة، وءاثار الصحابة تكذبه[٢].
- قوله إن ذلك كاف في إثبات فجور ابن تيمية.
- كون ابن تيمية من أعظم الكذبة والفجار، ونُقُولُ العلماء في مشروعية الزيارة[٣].
- قالت الحنفية، وأحمد في الرعاية الكبرى، وابن الجوزي في مثير الغرام، وعبد الحق الصقلي وابن أبي زيد القيرواني والقرطبي...[٤].
- ذكر بعض الأحاديث عن الزيارة الشريفة يرويها جمهرة من الأكابر وقول النووي في المجموع عن معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «**وجبت له شفاعتي**».
- تتابع الروايات مع بعض التعليق[٥].
- أبو سعيد النيسابوري، كان يتبرك به، وأبو على سعيد بن عثمان بن السكن، وهو حكم منه بالاجماع على صحة الرواية[٦].
- كيف يكون تجرأ ابن تيمية على تكذيب أكابر الحفاظ، ورميه ابن تيمية بالزندقة والخبث ودعا عليه...[٧].
- لماذا دفن عليه الصلاة والسلام حيث قبض، وتدليس ابن تيمية، والحكاية عن

---

(١) دفع شبه من شبه وتمرد (ص١٠١-١٠٢).

(٢) المصدر نفسه، (ص١٠٣-١٠٤).

(٣) المصدر نفسه، (ص١٠٥).

(٤) المصدر نفسه، (ص١٠٦-١٠٨).

(٥) المصدر نفسه، (ص١٠٩-١١٠).

(٦) المصدر نفسه، (ص١١١).

(٧) المصدر نفسه، (ص١١٢).

أنس[١].

- التزام أبي أيوب القبر، وتبرك ابن عمر وكون بعض الصحابة كانوا يدعون مستقبلي القبر، وهو قول عدد من الأكابر[٢].
- الدعاء عند القبر، وقصة مالك مع المنصور، ورواية ابن وهب وكلام المبسوطة والمستوعب للسامري...[٣].
- تفنيد الدعوى أن ذلك شرك ومعنى إتخاذ القبور مساجد[٤].
- حديث «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**» وكون دعائه مُجابًا[٥].
- دعوته لسعد ولعلي ولأبي طالب ولابن عباس ولابن عوف ودعاؤه بِرَدِّ الشمس لعلي..[٦].
- دعاؤه بالبركة لأبي هريرة على قبضة تمر، وأبيات في التوسل وذم من أنكر[٧].
- فالتوسل به ماض منذ ءادم وشرح معناه[٨].
- حديث: «**حياتي خير لكم**»، قوله بإجماعهم على تكفير من خالف، واعتقاد ابن كثير وقصة ابن القيم مع قبر الخليل وتوبته المزعومة، والادعاء على ابن كثير مع تعزيره[٩].

---

(١) دفع شبه من شبه وتمرد (ص١١٣).
(٢) المصدر نفسه، (ص١١٤).
(٣) المصدر نفسه، (ص١١٥).
(٤) المصدر نفسه، (ص١١٦).
(٥) المصدر نفسه، (ص١١٧).
(٦) المصدر نفسه، (ص١١٨).
(٧) المصدر نفسه، (ص١١٩-١٢٠).
(٨) المصدر نفسه، (ص١٢١).
(٩) المصدر نفسه، (ص١٢٣).

- تعزير ابن القيم، وقصة الظاهري مع السراج البلقيني في القاهرة، وكون ابن رجب كان يعذر السبكي ويعتقد تكفير ابن تيمية وله عليه رد.
- فمما ينبغي الإعلانُ بالتوسل والسفر للزيارة، وشوق عمر للرسول، وأبيات في التوسل[١].
- تحرق الصديق للنبي عليه الصلاة والسلام.

٨- طرح التثريب للولي العراقي[٢]:

- لو نذر إتيان المسجد لزيارة النبي لزمه ذلك، والرد على ابن تيمية، وقصة ابن رجب الحنبلي مع الزين العراقي بشأن زيارة قبر الخليل.

٩- إتحاف السادة المتقين على الإحياء[٣]:

- التعليق على حديث: «**لا تشد الرحال..**»[٤].
- قال عياض: أجمعوا أن موضع قبره أفضل بقاع الأرض قبل مكة والمدينة[٥].
- وقد ذهب بعضهم إلى المنع من زيارة المشاهد ورد السبكي على ابن تيمية.
- تغليط النووي للجويني والقاضي حسين والقاضي عياض وقوله لا فضيلة شد، وكذلك قال الغزالي قبله[٦].
- الجملة العاشرة في ءاداب الزيارة[٧].

---

(١) دفع شبه من شبه وتمرد (ص١٢٤).
(٢) طرح التثريب (٦/ ٤٣).
(٣) إتحاف السادة المتقين على الإحياء (أسرار الحج، ٤/ ٤٨٤-٧٢٣).
(٤) المصدر نفسه، (ص٤٨٤).
(٥) إتحاف السادة المتقين على الإحياء (ص٤٨٥).
(٦) المصدر نفسه، (ص٤٨٦).
(٧) المصدر نفسه، (ص٧٠٠).

- الإجماع على تفضيل موضع قبره، والأحاديث: «**من زارني بعد وفاتي..**». و«**من وجد سعة ولم يغد إلي**»[١].
- «**من جاءني زائرًا..**». وتتابع الأحاديث[٢].
- كيف يدعو ويقف[٣].
- إرسال البريد للسلام عليه، وكونه يرد على الْمُسلِّم عليه[٤].
- صفة القبور الشريفة في الحجرة النبوية[٥].
- السلام على الضجيعين والعود إلى السلام على النبي[٦].
- قصة العتبي، ثم يأتي الروضة للصلاة[٧].
- يستحب التمسح برمانة المنبر والوارد في ذلك[٨].
- صفة المنبر وتجديده بعد الحرق، وزيارة أُحُد وشهدائه[٩].
- ويعود إلى المسجد ويزور مسجد فاطمة وقبر صفية وأمهات المؤمنين[١٠].
- من دفن بالبقيع[١١].

---

(١) إتحاف السادة المتقين على الإحياء (ص٧٠١).
(٢) المصدر نفسه، (ص٧٠٢-٧٠٣).
(٣) المصدر نفسه، (ص٧٠٤-٧٠٧).
(٤) المصدر نفسه، (ص٧٠٧).
(٥) المصدر نفسه، (ص٧٠٨-٧١٠).
(٦) المصدر نفسه، (ص٧١٠).
(٧) المصدر نفسه، (ص٧١١).
(٨) المصدر نفسه، (ص٧١٢).
(٩) المصدر نفسه، (ص٧١٣).
(١٠) المصدر نفسه، (ص٧١٤-٧١٥).
(١١) المصدر نفسه، (ص٧١٥-٧١٦).

- يأتي مسجد قُباء[١].
- بئر أريس، وفيها من ريقه الشريف[٢].
- مساجد المدينة ٣٠، والآبار[٣].
- «**من استطاع أن يموت بالمدينة**» -الحديث- وإذا عزم على الخروج من المدينة يأتيه مودعًا[٤].
- تحري الأماكن التي صلى فيها النبي، وكان سالم بن عبد الله بن عمر يتحراها كأبيه[٥].

١٠- الفتوحات الربانية على أذكار النووي[٦]:

- ينبغي أن يتوجه للزيارة كان ذلك في طريقه أو لا وتصحيح الروايات[٧].
- تفضيل بقعة القبر[٨].
- يستقبل القبر الشريف عند الدعاء تشريفًا للنبي ولكونه حيًا وكيف يصنع[٩].
- معنى النهي عن الإطراء وكيف يسلم[١٠].
- يتوسل به، وتوسل ءادم والتوسل بالصالحين وأن الذوات الفاضلة أفضل من

---

(١) إتحاف السادة المتقين على الإحياء (ص٧١٦-٧١٧).

(٢) المصدر نفسه، (ص٧١٧).

(٣) المصدر نفسه، (ص٧١٨-٧٢٠).

(٤) المصدر نفسه، (ص٧٢١).

(٥) المصدر نفسه، (ص٧٢٢-٧٢٣).

(٦) الفتوحات الربانية على أذكار النووي (فصل في الزيارة، ٥/ ٣١-٤٣).

(٧) المصدر نفسه، (ص٣١).

(٨) المصدر نفسه، (ص٣٢).

(٩) المصدر نفسه، (ص٣٣).

(١٠) المصدر نفسه، (ص٣٤-٣٥).

الأعراض[١].

- ألفاظ الحديث وفضل الروضة[٢].
- قصة العتبي[٣].
- زيادة بعض الأفاضل قصيدة بهذا الشأن[٤].

١١- الدر الثمين للعلامة ميارة على ابن عاشر المالكي:

- وسر لقبر المصطفى، وكون الزيارة مجمعًا على سنيتها، ويستحب أن يزور البقيع، ويتوسل به وكيف توسل الشارح[٥].

١٢- مختصر الدر الثمين للعلامة ميارة على ابن عاشر المالكي:

- ولتكن نيته وعزيمته وكليته زيارته وزيارة مسجده، فإن زيارته سنة مجمع عليها[٦].

١٣- الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ليوسف النبهاني[٧]:

- كون الزيارة من أعظم القربات بالإجماع ومن اعتقد خلاف ذلك كافر والأحاديث في الزيارة[٨].
- الأمر بالإستغفار عنده، إرسال عمر بن عبد العزيز البريد للسلام عليه، كيف

---

(١) الفتوحات الربانية على أذكار النووي (ص٣٦).
(٢) المصدر نفسه، (ص٣٧-٣٨).
(٣) المصدر نفسه، (ص٣٩).
(٤) المصدر نفسه، (ص٤٠-٤٢).
(٥) الدر الثمين (ص٤٣٢-٤٣٣).
(٦) مختصر الدر الثمين (ص١٣٥).
(٧) الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية (الفصل٢، في الزيارة، ص٥٩٦-٦١١).
(٨) المصدر نفسه، (ص٥٩٦).

يستعد للزيارة[١].

- كيف يقف ويدعو. وإنكار عائشة على مَن سُمع مِن المسجد دَقُّه المسامير. وكون على صنع مصراعي بابه خارج المدينة لئلا يؤذي النبي في قبره. وقصة مالك مع المنصور[٢].
- لا فرق بين موته وحياته في مشاهدته لأمته. وكيف السلام عليه[٣].
- قصة العتبي[٤].
- كيف يسلم ويخاطب ويسأله بجاهه وكون النبي يرد السلام[٥].
- حاله في البرزخ أفضل. وكونه حيًا. وسماع سعيد بن المسيب الأذان في القبر[٦].
- ينبغي للزائر الإكثار من الاستغاثة والتوسل. واستشفاع ءادم. وحديث الأعمى[٧].
- وأما التوسل به بعد موته فهو أكثر من أن يحصى. واستغاثة القسطلاني في مرضه[٨].
- ذكر بركته ﷺ[٩].
- بركة وفضيلة المدينة وكون تربتها شفاء. وإجماعهم أن الموضع الذي ضمه أفضل من كل بقاع الأرض حتى الكعبة. وقال الحنبلي أفضل من العرش وقال الفاكهاني

---

(١) الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية (ص٥٩٧).
(٢) المصدر نفسه، (ص٥٩٨).
(٣) المصدر نفسه، (ص٥٩٩).
(٤) المصدر نفسه، (ص٦٠٠-٦٠١).
(٥) المصدر نفسه، (ص٦٠٢).
(٦) المصدر نفسه، (ص٦٠٣).
(٧) المصدر نفسه، (ص٦٠٤).
(٨) المصدر نفسه، (ص٦٠٥).
(٩) المصدر نفسه، (ص٦٠٦).

أفضل من السماوات[١].

- سبب تفضيل تلك البقعة وفضيلة المدينة[٢].
- وينبغي له بعد زيارته أن يقصد المزارات[٣].

٦- كلام العلماء في استحباب التوسل والتبرك:

فإذا قال انعقد إجماع العلماء على النهي عن التوسل والتبرك، قيل له بل كتبهم طافحة باستحباب التوسل والاستغاثة بالأنبياء والصالحين والندب إليه.

١- الشفا للقاضي عياض[٤].

٢- العلل للإمام أحمد[٥].

٣- الإتحاف للزبيدي على الإحياء[٦]:

- صفوان بن سليم، قال يحيى بن سعيد: هو رجل يستسقى بحديثه وينزل المطر من السماء بذكره[٧].

٤- الإتحاف للزبيدي على الإحياء[٨]:

- قال أحمد عن صفوان بن سليم: هو يستسقى بحديثه وينزل القطر من السماء

---

(١) الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية (ص٦٠٧).

(٢) المصدر نفسه، (ص٦٠٨-٦١٠).

(٣) المصدر نفسه، (ص٦١١).

(٤) الشفا (حرمته ميتًا كحرمته حياً وقصة الإمام مالك مع أبي جعفر المنصور، ٢/ ٤٠-٤١).

(٥) العلل (ج٢/ سألته عن الرجل يمس المنبر ويتبرك بمسه ويفعل بالقبر مثل ذلك فقال لا بأس بذلك، المسألة ٢٥٠).

(٦) الإتحاف (ج٥).

(٧) كتاب ترتيب الأوراد، الباب٢، ص٥٥١.

(٨) الإتحاف (للزبيدي ج١٣).

بذكره، وهو مات سنة ١٣٢هـ أي قبل أحمد، ثم ترجمته[١].

٥- الروضة للنووي[٢].

٦- حاشية الهيتمي على إيضاح النووي[٣].

٧- القوانين الفقهية لابن جُزَيّ[٤].

٨- شرح البخاري للعيني[٥]:

- قول الشافعي ومهما قبل من البيت فحسن.
- تقبيل ثابت البناني يد أنس تبركًا بما مس رسولَ الله.
- تقبيل أبي هريرة سرة الحسن تبركًا كذلك.
- الحافظ العلائي يُرِي ابنَ تيمية الورقة القديمة وفيها قول أحمد لا بأس بتقبيل القبر النبوي والمنبر تبركًا وتعجب ابن تيمية من ذلك.
- وشرب أحمد الماء الذي غسل به قميص الشافعي تبركًا.
- وتقبيل ما عظم اللَّهُ حجرًا أو غيره.

٩- دليل الطالب على مذهب أحمد[٦]:

---

(١) كتاب المراقبة (ص٢٤٧-٢٤٨).

(٢) الروضة (قال ومنها أن يستسقي بالأكابر وأهل الصلاح، لاسيما أقارب رسول الله، كتاب صلاة الاستسقاء، ١/ ٦٠٤).

(٣) حاشية الهيتمي على إيضاح النووي (صفة القبور الثلاثة في الحجرة الشريفة وكيف يقف ويدعو، وقصة العتبي، قول الهيتمي والتوسل له أصل عن السلف، وكون مالك يرى استقبال القبر أفضل للدعاء، ص٤٩٨-٤٩٩).

(٤) القوانين الفقهية (الباب١٠، في الزيارة والمواضع المقدسة، قال ويتشفع به إلى الله، ص٩٥).

(٥) شرح البخاري (٩/ ٢٤١).

(٦) دليل الطالب على مذهب أحمد (صلاة الإستسقاء، ص٧٢-٧٤).

• التوسل بالصالحين في الإستسقاء، ونقل المحشي عن الشرح الكبير إستحباب الإستسقاء بمن ظهر صلاحه.

١٠- سبل السلام للصنعاني[١]:

• هذه القصة دليل على الإستشفاع بأهل الخير والتبرك بالمطر[٢].

١١- نيل الأوطار للشوكاني:

• قال ولنتبرك بذكر بعض أحوال هؤلاء الأئمة[٣].

• استحباب الإستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة[٤].

١٢- الشرنوبي الأزهري على متن العِزّية[٥]:

• ومن أحسن ما يقال: يا خير من دفنت بالقاع أعظمه...

٧- أمثلة تبركهم:

فإذا قال لم يريدوا ما ذهبت إليه أفهامُكم وإلاّ لفعلوه، قلنا هاكم أمثلةَ تبرُّكِهم وتوسُّلِهم واستغاثتهم بالأنبياء والصالحين.

١- القصيدة النعمانية لأبي حنيفة[٦].

استغاثة أبي حنيفة بالرسول الأعظم، سؤاله بحق جاهه، ذكر توسل ءادم وسائر النبيين، وقوله ولم يكن لأبي حنيفة في الأنام سواكا.

---

(١) سبل السلام (ج٢).

(٢) المصدر نفسه، (ص٨٢).

(٣) سبل السلام (شرح المقدمة، ١/ ٨-٩).

(٤) المصدر نفسه، (الإستسقاء، ٤/ ٦-٧).

(٥) الشرنوبي الأزهري على متن العِزّية (في العمرة، ص١٢٢).

(٦) كتاب مجموع القصائد (القصيدة النعمانية، ص١٦-١٨).

٢- مجموع القصائد[١].

٣- مجموع القصائد[٢].

٤- الرسالة القشيرية[٣].

٥- الإتحاف للزبيدي على الإحياء[٤]:

- اللهم بحق المشعر الحرام... بلغ روح محمد السلام[٥].
- وبذمة محمد اغفر لي[٦].
- الصحيفة السجادية للإمام على بن الحسين زين العابدين، وفيها قوله: بجاه من انتخبت وبحق من اخترت... تغمدني وتولني...[٧].

٦- تاريخ بغداد للحافظ البغدادي[٨]:

- توسل شيخ الحنابلة الخلال بموسى الكاظم عند قبره.
- قول المحاملي عن قبر معروف: ما قصده مهموم إلا فرج الله همه[٩].
- تبرك الشافعي بأبي حنيفة عند قبره.

---

(١) مجموع القصائد (استغاثة الإمام إبراهيم اللقاني بالرسول الأعظم ﷺ ص٥٦).

(٢) المصدر نفسه، (استغاثة الشيخ ابن مسعود اليوسي بالرسول الأعظم ﷺ، ص٥٧).

(٣) الرسالة القشيرية (معروف الكرخي يُستَشفَى بقبره ويقول البغداديون قبر معروف ترياق مجرب/ ٩).

(٤) الإتحاف (للزبيدي ج٤، أسرار الحج، الباب٢).

(٥) المصدر نفسه، (ص٦٦٣).

(٦) المصدر نفسه، (ص٦٣٨).

(٧) المصدر نفسه، (ص٦٤٣-٦٤٨).

(٨) تاريخ بغداد (١/ ١٢٠).

(٩) المصدر نفسه، (ص١٢٣).

• تبرك الناس بقبر النذور، وقصة التنوخي مع عضد الدولة.

٧- البداية والنهاية لابن كثير[١]:

• تبرك الشافعي بالماء الذي غسل به قميص أحمد.

• تبرك أحمد بشعرات النبي ﷺ[٢].

٨- سير أعلام النبلاء للذهبي[٣]:

• تبرك أحمد بشعرات النبي وقصعته ﷺ.

• سأله عمن يلمس رمانة منبر النبي وحجرته فقال لا بأس بذلك.

• وثب قائمًا وهو يستقبل أخاه.

٩- الوفا لابن الجوزي[٤]:

• سعيد بن المسيب كان لا يعرف أوقات الصلاة أيام الحرة إلا بهمهمة من القبر.

• توسل المنقري بالرسول عند القبر بسبب الجوع، وكان معه الطبراني وأبو الشيخ.

١٠- بهجة النفوس شرح مختصر البخاري لابن أبي جمرة الأندلسي:

• قوله: فجعلته -أي ابن عباس- وأصحابه وسيلة إلى الله[٥].

• قوله: نسأل الله بحرمتهم، وقوله: وبهم يرسل الله الغيث ويرفع الجدب ويرحم البلاد والعباد[٦].

---

(١) البداية والنهاية (١٠/ ٣٣١).

(٢) المصدر نفسه، (ص٣٣٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢١٢).

(٤) الوفا (الباب٣٩، ٢/ ٨٠٢).

(٥) بهجة النفوس شرح مختصر البخاري (المقدمة، ص٥).

(٦) المصدر نفسه، (ص١٠٧).

- قوله: فيه دليل على رد الأرواح إلى الأجساد في القبور[١].
- قوله: أعاد الله علينا من بركتهم[٢].

١١- طبقات الشافعية للتاج السبكي[٣]:

- فاح الطيب من قبر سيدنا البخاري.
- أخذ الناس من تراب القبر تبركًا.
- الإستسقاء عند قبره.
- تشفع الناس به.

١٢- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي القاري[٤]:

- قول الجزري عن البخاري: إني زرت قبره بنيسابور وقرأت بعض صحيحه على سبيل التيمن والتبرك عند قبره ورأيت ءاثار البركة والإجابة في تربته.

١٣- تاريخ الخلفاء للسيوطي[٥].

١٤- ميارة الصغير على ابن عاشر[٦].

١٥- ميارة الكبير على ابن عاشر[٧].

١٦- ترجمة السبكي من ذيل تذكرة الحفاظ لأبي المحاسن الحسيني[٨].

---

(١) بهجة النفوس شرح مختصر البخاري (ص١٢٢).
(٢) المصدر نفسه، (ص١٣٦).
(٣) طبقات الشافعية (٢/ ١٥).
(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ١٧).
(٥) تاريخ الخلفاء (دعا السيوطي بجاه سيدنا محمد، ص٤٨٤).
(٦) ميارة الصغير على ابن عاشر (التوسل بجاه سيدنا محمد، ١٤٧،١٤٦،١٣٦).
(٧) المصدر نفسه، (التوسل بجاه سيدنا محمد، ٤٨٣،٤٨٢،٧).
(٨) ترجمة السبكي من ذيل تذكرة الحفاظ (قول التقي السبكي: لعلي أن أمس بحر وجهي محلًا=

١٧- التيسير في علوم التفسير للدميري.

- قال عن النبي فهو شفيعي ووسيلتي[١].

١٨- توسل العسقلاني من ديوانه أنس الحجر:

- قوله: فاشفع لمادحك الذي بك يتقي أهوالَ يوم الحشر[٢].
- قوله: وفتية لحمى المحبوب قد رحلوا. قال: وكل امرئ بالقبر ملتحفًا[٣].
- قوله: يا سيدي يا رسول الله... فالحظني[٤].
- بباب جودك عبد...، بكم توسل...[٥].
- واقصد له واسأل به تعط المنى[٦].
- وأقسم أيمانًا بحق محمد[٧].
- ولي إن توسلت الهناءُ بمدحه[٨].
- فقلت لها خذي جسمي وروحي لطيبة. فباب محمد باب الرجاء[٩].

= مسه قدم النواوي، ص٣٥٢-٣٥٣).

(١) التيسير في علوم التفسير (الولي العراقي في شرح ألفاظ القرءان على هامش الكتاب).

(٢) توسل العسقلاني (ص٧٢-٧٣).

(٣) المصدر نفسه، (ص٧٦-٧٧).

(٤) المصدر نفسه، (ص٨٤).

(٥) المصدر نفسه، (ص٨٥).

(٦) المصدر نفسه، (ص٩٢).

(٧) المصدر نفسه، (ص٩٩).

(٨) المصدر نفسه، (ص١٠١).

(٩) المصدر نفسه، (ص١٠٧).

- لنعلك وهو رأس في السخاء[1].
- فقل يا أحمد بن على اذهب إلى دار النعيم بلا شقاء[2].
- فرَجِّ نداه إنه الغيث، وخف من سطاه.

١٩- زيادات على شرح الطحاوية للميداني:

- قال محمد أديب الحصني في وصف الغنيمي الميداني شارح الطحاوية: له ولع في زيارة المشاهد[3].
- قول الشيخ عبد الرحمٰن الطيبي الشافعي: بجاه سيدنا محمد ﷺ[4].

٢٠- توسل البوصيري في البردة:

لا طيب يعدل تربًا ضم أعظمه طوبى لمنتشق منه وملتثم[5].

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

ولن يضيقَ رسولَ الله جاهُك بي.

- يا رب بالمصطفى بلغ مقاصدنا واغفر لنا ما مضى...[6].
- بجاه مَن بيتُه في طيبة حرم....[7].

٢١- توسله في القصيدة المضرية:

---

(١) توسل العسقلاني (ص١١٠).
(٢) المصدر نفسه، (ص١١١).
(٣) زيادات على شرح الطحاوية (ص٢٣).
(٤) المصدر نفسه، (ص١٤٩).
(٥) توسل البوصيري في البردة (ص١٥).
(٦) المصدر نفسه، (ص٣٧).
(٧) المصدر نفسه، (ص٣٨).

أرجوك يا رب في الدارين ترحمنا بجاه من في يديه سبح الحجر[1].

- وكن لطيفًا...

بالمصطفى المجتبى خير الأنام ومَن جلالةً نزلت في مدحه السور[2].

٢٢- توسله في الهمزية مع تحقيق وتعليق الشيخ النيفر:

- التعريف بالولي الصالح البوصيري ورتبته بشهادة العلماء الأعلام[3].

كيف ترقى رقيك الأنبياء يا سماءً ما طاولتها سماء[4].

- فحططنا الرحال...[5].
- وقرأنا السلام أكرمَ خلق الله...[6].
- ووجمنا من المهابة...[7].
- يا أبا القاسم...[8].
- بالعلوم التي عليك من الله...[9].

---

(١) القصيدة المضرية (ص٤٤).
(٢) المصدر نفسه، (ص٤٥).
(٣) الهمزية (ص: أ-خ).
(٤) المصدر نفسه، (ص١).
(٥) المصدر نفسه، (ص٣٢٠).
(٦) المصدر نفسه، (ص٣٢١).
(٧) المصدر نفسه، (ص٣٢٣).
(٨) المصدر نفسه، (ص٣٢٦).
(٩) المصدر نفسه، (ص٣٢٧).

- ومسير الصَّبا بنصرك شهرًا...[١].
- وعلي لما تفلت بعينه...[٢].
- وبريحانتين طيبهما منك...[٣].
- ءالَ بيت النبي إن فؤادي...[٤].
- ءال بيت النبي طبتم فطاب المدح فيكم...[٥].
- وبأصحابك الذين هم بعدك فينا...[٦].
- بأبي بكر الذي صح للنا س به في حياتك الاقتداء[٧].
- وأبي حفص...[٨].
- وابنِ عفان...[٩].
- ووزير ابن عمه...[١٠].
- وبباقي أصحابك...[١١].

---

(١) الهمزية (ص٣٢٨).
(٢) المصدر نفسه، (ص٣٢٩).
(٣) المصدر نفسه، (ص٣٣١).
(٤) المصدر نفسه، (ص٣٣٩).
(٥) المصدر نفسه، (ص٣٤٣).
(٦) المصدر نفسه، (ص٣٤٦).
(٧) المصدر نفسه، (ص٢٥٥).
(٨) المصدر نفسه، (ص٣٥٩).
(٩) المصدر نفسه، (ص٣٦٣).
(١٠) المصدر نفسه، (ص٣٦٩).
(١١) المصدر نفسه، (ص٣٧١-٣٧٧).

- وبأم السبطين[١].
- الأمان الأمانَ إن فؤادي...[٢].
- ...ولي إليك التجاء[٣].
- قد رجوناك للأمور...[٤].
- وأتينا إليك أنضاء فقر...[٥].
- فأغثنا يا من هو الغوث والغيث...[٦].

والجواد الذي به تُفْرَجُ الغمةُ عنا وتُكشف الحوباء[٧].

- يا رحيمًا بالمؤمنين[٨].
- يا شفيعًا في المذنبين...[٩].
- جُدْ لعاصٍ...[١٠].
- وتدارَكْهُ بالعناية...[١١].

---

(١) الهمزية (وبأزواجك اللواتي، ص٣٧٨-٣٧٩).
(٢) المصدر نفسه، (ص٣٨٠).
(٣) المصدر نفسه، (ص٣٨٢).
(٤) المصدر نفسه، (ص٣٨٣).
(٥) المصدر نفسه، (ص٣٨٤).
(٦) المصدر نفسه، (ص٣٨٦).
(٧) المصدر نفسه، (ص٣٨٧).
(٨) المصدر نفسه، (ص٣٨٨).
(٩) المصدر نفسه، (ص٣٨٩).
(١٠) المصدر نفسه، (ص٣٩٠).
(١١) المصدر نفسه، (ص٣٩١).

- رحلة لم يزل يفندني الصيف إذا ما نويتها والشتاء[١].
- يا نبي الهدى استغاثةَ مَلهوف...[٢].
- ومن الفوز أن أبثك شكوى...[٣].
- فأثب خاطرًا...[٤].

٢٣- نظم مقدمة ابن رشد للشيخ الرقعي[٥].

٢٤- حاشية السفطي المالكي[٦].

٢٥- السفير اللبنانية٤٠/ ٢٠/ ٥٩/ صورة تسابق المؤمنين في جامع البردة في اسطنبول لتقبيل البردة النبوية الشريفة.

٢٦- كتاب هذا والدي للدكتور البوطي:

- تبرك الشيخ ملا رمضان البوطي بالبيت الذي ولد فيه الرسول ﷺ واعتراضه على الوهابية في منعهم من ذلك[٧].
- اعتراض الدكتور البوطي على الوهابية في منعهم الإحتفال بالمولد النبوي مع كونهم يحتفلون بذكرى مرور كذا وكذا على ولادة أو وفاة ابن عبد الوهاب[٨].

---

(١) الهمزية (ص٤١٠).
(٢) المصدر نفسه، (ص٤٢٨).
(٣) المصدر نفسه، (ص٤٢٨).
(٤) المصدر نفسه، (ص٤٣٤).
(٥) نظم مقدمة ابن رشد (بجاه سيد الورى محمد سيد كل أحمر وأسود، ص٥٧).
(٦) حاشية السفطي المالكي (طلبه من الله من أمداد الرفاعي، ص١٥).
(٧) كتاب هذا والدي (ص٨٦).
(٨) المصدر نفسه، (ص١٢٣).

٨-أ- بحوث للعلماء في إثبات مشروعية التوسل والسفر للزيارة الشريفة:

فإذا استدل بتسويد مشايخه الصحائف بالتبجح المخالف في تشديد النكير على السُّنِّيِّينَ المشاهير ووصمهم ظلمًا بما الرامي به أحق، قلنا له هاكَ بحوثَ علماء أهل السنّة هي لنا سيفٌ مُهَنَّد وجُنَّة.

١- شفاء السقام في زيارة خير الأنام للتقي السبكي:

- الباب ٤ في نصوص العلماء على استحباب زيارة قبر سيدنا رسول الله وبيان أن ذلك مجمع عليه بين المسلمين[١].
- قول القاضي عياض وأبي الطيب والمحاملي والحليمي والماوردي.
- صاحب المهذب والقاضي حسين والروياني والحنفية والحنابلة[٢].
- السامري في المستوعب ونجم الدين بن حمدان وابن الجوزي وابن قدامة وهم حنابلة والكرماني الحنفي وكيف يدعو ويتوسل[٣].
- حديث: «**ما من أحد يسلم على عند قبري**» وقول عبد الحق الصقلي المالكي والتعريف به وابن أبي زيد القيرواني والماوردي[٤].
- نص مالك في الوقوف عند القبر والدعاء وابن أبي زيد القيرواني في النوادر وغيره من المالكية وشرح حديث: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**»[٥].
- شرح قول ابن عقيل: «لا يباح له الترخص»[٦].

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام (ص٦٥).

(٢) المصدر نفسه، (ص٦٦).

(٣) المصدر نفسه، (ص٦٧).

(٤) المصدر نفسه، (ص٦٨).

(٥) المصدر نفسه، (ص٦٩).

(٦) المصدر نفسه، (ص١٢١).

- تدليس ابن تيمية في نقله المنع من الزيارة[١].
- كون ابن تيمية أول من ابتدع منع التوسل والزيارة[٢].
- حديث توسل ءادم بالرسول وتصحيح الحاكم[٣].
- الدليل على جهل ابن تيمية وكذبه[٤].

٢- كتاب إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان[٥]:

- رسالة الوهابي إلى القطر التونسي وجواب أبي حفص عمر بن المفتي قاسم المحجوب عليها؛ استرجاع الحرمين الشريفين من الوهابيين والسرور بذلك[٦].
- بسط القول في تاريخ محمد بن عبد الوهاب وكونه من أتباع ابن تيمية وذمه[٧].
- نص رسالة الوهابي وبسط التمويه في تكفير المتوسل[٨].
- كون ابن عبد الوهاب بنى شبهته على وهم في فهم معنى العبادة وكونه إنما يريد الملك[٩].
- بداية رد الشيخ أبي حفص عمر ابن المفتي قاسم المحجوب على رسالة ابن عبد الوهاب[١٠].

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام (ص١٣٩).
(٢) المصدر نفسه، (ص١٥٣).
(٣) المصدر نفسه، (ص١٥٤).
(٤) المصدر نفسه، (ص١٥٥).
(٥) كتاب إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان (٣/ ٨٠-٩٧).
(٦) المصدر نفسه، (ص٨١).
(٧) المصدر نفسه، (ص٨٢).
(٨) المصدر نفسه، (ص٨٢-٨٥).
(٩) المصدر نفسه، (ص٨٥).
(١٠) كتاب إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان (ص٨٦).

- تشنيعه عليه بسبب تمويهه وقتاله المسلمين وحكمُه عليه بالضلال والفساد في الأرض[١].
- كون التوسل بأصحاب المشاهد ليس عبادة لهم، ومن الدليل: -توسل عمر بالعباس، -قول عمر اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك، -فقد دنونا به إليك[٢].
- قول العباس: تَقَرَّبَ القومُ إليك بمكانتي من نبيك، -وعاد الناس يتمسحون بردائه. شرحه معنى التوسل، وكون الأولياء أحياءً في القبور[٣].
- زعمكم أن قولكم لا خلاف فيه، إلحاد؛ وهدم المشاهد من الضلال المبين؛ الحكم الشرعي في البناء على القبور[٤].
- على تقدير الخلاف في الإبقاء على القباب ليس لك تشديد النكير في الأمر الخلافي؛ القول في زيارة القبور[٥].
- زيارة فاطمة قبر عمها حمزة ؛ شد المطي للزيارة[٦].
- الأحاديث في الزيارة وحديث: «لا تتخذوا قبري وثنًا يعبد»[٧].
- ادعاؤكم الذبح للمشاهد مبالغة؛ والنذر لها[٨].
- أما تهديدكم والوعيد، وأما ظنكم أنكم الفرقة الناجية؛ ورواية: «وهُمْ بالمغرب»[٩].

---

(١) كتاب إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان (ص٨٧).
(٢) المصدر نفسه، (ص٨٨).
(٣) المصدر نفسه، (ص٨٩).
(٤) المصدر نفسه، (ص٩٠).
(٥) المصدر نفسه، (ص٩١).
(٦) المصدر نفسه، (ص٩٣).
(٧) المصدر نفسه، (ص٩٤).
(٨) المصدر نفسه، (ص٩٥).
(٩) المصدر نفسه، (ص٩٦).

- أُخُوَّةُ أهل السنة في الأصقاع؛ وصمه بالضلال؛ انهزام الوهابي[١].

٣- الدليل القويم للشيخ الهرري:

- الرد على من يكفر المتوسل بالأنبياء والأولياء[٢].

٤- الرد على من ينكر التوسل من دروس الإمام الحافظ الهرري[٣]:

- النقل عن الإمام أحمد في كتاب العلل عن مس القبر والرمانة للتبرك[٤].
- نقل البهوتي الحنبلي في الكشاف عن أحمد أنه يتوسل وعن إبراهيم الحربي[٥].
- إثبات البهوتي مشروعية التمسح بالقبر للتبرك بخلاف قول ابن تيمية[٦].
- رد البهوتي على ابن تيمية[٧].
- تبرك الصحابة برمانة المنبر من المصنف لابن أبي شيبة.
- ولهذا خالف ابنُ كثير شيخَه ابنَ تيمية في مسألة الإستغاثة والتوسل. وابن تيمية لا يوثق في النقل[٨].
- نقل ابن تيمية عن أبي حنيفة تحريم التوسل غير صحيح. الثلاثة الذين ءاواهم الغار[٩].

---

(١) كتاب إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان (ص٩٧).

(٢) المصدر نفسه، (ص١٧٣-١٧٤).

(٣) الرد على من ينكر التوسل من دروس الإمام الحافظ الهرري (ص١-١٨).

(٤) المصدر نفسه، (ص١).

(٥) المصدر نفسه، (ص١).

(٦) المصدر نفسه، (ص٢).

(٧) المصدر نفسه، (ص٣).

(٨) المصدر نفسه، (ص٤).

(٩) المصدر نفسه، (ص٥).

- عادة ابن تيمية عزو ضلالاته للأئمة زورًا كقوله بقدم النوع. ادعاؤه الإتفاق على تكفير المتمسح بالقبر مع أن أبا أيوب فعله[١].
- ابن الجوزي وابن عقيل كرها من دون تحريم قَصْدَ القبور للدعاء[٢].
- الحافظ عبد الغافر الفارسي وأن قبره يُزار وتجاب الدعوة عنده قاله ابن عساكر. قول الجزري بأن قبور الصالحين من مواضع إجابة الدعاء[٣].
- التمويه بحديث إذا سألت فاسأل الله والرد بحديث: «**لا تصاحب إلا مؤمنًا**»، وتوسلِ عمر بالعباس[٤].
- الحديث الضعيف: «**إنه لايستغاث بي**»[٥].
- حديث البخاري عن الإستغاثة بآدم يوم القيامة والجواب عن تحريم الزيارة وحديث شد المطي[٦].
- رواية أحمد لحديث شد المطي. وقول الولي العراقي في ابن تيمية. والجواب عن قطع عمر للشجرة من فعل ابنه عبد الله[٧].
- معنى العبادة للزجاج والأصبهاني والسبكي وتفسير الآيات التي يوردون[٨].
- حديث ابن عمر وقوله يا محمد[٩].

---

(١) الرد على من ينكر التوسل من دروس الإمام الحافظ الهرري (ص٦).
(٢) المصدر نفسه، (ص٧).
(٣) المصدر نفسه، (ص٨).
(٤) المصدر نفسه، (ص٩).
(٥) المصدر نفسه، (ص٩).
(٦) المصدر نفسه، (ص١٠).
(٧) المصدر نفسه، (ص١١).
(٨) المصدر نفسه، (ص١٢).
(٩) المصدر نفسه، (ص١٣).

- حديث «اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك» وتحسين العسقلاني والمقدسي[١].
- حديث الأعمى[٢].
- الحديث يطلق على المرفوع والموقوف[٣].
- تخبط الألباني. وكون التوسل والاستغاثة والتوجه والتجوه مؤداها واحد. حديث عام الرمادة وتصحيح البيهقي وابن كثير[٤].

٥- الدليل الشرعي على جواز التوسل بالنبي والأولياء[٥].

- معنى العبادة ليس مجرد التذلل وإلا لكفر كل من أطاع الملوك والعظماء؛ وسجود معاذ[٦].
- حديث الطبراني وخازن عمر[٧].
- حديث: «حياتي خير لكم». وثبت عن أحمد تجويز ذلك. حديث: «لا تصاحب إلا مؤمنًا» و: «يا عباد الله أغيثوا». وتسمية المطر مغيثًا[٨].
- تفسير: (ولا تسمع الصم الدعاء) وكون الميت ترجع له الروح ويسمع[٩].

---

(١) الرد على من ينكر التوسل من دروس الإمام الحافظ الهرري (ص١٤).

(٢) المصدر نفسه، (ص١٥-١٦).

(٣) المصدر نفسه، (ص١٦).

(٤) المصدر نفسه، (ص١٧-١٨).

(٥) الدليل الشرعي على جواز التوسل بالنبي والأولياء (البيان الأول في الرد على نفاة التوسل، جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية، ١-٩).

(٦) الدليل الشرعي على جواز التوسل بالنبي والأولياء (ص٢).

(٧) المصدر نفسه، (ص٣).

(٨) المصدر نفسه، (ص٥).

(٩) المصدر نفسه، (ص٦).

- تفسير: (فلا تدعوا مع الله أحدًا) وقول الحربي وأحمد وعبارات ابن تيمية[١].
- طي كلام ابن تيمية فيه تكفير أبي أيوب. ورد البهوتي عليه. وتبرك الصحابة من مصنف ابن أبي شيبة. وكون الدعاء عند القبور مدعاة لإجابة الدعاء وهذا مشهور[٢].
- ابن تيمية يكذب في النقل. توسل الطبراني وابن المنقري وأبي الشيخ من الوفا لابن الجوزي. ورواية الخطيب البغدادي تبركَ الخلال بقبر موسى الكاظم وقول الحربي في قبر معروف وتبرك الشافعي بأبي حنيفة[٣].
- حديث إذا مات الإنسان انقطع عمله وطلب موسى من نبينا أن يسأل اللَّهَ تخفيف عدد الصلاة عنا. ومعنى الجنائز والدعاء للميت[٤].

٨-ب- (تابع) بحوث للعلماء في إثبات مشروعية التوسل والسفر للزيارة الشريفة:

١ - التوسل بالنبي وبالصالحين للشيخ محمد العربي التبان:

- بعض من رد على ابن عبد الوهاب ومنهم أخوه وابن عابدين والصاوي واعتبروه من الخوارج[٥].
- كون مسائل الكتاب مجمع عليها، واتهامُ الوهابيةِ ألفاظَ دلائل الخيرات بالشرك[٦].
- معاني لفظ دعا[٧].

---

(١) الدليل الشرعي على جواز التوسل بالنبي والأولياء (ص٧).
(٢) المصدر نفسه، (ص٨).
(٣) المصدر نفسه، (ص٩).
(٤) المصدر نفسه، (ص١٠).
(٥) التوسل بالنبي وبالصالحين (ص١).
(٦) المصدر نفسه، (ص٧٥).
(٧) المصدر نفسه، (ص٦٦).

- معنى لفظ العبادة[١].
- تفنيد دعواه الإجماع[٢].
- الدعاء عند قبر معروف الترياق المجرب[٣].
- معاني لفظ الدعاء[٤].
- في حياة الأنبياء من شفاء السقام للسبكي[٥].
- النقل عن الحُصني قوله في ابن تيمية أنه زنديق وأنه ضلل الأئمة[٦].
- مناظرات ابن عباس وعمرَ بنِ عبد العزيز وأبي حنيفة والشافعي للضالين[٧].
- قول ابن عبد الوهاب بتكفير جميع المسلمين وفي الصلاة على النبي جهرًا على المنائر[٨].
- إذنه لكل من تبعه بتفسير القرءان على هواه وهم على هذا اليوم[٩].
- رضاه بمقالات أتباعه البذيئة في النبي عليه الصلاة والسلام وما وقع له مع أخيه الشيخ سليمان[١٠].

---

(١) التوسل بالنبي وبالصالحين (ص٦٦-٦٧).
(٢) المصدر نفسه، (ص١٧٠-١٧١).
(٣) المصدر نفسه، (ص١٧١).
(٤) المصدر نفسه، (ص٢١٢).
(٥) المصدر نفسه، (ص٢١٢-٢١٥).
(٦) المصدر نفسه، (ص٢٣٠-٢٣١).
(٧) المصدر نفسه، (ص٢٣١).
(٨) المصدر نفسه، (ص٢٤٤).
(٩) المصدر نفسه، (ص٢٤٥).
(١٠) المصدر نفسه، (ص٢٤٦).

- تورطه بسبب ابن تيمية في تفسير توسل عمر بالعباس لا بالنبي عليه الصلاة والسلام[١].
- تكفيره المسلمين ومنعه التوسل بجاه النبي تبعًا لابن تيمية وهو مشاقق للنبي عليه الصلاة والسلام[٢].
- أسماء ٤٣ عالمًا ردوا على ابن عبد الوهاب من جميع المذاهب[٣].

٢- مقالات الدجْوي في الرد على التيميين منقولة في كتاب أبي حامد بن مرزوق:

- موجز في تغليط مَن منع التوسل[٤].
- إسناد الأفعال لغير الله مجازًا[٥].
- الموجد الحقيقي هو الله ومع ذلك فالعمل نافع ومنه دعاء الأنبياء وخطاب الموتى في القبور[٦].
- إثبات ابن القيم أن الروح القوية كروح أبي بكر تهزم الجيوش.
- كون الشوكاني أقل تخبطًا منهم وهو يثبت التبرك ولا دليل لهم على أن روح الميت لا تنفع[٧].
- رد على مقال في مجلة أم القرى وأن منعهم التوسل من سفاهاتهم ومعنى إسناد

---

(١) التوسل بالنبي وبالصالحين (ص٢٤٧-٢٤٨).
(٢) المصدر نفسه، (ص٢٤٨).
(٣) المصدر نفسه، (ص٢٤٩-٢٥٤).
(٤) مقالات الدجْوي في الرد على التيميين (ص٢٥٤).
(٥) المصدر نفسه، (ص٢٥٥).
(٦) المصدر نفسه، (ص٢٥٦).
(٧) المصدر نفسه، (ص٢٥٧).

الفعل[1].

- قول أم إسماعيل لما سمعت الصوت: أغث، والتحذير من التكفير جزافًا[2].
- كونهم متكبرين ويجادلون سفهًا وعمدوا إلى ما نزل في الكفار ليرموا به المسلمين[3].
- لا تغتر باستدلالهم بالقرءان على عادة كل المخالفين فهم يفسرونه بالهوى[4].
- النقل عن ابن القيم تأثير الروح بعد الموت ومنها هزيمة الجيوش بأرواح النبي وأبي بكر وعمر[5].
- مناقشة الشوكاني لرأي ابن تيمية في منع التوسل بالنبي واحتجاجه عليه بقدرته على النفع[6].
- حديث الأعمى ورد الشوكاني قول ابن عبد السلام بتخصيص التوسل بالنبي دون غيره[7].
- بيان الشوكاني معنى الآيات التي يُلبّسون بها وأن المتوسل غير مشرك[8].
- تذكير الدجوي بالمقالات السالفة وأن أقوالهم في الأحياء إعتزال وفي الأموات كمنكري البعث[9].

---

(١) مقالات الدجْوي في الرد على التيميين (ص٢٥٧-٢٥٨).

(٢) المصدر نفسه، (ص٢٥٩).

(٣) المصدر نفسه، (ص٢٦٠).

(٤) المصدر نفسه، (ص٢٦١).

(٥) المصدر نفسه، (ص٢٦٢).

(٦) المصدر نفسه، (ص٢٦٣).

(٧) المصدر نفسه، (ص٢٦٤).

(٨) المصدر نفسه، (ص٢٦٥-٢٦٦).

(٩) المصدر نفسه، (ص٢٦٧).

- عبارة ابن قدامة في المغني باستقبال النبي والتسليم عليه والدعاء والتوسل به[١].
- موافقة الحفاظ على حديث الزيارة ومنهم الطبراني[٢].
- ثبوت توسل ءادم به قبل وجوده، وقصة مالك مع المنصور، وقوله تعالى) وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا[٣].
- حديث الأعمى[٤].
- توسل نبينا بسائر النبيين عند دفن فاطمة بنت أسد[٥].
- تبركم بآثاره ومعنى توسل عمر بالعباس[٦].
- بلال بن الحٰرث المزني في عام الرمادة وزيادة بيان في اختيار العباس دون سواه للتوسل به[٧].
- وإذا جاز السؤال بالأعمال وهي مخلوقة فلم لا يجوز بالصالحين[٨].
- لِمَ تُحملُ الاستغاثة بالمخلوق على معنى الشرك وفي القرءان استغاث بموسى الذي من شيعته[٩].
- أين يجدون عند السلف منع التوسل؟ وخطاب النبي لقتلى بدر من الكفار[١٠].

---

(١) مقالات الدجْوي في الرد على التيميين (ص٢٦٨-٢٦٩).
(٢) المصدر نفسه، (ص٢٦٩).
(٣) المصدر نفسه، (ص٢٧٠).
(٤) المصدر نفسه، (ص٢٧١).
(٥) المصدر نفسه، (ص٢٧١-٢٧٢).
(٦) المصدر نفسه، (ص٢٧٢-٢٧٣).
(٧) المصدر نفسه، (ص٢٧٣).
(٨) المصدر نفسه، (ص٢٧٤).
(٩) المصدر نفسه، (ص٢٧٥).
(١٠) المصدر نفسه، (ص٢٧٦).

- سؤالهم عن حياة الشهداء، والأنبياء يوم المعراج[١].
- التوسل يراد به الطلب من الله. وعرض الأعمال على النبي[٢].
- شفاعة مشيعي الجنازة بصاحبها، ووجاهة موسى وعيسى في القرءان[٣].
- اعتقادنا التسبب والاكتساب[٤].
- عدم الحديث المانع من سؤال الموتى يعني الجواز لأنه لا مانع منه شرعًا؛ ورد شبهة الموت[٥].
- قول عثمان بن حنيف: يا محمد اشفع لي عند ربك؛ وعلى فرض أن الميت لا عمل له...[٦].
- مع كون النبي أفضل الخلق توسل بالمفضول وعَلَّمَ عمر مثله[٧].
- دعاء الميت داخل في دعاء الأخ لأخيه[٨].
- معنى الوسيلة التي أمر المؤمنون بابتغائها منها التي علم الأعمى أن يفعلها[٩].
- الأمة كلها مجمعة على جواز التوسل قبل ابن تيمية وبعده وكون الوهابية تبع للخوارج[١٠].

---

(١) مقالات الدجْوي في الرد على التيميين (ص٢٧٧).
(٢) المصدر نفسه، (ص٢٧٨).
(٣) المصدر نفسه، (ص٢٧٩).
(٤) المصدر نفسه، (ص٢٨٠).
(٥) المصدر نفسه، (ص٢٨١).
(٦) المصدر نفسه، (ص٢٨٢).
(٧) المصدر نفسه، (ص٢٨٣).
(٨) المصدر نفسه، (ص٢٨٤).
(٩) المصدر نفسه، (ص٢٨٥).
(١٠) المصدر نفسه، (ص٢٨٦).

- لو كان للوهابية رأي غير تكفير المسلمين[١].
- حديث عثمان بن مظعون وشهادة أم العلاء لِمُهاجريٍّ مات والشهادة على الجنازة التي وجبت[٢].
- المجازفة في ذم من لم يذمه المعصوم وتناقض من يثبت عود الروح والحياة ويمنع التوسل[٣].
- نسبة ابن القيم قول أن الله فوق سماواته لله ولموسى زورًا وكون عقيدته التشبيه[٤].
- عقيدة أن الله بذاته على العرش أو قاعد عقيدة شيطانية وأن ابن القيم يكذب على الأشعري[٥].
- من المحال حصر الأمة المحمدية بأقلية من المشبهة المكفرة[٦].
- تقسيم ابن تيمية التوحيدَ إلى قسمين وأن النبي لم يكن يأمر بذلك[٧].
- الاكتفاء بلا إلـه إلا الله للدلالة على الإيمان[٨].
- من المحال صدق ابن عبد الوهاب في ادعائه كُفْرَ الأمة منذ ٦٠٠ سنة وحصر الأمة فيهم وتكفير كل أهل الجزيرة العربية[٩].

---

(١) مقالات الدجْوي في الرد على التيميين (ص٢٨٧-٢٨٨).
(٢) المصدر نفسه، (ص٢٨٩).
(٣) المصدر نفسه، (ص٢٩٠).
(٤) المصدر نفسه، (ص٢٩١).
(٥) المصدر نفسه، (ص٢٩٢).
(٦) المصدر نفسه، (ص٢٩١-٢٩٥).
(٧) المصدر نفسه، (ص٢٩٥-٢٩٦).
(٨) المصدر نفسه، (ص٢٩٦-٢٩٨).
(٩) المصدر نفسه، (ص٢٩٩).

- تكذيبه المعصوم بالنسبة لكون مكة تبقى دار إسلام ولا تحل بعد النبي...[١].
- أحاديث في أفضلية هذه الأمة على سائر الأمم[٢].

٣- البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للشيخ الدجْوي:

- رد شبهة في معنى توسل عمر بالعباس[٣].
- عليك السلام تحية الأموات[٤].
- بدعة ابن تيمية في مسألة الطلاق وإثباته الجهة للخالق من الدَّوّاني وقول السبكي فيه[٥].
- وأبيض يستسقى الغمام بوجهه؛ قبر معروف؛ والإقسام على الله؛ وعرض الأعمال[٦].
- كون النبي نورًا بمعنى الهادي لا بمعنى إنكار البشرية وقول الشافعي بتبركه بأبي حنيفة[٧].
- الاستغاثة عند الألوسي وحديث «لا يستغاث بي» الضعيف[٨].
- ابتداء التصنيف في مواجهة القبر الشريف[٩].
- مسألة الزيارة من أبشع المسائل المنسوبة لابن تيمية؛ قصد أبي هريرة الطور؛

---

(١) مقالات الدجْوي في الرد على التيميين (ص٣٠٠).
(٢) المصدر نفسه، (ص٣٠١-٣٠٤).
(٣) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر (ص٣٦-٣٧).
(٤) المصدر نفسه، (ص٣٧).
(٥) المصدر نفسه، (ص٥٠).
(٦) المصدر نفسه، (ص٥١).
(٧) المصدر نفسه، (ص٥٤).
(٨) المصدر نفسه، (ص٥٥).
(٩) المصدر نفسه، (ص٥٦).

الشافعي وقبر الكاظم؛ قول الغزالي في الاستمداد من الميت[١].

- كفر المشركين بعبادة غير الله لا بمجرد المحبة؛ ومعنى العبادة[٢].
- فعلم أن زيارة الصالحين مرغبة[٣].
- تبرك علماء الهند بتراب الحجرة وحديث «يا عباد الله أعينوا»[٤].
- إذا خدرت رجله وكلام ممتع للصاوي عن بركة أسماء أهل الكهف[٥].
- حب الصالحين يورث الخير[٦].
- التوسل من قبيل التمسك بالأسباب؛ والأولياء ليسوا أربابًا[٧].
- التبرك بالنعل الشريف من رسائل العلماء ومنهم التلمساني[٨].
- لو كان التوسل بالذوات ممنوعًا عند أبي حنيفة لما توسل أصحاب مذهبه[٩].
- إبراء عيسى الأكمه نسب له مجازًا ومع ذلك لا مانع من نسبة الفعل له[١٠].
- التوسل كان معروفًا زمن السلف؛ قصة العتبي؛ وتقريب موسى من الأرض المقدسة[١١].

---

(١) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر (ص٦٠).
(٢) المصدر نفسه، (ص٧٠-٧١).
(٣) المصدر نفسه، (ص٧٢).
(٤) المصدر نفسه، (ص٧٣).
(٥) المصدر نفسه، (ص٧٤).
(٦) المصدر نفسه، (ص٧٥).
(٧) المصدر نفسه، (ص٧٦).
(٨) المصدر نفسه، (ص٧٧).
(٩) المصدر نفسه، (ص١٣٤).
(١٠) المصدر نفسه، (ص١٣٥).
(١١) المصدر نفسه، (ص١٣٦).

• إخفاء قبر دانيال وقطع الشجرة وشرح ذلك وتبرك الصحابة بالآثار الشريفة[١].

٨-ت- (تابع) بحوث للعلماء في إثبات مشروعية التوسل والسفر للزيارة الشريفة:

١- الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل للشيخ جميل الزهاوي:

• كتب أحمد للمروزي أنه يتوسل إلى الله بالنبي؛ وإبراهيم الحربي مع قبر معروف[٢].

• مشايخ الحنابلة يُجَوِّزُونَ التوسل ومنهم جد ابن عبد الوهاب[٣].

• توسل عمر ومعاوية وبلال بن الحٰرث وقصة عثمان بن حنيف وتوسل ءادم.

• كون ابن تيمية أول من ابتدع منع التوسل وتذبذب ابن تيمية في المنع بين الإستغاثة والتوسل[٤].

• قصة مالك مع المنصور وشرح ءاية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ للشرنبالي وتوسل الشافعي بالآل[٥].

• قصة العتبي[٦].

٢- ردود على أباطيل للشيخ محمد الحامد[٧]:

• نداء الصالحين والشروع في الرد على من يحرم التوسل ويكفر المتوسل[٨].

---

(١) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر (ص١٣٧).

(٢) الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل (ص٢٥).

(٣) المصدر نفسه، (ص٢٥).

(٤) المصدر نفسه، (ص٢٦).

(٥) المصدر نفسه، (ص٢٧).

(٦) المصدر نفسه، (ص٢٨).

(٧) ردود على أباطيل القسم الثاني.

(٨) المصدر نفسه، (ص٣٩).

- جواز التوسل بالرسل والأولياء[١].
- حديث: «**اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك**»[٢].
- حديث: «**بحق نبيك والأنبياء من قبلي**»[٣].
- حديث الأعمى؛ وتوسل ءادم[٤].
- الإمام مالك مع المنصور[٥].
- توسل عمر بالعباس عام الرمادة لدفع توهم عدم جواز التوسل بغير النبي[٦].
- لِمَ توسل بالعباس دون غيره[٧].

٣- الرسائل الغمارية[٨].

- مقدمة المعلق في بيان حال الألباني عند علماء الزمان؛ الدليل على تذبذبه وجهله واتباعه الهوى[٩].
- أبيات: إن التوسل جائز في شرعنا[١٠].
- كون الألباني صاحب غرض وهوى وحمدي السلفي من المخدوعين به[١١].

---

(١) ردود على أباطيل (ص٤٠).
(٢) المصدر نفسه، (ص٤١).
(٣) المصدر نفسه، (ص٤٢).
(٤) المصدر نفسه، (ص٤٣-٤٤).
(٥) المصدر السابق (ص٤٤-٤٥).
(٦) المصدر نفسه، (ص٤٥).
(٧) المصدر نفسه، (ص٤٦).
(٨) الرسائل الغمارية (جزء في الرد على الألباني، للشيخ أبي الفضل عبد الله الغماري الحسني).
(٩) الرسائل الغمارية (ص٨٢-٩٨).
(١٠) المصدر نفسه، (ص١٠٢).
(١١) المصدر نفسه، (ص١٠٣).

- حديث الأعمى بطوله من الطبراني[١].
- تصحيح الطبراني وتعقب حمدي السلفي تبعًا للألباني[٢].
- أثر عثمان بن حنيف رواه البيهقي في الدلائل وصححه المنذري والهيثمي[٣].
- التعريف بأحمد بن شبيب وتوثيقه وتدليس الألباني[٤].
- عادتهم أن يرووا باختصار مرةً وبالتمام مرة ولا يفيد ذلك الضعف؛ وشأن يعقوب ابن سفيان[٥].
- تصحيح الحاكم وتوثيقه شبيبًا[٦].
- رواية ابن أبي خيثمة الصحيحة في تاريخه[٧].
- ابن تيمية جريء في رد الأحاديث التي لا توافق هواه ومنها «**كان الله ولم يكن شيء غيره**»[٨].
- مناقشة ابن تيمية ترجيحه بين روايات الحديث السابق لاعتقاده قدم العالم[٩].
- الاقتصار على قصة الضرير كافٍ وليس فيه تخصيص بزمن دون زمن[١٠].

---

(١) الرسائل الغمارية (ص١٠٤).
(٢) المصدر نفسه، (ص١٠٥).
(٣) المصدر نفسه، (ص١٠٦).
(٤) المصدر نفسه، (ص ١٠٧-١٠٨).
(٥) المصدر نفسه، (ص١٠٩).
(٦) المصدر نفسه، (ص١١٠).
(٧) المصدر نفسه، (ص١١١).
(٨) المصدر نفسه، (ص١١٢).
(٩) المصدر نفسه، (ص١١٣-١١٤).
(١٠) المصدر نفسه، (ص١١٥).

- السلام عليك أيها النبي بهذه الصيغة في التشهد علمه أبو بكر وعمر رغم الألباني[١].
- عرض الأعمال على النبي ثابت صحيح[٢].
- التواتر والإجماع أن النبي حي في قبره وأن جسده لا يبلى[٣].
- الألباني عنيد وهو غير مؤتمن بل يستعمل التدليس[٤].
- من بدعه منعه تسويد النبي في الصلاة وسبه الأشاعرة بأقذع السب وهو كابن تيمية[٥].
- رمى ابنَ تيمية علماءُ عصره بالنفاق والزندقة[٦].

٨-ث- (تابع) بحوث للعلماء في إثبات مشروعية التوسل والسفر للزيارة الشريفة:

١- دفع شبه مَنْ شبَّهَ وتَمَرَّد للتقي الحصني:

- بعض ضلالات ابن تيمية ومنها التجسيم والطعن في ابن عمر والأئمة[٧].
- التفريق بين حاليه في الحياة والموت مؤداه إلى القول بأنه كان رسولًا وانتهى ذلك؛ ذَكَرَهُم ابنُ حزم وهو كفر منهم[٨].
- ندبُ عمرَ كعبَ الأحبار لزيارة قبر المختار؛ نص فتوى ابن تيمية الزائغة في منع

---

(١) الرسائل الغمارية (ص١١٦).
(٢) المصدر نفسه، (ص١١٧-١١٨).
(٣) المصدر نفسه، (ص١١٨).
(٤) المصدر نفسه، (ص١١٩).
(٥) المصدر نفسه، (ص١٢٠).
(٦) المصدر نفسه، (ص١٢١).
(٧) دفع شبه مَنْ شبَّهَ وتَمَرَّد (ص٦٤).
(٨) المصدر نفسه، (ص٦٥-٦٦).

التوسل[١].

- كونُ ذلك من الزيغ الذي لم يَسبق زنديقَ حرّانَ إليه أحدٌ مع أنّ جاه النبي عظيم[٢].
- القرءان يأمر المؤمنين بتعظيم النبي عليه الصلاة والسلام[٣].
- الآيات في عظم فضله وإقسام الله به[٤].
- تفسير ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴿٨٩﴾﴾[٥].
- توسل ءادم وتصحيح الحاكم له[٦].
- من عظيم قدر المصطفى ذكره في الشهادة وإشهارها في كل زمان[٧].
- قصة مالك مع المنصور[٨].
- لم يطعن في القصة الآنفة أحد قبل الفاجر ابن تيمية[٩].
- قصة العتبي[١٠].
- قصة سفيان الثوري مع الرجل الذي رءاه يطوف ولا يزال يصلي على الحبيب[١١].

---

(١) دفع شبه مَنْ شبَّهَ وتَمَرَّد (ص٦٧).
(٢) المصدر نفسه، (ص٦٨).
(٣) المصدر نفسه، (ص٦٩).
(٤) المصدر نفسه، (ص٧٠).
(٥) المصدر نفسه، (ص٧١).
(٦) المصدر نفسه، (ص٧٢).
(٧) المصدر نفسه، (ص٧٣).
(٨) المصدر نفسه، (ص٧٣-٧٤).
(٩) المصدر نفسه، (ص٧٤).
(١٠) المصدر نفسه، (ص٧٥).
(١١) المصدر نفسه، (ص٧٨).

- حديث الأعمى[١].
- حرمته ميتًا عند الصحابة وزيارة قبره من ابن الجوزي وعمل الإمام على بابه بعيدًا[٢].
- عدم فناء أجساد الأنبياء ونزول الملائكة كل يوم لِحفّ قبر المصطفى ورده السلام[٣].
- ابن الجزري الشافعي وابن الجلاء في حماية المصطفى[٤].
- أبو الخير الأقطع في جوار النبي وغيره من الأكابر.
- إغاثة النبي مَن استغاث به ومشاهدة خادم الحجرة لعجائب عند القبر الشريف[٥].
- قصة ذبح الأمير مقلد عدوِّ الصاحبين بموسى خاص بأمر النبي في المنام وتحقق ذلك يقظةً[٦].
- ذبح ءاخر في المنام وتحقق وفاته تلك الساعة؛ وقصة من رد عليهم المصطفى سلامة الأعين[٧].
- الرجل الذي رأى الثعبان العظيم الملتف على جثة ابن تيمية في قبره[٨].
- حكاية الشيعي الذي مسخ خنزيراً والصالح الأمي الذي تعلم القرءان باستغاثته بالنبي...[٩].

---

(١) دفع شبه مَنْ شبَّهَ وتَمَرَّد (ص٧٩-٨٠).
(٢) المصدر نفسه، (ص٨١).
(٣) المصدر نفسه، (ص٨٢).
(٤) المصدر نفسه، (ص٨٤).
(٥) المصدر نفسه، (ص٨٥).
(٦) المصدر نفسه، (ص٨٦).
(٧) المصدر نفسه، (ص٨٧).
(٨) المصدر نفسه، (ص٨٨).
(٩) المصدر نفسه، (ص٨٩).

- إغاثة النبي للمستغيثين به؛ أبو العباس اللواتي مع الباجي وكلام الرفاعي في الاستغاثة[١].
- حكايات المستغيثين بالنبي ونجاتهم به ﷺ[٢].

٢- مقالات الإمام اللوذعي محمد زاهد الكوثري رحمه الله:

- بناء مساجد على القبور والصلاة إليها، رد على الآمرين بهدمها من الوهابية[٣].
- الأبي المالكي في شرح مسلم وعبد الغني النابلسي وغيرهما يجوزان ذلك[٤].
- المدونة لابن القاسم والأم للشافعي وابن حزم في المحلى وجواز البناء على قبور الصالحين[٥].
- ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ وقول النووي في المجموع والحاكم في المستدرك[٦].

٣- محق التقول في مسألة التوسل من المقالات للكوثري[٧]:

- كون الداعين إلى إنكار التوسل هم المجسمة وكون مرادهم تكفير الأمة[٨].
- كون ذلك لا يصدر إلا عن القائلين بفناء الأرواح وعدم البعث[٩].

---

(١) دفع شبه مَنْ شبَّهَ وتَمَرَّد (ص٩٠).
(٢) المصدر نفسه، (ص٩١).
(٣) مقالات الإمام اللوذعي محمد زاهد الكوثري (ص١٥٦).
(٤) المصدر نفسه، (ص١٥٧).
(٥) المصدر نفسه، (ص١٥٨).
(٦) المصدر نفسه، (ص١٥٩).
(٧) محق التقول في مسألة التوسل (ص٣٧٧-٣٧٨).
(٨) المصدر نفسه، (ص٣٧٨).
(٩) المصدر نفسه، (ص٣٧٨-٣٧٩).

- شرح توسل عمر بالعباس من الاستيعاب لابن عبد البر[١].
- توسل بلال بن الحٰرث وقصة عثمان بن حنيف؛ وجمع طائفة كبيرة من الأئمة للنقول في ذلك[٢].
- ثبوت صحة ذلك عند أئمة المعقول كالرازي ورؤياه بأبيه ورؤيا الفردوسي برستم[٣].
- شرح الرازي دليل الانتفاع بالموتى وكيف ذلك من كتابه المطالب العالية[٤].
- تفسير السعد التفتازاني جواز نفع الميت للأحياء عقلًا في رده على الفلاسفة من شرح المقاصد[٥].
- تفسير الجرجاني أيضًا صحة ذلك عقلًا؛ والشروع في ذكر الأدلة النقلية ومنها توسل عمر[٦].
- شرح العسقلاني لتوسل عمر والآيات ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ ﴿٨٩﴾﴾وقوله ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴿٦٤﴾﴾[٧].
- رواية البخاري لتوسل عمر وفي ذلك أن توسلهم به غير طلب الدعاء[٨].
- مالك الدار والقصة من الفتح للعسقلاني؛ وحديث الأعمى في تاريخ البخاري[٩].

---

(١) محق التقول في مسألة التوسل (ص٣٨٠).
(٢) المصدر نفسه، (ص٣٨١).
(٣) المصدر السابق (ص٣٨٢).
(٤) المصدر نفسه، (ص٣٨٣-٣٨٤).
(٥) المصدر نفسه، (ص٣٨٥).
(٦) المصدر نفسه، (ص٣٨٦).
(٧) المصدر نفسه، (ص٣٨٧).
(٨) المصدر نفسه، (ص٣٨٨).
(٩) المصدر نفسه، (ص٣٨٩).

- صحح حديث الأعمى قريب من ١٥ حافظًا والتعريف بأبي يزيد الخطمي[١].
- تصحيح حديث فاطمة بنت أسد وتوثيق حديث توسل ءادم[٢].
- إقرار مالك بصحة توسل ءادم وكون جرح ابنِ عبد الهادي بنَ حميد إهمال لمن وثقه[٣].
- توثيق سائر سلسلة حديث الأعمى رغم ابن عبد الهادي؛ ودعاء المشي للمسجد[٤].
- تصحيح الحديث المذكور وذكر من رواه[٥].
- معنى التوسل بالمؤمنين في الدعاء المذكور ومعنى بحق السائلين على اللَّه[٦].
- رد الشبه في بيان درجة حديث «لايستغاث بي» وشرح «فاستعن باللَّه» و﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[٧].
- خلاصة القول في ما تقدم والإحالة على مصباح الظلام لأبي عبد اللَّه التلمساني المالكي[٨].

٤- فقه السيرة للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي:

- قوله: علمتنا شريعتنا أن نستسقي ببركة الصالحين؛ وتشرف المكان بالرسول[٩].

---

(١) محق التقول في مسألة التوسل (ص٣٩٠).
(٢) المصدر نفسه، (ص٣٩١).
(٣) المصدر نفسه، (ص٣٩٢).
(٤) المصدر نفسه، (ص٣٩٣).
(٥) المصدر نفسه، (ص٣٩٤).
(٦) فقه السيرة (ص٣٩٥).
(٧) المصدر نفسه، (ص٣٩٦).
(٨) المصدر نفسه، (ص٣٩٧).
(٩) المصدر نفسه، (ص٦٢).

- قوله: الذي يهمنا هو التأمل في تبرك أبي أيوب بآثار أصابع النبي فالتبرك مشروع[١].
- كون البخاري ومسلم رويا صورًا من التبرك بالنبي؛ والرد على الألباني[٢].
- التوسل والتبرك ثابتان ويدلان على معنى واحد[٣].
- ما تنخم الرسول نخامة إلا وقعت في كف أحد الصحابة[٤].
- التبرك أمر مندوب إليه ولافرق بين حالي حياته ومماته وضل أقوام لم تشعر أفئدتهم بحب النبي فأنكروا التوسل بذاته بعد وفاته[٥].
- قوله: كان الصحابة يتوسلون بآثار النبي وفضلاته والنقل عن الأئمة استحباب التوسل[٦].

٩- كون التصوف من مفاخر أهل السنة:

فإذا قال التوسل باب للبدع ومن نتائجه التصوف وهو غلوٌّ مذموم، قلنا له بل التصوف الصافي من مفاخر أهل السنة بشهادة علماء الأصول وليس فيه بدع بل أئمته من أكابر علماء أهل السنة وأقوالُهم من مظانّها شاهدٌ عدلٌ، ولا اعتبار بكلام جهلة الصوفية في شطحهم لأن التصوف بريء منهم براءة السلف والسُّنّة من منكري التوسل والمشبهة.

١- إيقاظ الهمم لابن عجيبة الحسني:

- قول مالك: من تصوف ولم يتفقه وشرحه؛ وكونه من الشريعة؛ وأن عليًا أول من

---

(١) فقه السيرة (ص١٨٨).
(٢) المصدر نفسه، (ص١٨٩).
(٣) المصدر نفسه، (ص١٩٠).
(٤) المصدر نفسه، (ص٣٢٥).
(٥) المصدر نفسه، (ص٣٢٦).
(٦) المصدر نفسه، (ص٣٢٧).

تكلم فيه ثم تسلسل إلى الأكابر أمثال الجنيد والكرخي[١].

- أسماء أكابر الصوفية في سند المؤلف؛ واشتقاق اسم التصوف[٢].

٢- كشاف القناع للبهوتي[٣]:

- مدح الإمام أحمد للصوفية وعذره إياهم في تواجدهم.

٣- التعرف لمذهب التصوف لأبي بكر محمد بن إسحق الكلاباذي المتوفى سنة ٣٨٠ هـ:

- الباب الأول قولهم في الصوفية ولم سميت بذلك[٤].
- لصفاء أسرارها[٥].
- لصفاء القلب؛ الصف الأول يوم الحساب؛ لقربهم من أهل الصُّفَّة؛ للبسهم الصوف[٦].
- سموا غرباء وجوعية[٧].
- وصف السري السقطي لهم؛ ما يتعلق بأوصافهم ولباسهم[٨].
- لبس الصوف والعباء وكون ذلك من لباس النبيين[٩].

---

(١) إيقاظ الهمم (ص٦).
(٢) المصدر نفسه، (ص٧).
(٣) كشاف القناع (ج٥).
(٤) التعرف لمذهب التصوف (ص٩-٢١).
(٥) المصدر نفسه، (ص٩).
(٦) المصدر نفسه، (ص١٠).
(٧) المصدر نفسه، (ص١١).
(٨) المصدر نفسه، (ص١٢).
(٩) المصدر نفسه، (ص١٣).

- كان عيسى يلبس الصوف وكذلك نبينا[١].
- الحرث بن مالك والعزوف عن الدنيا؛ ومؤمن حقًا؛ والتَّنَوُّر؛ وفِراسة المؤمن[٢].
- إن الحق لينطق على لسان عمر[٣].
- الذين لا يرقون ولا يسترقون؛ وصَحَّتْ معارفهم بالله[٤].
- بندار بن الحسين: الصوفي من اختاره الحق لنفسه؛ أبو على الروذباري: من لبس الصوف...[٥].
- سهل التستري وأبو الحسن النوري والجنيد في تعريف التصوف[٦].
- التستري: عليك بالصوفية؛ يوسف بن الحسين: وديعة الله هم الصوفية[٧].
- ذو النون مع المرأة التي وصفت الصوفية بآيات وأبيات[٨].
- ذكر بعض من نطق بعلومهم بعد الصحابة ومنهم على زين العابدين وابنه الباقر وابنه جعفر[٩].
- بعد على والحسن والحسين ثم أويس القرني والحسن البصري وأبو حازم[١٠].

---

(١) التعرف لمذهب التصوف (ص١٤).
(٢) المصدر نفسه، (ص١٥).
(٣) المصدر نفسه، (ص١٦).
(٤) المصدر نفسه، (ص١٧).
(٥) المصدر نفسه، (ص١٨).
(٦) المصدر نفسه، (ص١٩).
(٧) المصدر نفسه، (ص٢٠).
(٨) المصدر نفسه، (ص٢١).
(٩) المصدر نفسه، (ص٢١).
(١٠) المصدر نفسه، (ص٢٢).

- والفضيل بن عياض وسفيان بن عيينة وإبراهيم بن أدهم[١].
- وسليمان الداراني وذو النون والسري السقطي وبشر الحافي ومعروف[٢].
- والبسطامي والبلخي[٣].
- والتستري والأبهري[٤].
- فيمن نشر علوم الإشارة منهم: الجنيد وابن عطاء وعمرو بن عثمان المكي[٥].
- من صنف في المعاملات منهم[٦].

٤- الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي:

- كون الصوفية من مفاخر أهل السنة[٧].

٥- التبصير في الدين لأبي المظفر الإسفراييني:

- كونهم من مفاخر أهل السنة[٨].
- ومن علومهم التصوف[٩].

٦- الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم القشيري المتوفى سنة ٤٦٥ هـ:

---

(١) التعرف لمذهب التصوف (ص٢٣).
(٢) المصدر نفسه، (ص٢٤).
(٣) المصدر نفسه، (ص٢٥).
(٤) المصدر نفسه، (ص٢٦).
(٥) المصدر نفسه، (ص٢٧-٢٨).
(٦) المصدر نفسه، (ص٢٩).
(٧) الفرق بين الفرق (أصناف أهل السنة، ٦/ ٢٤٢).
(٨) التبصير في الدين (الفصل ٣/ ١٨٧).
(٩) المصدر نفسه، (ص١٩٢).

- المقدمة وفيها بيان أنه كتب الرسالة للصوفية وأنهم لم يبق منهم إلا أثر في زمنه[١].
- كون أكثر صوفية زمانه أدعياء؛ والشروع في بيان اعتقاد الصوفية السُّنِّيّ الصافي[٢].
- كلام للجنيد والبوشنجي وابن منصور والواسطي في نفي الحد والمكان والزمان والجسم عنه سبحانه[٣].
- ابن فورك عن أبي عثمان المغربي في نفي المكان عن الله؛ كلام للواسطي والجنيد وذي النون[٤].
- الإسفرائيني مع النصراباذي؛ وكلام للجنيد في نفي الاتصال والانفصال عنه؛ جعفر الصادق[٥].
- مختصر كلام الصوفية في الاعتقاد[٦].

٧- مختصر الدر الثمين والمورد المعين شرح منظومة ابن عاشر في الفقه المالكي للعلامة ميارة:

- كتاب مبادئ التصوف وفيه شرح معناه من توبة واستغفار وإخلاص...[٧].

---

(١) الرسالة القشيرية (ص٢).

(٢) المصدر نفسه، (ص٣).

(٣) المصدر نفسه، (ص٤).

(٤) المصدر نفسه، (ص٥).

(٥) المصدر نفسه، (ص٦).

(٦) المصدر نفسه، (ص٧).

(٧) مختصر الدر الثمين والمورد المعين شرح منظومة ابن عاشر في الفقه المالكي (ص١٣٧-١٣٩).

٨- مذكرات الدعوة والداعية للشيخ حسن البنا:

- جمعية منع المحرمات[١].
- التزامه الطريقة الحصافية وكان وردهم كل ليلة عقب العشاء وكانوا ينشدون ويذكرون جهرًا[٢].
- مواظبته على ورد الطريقة الزروقية؛ وتعلقه بمؤسس الحصافية لما قرأ عن أمره بالمعروف وعلمه[٣].
- نماذج من نهي الحصافي الوجهاءَ عن المنكر وعدم ممالأته للناس[٤].
- ما روى له والده عن الحصافي ورؤياه إياه في المنام يصد إبليس اللعين ويطرده بيده[٥].
- زيارته للقبور لاسيما قبر الشيخ الحصافي ومواظبته على الحضرة الصوفية[٦].
- شيء من أساليب شيخه الحكيمة؛ صلته الحسنة به حتى بعد إنشاء جمعيات الإخوان[٧].
- مدحه التصوف في نشأته وطرقه النافعة للمجتمع وتربية النفوس والرقي بها[٨].

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية (ص١٤).
(٢) المصدر نفسه، (ص١٥).
(٣) المصدر نفسه، (ص١٦).
(٤) المصدر نفسه، (ص١٧).
(٥) المصدر نفسه، (ص١٨).
(٦) المصدر نفسه، (ص١٩).
(٧) المصدر نفسه، (ص٢٠).
(٨) المصدر نفسه، (ص٢١).

- ذمه شطحات جهلة الصوفية مع الإقرار بكون التصوف الصافي من أكبر العوامل في نشر الدين[١].
- لو أن الأزهر مع الصوفية ومع الجمعيات العملية التقوا لكانت أمة لا نظير لها؛ إستغراقه في التصوف أيام دمنهور[٢].
- يدافع عن منزلة الأولياء والصوفية والرحلة لزيارة الأولياء ولو على ٢٠ كم[٣].
- ليلة الجمعة وسماعهم من الإحياء عن التصوف وأحوال الأولياء[٤].
- ذكر الولي القطب الدسوقي[٥].
- خروجهم موكبًا يمدحون جهرًا احتفالًا بالمولد؛ ومثال عظيم على صبر شيخه الصوفي[٦].
- أحد أفراد جماعة الإخوان كان ترزيًا في معسكر الجيش الإنجليزي (ذكره ولم يشر إلى تكفيره)[٧].
- مدحه للصوفية والتقشف عند ذكر الشيخ العرفي[٨].

٩- تربيتنا الروحية لسعيد حوى:

- كان يريد تسمية الكتاب: تصوف الحركة الإسلامية[٩].

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية (ص٢٢).
(٢) المصدر نفسه، (ص٢٣).
(٣) المصدر نفسه، (ص٢٤-٢٥).
(٤) المصدر نفسه، (ص٢٩).
(٥) المصدر نفسه، (ص٣٥).
(٦) المصدر نفسه، (ص٤٤-٤٥).
(٧) المصدر نفسه، (ص٧٦).
(٨) المصدر نفسه، (ص٩٣).
(٩) المصدر نفسه، (ملاحظة، ٦).

- حاجة الحركة الإسلامية إلى وضوح فهم التصوف؛ وندرة الكتاب الصوفي السني المحرر[١].
- اعتراضه على الذين جعلوا التصوف علمًا للخاصة أو رموزًا علمًا أنه للكل[٢].
- أكابر المجاهدين كانوا صوفية ومنهم الشيخ شامل الشيشاني والسنوسيون[٣].
- رد في الجولات على منكري علم التصوف وهنا يرد على غلاة الصوفية[٤].
- قوله إن ٩٠٪ من الأمة لهم صلة بالتصوف بشكل من الأشكال[٥].
- نقل عن البنا في رسالة التعاليم ومن المؤتمر ٥ أن طابع الحركة الإسلامية صوفي؛ إسم التصوف[٦].
- اعتباره الكتاب سلمًا للقراءة في كتب التصوف ولايغني عن صحبة الشيوخ ومجاهدة النفس[٧].
- جُلُّ اعتماده في الكتاب كان على كتب الصوفية؛ وكون التصوف هو فهم البنا لنهج الحركة[٨].
- كون المسماة بالحركة السلفية غامضة وفيها الهدم[٩].

---

(١) تربيتنا الروحية (ص٧).
(٢) المصدر نفسه، (ص٨).
(٣) المصدر نفسه، (ص٩).
(٤) المصدر نفسه، (ص١٠).
(٥) المصدر نفسه، (ص١١).
(٦) المصدر نفسه، (ص١٧).
(٧) المصدر نفسه، (ص١٨).
(٨) المصدر نفسه، (ص١٩).
(٩) المصدر نفسه، (ص١٩).

- كون البنا أرادها صوفية أصيلة؛ التصوف نزعة أصيلة في الدعوة[1].
- اعتماد البنا ما يناسب الرتب عند الصوفية في تنظيم الإخوان / ٢٠-٢١.

١٠- تخبط ابن تيمية وجماعته إلى يومنا في أمر التبرك والتوسل والاستغاثة:

ثم نقول له: سلفكم ابن تيمية وابن القيم مع خلفهما ابنِ عبد الوهاب ثم مع خلفهم وهابيةِ زماننا اختلفت وتخبطت أقوالهم وتناقضت وتباينت في مسائل التوسل والاستغاثة ونفع الموتى للأحياء وانتفاعهم بهم، حتى ظهر لكل ناظر متجرد عن الهوى أن كلام سلفكم حرب على خلفكم وأقوالَ سلفكم شِركٌ على مُقتضى ما يحكم به خلفكم من حيث لا يشعرون، وهذه نخبة من تخبطهم لسد الأبواب عليكم بكلام مشايخ مذهبكم.

١- البداية والنهاية لابن كثير[2]:

- نقل عن ابن تيمية قوله: لا يستغاث إلا بالله، لا يستغاث بالنبي ولكن يتوسل به ويتشفع به إلى الله اهـ وكان ذلك في مجلس القاضي ابن جماعة بمصر فحكم بحبسه لقلة أدبه مع النبي ﷺ[3].
- قال عن مشيعي جثة ابن تيمية: وتبركوا برؤيته وتقبيله ا هـ (مع أن ابن تيمية كان يكفر المتبرك بالميت، وهذا يدل على جهل الناس بحاله)[4].

٢- الكتاب المسمى قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية:

- وصمه بالشرك من استشفع بالملائكة أو نادى غائبًا بقوله سل اللَّهَ كذا وكذا...[5].

---

(١) تربيتنا الروحية (ص٢٠).
(٢) البداية والنهاية (ج١٤).
(٣) المصدر نفسه، (ص٤٥).
(٤) المصدر نفسه، (ص١٣٥).
(٥) الكتاب المسمى قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص١٧).

- أنكر أن يكون أحدٌ من الصحابة والتابعين سأل النبيَّ شيئًا بعد موته ودعواه الإجماع على ذلك[١].
- تكفيره على خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد الموت مطلقًا.
- قوله إن دعاء الله بالنبي مع نداء يا محمد مروي عن بعض السلف وعن أحمد في منسك المروزي[٢].
- قال عن توسل عمر بالعباس إنه من أظهر الاجماعات الاقرارية[٣].

٣- المسمى الكلم الطيب لابن تيمية:

- إذا انفلتت دابته فلينادِ: «يا عباد الله احبسوا»[٤].
- إذا خدرت رجله يقول: «يا محمد»[٥].

٤- المسمى مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية جمع البعلي:

- تكفيره من ظن أن الدعاء عند القبور أفضل منه في المساجد ودعواه الاجماع على ذلك[٦].
- ادعاؤه عدم جواز القصر في السفر لقبور الأنبياء ونسب ذلك زورًا لابن عقيل[٧].
- جمله ابن بطة في المتقدمين.
- جعله الغزالي من المتأخرين وابن عقيل من المتقدمين.

---

(١) الكتاب المسمى قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص١٨).
(٢) المصدر نفسه، (ص٨٩).
(٣) المصدر نفسه، (ص١٠٣).
(٤) المسمى الكلم الطيب (الباب٣٩، ح ١٧٦، ص٧٠).
(٥) المصدر نفسه، (الباب٥٧، ح ٢٣٤-٢٣٥، ص٨٨).
(٦) المسمى مختصر الفتاوى المصرية (ص٥٧).
(٧) المصدر نفسه، (ص٧٠).

- ادعاؤه الإجماع على تبديع من سافر لزيارة قبور الأنبياء وأن السلف ما فعلوه.
- تكذيبه من قال إن الميت ينفع واعتباره ذلك شركًا[١].
- سماع الموتى قرع النعال وتفسيره الآية) فإنك لا تسمع الموتى (بسماع الكفار للانتفاع[٢].
- اتصال أرواح المؤمنين التي في الجنة بأجسادهم[٣].
- قول مالك إن الروح مرسلة.
- تعرف الموتى على أحوال الأحياء وتزاور الأرواح واستتار عائشة من عمر في قبره.
- ادعاؤه الإجماع على بناء المساجد على القبور.
- مذهب أحمد وأبي حنيفة وغيرهما وصول ثواب العبادة البدنية للميت[٤].
- تكفيره من طلب من مخلوق شفاء مريض أو وفاء دين أو نصرًا على عدو.
- تلبيسه في جمل طلب مغفرة الذنوب مع طلب النصر والعون من العباد[٥].
- تكفيره من قال يا سيدي أنا في حسبك أو انصرني على من ظلمني[٦].
- قال فليس في الزيارة المشروعة للقبور حاجة للحي إلى الميت أو توسل به.
- ادعاؤه حرمة سؤال الميت الدعاء[٧].

---

(١) المسمى مختصر الفتاوى المصرية (ص١٧٨).
(٢) المصدر نفسه، (ص١٨٩).
(٣) المصدر نفسه، (ص١٩٠).
(٤) المصدر نفسه، (ص١٩١).
(٥) المصدر نفسه، (ص١٩١-١٩٢).
(٦) المصدر نفسه، (ص١٩٢).
(٧) المصدر نفسه، (ص١٩٣).

- ادعاؤه حرمة النذر لمن جاور القبر.
- ادعاؤه الإجماع على عدم فضيلة الصلاة عند قبور الأنبياء وعدم مشروعيتها عند المشاهد.
- ادعاؤه الإجماع على حرمة التمسح بقبر النبي أو تقبيله[1].
- تفريقه بين سؤال النبي في حياته أو بعد مماته وادعاؤه أن ذلك بعد موته عبادة له.
- قوله إن من أعظم الشرك الاستغاثة بالميت[2].
- إنكاره ورود الدعاء ببركة المخلوق أو جاهه أو حرمته عن أحد من السلف.
- نقله عن ابن عبد السلام نهيه عن الدعاء بجاه غير النبي[3].
- حديث توسل الأعمى ونقله استدلال طائفة بالحديث على التوسل بالنبي حيًا وميتًا.
- تشكيكه بصحة حديث الأعمى[4].
- زعمه أن دعاء الأعمى ليس استغاثة بالنبي أو دعاءه.
- حديث «**اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك**».
- زعمه أن طائفة لم تر في حديث الأعمى أكثر من التوسل به في حضرته حيًا.
- التوسل هو على زعمه اقتصار على سؤاله وهو حي حاضر الدعاء.
- أنكر أن يكون أحد من العلماء جوز التوسل بالنبي أو الصالحين بعد الموت أو

---

(١) المسمى مختصر الفتاوى المصرية (ص١٩٤).

(٢) المصدر نفسه، (ص١٩٥).

(٣) المصدر نفسه، (ص١٩٦).

(٤) المصدر نفسه، (ص١٩٦).

غائبين أو أن يكونوا استحبوا ذلك في الاستسقاء أو الاستنصار أو غير ذلك[١].

- قوله لا شك في النهي عن وضع الرؤوس عند الكبراء من الشيوخ[٢].
- جعله القول بانقضاء الحاجة ببركة مخلوق منكرًا وزورًا.
- قال فمن جعل الملائكة واسطة أو سأل اللَّهَ بهم فهو كافر بالاجماع[٣].
- قوله إن الله يقي الناس بالسابقين من المهاجرين والأنصار المكاره وليس ذلك خاصًا بأهل الصُّفَّة[٤].
- ادعاؤه عدم وجوب زيارة النبي عليه الصلاة والسلام بالاتفاق[٥].
- ادعاؤه عدم صحة شيء في أحاديث الزيارة[٦].
- تسميته المسافر لزيارة المشاهد والقبور مشركًا[٧].
- نسبته تحريم ذلك لجمهور العلماء وتحريم قصر الصلاة في ذلك السفر[٨].
- قال إنَّ اتخاذ شيء من القبور والآثار والأشجار والأحجار ونحوها للتبرك شرك[٩].
- قال كل ما يُعَظَّم من الأحجار والقبور والأشجار يجب أن يزال[١٠].

---

(١) المسمى مختصر الفتاوى المصرية (ص١٩٦-١٩٧).
(٢) المصدر نفسه، (ص١٩٧).
(٣) المصدر نفسه، (ص٢٦٧).
(٤) المصدر نفسه، (ص٣١٥-٣١٦).
(٥) المصدر نفسه، (ص٣١٧).
(٦) المصدر نفسه، (ص٣١٧).
(٧) المصدر نفسه، (ص٥١٤-٥١٥).
(٨) المصدر نفسه، (ص٥١٥).
(٩) المصدر نفسه، (ص٥٥٠).
(١٠) المصدر نفسه، (ص٥٥١).

- قال باستتابة وقتل من قال إنه يُشفى بمثل هذه النذور.
- قال لو نذر لشيخ معين على قصد طلب قضاء الحاجة منه كان معصية.
- جمل السري السقطي في الصالحين مع أحمد والأوزاعي -والوهابية يجعلونه داعيًا للشرك-[1].

٥- الكتاب المسمى اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية:

- تحريمه السفر لزيارة القبور ونسبته ذلك لابن عقيل وابن بطة وجعلهم من المتقدمين[2].
- جعله الغزالي من المتأخرين[3].
- قوله رخص أحمد وغيره في التمسح بالمنبر والرمانة وعلى قول بالقبر[4].
- إثباته صحة سماع رد سلام النبي من القبر وما جاء عن ابن المسيب من سماعه[5].
- إثباته صحة مجيء الرجل عام الرمادة إلى القبر شاكيًا... ومثل ذلك كثير.
- كون ما يذكر من الخوارق الحاصلة عند قبور الصالحين حق[6].
- كون المسجدين على قبري الشافعي وأبي حنيفة مغصوبين على زعمه[7].
- كون اعتقاد فضيلة الدعاء عند القبور باب للشرك على زعمه.
- إنكاره انتفاع الميت بقراءة القرءان عند قبره بلا خلاف على زعمه مع اثبات وصول

---

(١) المسمى مختصر الفتاوى المصرية (ص٥٩٧).

(٢) الكتاب المسمى اقتضاء الصراط المستقيم (ص٢٩٦).

(٣) المصدر نفسه، (ص٢٩٧).

(٤) المصدر نفسه، (ص٣٣٣).

(٥) المصدر نفسه، (ص٣٣٨).

(٦) المصدر نفسه، (ص٣٣٩).

(٧) المصدر نفسه، (ص٣٤١).

ثواب العبادات البدنية عند أحمد وأبي حنيفة[١].

- اثبات صحة المعروف عن ابن عمر من تتبعه ءاثار المصطفى للتبرك[٢].
- تتبع ابن عمر ومثله ابنه سالم لآثار النبي تبركًا برواية البخاري وترخيص أحمد في ذلك[٣].
- زعمه أن الصحابة كلهم لم يكونوا موافقين ابن عمر في تبركه[٤].
- تخطئته ابن عمر في تبركه مع أن بعض العلماء ومنهم أحمد استحبوا قصد المشاهد.
- قوله إن تحري ءاثار النبي للتبرك أمر بدعي وإن كان ابن عمر فعله[٥].
- عدم اعتباره حجية فعل ابن عمر بل كونه على زعمه ذريعة للشرك[٦].
- رده تفسير القاضي عياض كراهة مالك لفظ زرنا القبر لأجل اللفظ لا للزيارة[٧].
- نقل المروزي في منسكه عن أحمد في التوسل بالنبي صحة انعقاد اليمين بالنبي[٨].
- تمويهه بالرواية عن أبي حنيفة كراهة سؤال الله بمعاقد العز من العرش أو بحق الخلق.

٦- المسمى الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم[٩]:

---

(١) الكتاب المسمى اقتضاء الصراط المستقيم (ص٣٤٢).

(٢) المصدر نفسه، (ص٣٤٧).

(٣) المصدر نفسه، (ص٣٤٨).

(٤) المصدر نفسه، (ص٣٤٩).

(٥) المصدر نفسه، (ص٣٥١).

(٦) المصدر نفسه، (ص٣٥٢).

(٧) المصدر نفسه، (ص٣٦٠).

(٨) المصدر نفسه، (ص ٣٦٦).

(٩) الكتاب المسمى الوابل الصيب من الكلم الطيب (المكتبة الثقافية-بيروت).

- إذا انفلتت دابته ينادي: «يا عباد الله احبسوا»[١].
- إذا خدرت رجله يقول: «يا محمد»[٢].

٧- المسمى الفوائد لابن القيم[٣]:

- كون الملك يأذن لبعض أوليائه بالشفاعة لبعض طلاب الحوائج ليقضيها كرامة للشافع[٤].

٨- المسمى الروح لابن القيم[٥]:

- تلقين الموتى معمول به فهو حق ولولا سماع الموتى لكان التلقين عبثًا[٦].
- احتجاجه بانتشار التلقين شرقًا وغربًا على صحته ولو لم يثبت الحديث[٧].
- تفسير ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ٢٢﴾ بالكافر ميت القلب فلا ينتفع لا أن الموتى لا يسمعون[٨].
- قول مالك إن الأرواح مرسلة وإن أرواح الموتى تروح وتجيء حقًا[٩].
- قال وقد تواترت الرؤيا من أصناف بني ءادم على فعل الأرواح بعد موتها ما لا تقدر عليه حال اتصالها بالبدن من هزيمة الجيوش الكثيرة كما كان من روح النبي وأبي

---

(١) الكتاب المسمى الوابل الصيب من الكلم الطيب (المكتبة الثقافية-بيروت) (الفصل ٣٧/ ص١١٧).

(٢) المصدر نفسه، (الفصل ٥٢/ ص١٢٥).

(٣) الكتاب المسمى الفوائد (ضبط عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية-بيروت).

(٤) المصدر نفسه، (ص١٢٦).

(٥) الكتاب المسمى الروح (دار الفكر-بيروت).

(٦) المصدر نفسه، (ص١٦).

(٧) المصدر نفسه، (ص١٦-١٧).

(٨) المصدر نفسه، (ص٥٧).

(٩) المصدر نفسه، (ص١٢٧).

بكر وعمر[1].

٩- المسمى الجواب الكافي لابن القيم:

• تسميته مشركًا من قبل قبرًا أو استلمه[2].

١٠- كتاب أحكام تمني الموت لمحمد بن عبد الوهاب صححه وقابله بالمكتبة السعودية بالرياض عبد الرحمٰن بن محمد السدحان وعبد الله بن عبد الرحمٰن الجبرين.

الصحيفة	الموضوع
٦	-الملائكة هم أهل السماء.
١٠	-أنَّ الموتى يرون ما لا نراه.
	-تلقين الميّت.
	-عن جلساء الميت.
	-إثْبات عَوْدِ الرُّوح إلى الجسد بعد الموت.
١١	-إثبات كلام للموتى.
	-الرّؤيات عن الموتى وإعادة الروح لأجسادهم وكلامٌ وأعمالٌ للموتى في قبورهم.
١٥	-الميت يعرف من يغسله ويحمله ويكفنه ويدليه في حفرته.
	-الموتى يسمعون ثناء الناس عليهم.
	-جواب الرسول لمن سأله كيف تكلم الموتى.

(١) الكتاب المسمى الروح (ص١٢٨).

(٢) الكتاب المسمى الجواب الكافي (ص١١٧).

١٧ –دفن الموتى وسط قوم صالحين لأنَّ الميت يتأذى بجار السوء كما يتأذى الحيّ بجار السُّوء.

–وهذا دليل على الانتفاع بالصّالحين بعد موتهم.

١٩ –سماع الموتى للأحياء.

–قعود الموتى بعد دفنهم في قبرهم.

–تلقين الموتى.

–إعادة الروح للموتى.

٢٠ –ذِكْرُ المؤلف ضغطة القبر لسعد بن معاذ (وهو غير صحيح).

٢٤ –عن الأنوار في بعض القبور وأنَّ البعض رءاها.

–ولأبي داود وغيره عن عائشة قالت: «لما مات النجاشي كنا نتحدّث أنه لا يزال يُرى على قبره نور».

–رؤية البعض لقبور فسحت مدّ البصر وأنّ البعض لا يرى ذلك في نفس القبر.

٢٥ –دليل تنوير بعض القبور وعدم الشعور بالوحشة. ولسعيد في سننه عن الحَسن قال: قال موسى: «يا ربِّ ما لمن عاد مريضًا؟ قال: يُوَكِّلُ بِهِ ملائكةً يعودونه في قبره حتى يُبعث». يَرَى المسلمُ عملَه في قبره.

٢٦ –عذاب القبر وأصوات منه.

٢٧ –سماع البهائم عذاب من في قبورهم يعذبون.

٢٨ –رؤية البعض لبعض عذاب مَن يُعَذَّبُ في قبره.

٣٢ –مغادرة لبعض الأموات قبورهم إلى أماكن أخرى.

٣٧ –كشف بعض أمور عذاب القبر لبعض الناس.

٤٠ -أخرج مسلم عن أنس أن النبي ﷺ ليلة أسري به مَرَّ بموسى ﷺ وهو قائم يصلي في قبره.

-ولأبي نُعَيْم عن جُبَيْر قال: أنا، واللَّهِ الذي لا إلـه إلا هو أدخلت ثابتًا البناني في لَحْدِهِ، ومعي حميد الطويل، فلما سوَّيْنا عليه اللَّبِن، سقطت لبنة، فإذا أنا به يصلي في قبره.

-والبعض سمع قراءة القرءان من قبر ثابت البُناني.

-وللترمذي وحسنه عن ابن عباس قال: ضرب بعضُ أصحابِ النّبي ﷺ خِباءَهُ على قبر، وهو لا يَحْسِبُ أنّه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فأتى النبيَّ ﷺ فأخبره فقال رسولُ الله ﷺ: «هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر».

٤١ -موتى يتزاورون في قبورهم.

-موتى يتزاورون في أكفانهم.

٤٢ -استبشارُ بعضِ الأموات بقُدُوم من يقدم عليه مِن إخوانه، فيستبشر به كما يستبشر أهل الغائب بقدومه في الدنيا.

٤٣ -كلامٌ سُمِعَ من داخل قبر لاستقبال الميّت.

-ارتداد بصر لِميّت حين مات.

-توسعة القبر مدّ البصر.

٤٤ -إثبات قصّة العلاء بن الحضرمي وخروجه من قبره بعد دفنه وإذا اللحد مدّ البصر نورًا يتلألأ.

-وجود ريحانة تهتز على صدر ميت دفن بقرب الإمام أحمد.

-وجود طاقة ياسمين طرية على صدر ميت أذكى من المسك.

٤٥ -إثبات خروج رائحة المسك من قبر سعد بن معاذ.
-إثبات إنسان قبض قبضة من تراب قبر سعد، فذهب بها، ثم نظر إليها بعد ذلك فإذا هي مسك.
-الرسول ﷺ ذَكَرَ عن إطعام الحور العين لميّت من ثمار الجنة.
-وللترمذي عن أبي هريرة مرفوعًا: «رأيت جعفرًا يطير في الجنة مع الملائكة».
٤٦ -إثبات عَوْد الروح للجسد في القبر.
-قول الرسول ﷺ عن ميّت في قبره: «أمّا سُرُوري فَلِمَا رأيتُ من كَرامَةِ رُوحِهِ على اللَّه وأمَّا إعراضي عنه فإنّ زوجتَه من الحور العِين الآنَ عند رأسه».
-الميت يعرف مَنْ يُسَلِّم عليه ويردّ السلام.
-عائشة تشدّ ثيابها عليها في بيتها حياءً من سيدِنا عمر بعد موته لأنه مدفون في حُجرتها.
٤٧ -وللبيهقي والحاكم عن أبي هريرة مرفوعًا: «أشهد أنهم أحياء عند اللَّه فزوروهم وسلّموا عليهم، فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلَّا ردّوا عليه إلى يوم القيامة».
-وأخرج ابن سعد عن ابن المسيب أنه كان يلازم المسجد أيام الحرة والناس يقتتلون، قال: فكنت إذا حانت الصلاة أسمع أذانًا يخرج من قِبَلِ القبر النبوي.
-ميّت يقرأ القرءان.
٤٨ -سيدنا عمر بن الخطاب قال عن ميّت: فاذهبوا بنا إلى قبره. فأتى عمرُ ومَن معه القبرَ، فقال عمر: يا فلان (ولِمَن خاف مَقام ربّه جنّتانِ) فأجابه الفَتَى مِن داخل القبر: يا عُمَرُ قد أعطانيهما ربي في الجنة مرّتين.

٥٠ -إثبات قصة زيد بن خارجة الذي تكلم بعد موته.

٥١ -إثبات زيارة القبور والدعاء والاستغفارُ للمَوْتَى.

٥٢ -السّلام على أهل القبور وردّهم للسّلام.

٥٤ -الموتى يتعارفون.

-عن أرواح الموتى.

٥٥ -إثبات أنّ الموتى ينفعون بعد مماتهم وأنّ أولادَ المؤمنين في جبل في الجنة يكفُلُهم إبراهيم وسارة، حتى يَرُدَّهم إلى ءابائهم يومَ القيامة.

٥٦ -ما حصل لجعفر مع الملائكة بعد موته، وكونه له أجنحة.

٦٠ -إثبات التّوسّل والاستغاثة والاستعانة بالأولياء وإثبات الكرامة لهم حتى بعد مماتهم.

٦١ -ولابن أبي الدنيا عن زيد بن أسلم قال: كان في بني إسرائيل رجل قد اعتزل الناس في كهف جبل، وكان أهلُ زمانه إذا قُحِطوا استغاثوا به، فدعا اللَّهَ فسقاهم، فمات، فأخذوا في جهازه، فبينما هم كذلك إذا هم بسرير يرفرف في عنان السماء حتى انتهى إليه، فقام رجل، فأخذه فوضعه على السرير، فارتفع السرير والناس ينظرون إليه في الهواء حتى غابَ عنهم.

-إثبات خروج الموتى من قبورهم.

٦٢ -ذهب رجلان ليحفرا قبر ميّت فجاءا فقالا: قد أصبنا قبرًا محفورًا في صخرة، كأنما رفعت الأيدي عنه الساعة. فكفنوه ودفنوه، ثم التفتوا فلم يروا شيئًا.

-وأخرجه أحمد في الزهد عن عبد الله بن سلمة، وفي ءاخره فقال بعضنا لبعضٍ: لو رجعنا فعلّمنا قبره، فرجعنا فإذا لا قبر ولا أثر.

٦٣ -تكلُّم الموتى وسماع صوتهم.

-ولابن المبارك وغيره عن أبي أيوب قال تُعرض أعمالُكُم على الموتى فإن رأوا حسنة فرحوا وإن رأوا سيئة قالوا: اللهم راجع به.

٦٤ -عرض أعمالٍ على بعض الموتى.

٦٥ -ولأبي نعيم عن ابن مسعود قال: صِلْ من كانَ أبوك يصِل، فإنّ صِلَةَ الميت في قبره أَنْ تَصِلَ مَنْ كان أبوك يواصله.

-حصول أمور للميت.

٦٦ -وأخرج أبو الشيخ عن قيس بن قبيصة مرفوعًا: «مَن لم يوصِ لَمْ يُؤْذَنْ له في الكلام مع الموتى»، قيل يا رسول الله وهل يتكلم الموتى؟ قال: «نعم، ويتزاورون».

-التقاء أرواح.

٦٧ -إثبات وصيّة ميّت بعد وفاته في رؤيا مع إثبات الاستفادة من الأموات بعد مماتهم.

٧١ -عن تأثّر الميّت.

٧٢ -إثبات أنَّ السماوات مسكن الملائكة.

-والرّدّ على مَنْ يستدلّ بحديث الجارية.

-إثبات الدعاء للأموات وانتفاعهم بذلك.

-إثبات حديث: «**من سنّ سنّة حسنة ومن سنّ سنة سيئة**».

٧٤ -وللطبراني عن ثوبان: أن رسول الله ﷺ قال: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، واجعلوا زيارتكم لها صلاة عليهم واستغفارًا لهم.

-هديةُ الأحياء إلى الأموات الاستغفار لهم».

٧٥ -والسنة الحسنة يسنها الرجل فيُعْمَلُ بها بعد موته، والمائة إذا شفَعوا في الرجل شُفِّعُوا فيه.

-وأخرج سعد الزنجاني عن أبي هريرة مرفوعًا: «مَن دخل المقابر ثم قرأ فاتحة الكتاب، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، ثم قال: إني جعلتُ ثواب ما قرأت من كلامك لأهل المقابر من المؤمنين والمؤمنات كانوا شفعاء له إلى الله تعالى.

-وأخرج عبد العزيز صاحب الخَلال بسنده عن أنس مرفوعًا: «من دخل المقابر، فقرأ سورة يس، خفَّف اللَّهُ عنهم وكان له بعدد مَن فيها حسنات».

-إثبات قراءة القرءان عند القبور.

-إثبات السّنّة الحسنة والعمل بها.

-إثبات نفع بعض الأموات لبعض الأحياء.

٧٦ -صلاتُنا على النّبيّ تُعرَضُ عليه وقول الرّسول: «إن الله حرّم على الأرض أجساد الأنبياء».

٧٧ -الشهيد لا يأكله الدود في قبره.

- على الرغم مما ذكره إمام الوهابية محمد بن عبد الوهاب ها هم الوهابية يفتون بما يخالفون به إمامهم ويكفّرونه ويتناقضون معه وإليك التالي من شذوذ أقوالهم:

١١- المسمى تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله ابن محمد بن عبد الوهاب/ الدار البيضاء:

• قوله إن من شرك الغلاة زعمهم أن أرواح الأولياء تتصرف بعد الموت فيقضون الحاجات[1].

(١) المسمى تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص٤٤).

- قال لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك[١].
- عدَّ من أمثلة الشرك الذي هو أشد من شرك أهل الجاهلية على زعمه من قال إذا أصابه شيء يا على أو يا عبد القادر أو يا ابن علوان أو يا بدوي أو يا عيدروس[٢].
- سبه الأشاعرة مع الرافضة والقدرية والجهمية والمعتزلة[٣].

١٢- المسمى إقامة البراهين على من استغاث بغير الله لابن باز[٤]:

- ذكره استهجانه قصيدة الشاعرة ءامنة صاحبة الأبيات التي فيها: يا رسول الله أدرِكْ عالَمًا... أدرك أمةً...[٥].
- تكفيره الشاعرة ءامنة وقوله عن أبياتها من أعظم الشرك[٦].
- دعوته الشاعرة إلى التوبة مما سماه من أعظم الشرك بالندم والإقلاع والعزم على ألا تعود (مع أن الرجوع عن الكفر يكون بالشهادتين، والتوبة المذكورة هي من المعاصي مما دون الردة).

١٣- المسماة مجلة المجاهد (لوهابية أفغانستان)[٧]:

- سؤال عن حكم الإسلام في إحياء الآثار الإسلامية مثل غار ثور وحراء وتعبيد الطرق إليها ليعرف جهاده ﷺ ويتأسى به؟

---

(١) المسمى تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص٢١٤).

(٢) المصدر نفسه، (ص٢٢٢).

(٣) المصدر نفسه، (ص٣٠٧).

(٤) المسمى إقامة البراهين على من استغاث بغير الله (رئاسة الإفتاء في السعودية)، المنشورة في صحيفة المجتمع الكويتية في ١٩/ ٤/ ١٣٩٠هـ.

(٥) المصدر نفسه، (ص٧-٩).

(٦) المصدر نفسه، (ص١٩).

(٧) المسماة مجلة المجاهد (لوهابية أفغانستان، السنة٤، جمادى الأولى والثانية ١٤١٢هـ/ يناير وفبراير ١٩٩٢ر، العددان ٣٧-٣٨، ص٦٤، صحيفة الفتاوى أجاب عليها المدعو ابن باز).

- فأجاب: إن العناية بالآثار الإسلامية على وجه التعظيم يؤدي إلى الشرك.

١٤- المسماة مجلة المجاهد[١]:

- سؤال إذا جاء أحد عند قبر النبي ليصلي ويسلم عليه هل يسمعه ويراه وهل هذه العقيدة شرك؟

- فأجاب: لا يجوز أن يُقال إنه يسمع ذلك وزعم أنه لم يجد ما يدل على سماعه ﷺ صلاتهم وسلامهم.

- قال: إنه ﷺ لا يعلم أحوال أهل الدنيا ولا ما يحدث منهم لأن الميت -على زعمه- قد انقطعت صلته بالدنيا.

١٥- المسمى المجموع الثمين لمحمد بن صالح العثيمين[٢]:

- الجواب ٦٧: اعتبر قصد القبور للدعاء لنفسه بدعة[٣].

---

(١) المسماة مجلة المجاهد (السنة ٥، العدد ٥٠/ شوال ١٤١٤هـ/ أبريل ١٩٩٤ر، ص٣٧، باب الفتاوى، أجاب عليها المدعو ابن باز).

(٢) المسمى المجموع الثمين (ج١، فتاوى العقيدة، جمع فهد بن ناصر السليمان، مكتبة الثقافة، عدن).

(٣) المصدر نفسه، (ص٩٥).

- جوابًا على السؤال عن صحة رد الأرواح إلى الموتى الإثنين والخميس قال: هذا لا أصل له.
- قال وأما أن يسأل الأموات ويتوسل بهم فهو محرم ومن الشرك ولا فرق بين قبر النبي وقبر غيره لا يجوز أن يتوسل أحد بقبر النبي أو بالنبي بعد موته[١].
- قال وأما الأموات فدعاؤهم شرك أكبر مخرج عن الملة[٢].
- تحريمه السفر لزيارة النبي.

١٦- المسمى فتاوى العقيدة لمحمد بن صالح العثيمين[٣]:

- قال[٤] الاستجارة بالنبي بعد موته منكرة لا تجوز وشرك أكبر.
- عن حكم من يقول[٥]: يا محمد أو يا على عند الشدة فقال: إن كان يريد دعاء هؤلاء والاستعانة بهم فهو مشركٌ شركًا أكبر مخرجًا من الملة.
- عن حكم النفث في الماء فقال[٦] إن كان للبركة فلا شك حرام لأنه لا يُتبرك بغير ءاثار النبي.

---

(١) المسمى المجموع الثمين (ص٩٥-٩٦).

(٢) المصدر نفسه، (ص٩٦).

(٣) المسمى فتاوى العقيدة (دار الجيل -بيروت، مكتبة السنة-القاهرة).

(٤) المصدر نفسه، (س١٠٢، عن الاستجارة بالنبي، ص٢١٧-٢١٨).

(٥) المصدر نفسه، (س١٠٣، ص٢١٨).

(٦) المسمى فتاوى العقيدة (س١٦٦، ص٣١٤).

القَلائِد

فِيمَا أُجمِعَ علَيهِ مِن العَقائِد

شَرْح وَتَحْقيق وَتَعْليق

الشيخ جميل محمّد عَلي حليم الأَشْعَريّ الشّافعيّ الحسيني

دكتور محاضر في العقائد والفِرَق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الَّذِي بَعَثَ سَيِّدَنا مُحمّدًا بالمَحَجّةِ البَيضاءِ، وَجَعَلَ سَبِيلَ أُمَّتِه السَّبِيلَ السَّواءَ، وأَشهَدُ أن لّا إله إِلّا اللهُ شَهادةً أَنجُو بِها يَومَ القِيامةِ مِن الرَّمْضاء، وأَشهَدُ أنّ سيِّدَنا مُحمَّدًا سيِّدُ الرُّسل والأنبياءِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وزِدْ وبارِك وأَنعِمْ وأَكرِمْ علَيه وعلَى ءالِه وأَصحابِه ما عادَتِ الشَّمسُ علَى الدُّنيا بالنُّور والضِّياءِ.

أمّا بَعدُ، فإنَّ أقوامًا مِن المَخذُولِينَ قد تَنطَّعُوا في أيّامِنا بِدَعوَى تَعمِيم الاجتِهادِ وأنّهُم قد استَوَوا معَ الأَئِمّة الفُحولِ الأَعلامِ بِدَعوَى أنهّم رِجالٌ وأولئكَ رِجالٌ، وهَيهاتَ هَيهاتَ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ثُمّ زادُوا في غَيِّهِم يَعمَهُون حتَّى أنكَرُوا حُجِّيةَ الإجماعِ؛ فأَرَدتُّ أنْ أجمَعَ أصُولًا أَجمَعَ علَيها عُلَماءُ المُسلِمِينَ فِي العَقِيدة، وقدَّمتُ لذَلِكَ مُقدِّمةً فِي مَعنَى الإجماعِ وانعِقادِه، راجِيًا مِن اللهِ تَعالَى أنْ يَنفَع بِها طالِبِي الحَقِّ، وَهو حَسْبِي ونِعمَ الوَكِيلُ.

معنَى الإجماعِ وحُجّيَّتُه وبَيانُ كَيفيّةِ انعِقادِه

اعلم أنّ الإجماع لغةً يطلق بمعنيين: أحدُهما العَزمُ علَى الشّيء، والثّاني الاتّفاقُ، وأمّا اصطِلاحًا فاتِّفاق أهلِ الحَلّ والعَقدِ - وهم مُجتَهِدُو أمّةِ محمّدٍ ﷺ - في عَصرٍ مِن العُصورِ على أمرٍ دِينِيّ.

ودليلُ حُجِّيّةِ الإجماعِ قولُ اللهِ تعالَى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾[1]؛ ووَجهُ الحُجّة أنّه تَعالَى جَمَعَ بَينَ مُشاقّةِ الرَّسولِ ﷺ واتِّباعِ غَيرِ سَبيلِ المُؤمنِين في الوَعِيد في قَولِه ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ فيَلزَم تَحرِيمُ اتِّباعِ غَيرِ سَبيلِ المؤمنِين لأنّه لَو لَم يَكُن حَرامًا لَما جَمَعَ بَينَه وبينَ المُحرَّم الّذي هو مُشاقّةُ الرَّسولِ ﷺ، لأنّ الجَمعَ بَينَ حَرامٍ ونَقِيضِه لا يَحسُن في وَعِيدٍ، فدَلّ ذلكَ علَى أنّ اتِّباعَ غَيرِ سَبِيلِهم حَرامٌ، وإذا حَرُم اتِّباعُ غَيرِ سَبِيلِهم كان اتِّباعُ سَبِيلِهم واجِبًا، إذْ لا واسِطةَ بَين السَّبِيلَين، وإنْ ثَبَتَ وُجوبُ اتِّباعِ سَبِيلِهم ثَبَتَتْ حُجِّيّةُ الإجماعِ.

فإذا اتَّفَق المُجتهِدُون في عَصرٍ على شيءٍ فهو إجماعٌ وحُجّةٌ، فلا يَصِحُّ أنْ يأتِيَ بَعدَهم مَن يَنقُض ما اتَّفَق عليه السّابِقُون.

وقد ادَّعَى بعضُ المَلاحِدة أنّ هذا الدِّين كَثِيرُ الاختِلاف لا يَصلُح اتِّباعُه ولا يُعرَف الصّوابُ مِنه، فرَدَّ علَيهِم الفُحُول مِن العُلماءِ كأبي إسحاق الإسفراييّنيّ فقال: «نحنُ نَعلَم أنّ مسائِلَ الإجماعِ أكثَرُ مِن عِشرِين ألفَ مَسألةٍ، وبهذا يُرَدّ قولُ المُلحِدة: إنّ هذا الدِّينَ كَثِيرُ الاختِلافِ إذْ لَو كان حقًّا لما اختَلَفُوا فيه. فنَقُول: أخطَأتَ، بل مَسائِلُ الإجماعِ أكثَرُ مِن عِشرِينَ ألفَ مَسألةٍ، ثُمّ لَها مِن الفُروعِ الّتي

(١) سورة النِّساء، (١١٥).

يَقَعُ الاتِّفاقُ مِنها وعلَيها وهي صادِرةٌ عن مَسائِل الإجماعِ الّتي هي أصُولُ أكثَر مِن مائةِ ألفِ مَسألةٍ»، ذكَره في «شَرح التّرتيب» نقلَه عنه الزّركَشيُّ[1].

(١) البحر المُحِيط في أصول الفقه، بدر الدّين الزَّركَشِيّ، (٦/ ٣٨٤).

الإجماعُ في العَقائِد

اعلَم أَنّ أَهلَ السّنّةِ والجماعة قد أَجمعُوا على أنّ الحقائِقَ ثابِتةٌ والعِلمُ بِها مُتحقّق[١].

وأَنَّ أسبابَ العِلم هِي الحواسّ الظّاهِرة السّلِيمةُ والخَبرُ الصّادِقُ والعَقلُ[٢].

وأَنّ العالمَ عُلوِيَّه وسُفلِيَّه مُحْدَث بِجنسِه وأفرادِه وجواهرِه وأعراضِه[٣].

وأَنّ اللهَ خالقُ العالَم لا يُماثِله ولا يُشابِهه شَيء في ذاتهِ ولا في صِفاتِه ولا أفعالِه[٤]، فليسَ سُبحانَه وتعالَى بِجسمٍ ولا عَرَضٍ[٥]، بل هو واحدٌ لا شرِيك له[٦]، قَديمٌ لا بِدايَة له، باقٍ لا نِهايَةَ له[٧]، مُرِيدٌ لا ءامِر له، شاءٍ لا يَكون إلاَّ ما يُرِيد[٨]، قادِرٌ لا شَيءَ يُعجِزهُ[٩]، عالمُ الغَيبِ والشَّهادَة[١٠]، سَميعٌ بَسمعٍ من غَير أُذُن[١١]، بَصِيرٌ بِبصَرٍ من غيرِ حَدَقَة[١٢]، مُتكلِّمٌ بِكلامٍ واحدٍ ليس بِحرفٍ ولا صَوتٍ ولا لُغَةٍ[١٣]، حَيٌّ قيُّومٌ أَحدٌ

---

(١) المِنَن الكبرى (لَطائف المِنَن والأخلاق)، عبد الوهّاب الشّعرانيّ، (ص/ ٦٥٢).

(٢) حاشية على شرح العقائد النسَفيّة، عصام الإسفراييني، (ص/ ٤٦).

(٣) الفَرق بين الفِرَق، أبو منصور البغدادي، (ص/ ٣١٥).

(٤) إتحاف السّادة المتّقين، محمد مرتضى الزَّبِيديّ، (٢/ ٣٥).

(٥) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٤١).

(٦) الأنوار القُدسيّة، عبد الوهّاب الشّعرانيّ، (ص/ ١٣).

(٧) أصول الدِّين، أبو منصور البغدادي، (ص/ ٩١).

(٨) الإنصاف فيما يجب اعتِقادُه ولا يجوز الجَهلُ به، أبو بكر الباقلاّني، (ص/ ١٣).

(٩) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٣٥).

(١٠) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٣٥). الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسَن القَطّان، (١/ ٣٥).

(١١) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسَن القَطّان، (١/ ٣٥).

(١٢) المصدر السابق.

(١٣) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٤٠).

صَمدٌ، لَمْ يَلِدْ ولم يُولَدْ، لا تُدرِكُهُ الأوهامُ والأَفهامُ[1]، مَهْما تَصوَّرْتَ بِبالِكَ فاللهُ لا يُشبِهُ ذلِكَ، وأَنّ صفاتِه الذّاتِيّةَ أَزليّة أَبَدِيّة وليسَتْ عَين الذّاتِ ولا غيرَه[2].

وأَنَّ اللهَ تعالَى كانَ قبلَ كُلِّ شيءٍ[3]، وهو مُستَغنٍ عمّا سِواهُ، فلا تَحوِيهِ الجِهاتُ ولا تَكتَنفُه الأرضُونَ والسَّماواتُ[4]، وأَنَّه استوَى كما أَخبَرَ لا كما يَخطُرُ للبَشَر.

وأَنَّ اللهَ خالِقُ الجَواهِرِ والأجسامِ والأَعمالِ والحرَكاتِ والسَّكَناتِ والخَواطِرِ والنِّيّاتِ والخيرِ والشَّرِّ والقَبِيح والحسَن[5].

وأنَّ للعبدِ مَشِيئةً هي تابِعةٌ لمشِيئةِ اللهِ، فمَن أَنكَرَها أو جعلَها بِخَلقِ العَبدِ فقد كفَرَ[6].

والاستِطاعةُ نَوعان:

استِطاعَةٌ سابِقَةٌ على الفِعل وهِي سَلامةُ الأسبابِ والآلاتِ وبِها يكُونُ صِحَّة التَّكلِيف.

واستِطاعةٌ تُقارِنهُ وهي حقيقةُ القُدرةِ الَّتِي يَكونُ بِها الفِعلُ.

وَأجمَعُوا أَنَّ اللهَ تعالى يُثِيبُ فَضلًا وَيُعاقِبُ عدلًا وَيرزُقُ كرَمًا[7]، ويُضِلُّ مَن يَشاء وَيهدِي مَن يَشاء.

---

(١) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٣٥).

(٢) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٣٧).

(٣) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسَن القَطّان، (١/ ٥٦).

(٤) الفَرق بينَ الفِرَق، أبو منصور البغدادي، (ص/ ٣٢١). الإرشاد إلى قواطِع الأدِلّة، أبو المَعالي الجُوَينيّ، (ص/ ٢١). التفسير الكبير، فخر الدّين الرازيّ، (٢٩/ ٤٤٩).

(٥) إتحاف السّادة المتَّقِين، محمد مرتضى الزَّبِيديّ، (٢/ ٤٤٨).

(٦) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٤٤).

(٧) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٦٢). أبكار الأفكار في أصول الدّين، سيف الدّين الآمديّ، (٢/ ٢٢٤).

وأَنَّ تَعذِيبَهُ المُطِيعَ وإِيلامَه الدَّواب وَتَوجِيعَهُ الأَطفال ليسَ مِنه بِظلمٍ[1] بلِ اتِّصافُهُ بالظُّلم مُحالٌ[2].

وَأَنَّ القُرءانَ كلامُ اللهِ عزّ وجلّ لا يُشبِهُ كلامَ المَخلُوقِينَ، وأَنَّ اللَّفظَ المُنَزَّل الَّذِي نَزَلَ بِه جِبرِيلُ علَى سيّدِ الأَنبياءِ والمُرسَلِين لَيسَ عَينَ الكَلام الذّاتِيّ بل هو عِبارةٌ عنهُ[3]، وَكُلٌّ يُسمَّى قُرءانًا.

وَنُؤمنُ بِمُحكَمِ الكِتابِ وَمُتَشابِهِه وَنَقُول كُلٌّ مِن عِندِ اللهِ – والمُحْكَماتُ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ – وَنُنَزِّهُهُ عزّ وجلّ عَمّا تَقتَضِيهِ ظَواهِر المُتشابِهات مِن كُلّ وَصفٍ لا يَلِيقُ بِجَلالِه.

وَأَنَّ الرِّزقَ ما يَنفعُ وَلَو مُحَرَّمًا، والشَّيءُ هُو المَوجُودُ وَلَو قَدِيمًا.

وَأَنَّ الأَجلَ واحِدٌ والمَيّتُ مَقتُولٌ بِأَجَلِهِ[4].

وَأَنَّ الرُّوحَ مَخلُوقَةٌ حادِثَةٌ[5].

وَأَنَّ اللهَ بَعَث الأَنبِياء مُبَشِّرِينَ وَمنُذرِينَ، فَضَّلَهم على سائِرِ العالَمِينَ، أَوَّلُهُم ءادَم، وءاخِرُهم وأَفضَلُهُم مُحمَّد صلوات ربّي وسلامه عليهم أَجمَعين[6]، أَيَّدَهُم بالمُعجِزاتِ الدّالَّةِ على صِدقِهِم، وَأَنزَلَ على بَعضِهم كُتُبًا.

وَأَنَّهُ يجِبُ لِكُلٍّ مِنهُم الصِّدق والأَمانَة والفَطانَة والعِفَّة والتَّبلِيغ[7]، وَيستَحِيلُ

---

(١) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسَن القَطّان، (١/ ٥٧).

(٢) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٥١).

(٣) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٣٩). المِلَل والنِّحَل، أبو الفتح الشّهرستانيّ، (١/ ٨٩). نهاية العُقول في دراية الأصول، فخر الدّين الرازيّ، (٢/ ٣١٥).

(٤) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٥٧).

(٥) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسيّ، (٧/ ١٠٦).

(٦) أصول الدِّين، أبو منصور البغدادي، (ص/ ١٧٧).

(٧) المُحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عَطِيّة الأندلسيّ، (١/ ٢١١).

عليهم كُلُّ ما يُنَفِّرُ عن قَبولِ دَعوَتِهم، وَيَجُوزُ فِي حَقِّهم الأَعراضَ الَّتي لا تَقدَحُ في مَراتِبِهم[1].

وَأَنَّ عذابَ القَبرِ ونعِيمَه وسُؤالَ المَلَكَينِ والقِيامةَ والبَعثَ والحَشرَ والحِسابَ والمِيزانَ والصِّراطَ والحَوضَ والشَّفاعَة حَقٌّ[2].

وَأَنَّ الجَنَّةَ والنّارَ مَخلُوقتانِ لا تَفنَيانِ ولا تَبِيدانِ، وأَنَّ العَذابَ والنَّعِيمَ في القَبرِ وَيوم القِيامَة وفِي الجَنَّة والنّارِ بالرُّوحِ والجَسَدِ[3].

وَأَنَّ المُؤمِنِينِ يَرَونَ اللهَ يَومَ القِيامَةِ بلا كَيفٍ ولا مَكانٍ ولا جِهةٍ لا كَما يُرَى المَخلُوق[4].

وأَنَّ المَلائِكَةَ عبادٌ للهِ مُكرَمُونَ، ليسُوا ذُكُورًا ولا إِناثًا[5]، لا يأكُلون ولا يَشرَبونَ ولا يَنامُونَ ولا يَتناكحُونَ ولا يَتعبُونَ[6]، لا يَعصُون اللهَ ما أمَرَهُم ويَفعلونَ ما يُؤمَرُون[7].

وأنّ الجِنَّ موجُودُونَ[8]، أَبُوهُم الأوّل إبلِيسُ، وهم مُكلَّفُونَ مُتَعَبَّدُونَ فمِنهُم الصّالِحُ ومِنهُم الطّالِحُ.

---

(١) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٦٩-٧٠).

(٢) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسَن القَطّان، (١/ ٥٠-٥٣).

(٣) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسَن القَطّان، (١/ ٥٢). أصول الدِّين، أبو منصور البغدادي، (ص/ ٢٦٣).

(٤) المنهاج في شرح صحيح مُسلِم بن الحَجّاج، محيي الدّين النوويّ، (٣/ ١٥). التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٤٢).

(٥) قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡ﴾ [سُورة الزُّخرُف: ١٩].

(٦) قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [سُورة الأنبياء: ٢٠].

(٧) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [سُورة التَّحرِيم: ٦].

(٨) أبكار الأفكار في أصول الدّين، سيف الدّين الآمديّ، (٤/ ٣١).

وأنَّ شَرِيعَة سَيّدنا محمّدٍ ﷺ قد نَسَخَتْ ما خالَفها مِن الشَّرائِعِ أَجمَعِين[١].

وأنَّ كَراماتِ الأولياءِ حَقٌّ[٢].

وأنَّ التَّوسُّلَ إلى اللهِ بالذَّواتِ الفاضِلَةِ والأعمالِ الصّالِحَةِ والتَّبَرُّكَ بآثارِ الأنبياءِ والصّالحِينَ حَسَنٌ[٣].

وأنَّ شَدَّ الرِّحالِ بِقصدِ زيارةِ قَبرِ النَّبِيّ ﷺ وغيرِه مِن الأولياءِ والصّالحِينَ قُربَةٌ إلى اللهِ[٤].

وأنَّ الأمواتَ يَنتَفِعُونَ بِدُعاءِ الأحياءِ لهُم وتَصدُّقِهم عنهم وقراءتِهم القُرءان عندَهم[٥].

وأنَّ التَّحذِيرَ مِن أهلِ البِدَعِ واجِب[٦].

وَأنّا لا نُكَفِّرُ أَحدًا مِن أَهلِ القِبلةِ بِذَنبٍ ما لَم يَستَحِلَّه.

وأنَّ المَعصِيَةَ وَلَو كَبِيرةً لا تُخرِج مُرتَكِبَها مِن الإيمان[٧].

وَأَنَّ اللهَ لا يَغفِرُ الكُفرَ لِمَن ماتَ عَلَيهِ وَيغفِرُ ما دُونَ ذَلكَ لِمَن يَشاء[٨].

وَأَنَّه قَد أُسرِي بِالنَّبِي ﷺ وعُرِجَ بِشَخصِهِ فِي اليَقَظَةِ إِلَى حيثُ شاءَ اللهُ مِن

---

(١) رَوضة النّاظِر، ابن قُدامة المقدِسيّ، (١/ ٢٢٩).

(٢) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٧١). الفَرق بينَ الفِرَق، أبو منصور البغدادي، (ص/ ٣١٠).

(٣) شِفا السَّقام في زيارة خير الأنام ﷺ، تقيّ الدّين السُّبكيّ، (ص/ ١٢١).

(٤) المصدر السّابِق.

(٥) الإمتاع بالأربعين المُتباينة السَّماع، ابن حجَر العسقلانيّ، (ص/ ٧٩).

(٦) قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [سُورة ءال عِمران: ١٠٤].

(٧) شرح رسالة القَيرَوانيّ، ابن ناجِي التَّنُوخيّ، (ص/ ٥٦).

(٨) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [سُورة النِّساء: ٤٨].

العُلَى[1].

وأَنَّ المِيثاقَ الّذِي أَخذه اللهُ تعالى مِن ءادَم وَذُرِّيَّته حَقٌّ[2].

وأَنَّ ظُهُورَ المَهدِيّ وَخُرُوجَ المَسِيحِ وَيأَجُوجَ وَمَأجُوجَ وَنُزُولَ عِيسَى ابن مَريمَ عليه السلام وطلوعَ الشَّمسِ مِن مغربِها وسائرَ ما أخبَر بِه النَّبِيّ عليه الصلاة والسلام مِن الغَيبِيّات كُلّ ذلك حقٌّ.

وأَنّ خَيرَ القُرُونِ قَرْن رَسولِ الله ﷺ وأصحابِه ثمّ الّذين يلُونَهم ثمّ الّذين يلُونَهم[3]، وأَنَّ أَفضلَ الصَّحابَةِ والخُلَفاء الرّاشِدُونَ المَهدِيُّونَ[4]، وأَنّا نَعتَرفُ بِفضلِ أَهلِ بَيتِ رَسولِ اللهِ وأَزواجِه أُمَّهات المؤمِنِينَ.

وأَنَّه يَجبُ علَى النّاسِ نَصبُ إِمامٍ[5] وَلَو مَفضُولاً، وأنّ طاعَةَ الإِمامِ العادِلِ واجِبةٌ[6].

وأَنَّ إِمامَةَ أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ وَعُثمانَ وَعَلِيٍّ كانَت حَقَّة[7] وأنّ عليًّا أَصابَ في قِتالِ أَصحابِ الجَمَلِ وأَهل صفّين وأَهل النَّهرَوان[8]، وأَنَّ عائِشَةَ مُبَرَّأَةٌ مِنَ الزِّنا.

وأَنَّ أَبا الحَسَنِ الأَشعَرِيَّ وأَبا مَنصُورٍ الماتُرِيدِيَّ كُلّ مِنهُما إِمام لأَهلِ السّنّةِ مُقدَّم.

---

(١) التبصير في الدّين، أبو المظفَّر الإسفراييني، (ص/ ١٧٧).

(٢) قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدْنَآ ﴾ [سُورة الأعراف: ١٧٢].

(٣) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسَن القَطّان، (١/ ٥٨).

(٤) المصدر السابِق، (١/ ٥٩).

(٥) المنهاج في شرح صحيح مُسلِم بن الحَجّاج، محيي الدّين النوويّ، (١٢/ ٢٠٥).

(٦) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسَن القَطّان، (١/ ٦٠).

(٧) التبصير في الدّين، أبو المظفَّر الإسفراييني، (ص/ ١٧٨).

(٨) نقلَه عبد القاهِر الجُرجانيّ في كتابِه «الإمامة» وعنه القُرطبي. التّذكِرة بأحوال الموتَى وأمور الآخرة، شمس الدّين القُرطبيّ، (ص/ ١٠٨٩).

وأَنَّ طَريقَ الإِمامِ الجُنَيدِ البَغْدادِيِّ طَريق قَوِيمٌ، وَأنَّ الشّافِعيَّ وَأَبا حَنِيفَةَ وَصاحِبَيهِ وَمالِكًا وأَحمدَ وَسُفيانَ وَسائِرَ أَئِمَّةِ الإِسلامِ أَئِمَّة هُدَى واختِلافهم رَحمَة بالأَنامِ.

وأَنَّ الصَّلاةَ تَجُوزُ خَلفَ علَى كلِّ بَرٍّ وفاجِرٍ مِن المُسلِمِينَ.

وَأَنَّ المَسحَ عَلَى الخُفَّينِ جائِزٌ فِي الحَضَرِ والسَّفَرِ.

وأَنَّ الحَجَّ والجِهادَ فَرْضانِ ماضِيانِ مَع أُولي الأَمرِ مِن أَئِمَّةِ المُسلِمِينَ إِلى قِيامِ السّاعَةِ.

والحمدُ للهِ رَبِّ العالَمِين، وصلَّى اللهُ علَى سيِّدِنا محمّدٍ وعلَى ءالِه الطّاهرِين وصَحابَتِه الطَيِّبِين، وسَلامُ اللهِ علَيهِم أجمَعِين.

الفهرس

التَّوطِئَة ٥
نُبْذَة تعريفِيَّة الشّيخ الدُّكتور جَميل حَليم ٩
١-**قال تعالى:** ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ **[سورة البقرة]** **١٢**
٢-قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ **[سورة البقرة]**..... **١٤**
تحذير واجب..... ١٨
٣- **قال تعالى:** ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ **[سورة البقرة]** **٢٥**
فائدة عظيمة النفع تشتد الحاجة إليها..... ٢٦
لا دينَ صحيحٌ إلا الإسلامُ..... ٢٧
قصةٌ غريبةٌ فيها دلالة على أن سيدنا عيسى عليه السلام أوصى باتّباع محمدٍ إذا ظَهَرَ ٣٠
٤- **قال تعالى:** ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِۙ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ **[سورة البقرة]** **٣١**
٥- قال تعالى: ﴿ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ **[سورة البقرة]**.. **٣٢**
٦- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴿١٨٦﴾ ﴾ **[سورة البقرة]**..... **٣٤**
٧- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ **[سورة البقرة]** **٣٧**
٨- قال تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ **[سورة البقرة]**..... **٣٨**
٩- قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ **[سورة البقرة]**
..... **٣٩**
١٠- قال تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ عَلِمَ ٱللَّهُ

أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ﴾ [سورة البقرة] ٤٠

١١- قال تعالى: ﴿ ۞ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾ [سورة البقرة] ٤٣

١٢- قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ ﴾ [سورة البقرة] ٥٧

١٣- قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [سورة البقرة]..... ٥٨

١٤- قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [سورة آل عمران] ٥٩

١٥- قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [سورة آل عمران] ٦٠

١٦- قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [سورة آل عمران] ٦٢

١٧- قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [سورة آل عمران].... ٧٣

١٨- قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [سورة النساء] ٧٥

١٩- قال تعالى: ﴿ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [سورة النساء] ٧٦

٢٠- قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ ﴾ [سورة النساء] ٨٦

٢١- قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [سورة النساء]..... ٨٨

٢٢- قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [سورة النساء] ٩١

بيان أن نكاح المتعة محرم إلى يوم القيامة ٩٢

٢٣- قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [سورة المائدة] ٩٩

٢٤- قال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [سورة المائدة] ١٢٧

٢٥- قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [سورة الأنعام] ١٢٨

البرهان على الوحدانية ١٢٨

بيان أن عقيدة الحلول والاتحاد عقيدة كفرية مخالفة للإسلام ١٣٢

المتشابه ١٥١

٢٦- قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [سورة الأنعام] ١٦٧

٢٧- قال تعالى ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [سورة المائدة] ١٧٧

٢٨- قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴿٦٤﴾ ﴾ [سورة المائدة] ١٧٨

٢٩- قال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [سورة المائدة] ١٨٠

٣٠- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ

ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [سورة المائدة] ١٨١
تحذير: شيخ الوهابية محمد العريفي ينسب إلى النبي أنه كان يُهدي الخمر أو يبيعها والعياذ بالله
..... ١٩٤
٣١- **قال تعالى:** ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة الأعراف] ١٩٦
٣٢- قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [سورة الأعراف] ١٩٧
آدم نبي رسول بإجماع الأمة ٢٠٠
٣٣- **قال تعالى:** ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [سورة يونس] ٢٠٤
٣٤- قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [سورة يونس] ٢٠٥
٣٥- قال تعالى: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة هود] ٢٠٧
مولد إسحاق عليه الصلاة والسلام ٢٠٨
٣٦- **قال تعالى:** ﴿ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾ ﴾ [سورة هود] ٢١٠
٣٧- قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [سورة يوسف] ٢١٢
٣٨- قال تعالى: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ ﴾ [سورة يوسف] ٢١٤
٣٩- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [سورة الإسراء] ٢١٦
٤٠- قال تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ﴿٧٣﴾ ﴾ [سورة الإسراء] ٢١٩
٤١- قال الله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الإسراء] ٢٢١
٤٢- قال تعالى: ﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة الكهف] ٢٢٢
٤٣- قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة مريم]

..... ٢٢٤
٤٤- قال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة الحج] ٢٢٥
٤٥- قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ [سورة الشعراء] ٢٢٧
٤٦- قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [سورة العنكبوت] ٢٢٩
٤٧- قال تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾ [سورة طه] ٢٣١
٤٨- قال تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [سورة العنكبوت] ٢٣٣
٤٩- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ ﴾ [سورة الأحزاب] ٢٣٥
٥٠- قال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ ﴾ [سورة الأحزاب] ٢٣٧
٥١- قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [سورة الأحزاب] ٢٤٢
رد مزاعم الملاحدة أن النبي ﷺ كان شهوانيًّا ٢٤٦
الحكمة من تعداد الرسول الزواج ٢٤٩
٥٢- قال تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة الأحزاب] ٢٥١
٥٣- قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة سبأ] ٢٥٧
٥٤- قال تعالى: ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة

يس] ٢٦٠
٥٥- قال تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [سورة يس] ٢٦٢
آيات قرآنية فيها أن الأرض ثابتة وأن الشمس هي التي تجري ٢٦٢
بعض الأحاديث التي تدل على جريان الشمس ٢٦٣
الإجماع على أن الأرض ثابتةٌ وأن الشمس هي التي تجري ٢٦٤
دخول أوقات الصلاة بالطريقة الشرعية ٢٦٩
٥٦- قال تعالى: ﴿ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة الصافات] ٢٧٥
٥٧- قال تعالى: ﴿ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [سورة الزمر] ٢٧٩
قول ابن تيمية بقيام الحوادث بذات الله تعالى ٢٨٣
قول ابن تيمية بالانتقال والحركة والنزول في حق الله تعالى ٢٨٧
قوله بالجلوس في حقّ الله تعالى ٢٩٦
قاعدة عظيمة النفع في تنزيه الله تعالى ٣٠٤
٥٨- قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الجاثية] ٣٠٧
بيان أن الإجماع قائم على تكفير المجسم والجهوي ٣٠٩
التمايز بين المسلم المنـزه والمشبه المجسم الجهوي ٣٢٧
من نتائج عقيدة المجسمة ٣٣٢
٥٩- قال تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة الرحمٰن] ٣٣٦
٦٠- قال تعالى: ﴿ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [سورة الواقعة] ٣٣٩
فصل في معنى العظمة والعلو والكبرياء والفوقية ٣٣٩
٦١- قال تعالى: ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [سورة المجادلة] ٣٤٠
بيـان أن صوت المرأة ليس عورة على القول الصحيح ٣٤٣
بيان حكم اختلاط الرجال بالنساء وفيه تفصيل ٣٤٩
بيان حكم التعطر والزينة للمرأة وفيه تفصيل ٣٥٤

٦٢- **قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴿٤﴾﴾ [سورة الحديد]** ٣٦٩
تَفْسِيرُ مَعِيَّةِ الله المذْكُورَةِ في القُرْءَانِ ٣٦٩
٦٣- **قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [سورة الجمعة]** ٣٧٥
٦٤- قال تعالى: **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الملك]**..... ٣٧٩
تحذير واجب ٣٨١
فائدة مهمة لها تعلق بما سبق تضعيف الحفاظ والعلماء ٣٨٤
٦٥- **قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة الحاقة]** ٣٨٨
٦٦- قال تعالى: **﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ﴿٣١﴾﴾ [سورة المدثر]** ٣٩١
٦٧- قال تعالى: **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة القيامة]** ... ٣٩٣
القول في إثبات رؤية الله عز وجل للمؤمنين في الآخرة بالأبصار ٣٩٣
فصل في رؤية الخالق ٣٩٧
٦٨- **قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾﴾ [سورة الطارق]** ٤٠٤
أكذوبة الاستنساخ في ميزان العلم والعقل ٤٠٤
مسألة مهمة في أن المني لا روح ولا حياة فيه ٤١٣
٦٩- **قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [سورة الرعد]**..... ٤١٩
٧٠- قال تعالى: **﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الذاريات]** ٤٢٣
آيات يحتج بها الوهابيون لتحريم التوسل وتكفير المسلمين المتوسلين ٤٢٣
ابن تيمية يحرم التوسل بالأنبياء والصالحين والتبرك بهم وآثارهم والرد عليه ٤٣١
التبرّك بآثار النبيّ ﷺ..... ٤٧٠
فائدة في بيان جواز نداء النبي ﷺ بعد وفاته ٤٩٦
فصل في الرجل إذا خدرت رجله ٤٩٦
حَقِّيَّةِ وَسُنِّيَّةِ وَمَشْرُوعِيَّةِ التَّوَسُّلِ وَالاسْتِغاثَةِ بِالأَنْبِياءِ والأَوْلِياءِ والصالحين أحياءً أومَيِّتين ٥٠٣
القلائد فيما أجمع عليه عن العقائد ٦٠٠
الفهرس ٦١١